

نزهة الفضلاء

تقريب

سير أعلام النبلاء

للإمام الذهبي

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
٧٤٨ هـ

الجزء الثاني

محمد حسن عقيل موسى

الناشر

دار الأندلس

للنشر والتوزيع - جدة

الجزء الثامن

٣٥٨ - عبد الله بن لهيعة (د، ت، ق)^(١)

[١] ابن عُقبة القاضي، الإمام، العلامة، محدثٌ ديار مصرَ مع الليث، أبو عبد الرحمن الحضرمي.

وُلد سنة خمس أو ست وتسعين .

وكان من بحور العلم على لِين في حديثه .

قال رَوْح بنُ صلاح: لَقِيَ ابنَ لهيعة اثنتين ومِبعين تابعياً .

ولما مات ابن لهيعة قال الليث: ما خَلَّف مثله .

[٢] لا ريب أن ابن لهيعة كان عالمَ الديار المصرية، هو والليث معاً، كما كان الإمام مالكٌ في ذلك العصر عالمَ المدينة، والأوزاعيَّ عالمَ الشَّام، ومَعْمَرُ عالمُ اليمن، وشعبةٌ والثوري عالما العراق، وإبراهيم بن طَهْمَانَ عالمُ خراسان، ولكنَّ ابن لهيعة تهاون بالإتقان، وروى مناكير، فانحطَّ عن رتبة الاحتجاج به عندهم .

[٣] وبعض الحفاظ يروي حديثه، ويذكره في الشواهد، والاعتبارات، والزهد والملاحم^(٢)، لافي الأصول^(٣) .

[٤] وبعضهم يُبالغ في وهنه، ولا ينبغي إهداره، وتُتجنب تلك المناكير، فإنه عدلٌ في نفسه .

(١) انظر السير: ١١/٨ - ٣١

(٢) الشواهد: أحاديث رويت بمعناها من طريق آخر عن صحابي آخر، يقال: روى الحديث الفلاني، وله شاهد من رواية فلان. والاعتبارات: أن يعمد الباحث إلى حديث، فيحتمل به، ويبحث عن طرقه، فينظر: هل رواه رُوٍ آخر بلفظه أو معناه، والملاحم: الأحاديث التي رويت في المغازي.

(٣) قال الحفاظ ابن كثير في «الباعث الحديث» ٦٣، ٦٤: ويختص في باب «الشواهد والمنتابعات من الرواية عن الضعيف القريب الضعف مالا يفتنر في الأصول كما يقع في الصحيحين» وغيرهما مثل ذلك. ولهذا يقول الدارقطني في بعض الضعفاء: يصلح للاعتبار، أو لا يصلح أن يعتبر به.

أعرض أصحاب الصحاح عن رواياته، وأخرج له أبو داود، والترمذي،
والقزويني وما رواه عنه ابن وهب والمقرئ، والقدماء، فهو أجود^(١).

قال أبو داود عن أحمد: ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة.

البخاري عن يحيى بن بكير: احترق منزل ابن لهيعة وكتبه في سنة سبعين.

قلت: الظاهر أنه لم يحترق إلا بعض أصوله.

[١] قال قتية، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود: عن عروة عن عائشة عن النبي

ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها عليكم قبوراً، كما

اتخذت اليهود والنصارى في بيوتهم قبوراً، وإن البيت ليتلى فيه القرآن فيتراهي

لأهل السماء كما تتراهي النجوم لأهل الأرض».

هذا حديث نظيف الإسناد، حسن المتن، فيه النهي عن الدفن في البيوت، وله

شاهد من طريق آخر، وقد نهى عليه السلام أن يبنى على القبور، ولو اندفن الناس

في بيوتهم، لصارت المقبرة والبيوت شيئاً واحداً، والصلاة في المقبرة، فمنهي عنها

نهي كراهية، أو نهى تحريم، وقد قال عليه السلام: «أفضل صلاة الرجل في بيته إلا

المكتوبة». فناسب ذلك ألا تتخذ المساكن قبوراً.

وأما دفنه في بيت عائشة صلوات الله عليه وسلامه فمختص به، كما خص بسط

قطيفة تحته في لحده، وكما خص بأن صلوا عليه فرادى بلا إمام، فكان هو إمامهم

حياً وميتاً في الدنيا والآخرة، وكما خص بتأخير دفنه يومين، ويكره تأخير أمته، لأنه

هو أمين عليه التغيير بخلافنا، ثم إنهم أخروه حتى صلوا كلهم عليه داخل بيته، فطال

لذلك الأمر، ولأنهم ترددوا شطر اليوم الأول في موته حتى قدم أبو بكر الصديق من

السُّنْحِ فهذا كان سبب التأخير.

[٢] عن يحيى بن معين قال: يكتب عن ابن لهيعة ما كان قبل احتراق كتبه.

(١) وقال عبد الغني بن سعيد الأزدي: إذا روى العبادة عن ابن لهيعة، فهو صحيح: عباده بن المبارك، وعباده
بن وهب، وعباده بن يزيد المقرئ.

قلت: عاش ثمانياً وسبعين سنة.

توفي سنة أربع وسبعين ومئة.

وكان من أوعية العلم، ومن رؤساء أهل مصر، ومحتشميهم، أطلق المنصورُ ابنَ عمار الواعظَ أراضِي له.

٣٥٩ - سعيد بن عبدالعزيز (م، ٤) (١)

[١] ابن أبي يحيى الإمام القدوة، مفتي دمشق، أبو محمد التوخّي الدمشقي، وُلِدَ سنة تسعين، في حياة سهل بن سعد، وأنس بن مالك، رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على ابن عامر.

[٢] وقال عبد الله بن زيد: كنا نجلس إلى مكحول ومعنا سعيد بن عبدالعزيز، فكان يسقي الماء في مجلس مكحول.

[٣] وقال أبو شُههر: حدثني سعيد، قال: كنت أجلس بالغدوات إلى ابن أبي مالك، وأجالس بعد الظهر إسماعيل بن عبيد الله وبعد العصر مكحولاً. قال أبو حاتم الرازي: كان أبو شهر يقدم سعيداً على الأوزاعي.

وقال أبو عبد الله الحاكم: سعيد بن عبدالعزيز لأهل الشام، كمالك، لأهل المدينة في التقدم والفقّه والأمانة.

[٤] وقال أبو زرعة: حدثني أبو النضر إسحاق بن إبراهيم، قال: كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبدالعزيز على الحصر في الصلاة.

[٥] أبو عبد الرحمن الأسدي، قال: قلت لسعيد بن عبدالعزيز: ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: لعل الله أن يفضني به، فقال: ما قمتُ إلى صلاة إلا مثلتُ لي جهنم.

[٦] قال محمد بن المبارك السوري: كان سعيد إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.

[٧] عن الوليد بن مسلم قال: كان سعيد بن عبدالعزيز يُحى الليل، فإذا طلع

(١) انظر السير: ٣٨٠٣٢/٨.

الفجر، جدد وضوءه وخرج إلى المسجد.

وقال يحيى الوخاطبي: سألت سعيد بن عبدالعزيز عن حديث فامتنع علي، وكان غسراً، وكذا قال أبو مُشهر عنه.

قلت: شاخ وضاق خلقه، واشتغل بالله عن الرواية.

[١] قال أبو مُشهر: سمعته يقول: «لا أدري» لما لا أدري نصف العلم. وسمعته يقول: ما كنت قدرياً قط وسمعت رجلاً يقول لسعيد: أظال الله بقاءك، فقال: بل عجل الله بي إلى رحمته.

[٢] يزيد بن عبد الصمد، سمعت أبا مُشهر، سمعت سعيد بن عبدالعزيز يقول: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: صموت واع، وناطق عارف.

[٣] وقال عُقبَةُ بن علقمة البيروني: حدثني سعيد بن عبدالعزيز قال: من أحسن فليخرج الثواب، ومن أساء فلا يستنكر الجزاء، ومن أخذ عزاً بغير حق أورثه الله ذلاً بحق، ومن جمع مالاً بظلم أورثه الله فقراً بغير ظلم.

[٤] سئل سعيد بن عبدالعزيز عن الكفاف من الرزق ما هو؟ قال: شبع يوم وجوع يوم.

مات سنة سبع وستين ومئة.

٣٦٠ - زُفَرُ بْنُ الْهَدَيْلِ (١)

[٥] العنبري، الفقيه المجتهد الرباني، العلامة أبو الهدييل.

قلت: وُلد سنة عشر ومئة.

قال أبو نعيم الملائني: كان ثقة مأموناً، وقع إلى البصرة في ميراث له من أخته، فتنشبت به أهل البصرة، فلم يتركوه يخرج من عندهم.

[٦] قال زُفَرُ: من تعذ قبل وقته، ذل.

(١) انظر السير: ٤١/٨-٣٨.

[١] قال عبدالرحمن بن مهدي: حدثنا عبدالواحد بن زياد، قال: لقيتُ زفر رحمه الله، فقلتُ له: صِرْتُمْ حديثاً في الناس وضْحَكَةً. قال: وما ذاك؟ قلت: تقولون: «أذُرُّوا الحُدُودَ بالشُّبُهَاتِ»، ثم جِئْتُمْ إلى أعظم الحدود، فقلتُم: تُقام بالشُّبُهَاتِ. قال: وما هو؟ قلتُ: قال رسولُ الله ﷺ «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرِهِ» فقلتُم: يُقْتَلُ به - يعني بالذُّمِّي - قال: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ السَّاعَةَ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَنْهُ.
قلتُ: هكذا يكون العالمُ وقافاً مع النص.

[٢] قال ابن سعد: مات زفر سنة ثمان وخمسين ومئة، ولم يكن في الحديث بشيء.
قلتُ: قد حكَمَ له إمامُ الصنعة^(١) بأنه ثقة مأمون.

٣٦١ صالح المرِّي^(٢)

[٣] الزاهد الخاشع، واعظ أهل البصرة، أبو بشر بن بشير القاصص.

[٤] وقال عفان: كان شديد الخوف من الله، كأنه تكلى إذا قُصص.

وقال ابن عدي: قاصص، حسن الصوت، عامة أحاديثه منكورة، أتى من قلة معرفته بالأسانيد، وعندني أنه لا يتعمد.

وقيل: لما سمعه سفيان الثوري قال: ما هذا قاصص، هذا نذير.

[٥] قال ابن الأعرابي: كان الغالب على صالح كثرة الذكر، والقراءة بالتحزين، ويقال: هو أول من قرأ بالبصرة بالتحزين.

[٦] ويقال: مات جماعة سمعوا قراءته.

توفي سنة اثنتين وسبعين ومئة.

[٧] قال الأصمعي: شهدت صالحاً المرِّي، عَزَى رجلاً، فقال: لئن كانت مصيبتك بابنك لم تُحَدِّثْ لك موعظةً في نفسك، فهي هيئة في جنب مصيبتك بنفسك فأياها فأبئك.

(١) هو الإمام يحيى بن معين.

(٢) انظر السير: ٤٦٨-٤٨.

٣٦٢ - مالك الإمام (ع) (١)

[١] هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري ثم الأصبحي المدني.

مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ، ونشأ في صون ورفاهية وتجميل.

وآخر أصحابه موتاً راوي «الموطأ» أبو حذافة أحمد بن إسماعيل السهمي، عاش بعد مالك ثمانين عاماً.

[٢] وطلب مالك العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصده طلبته العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات.

[٣] عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: «لَيُضْرَبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ».

وذكر أبو المغيرة المخزومي أن معناه: ما دام المسلمون يطلبون العلم لا يجدون أعلم من عالم بالمدينة. فيكون على هذا: سعيد بن المسيب، ثم بعده من هو من شيخ مالك، ثم مالك، ثم من قام بعده بعلمه، وكان أعلم أصحابه.

قلت: كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ، وصاحبه، زيد بن ثابت، وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيب، ثم الزهري، ثم عبيد الله بن عمر، ثم مالك.

وعن ابن عيينة قال: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه.

وقال الشافعي - وصدق وتر - إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم، والفقه، والجلالة

(١) انظر السير: ٤٨/٨ - ١٣٥.

والحفظ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيّب، والفقهاء السبعة^(١)، والقاسم، وسالم، وعكرمة، ونافع، وطبقتهم، ثم زيد بن أسلم، وابن شهاب، وأبي الزناد، ويحيى بن سعيد، وصفوان بن سليم، وربيع بن أبي عبد الرحمن، وطبقتهم، فلما تفأثوا، اشتهر ذكر مالك بها، وابن أبي ذئب، وعبد العزيز بن الماجشون، وسليمان بن بلال، وفليح بن سليمان، والدراوردي، وأقرانهم، فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق، والذي تُصْرَبُ إليه أباط الإبل من الأفاق رحمه الله تعالى.

[١١] أبو مُصْعَب: سمعتُ مالكا يقول: دخلتُ على أبي جعفر أمير المؤمنين، وقد نَزَلَ على مثال له - يعني فرشه - وإذا على بساطه دابتان ما ترونان ولا تبولان، وجاء صبي يخرج ثم يرجع، فقال لي: أتدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابني، وإنما يُفْرَعُ من هيتك، ثم ساءلني عن أشياء منها حلالٌ ومنها حرامٌ، ثم قال لي: أنت - والله - أعقلُ الناسِ، وأعلمُ الناسِ. قلت: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: بلى ولكنك تكتم. ثم قال: والله لئن بقيتُ لأكتبنُ قولك كما تُكتبُ المصاحفُ، ولأبعثننَّ به إلى الأفاق، فلا حملنهم عليه.

[٢٢] قال خَلْفٌ: ودخلت عليه، فقال: ما ترى؟ فإذا رؤيا بَعَثَها بعضُ إخوانه، يقول: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، في مسجد قد اجتمع الناسُ عليه، فقال لهم: إني قد خبأتُ تحت منبري طيباً أو علماً، وأمرتُ مالكا أن يُفَرِّقه على الناسِ، فانصرف الناسُ وهم يقولون: إذا بُنِفُدَ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ، ثم بكى، فمستُ عنه.

[٣] عمر بن المحبّر الرُعيني، قال: قدم المهديّ المدينة، فبعث إلى مالك، فاتاه، فقال لهارونَ وموسى: اسمعا منه، فبعث إليه، فلم يُجِبهما، فأعلما المهديّ،

(١) الفقهاء السبعة نظم أسماءهم بعضهم بهذين البيتين:

إذا قبل من في الفقه سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبید الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

(٢) نص الحلية: فقال لي: انظر ما ترى تحت مصلاي أو حصيري، فنظرت، فإذا أنا بكتاب، فقال: اقرأه...

فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين، العلمُ يوتى أهله، فقال: صدق مالك، صيرا إليه، فلما صاروا إليه، قال له مؤدبهما: اقرأ علينا. فقال: إن أهل المدينة يقرؤون على العالم، كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطؤوا، أفتاهم. فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك، فكلمه، فقال: سمعتُ ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، ونافع، وعبدالرحمن بن هرمز، ومن بعدهم: أبو الزناد، وربيعه، ويحيى بن سعيد، وابن شهاب، كل هؤلاء يقرأ عليهم ولا يقرؤون، فقال: في هؤلاء قدوة، صيروا إليه، فاقروا عليه، ففعلوا.

[١] السراج: حدثنا قتيبة: كنا إذا دخلنا على مالك، خرج إلينا مُزِيناً مكحلاً مطيباً. قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدر الحلقة، ودعا بالمراوح، فأعطى لكل منا مروحة.

[٢] ابن وهب: سمعتُ مالكا يقول: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع.

[٣] إسماعيل بن أبي أويس، قال: سألتُ خالي مالكا عن مسألة، فقال لي: قرأ ثم توضأ، ثم جلس على السرير - ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وكان لا يُفتي حتى يقولها.

[٤] عن مالك، قال: دخلت على المنصور، وكان يدخل عليه الهاشميون، فيقبلون يده ورجله - عصمني الله من ذلك -.

[٥] عن مالك، قال: لا يؤخذ العلمُ عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يُحدث به.

صفة الإمام مالك

[١] عن عيسى بن عمر قال: ما رأيت قطُّ بياضاً ولا حمرةً أحسن من وجه مالك، ولا أشدُّ بياضٍ ثوبٍ من مالك.

ونقل غير واحد أنه كان طويلاً، جسيماً، عظيم الهامة، أشقر، أبيض الرأس واللحية، عظيم اللحية، أصلع، وكان لا يُحفي شاربه^(١)، وبراه مثله.

كان يوفّر سبلته^(٢)، ويحتج بقتل عمر شاربه.

وقال ابن وهب: رأيت مالكا خضب بجناء مرة.

وقد كان مالك إماماً في نقد الرجال، حافظاً، مجوداً، متقناً.

[٢] عن مالك، قال: قدّم علينا الزهري، فأتيناه ومعنا زبيعة، فحدثنا بنيف وأربعين

حديثاً، ثم أتيناها من الغد، فقال: انظروا كتاباً حتى أحدثكم منه، رأيتم ما حدثكم

به أمس، أليس في أيديكم منه؟ فقال زبيعة: ها هنا من يرؤ عليك ما حدثت به

أمس. قال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر. قال: هات، فسرد له أربعين حديثاً

منها، فقال الزهري: ما كنت أرى أنه بقي من يحفظ هذا غيري.

[٣] وعن مالك قال: جنة العالم: «لا أدري» فإذا أغفلها أصيبت مقاتله.

[٤] عن مالك، سمع عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جُلاءه

قول: «لا أدري»، حتى يكون ذلك أصلاً يقرعون إليه.

[٥] قال ابن عبد البر: صح عن أبي الدرداء أن: «لا أدري»، نصف العلم.

[٦] قال محمد بن رُمح: رأيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن مالكا والليث

يختلفان، فبأيهما آخذ؟ قال: مالك، مالك.

[٧] محمد بن عمر، سمعت مالكا يقول: لما حج المنصور، دعاني فدخلت عليه،

فحدثته، وسألني فأجبته، فقال: عزم أن أمر بكتيك هذه - يعني الموطأ - فتسخ

نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، وأمرهم أن يعملوا بما

(١) أي لا يبلغ في قفه.

(٢) السبلة: ما على الشفة العليا من الشعر، يجمع الشاربين وما بينهما.

فيها، ويدَعُوا ما سوى ذلك من العلم المُحدَث، فإنِّي رأيتُ أصلَ العلمِ رِوايةَ أهلِ المدينةِ وعلمَهم. قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا تفعل، فإنَّ الناسَ قد سيقَتْ إليهم أقاويلٌ وسمعوا أحاديثَ، وروَوْا رواياتٍ، وأخذ كلُّ قومٍ بما سيقَ إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من اختلافِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وغيرهم، وإنَّ رُدَّهم عما اعتقدوه شديدٌ، فدعِ الناسَ وما هم عليه، وما اختار أهلُ كلِّ بلدٍ لأنفسهم. فقال: لعمرى، لو طأعتني لأمرتُ بذلك.

المحنة

[١]

ابنُ سعد: حدثنا الواقديُّ قال: لما دَعَى مالِكُ، وشوَّروا، وسَمِعَ منه، وقُبِلَ قَوْلُهُ، حُسْدٌ، وتَفَوَّهَ بكلِّ شَيْءٍ، فلما وُلِّيَ جَعْفَرُ بنَ سُلَيْمانَ المدينةَ، سَمَعُوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يَرى أَيْمانَ بَيْعتِكُمْ هذه بشَيْءٍ، وهو يأخذُ بحديثِ رِواه عن ثابتِ بنِ الأحنفِ في طلاقِ المُكْرَهَةِ: أنه لا يجوزُ عنده، قال: فَغَضِبَ جَعْفَرُ، فدعا بمالكَ، فاحتجَّ عليه بما رُفِعَ إليه عنه، فأمرَ بتجريده، وضربِهِ بالسِّياطِ، وجُهدتْ يَدُهُ حتى انخلعتْ مِنْ كَتِفِهِ، وارْتَكَبَ منه أمرٌ عظيمٌ، فوالله ما زال مالِكُ بعدُ في رفعةٍ وعُلُوٍّ.

[٢] قلتُ: هذا ثَمرةُ المِحْنَةِ المَحْمُودَةِ، أنها ترفعُ العبدَ عندَ المؤمنين، ويكُلُّ حالٍ فهي بما كسبتْ أيدينا، ويعفو الله عن كثيرٍ: «وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ»، وقال النبي ﷺ: «كلُّ قضاءِ المؤمنِ خيرٌ له»، وقال اللهُ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد ٣١]، وأنزلَ تعالى في وقعةِ أحدٍ قوله: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا فَلْتُكْسِبْهُمْ إِيَّاهُ، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران ١٦٥]. وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى ٣٠]. فالْمُؤْمِنُ إذا امْتَحِنَ صَبَرَ وَأَتَعَطَّ، واستغفرَ ولم يتشاغلْ بِذَمِّ مَنْ انتقمَ منه، فاللهُ حَكَمٌ مُقْسِطٌ، ثم يَحْمَدُ اللهُ على سلامةِ دينه، ويعلمُ أن عقوبةَ الدنيا أهونُ وخيرٌ له.

ولمالك رحمه الله رسالة في القدر، كتبها إلى ابن وهب وإسنادها صحيح .
وله مؤلَّف: في النجومِ ومنازلِ القمر، ورسالة في الأفضية، ورسالة إلى الليث
في اجماع أهل المدينة، معروفة .

فأما ما نقلَ عنه كبار أصحابه من المسائل، والفتاوى، والفوائد، فشيءٌ كثير،
ومن كنوز ذلك: «المدوِّنة»، و«الواضحة»، وأشياء .
[١] قال مالكي: قد ندر الاجتهادَ اليومَ، وتعدُّر، فمالك أفضلُ من يُقلِّد، فرجع
تقليده .

[٢] وقال شيخ: إن الإمام لمن التزم بتقليده، كالنبي مع أمته، لا تحلُّ مخالفتُه .
[٣] قلتُ: قوله لا تحلُّ مخالفتُه: مجردُ دعوى، واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفةُ
إمامه إلى إمام آخر، حُجَّتُه في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباعُ الدليل فيما
تبرهنَ له، لا كمن تَمذهب لإمام، فإذا لآح له ما يُوافقُ هواه، عمِلَ به من أيِّ
مذهب كان، ومن تَتبَع رُخصَ المذاهب، وزلاتِ المجتهدين، فقد رَقَّ دينُه، كما
قال الأوزاعي أو غيره: مَنْ أخذ بقول المكيبين في المُتعة، والكوفيين في النِّبذ،
والمدنيين في الغناء، والشاميين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشرَّ. وكذا من أخذ
في البيوع الربوية بمن يتحيلُ عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسَّع فيه،
وشبَّه ذلك، فقد تعرَّض للانحلال، فنسأل الله العافية والتوفيق .

[٤] ولكن: شأن الطالب أن يَدْرُس أولاً مُصنفاً في الفقه، فإذا حفظه، بحثه، وطالع
الشروح، فإن كان ذكياً، فقيه النفس، ورأى حُجج الأئمة، فليُراقب الله، وليحتطَّ
لدينه، فإن خيرَ الدينِ الورعُ، ومن تَرَكَ الشُّبهاتِ، فقد استبرأ لدينه وعرضه،
والمعصومُ من عصمة الله .

[٥] فالمقلِّدون صحابةُ رسول الله ﷺ، بشرط ثبوتِ الإسناد إليهم، ثم أئمة التابعين
كعَلقمة، ومُشروق، وعبيدة السلماني، وسعيد بن المُسيَّب، وأبي الشعثاء، وسعيد
بن جبير، وعبيد الله بن عبد الله، وعروة، والقاسم، والشَّعبي، والحسن، وابن
سيرين، وإبراهيم النخعي .

ثم كالزهري، وأبي الزناد، وأيوب السخثاني، وربيعه، وطبقتهم.
ثم كإبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، وابن جريج، ومعمر، وابن أبي عروبة،
وسفيان الثوري، والحماديين، وشعبة، والليث، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب.
ثم كإبن المبارك، ومسلم الزنجي، والقاضي أبي يوسف، والهقل بن زياد،
ووكيع، والوليد بن مسلم، وطبقتهم.
ثم كالشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور، والبويطي، وأبي بكر
إبن أبي شيبة.

ثم كالمزني، وأبي بكر الأثرم، والبخاري، وداود بن علي، ومحمد بن نصر
المروزي، وإبراهيم الحربي، وإسماعيل القاضي.
ثم كمحمد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي عباس بن شريح،
وأبي بكر بن المنذر، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر الخلال.

[١] ثم من بعد هذا النمط تناقص الاجتهاد، ووُضِعَتِ المختصرات، وأخلد الفقهاء
إلى التقليد، من غير نظير في الأعلم، بل بحسب الاتفاق، والتشهي، والتعظيم،
والعادة، والبلد. فلو أراد الطالب اليوم أن يتمذهب في المغرب لأبي حنيفة، لعُسر
عليه، كما لو أراد أن يتمذهب لابن حنبل بيخاري، وسمرقند، لصعب عليه، فلا
يجيئ منه حنبل، ولا من المغربي حنفي، ولا من الهندي مالكي، وبكل حال:
فإلى فقهِ مالك المنتهى. فعامة آرائه مسددة، ولو لم يكن له إلا حسم مادة الحبل،
ومراعاة المقاصد، لكفاه. ومذهبه قد ملأ المغرب، والأندلس، وكثيراً من بلاد
مصر، وبعض الشام، واليمن، والسودان، وبالبحر، وبغداد والكوفة، وبعض
خراسان، وكذلك اشتهر مذهب الأوزاعي مدة، وتلاشى أصحابه، وتفتنوا. وكذلك
مذهب سفيان وغيره بمن سمي، ولم يبق اليوم إلا هذه المذاهب الأربعة. وقل من
ينهض بمعرفتها كما ينبغي، فضلاً عن أن يكون مجتهداً.

[٢] وانقطع أتباع أبي ثور بعد الثلاث مئة، وأصحاب داود إلا القليل، وبقي مذهب
إبن جرير إلى ما بعد الأربع مئة.

[١] وللزيدية مذهبٌ في الفروع بالحجاز وباليمن، لكنه معدودٌ في أقوال أهل البدع، كالإمامية، ولا بأس بمذهب داود، وفيه أقوالٌ حسنة، ومتابعةٌ للنصوص، مع أن جماعةً من العلماء لا يعتدّون بخلافه، وله شذوذٌ في مسائلٍ شانت مذهبه. ولكن هذا الإمام الذي هو النجم الهادي قد أنصف، وقال قولاً فضلاً، حيث يقول: كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك، إلا صاحب هذا القبر عليه السلام.

[٢] ولا ريب أن كل من أنس من نفسه فقهاً، وسعةً علم، وحسن تصدٍ فلا يسعه الالتزام بمذهبٍ واحد في كل أقواله، لأنه قد تبرهن له مذهبٌ الغير في مسائل، ولاح له الدليل، وقامت عليه الحجة، فلا يُقلد فيها إمامه، بل يعمل بما تبرهن، ويقلد الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتشبه والفرص، لكنه لا يُفتي العامة إلا بمذهب إمامه، أو ليصمت فيما خفي عليه دليلاً.

وذكر أحمد بن حنبل مالكاً، فقدّمه على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد والحكم، في العلم. وقال: هو إمام في الحديث، وفي الفقه. وقال أسد بن القرات: إذا أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك.

وقد ذكره أبو عمرو الداني في «طبقات القراء». وأنه تلا على نافع ابن أبي نعيم. [٣] المفضل الجندي، سمعت أبا مضعب، سمعت مالكاً، يقول: ما أفتيت حتى شهّد لي سبعون أني أهلٌ لذلك.

[٤] ثم قال أبو مضعب: كان مالك لا يُحدّث إلا وهو على طهارة إجلالاً للحديث. [٥] قيل لمالك: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسنٌ جميل، لكن انظر الذي يلتزمك من حين تُصبح إلى أن تُمسي، فالزمه.

[٦] عن ابن وهب: سئل مالك عن الداعي يقول: يا سيدي. فقال: يُعجبني دعاء الأنبياء: ربنا، ربنا.

[٧] نعيم بن حماد، سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت أحداً ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

[١] قلت: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله.

[٢] عبد الله بن عبد الحكم، سمعت مالكا يقول: شاورني هارون الرشيد في ثلاثة: في أن يعلق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر رسول الله ﷺ ويجعله من ذهب وفضة وجوهر، وفي أن يقدم ناعما إماما في مسجد النبي ﷺ. فقلت: أما تعليق الموطأ فإن الصحابة اختلفوا في الفروع، وتفرقوا، وكل عند نفسه مصيب. وأما نقض المنبر، فلا أرى أن يحرم الناس أثر رسول الله ﷺ. وأما تقدمتكم ناعما فإنه إمام في القراءة، لا يؤمن أن تبدر منه بادرة في المحراب، فتحفظ عليه. فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله.

هذا إسناد حسن، لكن لعل الراوي وهم في قوله: هارون، لأن ناعما قيل خلافة هارون مات.

من قول مالك في السنة

[٣] مطرف بن عبد الله، سمعت مالكا يقول: سن رسول الله ﷺ، وولاه الأمر بعده سننا، الأخذ بها أتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها، فهو مهتد، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن تركها، أتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

[٤] قال مالك: أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجذله؟!.

[٥] أبو ثور: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: إني على نية من ديني، وأما أنت، فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه.

[٦] جعفر بن عبد الله قال: كنا عند مالك، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله ﷺ الرّحمن على العرش استوى ﴿ [طه ٥]. كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء

ما وَجَدَ من مَسْأَلَتِهِ، فنظر إلى الأرض، وجعل يَنْكُتُ بعود في يده، حتى علاه الرخصاء^(١)، ثم رفع رأسه، ورَمَى بالعود، وقال: الكَيْفُ منه غَيْرُ معقول، والاسْتِواءُ منه غَيْرُ مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، وأظنُّكَ صاحبُ بدعةٍ، وأمرَ به فأُخْرِجَ.

[١] قال مالك: لا يُسْتَنَابُ من سَبِّ النبي ﷺ، من الكُفَّار والمسلمين.

[٢] قال ابنُ القاسم: سألتُ مالكاَ عَمَّنْ حَدَّثَ بالحديث: الذين قالوا: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِهِ». والحديث الذي جاء: «إِنَّ اللهَ يَكْشِفُ عَن سَاقِهِ» (وَأَنَّهُ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يُخْرِجَ مَن أَرَادَهُ). فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يُحَدَّثَ بها أحد، فقيل له: إن ناساً من أهل العلم يتحدَّثون به، فقال: مَنْ هو؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، قال: لم يكن ابنُ عجلان يَعْرِفُ هذه الأشياءَ، ولم يكن عالماً.

[٣] قلتُ: أنكر الإمامُ ذلك، لأنه لم يثبت عنده، ولا اتَّصل به، فهو مَعْدُور، كما أن صاحبي «الصُّحْبِيِّينَ» مَعْدُوران في إخراج ذلك - أعني الحديث الأول والثاني - لثبوت سندهما، وأما الحديثُ الثالث، فلا أعرفه بهذا اللفظ، فقولنا في ذلك وبإياه: الإقرار، والإمرار، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المَعصوم.

[٤] قال ابنُ القاسم: سألتُ مالكاَ عن علي وعثمان. فقال: ما أدركتُ أحداً ممن اقتدي به إلا وهو يرى الكُفَّ عنهما، قال ابن القاسم: يُريدُ التفضيل بينهما فقلتُ: فأبو بكر وعمر؟ فقال: ليس فيهما إشكالٌ، إنهما أفضلُ من غيرهما.

[٥] وعن مالك قال: الجدال في الدين يُنشئ المِراءَ، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الضغن.

[٦] ابن وهب: سمعتُ مالكاَ يقولُ حَقُّ علي من طلب العلم أن يكون له وَقَارٌ وسكينةٌ وخشيةٌ، والعلمُ حَسَنٌ لمن رَزَقَ خَيْرَهُ، وهو قَسَمٌ من الله تعالى، فلا تمكن

(١) الرخصاء: العرق إثر الحمى، أو عرق ينسل الجلد كثرة.

الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوفقَ للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يُخطئ، وذلك وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه.

[١] الفعيني: سمعت مالكا يقول: كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه.

[٢] قال مخلد بن خدّاش: سألت مالكا عن الشطرنج. فقال: أحق هو؟ فقلت: لا. قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس ٣٢].

[٣] عن مالك قال: إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه، ذهب بهأوه.

[٤] قال ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة.

[٥] قال أبو مصعب: كانوا يزّدحمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الرّحام. وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا، قائلون برؤسهم هكذا. وكانت السلاطين تهابه، وكان يقول: لا، ونعم. ولا يُقال له: من أين قلت ذا؟

[٦] قيل لمالك: إنك تدخل على السلطان، وهم يظلمون، ويجورون، فقال: يرحمك الله، فأين المكلّم بالحق.

[٧] ابن عبدالحكم: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد: أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم؟ يعني أبا حنيفة ومالكا: قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: أنشدك الله، من أعلمم بالقرآن؟ قال: صاحبكم. قلت: من أعلمم بالسنة؟ قال: صاحبكم. قلت: فمن أعلمم بأقاويل الصحابة والمتقدمين؟ قال: صاحبكم. قلت: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول، على أي شيء يقيس؟

[٨] قلت: وعلى الإنصاف، لو قال قائل: بل هما سواء في علم الكتاب، والأول، أعلمم بالقياس، والثاني: أعلمم بالسنة، وعنده علم جَم من أقوال كثير من الصحابة، كما أن الأول أعلمم بأقاويل علي، وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ. فرضي الله عن الإمامين، فقد صبرنا في وقت لا يُقدّر الشخص على

النطق بالإِنصاف، نسأل الله السلامة.

كان خاتِمُ مالك، الذي مات وهو في يده، فَصُهُ أسودُ حجري، ونقشه: حسي
الله ونعم الوكيل. وكان يلبسه في يساره، وربما لبسه في يمينه.
[١] وقال ابن وهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه.
[٢] وعن مالك قال: ما جالسْتُ سفيهاً قط.

قال أبو العباس السُّراج: سمعتُ البخاريَّ يقول: أصحُّ الأسانيد: مالك، عن
نافع، عن ابن عمر.

قال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» هذا كتبه من حفظي، وغاب عني
أصلي: إن عبد الله العُمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل.
فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربُّ رجلٍ فُتِحَ له في
الصلاة، ولم يُفتح له في الصَّوم، وآخر فُتِحَ له في الصَّدقة ولم يُفتح له في الصَّوم،
وآخر فُتِحَ له في الجهاد، فنسُرُ العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتِحَ
لي فيه، وما أظنُّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

وفاة مالك

قال القعني: سمعتهم يقولون: عُمُرُ مالك تسعٌ وثمانون سنة، مات سنة تسعٍ
وسبعين ومئة.

[٤] قال إسماعيل بن أبي أويس: مرَّصُ مالك، فسألْتُ بعضَ أهلنا عما قال عند
الموت، قالوا: تَشَهَّد، ثم قال: ﴿اللهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ﴾ [الروم ٤] وتُوفِّي.
[٥] ونقل القاضي عياض أن أسدَ بن موسى قال: رأيتُ مالكاً بعد موته، وعليه
طويلة، وثيابٌ خضسر وهو على ناقة، يطيرُ بين السماء والأرض. فقلتُ: يا أبا
عبدالله، أليس قد مُت؟ قال: بلى. فقلتُ: فالإم صيرت؟ فقال: قد مُت على ربي
وكلمني كِفاحاً^(١) وقال: سلني أعطك، وتمنَّ علي أرضك.

(١) أي. مواجهة وبدون واسطة.

قلت: ودُفِنَ بالبقيع اتفاقاً، وقبره مشهورٌ بزار، رحمه الله.

[١] ويقال: إنه في الليلة التي مات فيها، رأى رجلٌ من الأنصار قائلاً يُنشدُ:
لقد أصبح الإسلام زُرع رُكنته غداة نوى الهادي لدى ملحد القبر
إمام الهدى ما زال للعلم صائناً عليه سلامُ الله في آخر الدهر
قال: فانتبهتُ، فإذا الصارخة على مالك.

[٢] وقال ابنُ أبي أويس: بيع ما في منزل خالي مالك من بسط، ومنصات، ومخاد،
وغير ذلك، بما يُنيف على خمس مئة دينار.

[٣] وقال محمد بنُ عيسى بن خلف: خلف مالك خمس مئة زوج من النعال، ولقد
اشتبه يوماً كساء قوصياً، فما مات إلا وعنده منها سبعة، بُعثت إليه.

[٤] قال أبو عمرو: ترك من الناص^(١) ألفي دينار وست مئة دينار، وسبعة وعشرين
ديناراً، ومن الدراهم ألفاً درهم.

[٥] قلتُ: قد كان هذا الإمام من الكبراء السعداء، والسادة العلماء، ذا جشمة
وتجمل، وغبيد، ودارٍ فاخرة، ونعمة ظاهرة، ورفعة في الدنيا والآخرة. كان يقبل
الهدية، ويأكل طيباً ويعمل صالحاً.

٣٦٣ - الليث بن سعد (ع)^(٢)

[٦] ابن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو
الحارث الفهمي مولى خالد بن ثابت بن ظاغن.

مولده: بقرقشدة - قرية من أسفل أعمال مصر - في سنة أربع وتسعين.

[٧] كان الليث رحمه الله فقيهاً مصر، ومحدثها، ومُحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخرُ
بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر وقاضيهَا وناظرها، من تحت أوامره،
ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم،
فاستعفى من ذلك.

(١) الناص: النقد من الدنانير والدراهم. (٢) انظر السير: ١٣٦/٨ - ١٦٣.

[١] قال الحسن بن يوسف بن مُلَيْح : سمعتُ أبا الحسن الخادم ، قال : كنتُ غلاماً لزبيدة ، وأتى بالليث بن سعد تستفتيه فكنتُ واقفاً على رأس ستي زبيدة ، خلف الستارة ، فسأله الرشيدُ ، فقال له : حَلَفْتُ إن لي جنتين ، فاستحلفه الليثُ ثلاثاً : إنك تخافُ الله؟ فحلف له ، فقال : قال الله : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن ٤٦] . قال : فاقطعهُ قطائع كثيرة بمصر .

قلت : إن صح هذا ، فهذا كان قبل خلافة هارون .

وقال ابنُ بكير : كان الليثُ فقيهُ البدن ، عربيُّ اللسان ، يُحسِنُ القرآن والنحو ، ويحفظُ الحديث ، حسنُ المذاكرة ، فما زال يذكر خِصالاً جميلة ، ويُعقِدُ بيده ، حتى عقد عشرة : لم أَر مثله .

هارون بن سعيد : سمعت ابن وهب يقول : كُلُّ ما كان في كتب مالك : وأخبرني من أرضي من أهل العلم ، فهو الليث بن سعد .

[٢] عثمان بن صالح ، قال : كان أهل مصر ينتقصون عثمان ، حتى نشأ فيهم الليثُ فحدثهم بفضائله ، فكفوا . وكان أهل حمص ينتقصون علياً حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش ، فحدثهم بفضائل علي ، فكفوا عن ذلك .

[٣] قال قتبية : كان الليثُ يَسْتَعْمِلُ عشرين ألفَ دينارٍ في كل سنة ، وقال : ما وجبتُ عليّ زكاة قط . وأعطى الليثُ ابنَ لهيعة ألف دينار ، وأعطى مالكا ألف دينار وأعطى منصور بن عمار الواعظ ألف دينار وجارية تسوي ثلاثة مئة دينار .

[٤] وجاءت امرأة إلى الليث ، فقالت : يا أبا الحارث ، إن ابناً لي عليل ، واشتهى عسلاً ، فقال : يا غلام ، اعطها مرطاً من عسل ، والمرط : عشرون ومئة رطل .

[٥] عبد الله بن صالح ، قال : صحبتُ الليثَ عشرين سنة ، لا يتغدّى ولا يتعشى إلا مع الناس . وكان لا يأكل إلا بلحم إلا أن يمرض .

[٦] كان الليثُ له كلُّ يوم أربعة مجالس يجلس فيها : أما أوّلها ، فيجلس لثانية السلطان في نوائبه وحوادثه ، وكان الليثُ يغشاه السلطان ، فإذا أنكر من القاضي

أمراً، أو من السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه العزل، ويجلس لأصحاب الحديث، وكان يقول: نَجَّحُوا أصحابَ الحوائِثِ، فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم، ويجلس للمسائل، يغشاه الناس، فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد فبرده، كبرت حاجته أو صغرت. وكان يُطعمُ الناس في الشتاء الهرائس بِغسل النحل وسمنِ البقر، وفي الصيف سويق اللوز في السكر.

[١] قيل لليث: أمتع الله بك، إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك، فقال: أو كل ما في صدري في كتبي؟ لو كتبت ما في صدري، ما وسعه هذا المركب.

أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: سمعت الشافعي يقول: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

مات الليث سنة خمس وسبعين ومئة.

[٢] قال خالد بن عبد السلام الصُرَفي: شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي، فما رأيت جنازة قط أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يُعزي بعضهم بعضاً، ويبكون، فقلت: يا أبت، كان كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة، فقال: يا بني، لا ترى مثله أبداً.

٣٦٤ - مَيْسِرَةُ التُّرَاسِ (١)

[٣] قيل: هو ميسرة بن عبد ربه الفارسي، ثم البصري، الأكول. ضَعُفُوهُ وَقَدْ أَتَاهُمْ (٢).

[٤] قال الأصمعي: قال لي الرشيد: كم أكثر ما أكل ميسرة؟ قلت: مئة رغيف ونصف مكوك ملح، فأمر الرشيد فطرح للفيل مئة رغيف، ففضل منها رغيفاً.

(١) انظر السير: ١٦٤/٨ - ١٦٥.

(٢) في التميزان: قال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الإثبات، ويضع الحديث، وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل. وقال أبو داود: آخر بوضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم: كان يقتل الحديث، روى في فضل قزوين والثغور، وقال أبو زرعة: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول: إني احتسب في ذلك، وقال البخاري: ميسرة بن عبد ربه يرمي بالكذب.

[١] وقيل: إن بعض المُجَان قالوا له: هل لك في كبشٍ مَشويٍ؟ قال: ما أكره ذلك، ونزل عن حمارة فأخذوا الحمارة، وأتوه - وقد جاع - بالشواء، فأقبل يأكل، ويقول: أهذا لحم فيل؟! بل لحم شَيْطَان، حتى فرغه، ثم طلب حمارة، فنضاحكوا، وقالوا: هو والله في جوفك. وجمعوا له ثمنه.

[٢] وقيل: نذرت امرأة أن تُشبعه، ففرق بها، وأكل ما يكفي سبعين رجلاً.

٣٦٥ رِيَّاح^(١)

[٣] ابنُ عمرو القيسي العابدُ، أبو المهاصر، بصريٌّ زاهد، مثأله، كبيرُ القدر.

[٤] قال أبو بكر بنُ أبي الدنيا: حدثنا علي بن أبي مريم قال: قال رِيَّاح القيسي: لي نَيْفٌ وأربعون ذنباً، قد استغفرتُ لكل ذنبٍ مئة ألف مرة.

[٥] قال أبو معمر المُقعد: نظرت رابعةً إلى رِيَّاحٍ يَضُمُّ صبيّاً من أهله ويُقبِّله. فقالت: أتحبُّه؟ قال: نعم. قالت: ما كنتُ أحسبُ أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبةٍ غيره، تبارك اسمه. فغشي عليه، ثم أفأق، وقال: رحمةٌ منه تعالى ألغاه في قلوب العباد للأطفال.

٣٦٦ - محمد بن النضر^(٢)

[٦] أبو عبد الرحمن، الحارثي، الكوفي، عابدُ أهل زمانه بالكوفة.

[٧] وقال عبدُ الله بنُ محمد الكرمانِي: دخلتُ على محمد بن النضر، فقلت: كأنك تكرهُ مجالسةَ الناس. قال: أجل! كيف أستوحشُ، وهو يقول: أنا جليسٌ من دُكرتي.

[٨] عن محمد بن النضر قال: أوَّلُ العِلْمِ الاستماعُ، والإنصاتُ، ثم حفظُه، ثم العملُ به، ثم بثُّه.

(١) انظر السير: ١٧٤/٨ - ١٧٥.

(٢) انظر السير: ١٧٥/٨ - ١٧٦.

[١] قال ابن المبارك: كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت، اضطربت مفاصله.
[٢] وعن أبي الأحوص، قال: آلى محمد بن النضر على نفسه أن لا ينام إلا ما غلبته عينه.

٣٦٧ - سليمان الخواص^(١)

[٣] من العابدين الكبار بالشام.

[٤] قال محمد بن يوسف البريابي: كنت في مجلس فيه الأوزاعي وسعيد بن عبدالعزيز، وسليمان الخواص، فذكر الأوزاعي الزهاد، فقال: ما يزيد أن نريد مثل هؤلاء، فقال سعيد: ما رأيت أزهّد من سليمان الخواص، وما شعر أنه في المجلس، فقتع سليمان رأسه، وقام، فأقبل الأوزاعي على سعيد، وقال: ويحك لا تعقل ما يخرج من رأسك! تؤذي جليستنا تزكّيه في وجهه.

[٥] ويقال: إن سعيد بن عبدالعزيز زار الخواص ليلة في بيته ببيروت، فرآه في الظلمة، فقال: ظلمة القبر أشد، فأعطاه دراهم، فردّها، وقال: أكره أن أعود نفسي مثل دراهمك، فمن لي بمثلها إذا احتجّت، فبلغ ذلك الأوزاعي فقال: دعوه فلو كان في السلف لكان علامة.

٣٦٨ - سلم بن ميمون^(٢)

[٦] الخواص، هو أصغر من سليمان الخواص.

[٧] قال إسماعيل بن مسلمة القعني: رأيت كأن القيامة قد قامت، وكان متادياً يُنادي: ألا ليقيم السابقون. فقام سفيان الثوري، ثم نادى: ألا ليقيم السابقون. فقام سلم الخواص، ثم قام إبراهيم بن أدهم.

[٨] وقال أحمد بن ثعلبة: سمعتُ سلماً الخواص قال: قلت لنفسي: يا نفس، اقربي القرآن كأنك سمعته من الله حين تكلم به، فجاءت الحلوة.
بقي سلم إلى ما بعد سنة ثلاث عشرة ومئتين.

(١) انظر السير: ١٧٨/٨ - ١٧٩. (٢) انظر السير: ١٧٩/٨ - ١٨٠.

[١] ابنُ عبدالله، الملامّة الحافظ، القاضي، أبو عبدالله النخعي، أحدُ الأعلام على لِين ما في حديثه. توقّف بعضُ الأئمة عن الاحتجاج بمقاريدِه. وقال الثَّسائي: ليس به بأس.

وقال الجوزجاني: سيءُ الحفظ مضطرب الحديث ماثل.

قلت: فيه تشييعٌ خفيف على قاعدة أهل بلده.

وكان من كبار الفقهاء، وبينه وبين الإمام أبي حنيفة وقائع.

[٢] قال أبو نعيم: سمعتُ شريكاً يقول: قُدِّم عثمانُ يوم قُدِّم، وهو أفضلُ القوم.

[٣] قال ابنُ عسيرة: قيل لشريك: ما تقول فيمن يُفضّل علياً على أبي بكر؟ قال: إذا يفتضحُ يقول أخطأ المسلمون.

[٤] منصور بنُ أبي مُزاحم: سمعتُ شريكاً يقول: تركُ الجواب في موضعه إذابةُ القلب.

[٥] سليمان بنُ أبي شيخ: قال شريك لبعض إخوانه: أكرهتُ على القضاء، قال: فأكرهتُ على أخذ الرزق؟

[٦] ثم قال سليمان: حكى لي عبدالله بنُ صالح بن مُسلم، قال: كان شريكٌ على قضاء الكوفة، فخرج يتلقَى الخيزران، فبلغ شاهي (٢)، وأبطأت الخيزران، فأقام ينتظرها ثلاثاً، ويبسُ خبزُه، فجعل يبلُّه بالماء ويأكله، فقال العلاء بنُ المنهال الغنوي:

فإن كان الذي قد قلتُ حقاً بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك موضعاً في كلِّ يومٍ تلقى من يحجُّ من النساء؟
مُقيماً في قرى شاهي ثلاثاً بلا زاد سوى كسِرٍ وماء
[٧] حمدان بن الأصبهاني، قال: كنتُ عند شريك، فأتاه بعضُ ولد المهدي،

(١) انظر السير: ٢٠٠/٨ - ٢١٦.

(٢) موضع قرب القادسية.

فاستند، فسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثم أعاد، فعاد بمثل ذلك. فقال: كَيْانَكَ تَسْتَحِفُّ بأولاد الخليفة. قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضيعوه، قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يُطلبُ العلمُ.

قال شريك، عن أشعث، عن محمد بن سيرين، قال: أدركتُ بالكوفةِ أربعةَ آلاف شاب يطُوبون العلمَ.

[1] قال حفص بن غياث، من طريق علي بن خشرم، عنه: سمعتُ شريكاً يقول: قُبِضَ النبي ﷺ، واستخار المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضلَ منه كانوا قد غشونا، ثم استخلف أبو بكر عمر، فقام بما قام به من الحق والعدل، فلما حضرته الوفاة، جعل الأمر شوري بين ستة، فاجتمعوا على عثمان. فلو علموا أن فيهم أفضلَ منه كانوا قد غشونا.

[2] قال علي بن خشرم: فأخبرني بعض أصحابنا من أهل الحديث، أنه عرض هذا علي عبدالله بن إدريس، فقال ابن إدريس: أنت سمعتَ هذا من حفص؟ قلتُ: نعم: قال: الحمد لله الذي أنطقَ بهذا لسانه، فوالله إنه لشيعةٌ، وإن شريكاً لشيعةٌ.

[3] قلتُ: هذا التشيع الذي لا محذورَ فيه إن شاء الله إلا من قبيل الكلام فيمن حاربَ علياً رضي الله عنه من الصحابة، فإنه قبيحٌ يُؤدَّبُ فاعله. ولا تذكر أحداً من الصحابة إلا بخير، وترضى عنهم، ونقول: هم طائفةٌ من المؤمنين بغت علي الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ». فنسأل الله أن يرضي عن الجميع، وألا يجعلنا ممن في قلبه غلٌ للمؤمنين. ولا ترتاب أن علياً أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحق رضي الله عنه.

مات سنة سبع وسبعين ومئة.

عاش اثنتين وثمانين سنة.

[4] قال يعقوب بن شيبة: دعا المنصورُ شريكاً، فقال: إني أريدُ أن أولئك القضاء،

فقال: أعطني يا أمير المؤمنين. قال: لستُ أعفك. قال: فأنصرفُ يومي هذا، وأعودُ، فيرى أميرُ المؤمنين رأيه. قال: تُريد أن تتغيب؟ ولئن فعلتُ لأقدمُ على خمسين من قومك بما تكره، فولاه القضاءَ فبقي إلى أيام المهدي، فأقره المهدي، ثم عزله، قال: وكان شريك ثقة مأموناً، كثير الحديث، أنكرَ عليه القَلَطَ والخطأ. [١] قال عيسى بنُ يونس: من يُفلبتُ من الخطأ؟ ربما رأيتُ شريكاً يُخطئ، ويُصحفُ حتى استحي.

٣٧٠ - أبو عوانة (ع) (١)

[٢] هو الإمام الحافظ الثبت، محدثُ البصرة، الوضاح بنُ عبدالله، مولى يزيد بن عطاء الشكري، الواسطي، البراز.

كان الوضاح من سبي جرجان. مولده: سنة ثيف وتسعين.

[٣] قال الحافظ ابنُ عدي: كان مولاه يزيد قد خيره بين الحرية، وكتابة الحديث، فاخترَ كتابة الحديث. وفوض إليه مولاه التجارة، فجاءه سائل، فقال: أعطني درهمين، فإني أنفَعُك، فأعطاه، فدار السائلُ على رؤساء البصرة، وقال: بكرُوا على يزيد بن عطاء، فإنه قد أعتق أبا عوانة. قال: فاجتمعوا إلى يزيد، وهنؤوه، فأنف من أن يُنكر ذلك، فأعتقه حقيقةً.

[٤] وروى أبو عمر الضري، عن أبي عوانة، قال: دخلتُ على همام بن يحيى وهو مريض، أعوده، فقال لي: يا أبا عوانة، ادعُ الله أن لا يُميتني حتى يبلغ ولدي الصغار. فقلت: إن الأجل قد فرغ منه، فقال لي: أنت بعدُ في ضلالك.

[٥] قلت: بشس المقال هذا، بل كلُّ شيء بقدر سابق، ولكن وإن كان الأجل قد فرغ منه، فإن الدعاء بطول البقاء قد صح. دعا الرسول ﷺ لخادمه أنس بطول العمر، والله يمحو ما يشاء ويثبت. فقد يكون طولُ العمر في علم الله مشروطاً بدعاء مجاب، كما أن طيرانَ العمر قد يكون بأسباب جعلها من جور وعسف، ولا يُرَدُّ

(١) النظر السير: ٢١٧/٨ - ٢٢٢.

القضاء إلا الدعاء. والكتاب الأول، فلا يتغير.
مات في سنة ست وسبعين ومئة بالبصرة.

٣٧١ جعفر بن سليمان^(١)

[١] ابن علي بن خبيرة الأمة عبد الله بن عباس، الأمير، سيد بني هاشم أبو القاسم العبّاسي، ابن عم المنصور.

وكان من نبلاء الملوك جوداً ونزلاً، وشجاعة وعلماً، وجمالة، وسودداً، ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولّي البصرة للرّشيد.
مات عن ثمانين ولداً لصلبه، منهم ثلاثة وأربعون ذكراً.
وله مآثر كثيرة ووقف على المنقطعين.

قال الأصمعي: ما رأيت أكرم أخلاقاً، ولا أشرف أفعالاً منه.

ولّي المدينة سنة ست وأربعين ومئة بعد عبد الله بن الربيع الحارثي.

[٢] وقال الأصمعي: ركب جعفر بن سليمان في زبي عجيب من التجمّل، وكان بالبصرة فقيه صالح غلب على عقله، فخرج إلى طريق جعفر، فقال له: يا جعفر انظر أي رجل تكون إذا خرجت من قبرك، وحملت على الصراط، وهذا الجمع والزبي لا يساري غداً حبة، ولا يغنون عنك من الله شيئاً، إنك تموت وحدك، وتدخل قبرك وحدك، وتقف بين يدي الله وحدك، وتحاسب وحدك، فانظر لنفسك، فقد نصحتك.

[٣] وقال حماد بن زيد: غسلت جعفر بن سليمان، ووزّرت عليه قميصه حين البسته الكفن، ثم جاء عمه عبد الصمد بتسعة أثواب ليكفنه فيها، فما كفن إلا في ثلاثة أثواب عملاً بالسنة.

وقد امتدحه جماعةً، وأخذوا جوائزه.

توفي سنة أربع وسبعين ومئة.

(١) انظر السير: ٢٤١-٢٣٩/٨.

٣٧٢ - رابعة العدوية (١)

- [١] البصرية، الزاهدة، العابدة، الخاشعة، أم عمرو، رابعة بنت إسماعيل .
- [٢] قال خالد بن خديش: سمعت رابعة صالحاً المري يذكر الدنيا في قصصه، فنادته: يا صالح، من أحب شيئاً أكثر من ذكره .
- [٣] بشر بن صالح العتكي، قال: استأذن ناس على رابعة ومعهم سفيان الثوري، فتذكروا عندها ساعة، وذكروا شيئاً من الدنيا، فلما قاموا قالت لخدامتها: إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه، فلا تأذني لهم، فإني رأيتهم يحبون الدنيا .
- [٤] عبيس بن مميون العطار، حدثني عبدة بنت أبي سؤال، وكانت تخدم رابعة العدوية، قالت: كانت رابعة تُصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر، هجعت هجعة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول: يا نفس كم تنامين، وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا ليوم النشور .
- [٥] قال جعفر بن سليمان: دخلت مع الثوري على رابعة، فقال سفيان: واحزنانه، فقالت: لا تكذب، قل: وإقله حزنانه .

[٦] قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة، فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفَوَادِ مُحَدَّثِي وَأَبْحَثَ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه .

قلت: فهذا علو وجهل، ولعل من نسبها إلى ذلك مبأحي حلولي ليحتج بها على كفره كاحتجاجهم بخبر: «كنت سمعته الذي يسمع به» .

توفيت سنة ثمانين ومائة .

(١) النظر السير: ٢(١/٨) - ٢٤٣ .

٣٧٣ - أما رابعةُ الشاميَّة (١)

[١] العابدةُ فأخرى مشهورة، أصغر من العدوية، وقد تدخلُ حكايات هذه في حكايات هذه، والثانية هي القائلة ما روى أحمد بن أبي الخواريزي عن عباس بن الوليد أنها قالت: أستغفر الله من قلةِ صدقي في قولي: أستغفر الله.

٣٧٤ - عبدالرحمن بن معاوية بن هشام (٢)

[٢] ابن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمير الأندلس وسلطانها، أبو المطرف الأموي، المرواني، المشهور بالداخل، لأنه حين انقضت خلافة بني أمية من الدنيا، وقتل مروان الحمار، وقامت دولة بني العباس، هرب هذا، فنجأ ودخل إلى الأندلس فتملكها.

[٣] وذلك أنه فر من مصر في آخر سنة اثنتين وثلاثين إلى أرض بركة، فبقي بها خمس سنين، ثم دخل المغرب، فنقذ مولاة بدرأ يتجنس له، فقال للمضربة: لو وجدتم رجلاً من بيت الخلافة، أكنتم تبايعونه؟ قالوا: كيف لنا بذلك؟

فقال: هذا عبد الرحمن بن معاوية، فاتوه فبايعوه، فتملك الأندلس ثلاثاً وثلاثين سنة، وبقي الملك في عقبه إلى سنة أربع مئة. ولم يتلقب بالخلافة، لا هو ولا أكثر ذريته، إنما كان يُقال: الأمير فلان.

وأول من تلقب بأمر المؤمنين منهم: الناصر لدين الله، في حدود العشرين وثلاث مئة، عندما بلغه ضعف خلفاء العصر، فقال: أنا أولى بإمرة المؤمنين.

دخل عبدالرحمن بن معاوية الأندلس في سنة ثمان وثلاثين ومولده بأرض تدمر سنة ثلاث عشرة ومئة، في خلافة جده.

[٤] قال ابن حبان: وحين افتتح المسلمون قرطبة شاطروا أهلها كنيسةهم العظمى، كما فعل أبو عبيدة وخالد بأعاجم دمشق، فابتنوا فيه مسجداً، وبقي الشطر بأيدي

(١) انظر السير: ٢٤٣/٨ - ٢٤٤.

(٢) انظر السير: ٢٤٤/٨ - ٢٥٣.

الروم إلى أن كثرت عمارة قرطبة، وتداولتها بُعوث العرب، فضاق المسجد وعلق منه سقائف، وصار الناس ينالون مشقة لقصر السقائف إلى أن أذخر الله فيه الأجر لصحيفة الدّاخل، وابتاع الشطر الثاني من النصارى بمئة ألف دينار، وقبضوها على ملاء من الناس، ورضوا بعد تمنع، وعمل هذا الجامع الذي هو فخر الأرض، وشرّفها من مال الأحماس، وكمل على مراده، وكان تأسيسه في سنة سبعين ومئة، فتمت أسواره في عام. وبلغ الإنفاق فيه إلى ثمانين ألف دينار.

[١] وأما الإسلام فكان عزيزاً منيعاً بالاندلس في دولة الدّاخل، فانظر إلى هذا الأمان الذي كتب عنه للنصارى:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أمانٍ ورحمة، وحقن دماء وعصمة، عقده الأمير الأكرمُ الملكُ المعظمُ عبدُ الرحمن بن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم، للبطارقة والرهبان، ومن تبعهم من سائر البلدان، أهل قشتالة وأعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحمّلوه، فأشهد على نفسه أن عهده لا يُنسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ذلك ألف درع وألف بيضة، ومن الرماح الدردار مثلها في كل عام، ومتى ثبت عليهم النكت بأسير يأسرونه، أو مسلم يخذرونه، انتكث ما عاهدوا عليه، كتب لهم هذا الأمان بأيديهم إلى خمس سنين، أولها صفر عام اثنين وأربعين ومئة.

وقال أبو المظفر الأبيوزدي في أخبار بني أمية: كان الناس يقولون: ملك الأرض ابنا بربريتين - يعني عبد الرحمن والمنصور.

وكان المنصور يقول عن عبد الرحمن بن معاوية: ذاك ضقر قريش، دخل المغرب وقد قتل قومه، فلم يزل يضرب العدنانية بالقمحطانية حتى ملك.

وقال سعيد بن عثمان اللغوي المتوفى سنة أربع مئة: كانت بقرطبة جنة اتخذها عبد الرحمن بن معاوية، كان فيها نخلة أدركتها.

وغزا عدة غزوات .

من ذلك : غزوة قشتالة ، جاز إليها من نهر طليطلة ، وفرت الروم أمامه ، وتعلقت بالحبال ، فلم يزل حتى وصل مدينة برنيقة ، من مملكة قشتالة ، فنزل عليها ، وأمر برفع الخيام ، وشرع في البناء ، وأخذ الناس يبنون ، فسلموا إليه بالأمان عند إياسهم من النجدة ، وخرجوا بشيابههم فقط ، وما يؤذهم ، ثم كتب لأهل قشتالة ذلك الأمان الذي تقدم ، وهو بخط الوزير بشر بن سعيد الغافقي .

[١] ولما صفا الأمر لعبد الرحمن بعد مقتل عثمان بن حمزة ، من ولد عمر بن الخطاب ، وذلك بعد سبعة أعوام من تمنعه بطليطلة ، عظم سلطانه ، وامتدت أيامه وعاش ستين سنة ، ثم توفي سنة اثنتين وسبعين ومئة ، وأيست بنو العباس من مملكة الأندلس لبعث الشقة .

٣٧٥ - هشام بن عبدالرحمن بن معاوية^(١)

[٢] الأمير أبو الوليد المرواني ، بُويغ بالملك بالأندلس عند موت والده ، سنة اثنتين وسبعين ، وعمرة إذ ذاك ثلاثون سنة ، فإنه ولد بالأندلس ، وكان ذيناً ورعاً يشهد الجنائز ، ويعود المرضى ، ويعدل في الرعية ، ويكثر الصدقات ، ويتعاهد المساكين ، وأمه أم ولد ، اسمها حوزاء .
ولما احتضر ، عهد بالأمر إلى ولده الحكم .
ومات في سنة ثمانين ومئة ، وله سبع وثلاثون سنة ، رحمه الله .

٣٧٦ - الحكم بن هشام^(٢)

[٣] ابن الداخل عبدالرحمن بن معاوية ، ويلقب بالمرتضى .
بُويغ بالملك ، عند موت أبيه في صفر سنة ثمانين ومئة .

(١) انظر السير : ٢٥٣/٨ .

(٢) انظر السير : ٢٦٠ - ٢٥٣/٨ .

وكان من جباية الملوك، وفُسّاقهم، ومُتمرديهم، وكان فارساً شجاعاً، فاتكأ، ذا
دهاء وحزم وعُتُو وظلم، تملك سبعا وعشرين سنة.

وكان في أول أمره على سيرة حميدة، تلافيها أباه، ثم تغيّر، وتجاهر بالمعاصي .
قال أبو محمد بن حزم : كان من المجاهرين بالمعاصي ، سفاكاً للدماء ، كان
يأخذ أولاد الناس الملاح ، فيخصيهم ويُمسكهم لنفسه .

[١] قال النيسب بن حزم : همت الروم بما لم ينالوا من طلب الثغور، فنكثوا العهد،
فتجهز الحكيم إليهم حتى جاز جبل السارة - شمالي طليطلة - ففرت الروم أمامه
حتى تجمعوا بسُمورة، فلما التقى الجمعان، نزل النصر، وانهمز الكفر، وتحصنوا
منه بمدينة سُمورة، وهي كبيرة جداً، فحصرها المسلمون بالمجانيق، حتى
افتتحوها عنوة، وملكوا أكثر شوارعها، واشتغل الجند بالغنائم، وانضمت الروم إلى
جهة من البلد، وخرجوا على حمية فقتلوا خلقاً في خروجهم، فكانت غزوته من
أعظم المغازي لولا ما طرأ فيها من تضييع الحزم، ورامت الروم السلم، فأبى
عليهم الحكيم، ثم خرج من بلادهم خوفاً من الثلوج، فلما كان العام الآتي استعد
أعظم استعداد، وقصد سُمورة، فقتل وسبى كل ما مر به، ثم نازلها شهرين، ثم
دخلوها بعد جهد، وبذلوا فيها السيف إلى الماء، ثم انحاز المسلمون فباتوا على
أسوارها، ثم صبحوها من الغد لايقون على محتلم .

قال الرازي في «مغازي الأندلس»: الذي أحصي ممن قُتل في سُمورة ثلاث
مئة ألف نفس، فلما بلغ الخبر ملك رومية، كتب إلى الحكيم يرغب في الأمان،
فوضع الحكيم على الروم ما كان جده وضع عليهم، وزاد عليهم أن يجلبوا من تراب
مدينة رومية نفسها ما يُصنع به أكوام بشرفي قرطبة صفاراً لهم، وإعلاء لمنار
الإسلام، فهما كومان من التراب الأحمر في يسيط مدرتها السوداء .

[٢] قلت : وكسرت العلماء بالأندلس في دولته، حتى قيل : إنه كان بقرطبة أربعة
آلاف مُتقلّس مترّين بزّي العلماء، فلما أراد الله فناءهم، عزّ عليهم انتهاك الحكيم
للحرمات، واتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا لقتاله، وجرّت بالأندلس فتنة عظيمة على

الإسلام وأهله، فلا قوة إلا بالله، فذكر ابن مزين في تاريخه طالوت بن عبد الجبار المعافري، وأنه أحد العلماء العاملين الشهداء الذين هموا بخلع الحكم، وقالوا: إنه غير عدل ونكثوه في نفوس العوام، وزعموا أنه لا يحل المكث ولا الصبر على هذه السيرة الذميمة، وعولوا على تقديم أحد أهل السورى بقرطبة، وهو أبو الشماس أحمد بن المنذر بن الداخيل الأموي ابن عم الحكم. لما عرفوا من صلاحه، وعقله ودينه، فقصده وعرفوه بالأمر، فأبدى الميل إليهم، والبشرى بهم، وقال لهم: أنتم أضيافي الليلة، فإن الليل أستر، وناموا، وقام هو إلى ابن عمه بجهل، فأخبره بشأنهم، فاغتاظ لذلك، وقال: جئت لسفك دمي أودمائهم، وهم أعلام، فمن أين نتوصل إلى ما ذكرت؟ فقال: أرسل معي من تثق به ليتحقق، فوجه من أحب، فأدخلهم أحمد في بيته تحت ستر، ودخل الليل، وجاء القوم، فقال: خبروني من معكم؟ فقالوا: فلان الفقيه، وفلان الوزير، وعدوا كباراً، والكاتب يكتب حتى امتلأ الرق، فمد أحدهم يده وراء الستر، فرأى القوم، فقام وقاموا، وقالوا: فعلتها يا عدو الله، فمن فرلحيه، نجا ومن لا، قبض عليه، فكان ممن قر عيسى بن دينار الفقيه، ويحيى بن يحيى الفقيه صاحب مالك، وقرعوس بن العباس الثقفي.

وقبض على ناس كآبي كعب، وأخيه، ومالك بن يزيد القاضي، وموسى بن سالم الخولاني، ويحيى بن مضر الفقيه، وأمثالهم من أهل العلم والدين، في سبعة وسبعين رجلاً، فضربت أعناقهم، وصلبوا.

وأضاف إليهم عمه كليباً، وأمياً، فضلبنا، وأحرق القلوب عليهم، وسار بأمرهم الرفاق، وعلم الحكم أنه محقود من الناس كلهم، فأخذ في جمع الجنود والحشم ونهياً، وأخذت العامة في الهيج، واستأسد الناس، وتتمروا، وتاهبوا، فاتفق أن مملوكاً خرج من القصر سيف دفعه إلى الصيقل، فمأطله، فسبه، فجأوبه الصيقل فتضاربا ونال منه المملوك، حتى كاد أن يتلفه، فلما تركه، أخذ الصيقل السيف فقتل به المملوك، فتألب إلى المقتول جماعة، وإلى القاتل

جماعة أخرى، واستفحل الشرُّ، وذلك في رمضان سنة اثنتين ومئتين، وتداعى أهل قرطبة من أرباضهم، وتألَّبوا بالسلاح، وقصدوا القصر، فركب الجيش والإمام الحكم، فهزموا العامة، وجاءهم عسكر من خلفهم، فوضعوا فيهم السيف، وكانت وقعة هائلة شنيعة، مضى فيها عددٌ كثيرٌ رُهاء عن أربعين ألفاً من أهل الرئض، وغابوا بالبلاء من قدامهم ومن خلفهم فتداعوا بالطاعة، وأذعنوا ولاذوا بالعفو، فغفا عنهم على أن يخرجوا من قرطبة، ففعلوا وهُدِمت ديارهم ومساجدهم.

مات الحكم سنة ست ومئتين، وله ثلاث وخمسون سنة، وولي الأندلس بعده ابنه أبو المطرف عبد الرحمن، فلنذكره.

٣٧٧ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام^(١)

[١] ابن الداخل، أمير الأندلس، أبو المطرف المرواني، بُويح بعد والده في آخر سنة ست ومئتين، فامتدت أيامه، وكان وادعاً حسن السيرة، لين الجانب، قليل الغزو، غلبت المشركون في دولته على إشبيلية، ولكن الله سلّم.

[٢] كتب إليه عبد الملك بن حبيب الفقيه يُحرّضه على بناء سور إشبيلية، يقول له: حَقُّ دماء المسلمين - أيدك الله، وأعلى يدك بابتناء السور - أحقُّ وأولى. فأخذ برأيه.

[٣] فلما كانت سنة ثلاثين ومئتين طرق المجوس الأرمانيون^(٢) إشبيلية في ثمانين مركباً في الوادي، فصادفوا أهلها على غرارة بمطاوله أمد الأمان لهم مع قلة خبرتهم بحريهم، فظلموا من المراكب، وقد لاح لهم خور من أهلها، فقاتلوه، وقوا على المسلمين، ووضعوا السيف فيهم، وملكوا إشبيلية بعد القتل الذريع في أهلها حتى في النساء والبهائم، وأقاموا بها سبعة أيام، فورد الخبر على الخليفة عبد الرحمن بن

(١) انظر السير: ٢٦٠/٨ - ٢٦١.

(٢) هم التورمان، كانوا يغيرون على الأندلس من المنافذ النهرية، وسماههم المسلمون «المجوس» لأنهم كانوا يشعلون النيران كثيراً، فظن المسلمون أنهم يعيدونها. انظر ابن عذاري ١٣٠/٢.

الحكم، فاستنفر جيشه وبعث بهم إلى إشبيلية فحلّوا بالشرق، ووقع القتال، واشتدّ الخطب، وانتصر المسلمون، واستحرّ القتل بالملاعين حتى فني جمع الكفرة، لعنهم الله، وحرق المسلمون ثلاثين مركباً من مراكبهم، فكان بين دخولهم إلى إشبيلية وهروبهم عنها ثلاثة وأربعون يوماً. وهذا كان السبب في بناء سور واديها. ومات في سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

٣٧٨ - محمد بن عبد الرحمن بن الحكم^(١)

[١] صاحب الأندلس، أبو عبدالله الأمويّ المروانيّ.

[٢] كان محباً للعلم، مؤثراً لأصحاب الحديث، مُكرماً لهم، حسن السيرة، وهو الذي نصر بقيّ بن مخلد الحافظ على أهل الرأي.

[٣] قال بقيّ: ما كلمتُ أحداً من الملوك أكمل عقلاً، ولا أبلغ لفظاً من الأمير محمد، ولقد دخلتُ عليه يوماً في مجلس خلافته، فافتتح الكلام بحمد الله، والصلاة على نبيّه، ثم ذكر الخلفاء، فعلى كل واحد بحليته وصفته، وذكر ماثره بأفصح لسان حتى انتهى إلى نفسه، فحمد الله على ما قدره، ثم سكت.

قلت: رأى مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، إذ نازع أهل الرأي بقيّ بن مخلد فامر بسنخه، وقال: لا تستغني خزانتنا عن هذا. وكان ذا رأي وحزم وشجاعة وإقدام.

بويج عند موت والده في سنة ثمان وثلاثين، وله إحدى وثلاثون سنة وذلك بعهد من والده، وأمّه: أم ولد.

وامتدّت دولته، وقيل: إنه كان يتوغّل في بلاد الروم، ويبقى في الغزوالسنة وأكثر.

[٤] قال أبو المظفر بن الجوزي: هو صاحب وقعة سَلَيْط^(٢). وهي ملحمة مشهورة

(١) انظر السير: ٢٦٢/٨ - ٢٦٣.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٧٣/٧، ٧٤، وفتح الطيب ١/٣٥٠.

لم يُعهد قبلها بالأندلس مثلها، يُقال: قتل فيها ثلاث مئة ألف كافر. وهذا شيء لم نسمع بمثله. قال: وللشعراء فيه مدائح كثيرة.

قلت: مات في سنة ثلاث وسبعين ومثتين عن أربع وستين سنة - رحمه الله.

٣٧٩ - المنذر بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم^(١)

[١] أبو الحكم المرواني، صاحب الأندلس، تملك بعد والده، فكانت دولته ستين، فمات وهو يحاصر عمر بن حفصون، رأس الخوارج بالأندلس. وكان هذا بدوياً يجلب السمك بالأندلس، قال به الأمر إلى أن كثر جمعه، واستولى على جماعة حصون.

مات المنذر في سنة خمس وسبعين ومثتين، وله ست وأربعون سنة.

٣٨٠ - عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن^(٢)

[٢] الأمير أبو محمد المرواني، أخو المنذر.

تملك الأندلس بعد أخيه، وامتدت أيامه. وكان أسن من أخيه بعام، وكان ليناً وادعياً، يُحب العافية. فقام عليه في كل قطر من الأندلس مُتغلباً، وتناقص أمر المروانية في دولته.

[٣] وقال محمد بن وضاح: كان عبد الله الأمير من الصالحين المتقين العالمين، روى العلم كثيراً، وطالع الرأي، وأبصر الحديث، وحفظ القرآن، وتفقّه، وأكثر الصوم، وكان يلتزم الصلوات في الجامع، فيمر بالصف، فيقوم الناس له، فكتب إليه سعيد بن حمير: أيها الإمام أنت من المتقين، وإنما يقوم الناس لرب العالمين، فلا ترض من رعيتك بغير الصواب، فإن العزة لله جميعاً، فأمر العامة بترك ذلك فلم ينتهوا، فحينئذ ابنتى السبابط طريقاً مشهوراً من قصره إلى المقصورة.

(١) انظر السير: ٢٦٣/٨ - ٢٦٤.

(٢) انظر السير: ٢٦٤/٨ - ٢٦٥.

قال اليسع بن حزم: استضعفت دولة بني أمية، وقام ابن حفصون، وكان نصراني الأصل، فأسلم وتصح^(١) وألب وحشد، وصارت الأندلس شعلة تضرم ولم يبق لبني أمية منبر يُخطب فيه إلا منبر قرطبة، والغارات تُشن عليها حتى قام عبدالرحمن الناصر، فتراجع الأمر.

مات عبد الله في سنة ثلاث مئة، وله اثنتان وسبعون سنة.

٣٨١ - عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله^(٢)

[١] سلطان الأندلس، المدعو: أمير المؤمنين، الناصر لدين الله، أبو المطرف الأموي المرواني.

وكان شهماً صارماً.

[٢] وكل من تقدم من آبائه لم يتسم أحد منهم بإمرة المؤمنين، وإنما كانوا يخاطبون بالإمارة فقط، وفعل مثلهم عبدالرحمن إلى السنة السابعة والعشرين من ولايته، فلما بلغه ضعف الخلافة بالعراق، وظهور الشيعة العبيدية بالقيروان، رأى أنه أحق بإمرة المؤمنين، ولم يزل منذ ولي الأندلس يستنزل المتغلبين حتى صارت المملكة كلها في طاعته، وأكثر بلاد العُدوة، وأخاف ملوك الطوائف حوله.

[٣] وابتدأ ببناء مدينة الزهراء في أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة فكان يُقسم دخل مملكته اثلاثاً: ثلث يرصده للجند، وثلث يدخره في بيت المال وثلث يُنفقه في الزهراء.

[٤] ولم يزل عبدالرحمن يغرزو حتى أقام العوج، ومهد البلاد، ووضع العدل، وكثر الأمن، ثم بعث جيشاً إلى المغرب، فغزا برغواطة بناحية سلا^(٣)، ولم تزل كلمته نافذة، وسجل ماسة^(٤)، وجميع بلاد القبلة، وقتل ابن حفصون.

(١) تصح: أي تشبه بالنصحاء. والتصح: كثرة التصح، ومنه قول أكنم بن صيفي: (ياكم والتصح نياه يورث النهمة).

(٢) انظر السير: ٢٦٥/٨ - ٢٦٩.

(٣) مدينة بالمغرب على ساحل المحيط الأطلسي، قرب المعمورة وبقرها برغواطة.

(٤) مدينة داخلية في جنوب المغرب بينها وبين قاس عشرة أيام.

[١] وصارت الأندلس أقوى ما كانت وأحسنها حالاً، وصفا وجهه للروم، وشن الغارات على العدو، وغزا بنفسه بلاد الروم اثنتي عشرة غزوةً ودوَّخهم، ووضع عليهم الخراج، ودانت له ملوكها، فكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألف رجل يصنعون في بناء الزهراء التي أقامها لسكناه على فرسخ من قرطبة.

[٢] وساق إليها أنهاراً، ونقّب لها الجبل، وأنشأها مدوّرة، وعدة أبراجها ثلاث مئة بُرج، وشرفاتها من حجر واحد، وقسمها أثلاثاً، فالثلث المسند إلى الجبل قصوره، والثلث الثاني دور الممالك والخدم، وكانوا اثني عشر ألفاً بمنطق الذهب، يركبون لركوبه، والثلث الثالث بساتين تحت القصور. وعمل مجلساً مشرفاً على البساتين، صَفَحَ عُمُدَه بِالذَّهَبِ، وَرَصَّعَهُ بِالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرِّدِ، وَاللُّؤْلُؤِ، وَفَرَشَهُ بِمَنْقُوشِ الرُّخَامِ، وَصَنَعَ قُدَّامَهُ بَحِيرَةً مُسْتَدِيرَةً مَلَأَهَا زُبَيْقاً، فَكَانَ النُّورُ يَنْعَكِسُ مِنْهُ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَاضِيهِ، مَنْذَرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُّوطِيِّ، فَوَقَفَ وَقَرَأَ ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الزخرف ٣٣]، [٣٤].

فقال: وعظت أبا الحكم، ثم قام عن المجلس، وأمر بنزع الذهب والجواهر. ويقال: إن بناء الزهراء أكمل في اثنتي عشرة سنة، بألف بناء في اليوم، مع البناء اثنا عشر فاعلاً. توفي سنة خمسین وثلاث مئة، رحمه الله.

٣٨٢ الحكم بن عبدالرحمن بن محمد^(١)

[٣] أمير المؤمنين بالأندلس، أبو العاص، المستنصر بالله بن الناصر الأموي المرواني.

[٤] وكان حسن السيرة، جامعاً للعلم، مكرماً للأفاضل، كبير القدر، ذا نَهْمَةٍ مُفْرِطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضَائِلِ، عَاكِفًا عَلَى الْمَطَالَعَةِ.

(١) انظر السير: ٢٦٩/٨ - ٢٧١.

[١] جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك، لا قبله ولا بعده، وتطلبها، وبذل في أثمانها الأموال، واشترت له من البلاد البعيدة بأعلى الأثمان، مع صفاء السرية والعقل والكرم، وتقريب العلماء.

[٢] ولقد ضاقت خزائنه بالكتب إلى أن صارت إليه، وآثرها على لذات الملوك، فغزى علمه، ودق نظره، وكان له يد بيضاء في معرفة الرجال والأنساب، والأخبار، وقلمًا تجد له كتاباً إلا وله فيه قراءة أو نظر، من أي فن كان. ويكتب فيه نسب المؤلف، ومولده ووفاته، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد.

[٣] ومن محاسنه أنه شدد في مملكته في إبطال الخمر تشديداً عظيماً.

[٤] وفي دولة الحكم هتم الروم بأخذ مواضع من الثغور، فقواها بالمال والجيوش، وغزا بنفسه، وزاد في القطيعة على الروم، وأذلهم. وكان موته بالفالج سنة ست وستين وثلاث مئة.

٣٨٣ - هُشِيم (ع)^(١)

[٥] ابنُ بَشِير بن أبي خازم. واسمُ أبي خازم قاسمُ بن دينار، الإمام، شيخ الإسلام، محدث بغداد، وحافظها، أبو معاوية السلمي، مولاهم الواسطي ولد سنة أربع ومئة.

سكن بغداد، ونشر بها العلم، وصنف التصانيف.

قلت: كان رأساً في الحفظ إلا أنه صاحبٌ تدليسٍ كثير، قد عرف بذلك.

[٦] قال إبراهيم الخريزي: كان والدُ هُشِيم صاحبَ صحنائه^(٢) وكأمخ، فكان يمنع هُشِيماً من الطلب، فكتب العلم حتى ناظر أبا شيبة القاضي، وجالسه في الفقه. قال: فمرض هُشِيم، فجاء أبو شيبة يعوده، فمضى رجل إلى بشير، فقال: الحق ابنك، فقد جاء القاضي يعوده، فجاء فوجد القاضي في داره، فقال: متى أملتُ أنا

(١) انظر السير: ٢٨٧/أ - ٢٩٤.

(٢) الصحناء: بكر الصاد: إدام يتخذ من السمك يمد ويقصر، والكأمخ: ما يؤتم به، أو المخللات المشوية، والكلمتان معرفتان.

هذا، قد كنت يا بني أمنعك، أما اليوم فلا بقيت أمنعك.

[١] قال أحمد بن حنبل: لزمت هُشيماً أربع سنين، أو خمساً، ما سألتُه عن شيء، إلا مرتين هيبَةً له، وكان كثيرَ التسبيحِ بينَ الحديث، يقولُ بينَ ذلك: لا إله إلا الله، يمدُّ بها صوتَه.

[٢] قال ابن أبي الدنيا: حدثني من سمع عمرو بن عَون يقول: مكثت هُشيم يصلي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنةً.

[٣] قال يحيى بن أيوب العابد: سمعتُ نُصْرَ بن بَسَّام وغيره من أصحابنا، قالوا: أتينا معروفاً الكرخي، فقال: رأيتُ النبي ﷺ في المنام وهو يقول لهُشيم: جزاك الله عن أمتي خيراً، فقلتُ لمعروف: أنتَ رأيتُ؟ قال: نعم، هُشيم خيرٌ مما نَظُن.

٣٨٤ - يزيد بن زُرَيع (ع)^(١)

[٤] الحافظُ المَجُودُ، محدِّثُ البصرة مع حمَّاد بن زيد، وعبد الوارث، ومُعتمر، وعبد الواحد بن زياد، وجعفر بن سليمان، وهيب بن خالد، وخالد بن الحارث، وبشر بن المفضل، وإسماعيل بن عُليَّة، فهؤلاء العشرة كانوا في زمانهم أئمةً الحديثِ بالبصرة.

يُكنى يزيد أباً معاوية العيشي البصري.

قال أحمد بن حنبل: كان ربحانة البصرة، ما أتقته، وما أحفظه، وقال أبو حاتم

الرازي: ثقة، إمام.

قُلت: وكان صاحب سنة واتباع.

[٥] قال نُصْر بنُ علي الجَهْضمي: رأيتُ يزيد بنَ زُرَيع في المنام، فقلتُ: ما فعل

الله بك؟ قال: أُدخلتُ الجنة. قُلتُ: بماذا؟ قال: بكثرة الصلاة.

مولده: في سنة إحدى ومئة. ومات في سنة اثنتين وثمانين ومئة.

(١) انظر السير: ٢٩٩/٨ - ٢٩٩.

وكان من أروع أهل زمانه .

[١] مات أبوه، وكان والياً على الأبلّة، فخلّف خمس مئة ألف، فما أخذ منها حبة، رحمه الله .

٣٨٥ - إسماعيل بن عيَّاش (د، ت، س، ق) (١)

[٢] ابن سليم، المحافظ الإمام محدث الشام، بقية الأعلام، أبو عتبة، الحمصي العنسي، مولاهم، ولد سنة ثمان ومئة .

وكان من بحور العلم، صادق اللهجة، مثين الديانة، صاحب سنة وأتباع، وجلالة ووقار .

[٣] عن أبي اليمان قال : كان منزلاً إسماعيل إلى جانب منزلي ، فكان يحكي الليل ، وكان ربّما قرأ ، ثم يقطع ، ثم رجع ، فقرأ من الموضع الذي قطع منه ، فلقبته يوماً ، فقلت : يا عم ، قد رأيت منك في القراءة كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : يا بني ، وما سؤالك؟ أنت - أريد أن أعلم . قال : يا بنيّ إني أصلي ، فأقرأ ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجها ، فأقطع الصلاة ، فأكتبه فيه ، ثم أرجع إلى صلاتي ، فأبتدئ من الموضع الذي قطعته منه . -

[٤] عن يحيى الوخاطي : ما رأيت رجلاً كان أكبر نفساً من إسماعيل بن عيَّاش ، كُنّا إذا أتينا إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخبيص ، سمعته يقول : ورثت من أبي أربعة آلاف دينار ، فأنفقتها في طلب العلم .

[٥] عبدالله بن أحمد بن حنبل : قال أبي لداود بن عمرو ، وأنا أسمع : يا أبا سليمان كان إسماعيل بن عيَّاش يُحدّثكم هذه الأحاديث حفظاً؟ قال : نعم ، ما رأيت معه كتاباً قط ، فقال : لقد كان حافظاً ، كم كان يحفظ؟ قال : شيئاً كثيراً . قال له : كان يحفظ عشرة آلاف؟ قال : عشرة آلاف وعشرة آلاف ، وعشرة آلاف . قال أبي : هذا كان مثل وكيع .

(١) انظر السير : ٣٢٨-٣١٢/٨ .

[١] قال يعقوب بن شيبة: إسماعيل ثقة عند يحيى بن معين وأصحابنا، فيما روى عن الشاميين خاصة، وفي روايته عن أهل العراق وأهل المدينة اضطرابٌ كثير، وكان عالماً بناحيته.

[٢] وقال البخاري: إذا حدث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر.

ولد سنة ست ومئة.

وأما وفاة إسماعيل، ففي سنة إحدى وثمانين ومئة.

٣٨٦ - ابن السَّمَاك (١)

[٣] الزاهد، القدوة، سيّد الوعاظ، أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، مولاهم الكوفي، ابن السَّمَاك.

[٤] وهو القائل: كم من شيء إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع، ضر.

[٥] قيل: وعظ مرة، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لك بين يدي الله مقاماً، وإنه لك من مقامك مُنصرفاً، فانظر إلى أين تكون، فبكي الرشيد كثيراً.

[٦] قيل: دخل ابن السَّمَاك على رئيس في شفاعته لفقير. فقال: إنّي أتيتك في حاجة، والطالب والمعطي عزيزان إن قضيت الحاجة، وذليلان إن لم تُقض، فاختر لنفسك عزّ البذل عن ذلّ المنع، وعزّ النجح عن ذل الرّد.

[٧] وعنه قال: همّة العاقل في النجاة والهزب، وهمّة الأحمق في اللهو والطرب عجباً لعين تُلدُّ بالرقاد، وملك الموت معها على الوساد، حتى متى يُبلغنا الوعاظ أعلام الآخرة، حتى كأن النفوس عليها واقفة، والعيون ناظرة، أفلا تنتبه من نومته، أو مستيقظ من غفلته، ومُفريق من سكرته، وخائف من صرعته، كذحاً للدنيا كدحاً، أما تجعل للآخر منك حظاً، أقسم بالله، لو رأيت القيامة تحفّقُ بأهوالها، والنار

(١) انظر السير: ٣٢٨/٨ - ٣٣٠.

مشرفة على آلهاء، وقد وُضِعَ الكتابُ، وجرى بالنبيين والشهداء، لسرُّك أن يكون لك في ذلك الجمع منزلة، أبعد الدنيا دار معتمل، أم إلى غير الآخرة مُنتقل؟ هيهات ولكن صُمِّمَ الأذانُ عن المواعظ، وذَهَلتِ القلوبُ عن المنافع، فلا الواعظُ ينتفع، ولا السامعُ ينتفع.

[١] وعنه: الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبقَ من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغداً تُصير إلى دار الجزاء، فاشترِ نفسك لعلك تنجو. توفي ابنُ السَّمَّاكِ سنة ثلاث وثمانين ومئة، وقد أسن.

٣٨٧ - سيويه (١)

[٢] إمامُ النحو، حجَّةُ العرب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري.

وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يُدرَكُ شأوه فيه.

استملى على حمَّاد بن سلمة، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأحمش الكبير.

[٣] وقد جمع يحيى البرمكي ببغداد بينه وبين الكسائي للمناظرة، بحضور سعيد الأحمش، والقراء، وجرت مسألة الزُّنُور، وهي كذب: أظنُّ الزُّنُورَ أشدَّ لسعاً من النحلة فإذا هو إياها. فقال سيويه: ليس المثل كذا، بل: فإذا هو هي، وتشاجرا طويلاً، وتعصبوا للكسائي دونه، ثم وصله يحيى بعشرة آلاف، فار إلى بلاد فارس، فاتفق موته بشيرازَ فيما قيل.

وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حُبسة في عبارته، وانطلاق في قلمه.

(١) انظر السير: ٣٥١/٨ - ٣٥٢.

قال إبراهيم الخريبي: سمي سيبويه، لأن وُجِئته كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن.

وقال العيشي: كنا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب بسهم في كل أدب مع حداثة سنه. وقيل: عاش الثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين. قيل: مات سنة ثمانين ومئة.

٣٨٨ - إسماعيل بن صالح^(١)

[١] ابن علي، الهاشمي العباسي، نائب مصر، ثم حلب. وله ذرية بحلب. وكان يصلح للخلافة.

[٢] قال سعيد بن عفير: ما رأيت أخطب منه على هذه الأعواد، كان جامعاً لكل سُؤدد، ويعرف الفلسفة، وضرب العود، والنجوم. قلت: علّمه هذا الجهل خير منه.

[٣] وكان مليح النظم، وكان الرشيد يحترمه، وتحيل عليه حتى ضرب له بالعود: فوصله بجوهر ثمنه ثلاثون ألف دينار، ولأه مصر، وعقد له اللواء بيده، فولبها ست سنين.

وعاش إلى حدود سنة تسعين ومئة.

٣٨٩ - بشر بن منصور (م، د، س)^(٢)

[٤] الإمام المحدث الرباني القدوة، أبو محمد الأزدي الشليبي، البصري، الزاهد.

قال ابن مهدي: ما رأيت أحداً أقدمه عليه في الورع والرقة.

(١) انظر السير: ٣٥٨/٨ - ٣٥٩.

(٢) انظر السير: ٣٦٢ - ٣٥٩/٨.

[١] قال علي بن المديني: ما رأيت أخوفَ لله منه. كان يُصلي كل يوم خمس مئة ركعة. وقال القواريري: هو أفضل من رأيت من المشايخ.
وقال الإمام أحمد: هو ثقةٌ وزيادة.

[٢] قال ابن المديني: حفر قبره، وختم فيه القرآن، وكان وردهُ ثلث القرآن.

[٣] قال غسان: حدثني ابنُ أخي بشر، قال: ما رأيت عمي فانتَه التكبيرُ الأولى.

[٤] قال غسان: وكنت أراه إذا زاره الرجل من إخوانه، قام معه حتى يأخذ بركابه،
وفعل بي ذلك كثيراً.

[٥] بشر بن المفضل، قال: رأيت بشر بن منصور في المنام، فقلت: ما صنعَ الله بك؟ قال: وجدتُ الأمرَ أهونَ مما كنت أحملُ على نفسي.

قلت: توفي هذا الإمام رحمة الله عليه، في سنة ثمانين ومئة، وله نيف وسبعون سنة.

٣٩٠ - العُمري (١)

[٦] الإمام القدوة الزاهد العابد، أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العُمري المديني.

[٧] وهو قليل الرواية، مشغل بنفسه، قوَّالٌ بالحق، أمارٌ بالعرف، لا تأخذه في الله لومة لائم. كان يُنكرُ على مالك الإمام اجتماعه بالدولة.

[٨] علي بن حرب، عن أبيه قال: مَضَى السرشيد على حصار، ومعه غلام إلى العُمري، فوعظه، فبكى، وعَشِيَ عليه.

[٩] قال ابنُ أبي أويس: كتب العُمري إلى مالك، وابن أبي ذئب، وغيرهما بكتب أغلظ لهم فيها، وقال: أنتم علماء تميلون إلى الدنيا، وتلبسون اللين، وتدعون التفتُّف. فجاوبه ابنُ أبي ذئب بكتابٍ أغلظ له. وجاوبه مالك جوابَ فقيه.

(١) انظر السير: ٣٧٣/٨ - ٣٧٨.

[١] قال مُصعب الزُّبيري: كان العُمري أصْفَرَ جَسِماً، لم يكن يقبل من السلطان ولا غيره، ومن وُلِّي من أقاربه ومعارفه لا يكلمه. وولي أخوه عمر المدينة وكرمان، فهجره، ما أدركت بالمدينة رجلاً أهيَّب منه. وكان يقبلُ صلَّة ابنِ المبارك. وقدم الكوفة ليخوِّف الرشيد بالله، فرجف لمجيئه الدولة، حتى لو كان نزل بهم من العدو مئة ألف، مازاد من هيئته، فرُدَّ من الكوفة ولم يصل إليه.

[٢] وروى أنه كان يلزم المقبرة كثيراً، ومعه كتاب يطالعه، ويقول: لا أوعظ من قبر، ولا آتس من كتاب، ولا أسلم من وحدة.

[٣] قال أبو المنذر إسماعيل بن عمر: سمعتُ أبا عبد الرحمن العُمريُّ الزاهد يقول: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله، بأن ترى ما يُسخطه فتجاوزَه، ولا تأمر، ولا تنهى خوفاً من المخلوق. من ترك الأمر بالمعروف والخوف المخلوقين، نُزعت منه الهيئة، فلو أمر ولدَه، لاستخفَّ به.

[٤] قال محمد بن حرب المكي: قدم العُمريُّ، فاجتمعنا إليه، فلما نظر إلى القصور المُحدقة بالكعبة صاح: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل التمتع والتلذذ اذكروا الدود والصديد، وبلاء الأجسام في التراب، ثم غلبته عينه، فقام.

[٥] سليمان بن محمد، سمعتُ عبد الله بن عبدالعزيز يقول: قال لي موسى بن عيسى: ينهى إلى أمير المؤمنين أنك تشتمه وتدعو عليه، فبم استجزت هذا؟ قلت: أما شتمه، فوالله هو أكرم علي من نفسي، لقربته من رسول الله ﷺ، وأما الدعاء عليه، فوالله ما قلت: اللهم إنه قد أصبح عبثاً ثقيلاً على أكتافنا فلا تطيقه أبداننا، وقذئ في جفوننا لا تطرف عليه جفوننا، وشجى في أفواهنا لا تُسيغه حلوقنا، فاكفنا مؤنته، وفرق بيتنا وبينه. ولكن قلت: اللهم إن كان تسمى بالرشيد ليرشد، فأرشده، أو لغير ذلك فراجع به، اللهم إن له في الإسلام بالعباس على كل مؤمن كفاً، وله ببيك ﷺ قرابة ورحم، فقرِّبه من كل خير، وباعدِه من كل سوء، وأسعدنا

به، وأصلحه لنفسه ولنا، فقال موسى : رحمتك الله أبا عبدالرحمن، كذاك لعمري الظنُّ بك .

مات سنة أربع وثمانين ومائة، وله ست وستون سنة، رحمه الله تعالى .

٣٩١ - عبدالله بن المبارك (ع) (١)

[١] ابن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبدالرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المرؤزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام .

مولده في سنة ثمان عشرة ومئة .

وحدثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول .

[٢] نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك يُكثر الجلوس في بيته، فقبل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف استوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟!

[٣] أشعث بن شعبة المصيصي، قال: قدِمَ الرشيد الرِّقة، فأنجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، قدِم. قالت: هذا والله المُلْك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان .

[٤] محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعتُ أبي قال: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويُفعلُ عليها، ثم يكتري له، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال يُنفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يُخرجهم من بغداد بأحسن زيٍّ وأكمل مروة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة

(١) انظر السير: ٣٧٨-٤٢١ .

من طُرفها؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يُخرجهم إلى مكة، فإذا قَضَوْا حُجَّهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يُخرجهم من مكة، فلا يزال يُنفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصصُ بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمةً وكساهم، فإذا أكلوا وسرّوا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرتَه، عليها اسمه.

وقال محمد بن المثنى: سمعتُ عبدالرحمن بن مهدي يقول: ما رأت عيناى .
مثل أربعة: ما رأيتُ أحفظَ للحديث من الثوريّ، ولا أشدَّ تقشفاً من شعبة، ولا أعقلَ من مالك، ولا أنصحَ للأمة من ابن المبارك.
[١] قال سفيان: إني لأشتهي من عمري كلُّه أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

[٢] قال ابن عيينة: نظرتُ في أمر الصحابة، وأمر عبدالله، فما رأيتُ لهم عليه فضلاً إلا بصُحبتهم النبي ﷺ، وغزويهم معه.

[٣] قال القاسم بن محمد بن عبّاد: سمعتُ سُويدَ بن سعيد يقول: رأيتُ ابن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربةً، ثم استقبل القبلة، فقال: اللهم إن ابن أبي الموال، حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَاءُ زَمَزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ، وَهَذَا أَشْرَبُهُ لِعَطَشِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ شَرِبَهُ.

[٤] قال نعيم بن حماد: كان ابنُ المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق، يصيرُ كأنه ثور منحور، أو بقرة منحورة، من البكاء، لا يجترئ أحدٌ منا أن يسأله عن شيءٍ إلا دفعه.

[٥] أبو حاتم الرازي: حدثنا عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سريةً مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنَه فقتله فازدحم إليه الناس، فنظرتُ فإذا

هو عبدالله بن المبارك، وإذا هو يكتُم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كفه فمددته، فإذا هو هو. فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا.

[١] وقال أبو حسان عيسى بن عبدالله البصري: سمعت الحسن بن عرفة يقول: قال لي ابن المبارك: استعرتُ قلماً بأرض الشام، فذهبتُ على أن أردّه، فلما قدمت مرو، نظرت فإذا هو معي، فرجعتُ إلى الشام حتى رددته على صاحبه.

[٢] قال أسود بن سالم: كان ابن المبارك إماماً يُفتدى به، كان من أثبت الناس في السُّنة، إذا رأيت رجلاً يغمزُ ابن المبارك، فاتهمه على الإسلام.

[٣] اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين، فقالوا: تعالوا نعدّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقهُ، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزوة، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه.

[٤] قال حبيب الجلاب: سألتُ ابن المبارك: ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال غريزة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حُسنُ أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ شفيق يستشيرُهُ. قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمتٌ طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.

[٥] عن عبدالله، قال: إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تُذكر المساويء، وإذا غلبت المساويء على المحاسن لم تُذكر المحاسن.

[٦] قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلسُ معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وأثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

[٧] وعن ابن المبارك قال: أوَّلُ منفعة العلم أن يُقيد بعضهم بعضاً.

[٨] وجاء أن ابن المبارك سئل: من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه، يعني من أمراء الظلّة.

قيل : فمن السَّفلة؟ قال : الذين يعيشون بدينهم .

[١] وقال : رَبِّ عمل صغير تُكثِّره النية ، ورب عمل كثير تُصغِّره النية .

[٢] وعن ابن المبارك قال : في صحيح الحديث سُغِلَ عن سقيمه .

[٣] قال عليُّ بن الحسن بن شقيق : قمتُ لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد ، فذاكرني عند الباب بحديث ، أو ذاكرته ، فما زلنا نتذاكر ، حتى جاء المؤذِّن للصُّبح .

[٤] قال أحمدُ بن أبي الحَوَّاري : جاء رجل من بني هاشم إلى عبدالله بن المبارك ليستمع منه ، فأبى أن يُحدِّثه ، فقال الشريف لغلامه : قم فإنَّ أبا عبدالرحمن لا يرى أن يُحدِّثنا ، فلما قام ليركب ، جاء ابنُ المبارك ليمسك بركابه ، فقال : يا أبا عبدالرحمن تفعلُ هذا ولا ترى أن تحدِّثني ! فقال : أذُلُّ لك بدني ، ولا أذُلُّ لك الحديث .

[٥] نعيم بن حمَّاد : سمعتُ ابن المبارك يقول : السِّيفُ الذي وقع بين الصحابة فتنةً ، ولا أقول لأحد منهم هو مَقْتُونٌ .

[٦] وعنه قال : إن البصراء لا يأمنون من أربع : ذنب قد مضى لا يُدْرَى ما يصنع فيه الربُّ عزَّ وجل ، وعمرٍ قد بقي لا يُدْرَى ما فيه من الهلكة ، وفضل قد أُعطي العبدُ لعله مكرٌّ واستدراجٌ ، وضلالة قد زُيِّنت ، براها هدىً ، وزيف قلب ساعة فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر .

[٧] وعن عبدالكريم السُّكْرِي قال : كان عبدالله يُعجبه إذا ختم القرآن أن يكون دعاؤه في السُّجود .

[٨] قال أبو وهب المَرْوَزِي : سألت ابن المبارك : ما الكِبَرُ؟ قال : أن تُؤدِّي الناس . فسأله عن العُجْب؟ قال : أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك ، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العُجْب .

[٩] عن ابن المبارك قال : من استخفَّ بالعلماء ، ذهبَ آخرته ، ومن استخفَّ بالأمراء ، ذهبَ دنياه ، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبَ مُروءته .

[١] قال أبو صالح الفراء . وسمعه يقول : الحَبْرُ في الثوب خُلُوقُ العلماء .

وقد تفقه ابن المبارك بابي حنيفة ، وهو معدود في تلامذته .

[٢] وكان عبد الله غنياً شاكراً ، رأس ماله نحو الأربع مئة ألف .

[٣] قال الحسن بن الربيع : لما احتضر ابن المبارك في السفر قال : أشتهي سويقاً ، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان ، وكان معنا في السفينة فذكرنا ذلك لعبد الله ، فقال : دعوه ، فمات ولم يُشْرَه .

[٤] محمد بن إبراهيم بن أبي سُكَيْنة ، قال : ألقى عليّ ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة ، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلّمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضبُ جيده بدموعه فنحورنا بدمائنا تنخضبُ
أو كان يتعبُ خيله في باطلٍ فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ
ريحُ العبيرِ لكم ونحنُ عبيرونا رهيحُ السنايكِ والغبارِ الأطيبِ^(١)
ولقد اتانا من مقالِ نبينا قولُ صحيحٍ صادقٍ لا يكذبُ
لا يستوي وغبارُ خيلِ الله في أنفِ امرئٍ ودخانُ نارِ تلهبُ^(٢)
هذا كتابُ الله ينطقُ بيننا ليس الشهيدُ بميتٍ لا يكذبُ
فلقيت الفضيل بكتابه في الحرم ، فقرأ وبكى ، ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن
ونصح .

[٥] قال أبو العباس السراج : أنشدني يعقوب بن محمد لابن المبارك :

أبإذنٍ نزلت بي يا مشيبُ أي عيشٍ وقد نزلت يطيبُ
وكفى الشيبُ واعظاً غيرَ أتي أملُ العيشِ والمماتُ قريبُ
كم أنادي الشباب إذ بانَ مني وندائي موليّاً ما يجيبُ

(١) الرُفيع والرُهج : الغبار ، والسنايك جمع سنيك طرف حافر الخيل وجانباه من قدام .

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد ٢/٢٥٦ ، ٣٤٢ ، ٤٤١ . والنسائي ٦/١٢٦ ، يقول : لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً .

[١] قال حَبَّانُ بنُ موسى : سمعتُ ابنَ المباركِ يُنشد :

كَيْفَ الْقَرَارُ وَكَيْفَ يَهْدَأُ مُسْلِمٌ وَالْمُسْلِمَاتُ مَعَ الْعَدُوِّ الْمُعْتَدِي
الضَّارِيَاتُ خُدُودَهُنَّ بِرِئَةٍ الدَّاعِيَاتُ نِيَّهِنَّ مُحَمَّدُ
الْقَاتِلَاتُ إِذَا خَشِينَ فُضِيحَةَ جَهْدِ الْمَقَالَةِ لَيْتَنَا لَمْ نُؤَلِدْ
مَا نَسْتَطِيعُ وَمَا لَهَا مِنْ حِيلَةٍ إِلَّا التَّسْتُرُ مِنْ أُخِيهَا بِالْيَدِ

[٢] وجاء من طرق عن ابن المباركِ ، ويُقال : بل هي لحميد النحوي :

اغْتَنِمِ رَكَعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فَارِعًا مُسْتَرِيحًا
وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالنَّطْقِ بِالْبَاطِلِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا
فَاغْتَنِمِ السُّكُوتَ أَفْضَلَ مِنْ خَوْضٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالْكَلَامِ فَصِيحًا

[٣] قال أحمدُ بنُ عبد الله العجلي : حدثني أبي قال : لما احتَضِرَ ابنُ المباركِ ، جعل رجل يُلقِّنه ، قل : لا إله إلا الله ، فأكثر عليه ، فقال له : لست تُحسِنُ ، وأخافُ أن تُؤذِيَ مسلماً بعدي ، إذا لَقَّنْتِي ، فقلتُ : لا إله إلا الله ، ثم لم أُحدِثْ كلاماً بعدها ، فدعني ، فإِذَا أُحدِثْتُ كلاماً ، فلقنني حتى تكونَ آخرَ كلامي .

[٤] قال مُحَمَّدُ بنُ الفضيلِ بنِ عياضٍ : رأيتُ ابنَ المباركِ في النَّوْمِ ، فقلتُ : أَيُّ العملِ أَفْضَلُ؟ قال : الأمرُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ . قلتُ : الرِّبَاطُ وَالْجِهَادُ؟ قال نعم . قلتُ : فما صنَعَ بك ربُّكَ؟ قال : غفر لي مغفرةً ما بعدها مغفرة . رواها رجلان عن محمد .

[٥] وقال العباس بن محمد السُّنْفِي : سمعتُ أبا حاتمِ الفِرَبرِيِّ يقول : رأيتُ ابنَ المباركِ واقفاً على باب الجنة بيده مفتاح ، فقلتُ : ما يُوقِفُكُها هنا؟ قال : هذا مفتاح الجنة ، دفعه إليَّ رسولُ الله ﷺ ، وقال : حتى أزورَ الربِّ ، فكن أمينني في السماء ، كما كنتُ أمينني في الأرض .

[٦] وقال إسماعيل بن إبراهيم المصْبِي : رأيتُ الحارثَ بنَ عَطِيَّةَ في النَّوْمِ ، فسألته ، فقال : غفر لي . قلتُ : فابنُ المباركِ ، قال : يخِرُ بخِرِ ذاك في عليين ممن

يَلْجُ عَلَى اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ .

[١] وعن تَوْفَلٍ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفِرَ لِي بِرَحْمَتِي فِي الْحَدِيثِ. عَلَيْكَ بِالْقُرْآنِ، عَلَيْكَ بِالْقُرْآنِ. مات سنة إحدى وثمانين ومئة .

[٢] عن يحيى بن يحيى الليثي قال: كنا عند مالك، فاستؤذن لعبد الله بن المبارك بالدخول، فاذن له، فراينا مالكا تزحزح له في مجلسه، ثم أقعده بلسقه، وما رأيت مالكا تزحزح لاحد في مجلسه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مر بشيء فيسأله مالك: ما مذهبكم في هذا؟ أو ما عندكم في هذا؟ فرأيت ابن المبارك يُجاوبه، ثم قام، فخرج، فأعجب مالك بأدبه، ثم قال لنا مالك: هذا ابن المبارك فقيه خراسان .

[٣] وسئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنا نهيينا أن نتكلم عند أكابرنا .

٣٩٢ - الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ (خ، م، د، س، ت) (١)

[٤] ابن مسعود، الإمام القدوة الثَّابِتُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ الْبُرَيْعِيُّ الْخِرَاسَانِيُّ، الْمَجَاوِرُ بِحَرَمِ اللَّهِ. وُلِدَ بِسَمَرْقَنْدَ، وَنَشَأَ بِأَبِيوَرْدَ، وَارْتَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.

رَوَى عَنْهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَجْلُ شَيْوَحِهِ، وَبَيْنَهُمَا فِي الْمَوْتِ مِئَةٌ وَأَرْبَعُونَ عَامًا.

[٥] عن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع نالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ .﴾ [الحديد ١٦] فلما سمعها، قال: بلى يارب، قد آن، فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة،

(١) انظر السير: ٤٢١/٨ - ٤٤٢ .

فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا.

قال: ففكرت، وقلت: أنا أسمى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا، يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

[١] وقال أبو وهب محمد بن مراحم: سمعت ابن المبارك يقول رأيت أعبد الناس عبد العزيز بن أبي زوَاد، وأورع الناس الفضيل بن عياض، وأعلم الناس سفيان الثوري، وأفقه الناس أبا حنيفة، ما رأيت في الفقه مثله.

[٢] وروى أحمد بن أبي الخوارى عن الهيثم بن جميل، سمعت شريكاً يقول: لم يزل لكل قوم حجة في أهل زمانهم، وإن فضيل بن عياض حجة لأهل زمانه، فقام فتى من مجلس الهيثم، فلما توارى، قال: الهيثم: إن عاش هذا الفتى يكون حجة لأهل زمانه. قيل: من كان الفتى؟ قال: أحمد بن حنبل.

[٣] وقال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو دُكرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها، غيره. كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

[٤] وقال عبد الصمد بن يزيد مردويه: سمعت الفضيل يقول: لم يترين الناس بشي أفضل من الصدق، وطلب الحلال. فقال ابنه علي: يا أبة إن الحلال عزيز. قال: يا بني، وإن قليله عند الله كثير.

[٥] قال سري بن المغلس: سمعت الفضيل يقول: من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله، لم ينفعه أحد.

[١] قال ابراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: رَهْبَةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة، مَنْ عمل بما علم استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفقه الله لما لا يعلم، ومن ساء خلقه شأن دينه وحسبه ومروءته.

[٢] وسمعت يقول: أكذبُ الناس العائد في ذنبه، وأجهلُ الناس المُبدلُ بحسناته، وأعلمُ الناس بالله أخوفهم منه، لن يكملُ عبدٌ حتى يُؤثرَ دينه على شهوته، ولن يَهلكُ عبدٌ حتى يُؤثرَ شهوته على دينه.

[٣] وقال محمد بن عبدويه: سمعتُ الفضيل يقول: تركُ العملِ من أجلِ الناسِ رياءٌ والعملُ من أجلِ الناسِ شِرْكٌ، والإخلاصُ أن يعافيك اللهُ عنهما.

[٤] قال سلمُ بن عبدالله الخراساني: سمعتُ الفضيل يقول: إنما أمس مثلُ واليومُ عملٌ، وغداً أملٌ.

[٥] وقال فيض بن إسحاق: قال الفضيلُ: والله ما يحلُّ لك أن تؤذيَ كلباً ولا خنزيراً بخير حقٍّ، فكيف تؤذي مسلماً.

[٦] وعنه: بقدر ما يصغر الذنْبُ عندك يعظُمُ عند الله، وبقدر ما يعظُمُ عندك يصغرُ عند الله.

[٧] إسحاق بن إبراهيم الطبري: قال: ما رأيتُ أحداً أخوف على نفسه، ولا أرجى للناس من الفضيل. كانت قراءته حزينةً، شهيةً، بطيئةً، مترسلةً، كأنه يُخاطب إنساناً، وكان إذا مر بأية فيها ذكرُ الجنة يُردُّ فيها، وسأل، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً، يُلقى له الحَصِيرُ في مسجده، فيصلي من أول الليل ساعةً، ثم تغلبه عينه، فيلقي نفسه على الحَصِيرِ، فينام قليلاً، ثم يقوم، فإذا غلبه النومُ نام، ثم يقوم هكذا حتى يُصبح. وكان دأبه إذا نَعَسَ أن ينام ويقال: أشدُّ العبادَةِ ما كان هكذا.

[٨] محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا أبو عمر الحرّمي النَّحويّ، حدثنا الفضلُ بن الربيع، قال: حجَّ أميرُ المؤمنين - يعني هارون - فقال لي: وَتَحَكَّ، قد حَكَّ في نفسي شيءٌ، فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا سُفيان بن عيينة، فقال: امض.

بنا إليه ، فأتيناه ، ففرعت بابه ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين .
 فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال : خذ لما
 جئتك له ، فحدّثه ساعةً ، ثم قال له : عليك دينٌ . قال : نعم . فقال لي : اقضِ
 دينه ، فلما خرجنا . قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، قلت : ها هنا عبدالرزاق .
 قال : امض بنا إليه ، فأتيناه ، ففرعت الباب فخرج ، وحادثه ساعةً ، ثم قال : عليك
 دينٌ ؟ قال : نعم . قال : أبا عباس ، اقضِ دينه ، فلما خرجنا قال : ما أغنى عني
 صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله ، قلت : ها هنا الفضيل بن عياض ، قال : امض
 بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائم يصلي ، يتلو آيةً يُرُدُّدها ، فقال : اقرع الباب ،
 ففرعت ، فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين قال : مالي ولا أمير المؤمنين ؟
 قلت : سبحان الله ، أما عليك طاعةٌ ، فنزل ، ففتح الباب ، ثم ارتقى إلى العُرفة ،
 فأطفا السراج ثم التجأ إلى زاوية ، فدخلنا ، فجعلنا نجولُ عليه بأيدينا فسبقت كفُّ
 هارون قبلي إليه ، فقال : يا لها من كفٍّ ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله ،
 فقلتُ في نفسي : ليكلمته الليلة بكلام نقيٍّ من قلب نقيٍّ ، فقال له : خذ لما جئتك
 له ، رحمك الله ، فقال : إن عمر بن عبدالعزيز لما وليّ الخلافة دعا سالم بن
 عبدالله ، ومحمد بن كعب ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء
 فأشيروا عليّ ، فعُدّ الخلافة بلاءً ، وعددتها أنت وأصحابك نعمةً ، فقال له سالم :
 إن أردت النجاة ، فصم الدنيا وليكن افطارك منها الموت ، وقال له ابن كعب : إن
 أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبيرُ المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم أخاً ،
 وأصغرهم ولداً ، فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .
 وقال له رجاء : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ما تُحب
 لنفسك ، وكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مُت إذا شئت ، وإني أقولُ لك هذا وإني
 أخافُ عليك أشدَّ الخوف يوماً تزلُّ فيه الأقدام ، فهل معك رحمك الله من يُشير
 عليك بمثل هذا ، فبكي بكاءً شديداً حتى غشي عليه ، فقلتُ له : ارفق بأمرير

المؤمنين، فقال يا ابن أم الربيع تقنله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله. قلت: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز سُكِّي إليه، فكتب إليه: يا أخي أذكرك طولَ سهر أهل النار في النار مع عنود الأبد، وإياك أن يُصْرَفَ بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قَدِمَ عليه، فقال: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعودُ إلى ولاية حتى ألقى الله، فبكى هارون بكاءً شديداً فقال: يا أمير المؤمنين: إن العباس عم النبي ﷺ جاء إليه فقال: أمرني، فقال له: «إن الإمارةَ حَسْرَةٌ ونَدَامَةٌ يومَ القيامةِ، فإن استطعتَ أن لا تكونَ أميراً فافعل» فبكى هارون، وقال: زدني. قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يومَ القيامةِ، فإن استطعتَ أن تقَيَ هذا الوجهَ من النار، فافعل، وإياك أن تُصْبِحَ وتَمْسِيَ وفي قلبك غِشٌّ لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشِئاً لَمْ يَرُوحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ». فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال نعم: دينٌ لربي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أُلْهِمَ حجتِي، قال: إنما أعني من دين العباد، قال: إن ربِّي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦] الآيات، فقال: هذه ألفٌ دينار خذها، فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تُكافئني بمثل هذا. سلَّمك الله، ووفَّقك ثم صمت، فلم يُكَلِّمْنَا، فخرجنا، فقال هارون: أبا عباس، إذا دللتني، فدلني على مثل هذا، هذا سيِّد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: قد ترى ما نحن فيه من الضيق، فلو قبلتَ هذا المال. قال: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كَبِرَ، نحروه، فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبلَ المال. فلما علم الفضيلُ، خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى

جنبه يُكلمه فلا يُجيبه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد أذيت الشيخ منذ الليلة، فأنصرف فأنصرفنا.

[١] وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعتُ الفضيل يقول: من أحبَّ أن يُذكرَ لم يذكر، ومن كره أن يُذكرَ ذُكرَ.

[٢] وسمعتُه يقول: الخوفُ أفضل من الرجاء ما دام الرجلُ صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل.

[٣] قال فيض بن وثيق: سمعتُ الفضيل يقول: إن استطعت أن لا تكون محدثاً ولا قارئاً، ولا متكلماً، إن كنت بليغاً، قالوا ما أبلغه، وأحسن حديثه، وأحسن صوته، فيعجبك ذلك، فتنفخ، وإن لم تكن بليغاً، ولا حسن الصوت، قالوا: ليس يُحسن يحدث، وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك، وشقَّ عليك، فتكون مراثياً، وإذا جلست، فتكلمت، فلم تُبالِ من ذمك ومن مدحك، فتكلم.

[٤] وقيل له: ما الزهد؟ قال: القنوع، قيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. قيل: ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق وقال: أشدُّ الورع في اللسان.

[٥] قال عبد الصمد بن يزيد: سمعتُ الفضيل يقول: لو أن لي دعوةً مستجابة ما جعلتها إلا في إمام، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد.

[٦] وعن الفضيل: حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا.

[٧] وعنه: إذا لم تغدِ على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محرومٌ كِبَلَّتْكَ خطيئتك.

[٨] قال عبد الصمد مردويه: سمعتُ الفضيل يقول: من أحبَّ صاحبَ بدعة، أحبط الله عمله وأخرج نورَ الإسلام من قلبه، لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عمل. نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونظر الرجل إلى صاحب البدعة يورث العمى،

من جلس مع صاحب بدعة لم يُعط الحكمة .

[١] قال إبراهيم بن الأشعث : سمعتُ الفضيل يقول في مرضه : ارحمني بحبي إياك فليس شيء أحب إلي منك .

[٢] وسمعتَه يقول وهو يشتكي : مُسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

[٣] وسمعتَه يقول: من استوحش من الوحدة، واستأنس بالناس، لم يسلم من الرياء، ولا حج ولا جهاد أشد من حبس اللسان، وليس أحداً أشدَّ غصاً ممن سجن لسانه .

[٤] وعن الفضيل قال : من أخلاق الأنبياء الحلمُ والأناةُ وقيام الليل .

[٥] قال إبراهيم بن الأشعث : رأيتُ سفيان بن عيينة يُقبَلُ يدَ الفضيل مرتين .

[٦] وعن ابن المبارك قال : إذا نظرتُ إلى الفضيل، جدد لي الحزن، ومقت نفسي، ثم بكى .

[٧] قال الأصمعي : نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل، فقال : يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

[٨] قال أحمد بن أبي الحَواري : حدثنا أبو عبدالله الأنطاكي قال : اجتمع الفضيل والثوري، فتذاكرا، فرق سفيان وبكى، ثم قال : أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة، فقال له الفضيل : لكني يا أبا عبدالله أخاف أن لا يكون أضراً علينا منه . ألسنتُ تخلصتُ إلى أحسن حديثك، وتخلصتُ أنا إلى أحسن حديثي، فتزيتتُ لي وتزيتتُ لك؟ فبكى سفيان، وقال : أحبيتني أحياءك الله .

[٩] وقال الفيض : قال لي الفضيل : لو قيل لك : يا مُرائي، غضبت، وشقَّ عليك، وعسى ما قيل لك حق، تزيتتُ للدنيا وتصنعت، وقصرتُ ثيابك، وحسنتُ سمتك، وكففتُ أذاك حتى يُقال : أبو فلان عابِدٌ، ما أحسنَ سمته فيكرمونك وينظرونك، ويقصدونك ويهدون إليك، مثل الدرهم السُتوق^(١) لا يعرفه كلُّ أحدٍ فإذا قُشر، قُشر

(١) هو الردي الزيف الذي لا خير فيه .

عن نحاس .

[١] وعنه قال : كفى بالله مُحبياً وبالقرآن مُؤنساً ، وبالموت واعظاً ، وبخشية الله علماً ، وبالاغترار جهلاً .

[٢] وعنه : خصلتان تقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

[٣] وعنه : كيف ترى حال من كثرت ذنوبه ، وضعف علمه ، وفني عمره ، ولم يتزود لمعاده .

[٤] وعنه : يا مسكين ، أنت مسيء وترى أنك محسن ، وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وتبخل وترى أنك كريم ، وأحمق وترى أنك عاقل ، أجلك قصير ، وأملك طويل .

قلت : إي والله ، صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وأكل للحرام وترى أنك متورع ، وفاسق وتعتقد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله .

[٥] محمد بن عبد الله الأنباري ، قال : سمعت فضيلاً يقول : لما قديم هارون الرشيد إلى مكة فعد في الحجر هو وولده ، وقوم من الهاشميين ، وأحضروا المشايخ ، فبعثوا إلي فأردت أن لا أذهب ، فاستشرت جاري ، فقال : اذهب لعله يريد أن تعظه ، فدخلت المسجد ، فلما صرت إلى الحجر ، قلت لأدناهم : أيكم أمير المؤمنين؟ فأشار إليه ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فرد علي ، وقال : اقعد ، ثم قال : إنما دعوناك لتحذثنا بشي ، وتعظنا ، فأقبلت عليه ، فقلت : يا حسن الوجه ، حساب الخلق كلهم عليك . فجعل يبكي ويشهق ، فرددت عليه ، وهو يبكي ، حتى جاء الخادم فحملوني وأخرجوني ، وقال : اذهب بسلام .

[٦] قال قُطبة بن العلاء : سمعت الفضيل يقول : آفة القراء العُجب . وللفضيل رحمه الله مواعظ ، وقدم في التقوى راسخ .

وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير ، ويمتنع من جوائز الملوك .

[٧] قال بعضهم : كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض ، فقلنا له : كم سنك؟

فقال :

بَلَّغْتُ الشَّمَانِينَ أَوْ جَزَيْتَهَا فَمَاذَا أَوْمَلُ أَوْ أَنْتَظِرُ
عَلَّتْنِي السُّنُونُ فَأَبْلَيْتَنِي فَذُقْ الْعِظَامُ وَكُلَّ الْبَصْرُ

قلتُ : هو من أقران سُفيان بن عيينة في المولد، ولكنه مات قبله بسنوات وكان

ابنه :

٣٩٣ - علي^(١)

من كبار الأولياء، ومات قبل والده.

[١] قلتُ : خرج هو وأبوه من الضعف الغالب على الزهاد والصوفية، وعدداً في الثقات إجماعاً.

وكان عليٌّ قانتاً لله، خاشعاً، وجلاً، ربانياً، كبير الشأن.

[٢] قال الخطيب : مات قبل أبيه بمدة من آية سمعها تُقرأ، فغشي عليه، وتوفي في الحال.

[٣] قال إبراهيم بن الحارث العبَّادي : حدثنا عبد الرحمن بن عوفان، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش قال : صلَّيت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه عليٌّ إلى جانبي، فقرأ : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. فلما قال : ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ سقط عليٌّ على وجهه مغشياً عليه.

[٤] قال ابنُ أبي الدنيا : حدثني عبد الصمد بن يزيد، عن فضيل بن عياض قال : بكى عليٌّ ابني. فقلتُ : يا بني ما يُكيك؟ قال : أخافُ ألا نجمعنا القيامة.

[٥] وقال لي ابنُ المبارك : يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع إلى الله، فسمع ذلك عليٌّ ابني، فسقط مغشياً عليه.

[٦] محمد بن ناجية قال : صلَّيت خلف الفضيل، فقرأ : ﴿الْحَاقَّةُ﴾ في الصبح. فلما بلغ إلى قوله : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ غلبه البكاء فسقط ابنه عليٌّ مغشياً عليه.

(١) انظر السير : ٤٤٣/٨ - ٤٤٨.

[١] عبد الصمد بن يزيد، سمعت الفضيل يقول: أشرفت ليلةً على عليٍّ، وهو في صحن الدار، وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟ وقال لي: يا أبة سَلِ الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة. ثم قال: لم يَزَلْ مُنْكَسِرَ القلبِ حزيناً. ثم بكى الفضيلُ، ثم قال: كان يُساعدني على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي، شَكَرَ اللهُ لك ما قد علمه فيك.

[٢] وعن الفضيل قال: اللَّهُمَّ إِنِّي اجْتَهَدْتُ أَنْ أُؤَدِّبَ عَلِيًّا، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَأْدِيبِهِ فَأَدَّبَهُ أَنْتَ لِي.

[٣] قال أبو سليمان الداراني: كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿القارعة﴾ ولا تُقرأ عليه.

[٤] محمد بن أبي عثمان قال: كان علي بن الفضيل عند سفيان بن عيينة، فحدث بحديث فيه ذكر النار، فشهِقَ عليٌّ شهقةً، ووقع، فالتفت سفيان فقال: لو علمت أنك ها هنا ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله.

[٥] وبالإسناد عن فضيل: كانت لنا شاة بالكوفة، أكلت شيئاً يسيراً من علف أمير، فما شرب لها لبناً بعد.

[٦] عن الفضيل قال: أهدى لنا ابن المبارك شاة فكان ابني لا يشرب منها، فقلت له في ذلك. فقال: إنها قد رعت بالعراق.

[٧] علي بن محمد المصري، سمعت أبا سعيد الخزاز، سمعت إبراهيم بن بشار يقول: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل، في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام ٢٧]. مع هذا الموضع مات. وكنت فيمن صلَّى عليه، رحمه الله.

مات الفضيل سنة ست وثمانين ومئة.

[٨] قُلْتُ: وله نيف وثمانون سنة، وهو حجَّةٌ كبير القدر. ولا عبرة بما نقله أحمد بن أبي خيثمة، سمعت قطبة ابن العلاء يقول: تركت حديث فضيل بن عياض، لأنه روى أحاديث أرزى على عثمان بن عفان.

[١] قلتُ: فلا نسمعُ قولَ قُطْبَةَ، لِيَتَه اشْتغَلَ بحالِهِ، فَقَد قالَ البُخاري: فِيهِ نظَرٌ، وقالَ النَّسائي وغيره: ضَعيفٌ. وأيضاً فالرَّجُلُ صاحِبُ سَنَةٍ وأتباعٌ.

قالَ أحمدُ بنُ أبي حَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عبدُ الصمدِ بنُ يزيدَ الصائغُ، قالَ: ذُكِرَ عندَ الفُضيلِ - وأنا أسمعُ - الصَّحابةُ، فقالَ: اتَّبِعُوا فقدَ كُفَيْتُمْ: أبو بكرٌ وعمرو وعثمانٌ وعليٌّ، رضي اللهُ عنهم.

[٢] قلتُ: إذا كانَ مِثْلُ كِبراءِ السَّابِقينِ الأوَّلينِ قد تكلَّمُ فيهِم الرِّوافِضُ والخوارجُ، ومِثْلُ الفُضيلِ يُتكلَّمُ فِيهِ، فَمَنْ الَّذي يَسَلِّمُ مِنَ السِّنَةِ النَّاسِ، لَكِن إذا ثَبَتَ إمامَةُ الرَّجُلِ وفضُلُهُ، لَمْ يَضُرَّهُ ما قِيلَ فِيهِ، وإِنما الكِلامُ فِي العِلماءِ مُفْتَقِرٌ إلى وَزَنِ بالعدْلِ والوَرعِ.

[٣] وأما قولُ ابنِ مَهْدِيٍّ: لَمْ يَكُنْ بالحافظِ، فمعناه: لَمْ يَكُنْ فِي عِلمِ الحَدِيثِ كَهؤلاءِ الحِفاظِ البُحورِ، كَشُعْبَةَ، ومالكِ وسُفيانِ، وحَمَّادِ، وابنِ المِباركِ، ونظرائِهِم، لَكِنه ثَبَتَ قِيَمٌ بما نَقَلَ، ما أَخَذَ عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ فِيما عِلِمَتْ. وَهَلْ يُرادُ مِنَ العِلمِ إلا ما انْتَهَى إِلَيْهِ الفُضيلُ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

٣٩٤ - سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ (ع)^(١)

[٤] ابنُ أبي عِمْرانِ ميمونُ مولى مُحَمَّدِ بنِ مُزاحِمِ، أَخِي الضَّحَّاكِ بنِ مُزاحِمِ، الإمامُ الكَبيرُ حافِظُ العِصرِ، شَيْخُ الإسلامِ، أبو مُحَمَّدِ الهِلالِ الكُوفِيِّ، ثُمَّ المَكِّيِّ.

مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومئة.

وطلبَ الحَدِيثَ، وَهُوَ حَدَّثَ، بِلِ غلامِ، ولَقِيَ الكِبارَ، وَحَمَلَ عَنْهُمَ عِلْماً جَمّاً، وَأَتَقَنَ، وَجَوَّدَ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَعُمِّرَ دَهْرًا، وَازدَحَمَ الخَلْقُ عَلَيْهِ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ الإِسنادِ، وَرُجِلَ إِلَيْهِ مِنَ البِلادِ، وَأَلْحَقَ الأَحْفادُ بالأجدادِ.

ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوى لقي

(١) انظر السير: ٤٥٤/٨ - ٤٧٥.

سفيان بن عيينة، لإمامته وعلو إسناده .

وجاوز عنده غير واحد من الحفاظ .

[١] قال الإمام الشافعي : لولا مالك وسفيان بن عيينة ، لذهب علمُ الحجاز .
وارتحل ولقي خلقاً كثيراً ما لقيهم مالك ، وهما نظيران في الإتقان ، ولكن مالكا
أجل وأعلى ، فعنده نافع ، وسعيد المقبري .

قال خرمة : سمعتُ الشافعي يقول : ما رأيتُ أحداً فيه من آلة العلم ما في
سفيان ابن عيينة ، وما رأيتُ أكفَّ عن الفتيا منه . قال : وما رأيتُ أحداً أحسن تفسيراً
للحديث منه .

قال عبدالله بن وهب : لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة .

وقال : أحمد بن حنبل أعلم بالسنن من سفيان .

البويطي ، سمعتُ الشافعي يقول : أصول الأحكام نيف وخمسة مئة حديث ،

كلها عند مالك إلا ثلاثين حديثاً ، وكلها عند ابن عيينة إلا ستة أحاديث .

وقال ابن المديني : قال لي يحيى القطان . ما بقي من معلّمي أحد غير سفيان

ابن عيينة ، وهو إمام منذ أربعين سنة .

[٢] وحكى خرمة بن يحيى أن ابن عيينة قال له - وأراه خبز شعير - هذا طعامي منذ
ستين سنة .

[٣] الحميدي ، سمع سفيان يقول : لا تدخل هذه المحابر بيت رجل إلا أشقى أهله
وولده .

[٤] وقال سفيان مرة لرجل : ما حرقتك؟ قال : طلبتُ الحديث . قال : بشر أهلك
بالإفلاس .

[٥] عن ابن عيينة قال : من كانت معصيته في الشهوة فارح له ، ومن كانت معصيته
في الكبر ، فاحش عليه ، فإن آدم عصي مشتتياً ، فقفر له ، وإبليس عصي متكبراً
فلعن .

[٦] ومن كلام ابن عيينة قال : الزهد : الصبر ، وارتقاب الموت .

[١] وقال: العلم إذا لم ينفك، ضرك.

[٢] قال نعيم بن حماد: ما رأيت أحداً أجمع لمتفرقي من سفيان بن عيينة.

[٣] قال محمد بن يوسف الفريابي: كنت أمشي مع ابن عيينة، فقال لي: يا محمد، ما يؤزهدني فيك إلا طلب الحديث. قلت: فأنت يا أبا محمد، أي شيء كنت تعمل إلا طلب الحديث؟ فقال: كنت إذا ذاك صبياً لا أعقل.

[٤] قلت: إذا كان مثل هذا الإمام يقول هذه المقالة في زمن التابعين، أو بعدهم بيسير، وطلب الحديث مضبوطاً بالاتفاق، والأخذ عن الأئمة الأئمة، فكيف لو رأى سفيان رحمه الله طلبه الحديث في وقتنا، وما هم عليه من الهنات والتحبيط، والأخذ عن جهلة بني آدم، وتسميع ابن شهر.

أما الحيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساها

[٥] روى سليمان بن أيوب، سمعت سفيان بن عيينة يقول: شهدت ثمانين موقفاً،

ويروى أن سفيان كان يقول في كل موقف: اللهم لا تجعله آخر العهد منك، فلما كان العام الذي مات فيه لم يقل شيئاً، وقال: قد استحيت من الله تعالى.

[٦] وقد كان سفيان مشهوراً بالتدليس، إلا أنه لا يدلس إلا عن ثقة عنده.

وسفيان حجة مطلقاً، وحديثه في جميع ذواوين الإسلام.

وكان سفيان رحمه الله صاحب سنة واتباع.

مات سنة ثمان وتسعين ومئة.

[٧] عبدالرحمن بن بشر، سمعت ابن عيينة يقول: غَضِبُ اللهُ الداء الذي لا دواء

له، ومن استغنى بالله، أحوج الله إليه الناس.

قلت: عاش إحدى وتسعين سنة.

٣٩٥ - عيسى بن يونس (ع) (١)

[١] ابن أبي إسحاق عمرو بن عبدالله، الإمام القدوة، الحافظ، الحجّة، أبو عمرو، وأبو محمد الهمداني، الشيبعي الكوفي، المرابط. وكان واسع العلم، كثير الرحلة، وإفتر الجلالة. وقد حدث عنه أبوه يونس بن أبي إسحاق. قال أحمد بن حنبل: هو أصح حديثاً من أبيه. قيل له: فإسرائيل؟ قال: ما أقربهما.

[٢] وقال المروزي، عن أحمد: ثبت. وكنا نخبر أنه سنة في الغزو، وسنة في الحج، وقدم بغداد في شيء من أمر الحصون، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله. وقيل: إنه زار ابن عيينة، فقال: مرحباً بالفقيه ابن الفقيه.

[٣] عن جعفر البرمكي قال: ما رأينا في القرءاء مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه، فاتانا بالرقعة، فاعتل قبل أن يرجع. فقلت له: يا أبا عمرو، قد أمرنا لك بعشرة آلاف. فقال: هيه. قلت: خمسون ألفاً. قال: لا حاجة لي فيها. فقلت: ولم؟ والله، لأهنيئتها، هي والله مئة ألف، قال: لا والله، لا يتحدث أهل العلم أنني أكلت للسنة ثمناً، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إلي، فأما على الحديث، فلا، ولا شربة ماء، ولا إهليلجة (٢).

[٤] قال أحمد بن حنبل: غزا عيسى بن يونس خمساً وأربعين غزوة، وحج كذلك. مات سنة سبع وثمانين.

٣٩٦ - أبو بكر بن عياش (خ، ع) (٣)

[٥] ابن سالم الأسدي، مولا هم الكوفي الحنط - بالنون - المقرئ، الفقيه،

(١) انظر السير: ٤٨٩/٨ - ٤٩٤.

(٢) الإهليلج، بكسر الهمزة وفتح اللام، وقد تكسر، والواحدة بهاء: شجر ينبت في الهند وكابل والصين ثمرة على هيئة حب الصنوبر الكثر.

(٣) انظر السير: ٤٩٥/٨ - ٥٠٨.

المحدث، شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل الأحذب.

وفي اسمه أقوال: أشهرها شعبة.

قال هارون بن حاتم: سمعته يقول: وُلِدْتُ سَنَةَ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ.

قرأ أبو بكر القرآن، وجوَّده ثلاث مراتٍ على عاصم بن أبي النجود.

ذكره أحمد بن حنبل فقال: ثقة، ربما غلط، صاحب قرآن وخير.

وقال ابن المبارك: ما رأيت أحداً أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش.

[١] وقال غير واحد: إنه صدوق، وله أوهام.

[٢] قلت: فأما حاله في القراءة، فقيم بحرف عاصم، وقد خالفه حفص في أزيد

من خمس مئة حرف، وحفص أيضاً حجة في القراءة، لين في الحديث.

[٣] قال عثمان بن أبي شيبة: أحضر هارون الرشيد أبا بكر بن عياش من الكوفة فجاء

ومعه وكيع، فدخل ووكيع يقوده، فادناه الرشيد، وقال له: قد أدركت أيام بني أمية

وأيامنا، فأينا خير؟ قال: أنتم أقوم بالصلاة، وأولئك كانوا أنقع للناس. قال: فأجازه

الرشيد بستة آلاف دينار، وصرقه، وأجاز وكيعاً بثلاثة آلاف.

[٤] عن أبي عبدالله النخعي، قال: لم يُفْرَشَ لأبي بكر بن عياش فراش خمسين

سنة.

[٥] ابن أبي شيخ: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: زاملت أبا بكر بن عياش إلى مكة،

فما رأيت أوزع منه، لقد أهدى له رجل رطباً، فبلغه أنه من بستان أخذ من خالد بن

سلمة المخزومي، فأتى آل خالد، فاستحلهم، وتصدق بثمانه.

[٦] قال يعقوب الفسوي: سمعت أحمد بن يونس، وذكروا له حديثاً أنكروه من

حديث أبي بكر، عن الأعمش. فقال: كان الأعمش يضرب هؤلاء ويشتمهم

ويطردهم، وكان يأخذ بيد أبي بكر، فيجلس معه في زاوية لحال القرآن.

وقال أبو هشام الرفاعي: قال أبو بكر بن عياش للحسن بن الحسن بالمدينة: ما

أبقت الفتنة منك؟ فقال: وأي فتنة رأيتني فيها؟ قال: رأيتهم يقبلون يدك ولا

تمنعهم.

[١] وعن أبي بكر بن عياش قال: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى به عافية. وأدنى ضرر المنطق الشهرة، وكفى بها بليّة.

[٢] قال يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش قال: تعلمت القرآن من عاصم خمساً خمساً، ولم أتعلم من غيره، ولا قرأتُ على غيره.

[٣] عن أبي بكر قال: اختلفتُ إلى عاصم نحواً من ثلاث سنين، في الحرّ والشتاء والمطر، حتى ربما استحييتُ من أهل مسجد بني كاهل.

وعن أبي بكر بن عياش قال: الدخولُ في العلم سهل، لكن الخروج منه إلى الله شديد.

[٤] وعن بشر بن الحارث، سمع أبا بكر بن عياش يقول: يا مَلَكِي ادعوا الله لي، فإنكما أطوعُ الله مني.

[٥] وقد رُوي من وجوه متعددة، أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختمُ القرآن في كل يوم وليلة مرة.

وهذه عبادةٌ يُخضعُ لها، ولكن متابعةُ السنة أولى. فقد صحَّح أن النبي ﷺ نهى عبدالله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. وقال عليه السلام «لم يُفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

[٦] قال أبو العباس بن مسروق: حدثنا يحيى الجعفي، قال: لما حضرَت أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقال لها: ما يُكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

[٧] قال سُفيان بن عُيينة. قال لي أبو بكر بن عياش: رأيتُ الدنيا في النوم عجوزاً مشوّهة.

وعن أبي بكر قال: إمامنا يهيمُ ﴿مؤصدة﴾، فأشتهي أن أسدُّ أذني إذا همزها. وكان الإمام أبو بكر قد قطع الإقراء قبل موته بنحو من عشرين سنة، ثم كان يروي الحروف، فقيدها عنه يحيى بن آدم عالم الكوفة، واشتهرت قراءة عاصم من هذا الوجه وتلقّتها الأمة بالقبول، وتلقاها أهل العراق.

الأحمسي : ما رأيت أحداً أحسن صلاةً من أبي بكر بن عياش .
مات أبو بكر في سنة ثلاث وتسعين ومئة .
قلتُ : عاش ستاً وتسعين سنة .

٣٩٧ - القاضي أبو يوسف ^(١)

[١] هو الإمام المجتهدُ، العلامة المحدثُ، قاضي القضاة، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، الأنصاري الكوفي .

[٢] وكان أبوه فقيراً . له حانوتٌ ضعيف، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدرهم، مئة بعد مئة .

[٣] وعن محمد بن الحسن قال : مرض أبو يوسف، فعاده أبو حنيفة، فلما خرج . قال : إن يموت هذا الفتى، فهو أعلمُ من عليها .

قال أحمد بن حنبل : أول ما كتبتُ الحديثَ اختلفتُ إلى أبي يوسف، وكان أميلُ إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد .

قال إبراهيم بن أبي داود البرُّلسي : سمعت ابن مَعين يقول : ما رأيتُ في أصحاب الرأي أثبتَ في الحديث، ولا أحفظ، ولا أصحَّ روايةً من أبي يوسف .

وروى عباس، عن ابن مَعين : أبو يوسف صاحبُ حديث، صاحبُ سُنَّة .

وعن يحيى البرمكي قال : قدم أبو يوسف، وأقلُّ ما فيه الفقه، وقد ملأ بفقهه الخافقين .

وعن أبي يوسف قال : صحبتُ أبا حنيفة سبع عشرة سنة .

[٤] وعن ابن سَماعة قال : كان ورد أبي يوسف في اليوم مئتي ركعة .

[٥] قال يحيى بن يحيى التَّميمي : سمعت أبا يوسف عند وفاته يقول : كل ما أفتيتُ بعد فقد رجعتُ عنه إلا ما وافق الكتابَ والسُنَّة، وفي لفظ إلا ما في القرآن واجتمع

عليه المسلمون .

(١) انظر السير : ٥٣٥/٨ - ٥٣٩ .

[١] قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف: من طلب المال بالكيمياء أفسس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق، ومن تبع غريب الحديث، كُذِّب. قلت: بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم مالا مزيداً عليه، وكان الرشيد يُبالغ في إجلاله.

[٢] أبو سليمان الجوزجاني، سمعت أبا يوسف يقول: دخلت على الرشيد وفي يده درتان يقلبهما، فقال: هل رأيت أحسن منهما؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: وما هو؟ قلت: الوعاء الذي هما فيه، فرمى بهما إليّ، وقال: شأنك بهما. توفي أبو يوسف سنة اثنتين وثمانين ومئة.

[٣] وما أنبل قوله: العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم.

[٤] قلت: مثاله شبهة وإشكالات من نتائج أفكار أهل الكلام، تُورد في الجدل على آيات الصفات وأحاديثها، فيكفر هذا هذا، وينشأ الاعتزال، والتجهم، والتجسيم، وكلّ بلاء. نسأل الله العافية.

٣٩٨ - أبو إسحاق الفزاري (ع) (١)

[٥] الإمام الكبير المحافظ المجاهد، إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن، الفزاري الشامي.

ولجدهم خارجة صحبة. وهو أخو عيينة بن حصن. وكان من أئمة الحديث.

ذكره أبو حاتم، فقال: الثقة العامون الإمام.

قال الحميدي: قال لي الشافعي: لم يُصنّف أحدٌ في السير مثل كتاب أبي إسحاق.

وقال أبو حاتم: اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمامٌ يقتدى به بلا

(١) انظر السير: ٥٣٩/٨ - ٥٤٣.

وقال الحُمَيْدِي : جاء رجل إلى ابن عُيَيْنَةَ ، فقال : حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ عَنْكَ بِكَذَا . فقال : وَيْحَكَ ، إِذَا سَمِعْتَ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنِّي ، فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَسْمَعَهُ مِنِّي .

[١] وقال أحمد العجلي : كان ثقة ، صاحب سنة ، صالحاً ، هو الذي أدب أهل الثغر ، وعلمهم السنَّة ، وكان يأمر وينهى . وإذا دخل الثغر رجل مبتدع ، أخرجه ، وكان كثير الحديث ، وكان له فقه .

أمر سلطاناً ونهاه ، فضربه مثني سوط ، فغضب له الأوزاعي ، وتكلم في أمره . مات سنة ست وثمانين ومائة .

قلت : من أبناء الثمانين هو ، أو جاوزها بقليل .

[٢] ويروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقاً ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها ، فيخرجانها حرفاً حرفاً .

[٣] قال أبو داود الطيالسي : توفي أبو إسحاق الفزاري وليس على وجه الأرض أحد أفضل منه .

[٤] وعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، قال : والله ما رأيت أحداً أقدمه على أبي إسحاق الفزاري .

[٥] وقال عطاء الخفاف : كنت عند الأوزاعي ، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق الفزاري ، فقال لكتابه ، ابدأ به ، فإنه والله خير مني .

[٦] قال سُفْيَانَ بْنُ عُيَيْنَةَ : دخلت على هارون ، فقال : يا أبا إسحاق ، إنك في موضع ، وفي شرف . قلت : يا أمير المؤمنين ، ذلك لا يُغني عني في الآخرة شيئاً .

[٧] وقال أبو أسامة : سمعت الفضيل بن عياض يقول : رأيت النبي ﷺ في النوم ، وإلى جنبه فرجة ، فذهبت لأجلس ، فقال : هذا مجلس أبي إسحاق الفزاري .

[١٦] إبراهيم بن سعيد الجوهري : قلتُ لأبي أسامة : أيُّهما أفضلُ : فضيلُ ابن عياض أو أبو إسحاق الفزاري؟ فقال : كان فضيلُ رجلٌ نفسه ، وكان أبو إسحاق رجلٌ عامّة .

[٢٧] عن أبي إسحاق ، قال الأوزاعي في الرجل يسأل : أمؤمن أنت حقاً؟ قال : إن المسألة عن ذلك بدعة ، والشهادة عليه تعمق لم نُكلّفه في ديننا ، ولم يشرعه نبينا ، القول فيه جدلٌ ، والمنازعة فيه حدّث ، وذكر فضلاً نافعاً .

الجزء التاسع

١٣٩٩ - جرير بن عبد الحميد (ع)

[١٦] ابن يزيد الإمام الملقب بالثقي أبو عبد الله الضبي الكوفي نزل الرئي. ونشر بهد العلم.

[١٧] عن جرير: وُلِدَتْ سَنَةٌ مَافَتَدَ الحَسَنُ سَنَةَ عَشْرٍ، وَكَانَ مِنْ مَشَايخِ الإِسْلَامِ، وَقَالَ رُئَيْبٌ: سَمِعْتُ جَرِيرًا يَقُولُ: رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي نُجَيْجٍ، وَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ شَيْئًا، وَرَأَيْتُ جَابِرَ الجُعْفِيِّ، فَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ شَيْئًا، وَرَأَيْتُ ابْنَ جُرَيْجٍ، وَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ فَقَالَ لِي رَجُلٌ: ضَيَعْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَا، أَمَا جَابِرٌ، فَكَانَ يُؤْمِنُ بِالرُّجْعَةِ، وَأَمَا ابْنُ أَبِي نُجَيْجٍ، فَكَانَ يَرَى القَدْرَ، وَأَمَا ابْنُ جُرَيْجٍ، فَإِنَّهُ أَوْصَى بِنِيهِ بِسِتْنِ امْرَأَةٍ، وَقَالَ: لَا تَزُوجُوا بِهِنَّ، فَإِنَّهُنَّ أُمَهَاتِكُمْ - كَانِ يَرَى المُنْعَةَ. قُلْتُ: أَمَا امْتَنَاعُهُ مِنَ الجُعْفِيِّ، فَمَعْدُونٌ، لِأَنَّهُ كَانَ مُبْتَدِعًا، وَلَمْ يَكُنْ بِالثَّقَةِ. وَأَمَا الآخِرَانِ ففَرَطُ فِيهِمَا، وَهُمَا مِنْ أُمَّةِ العِلْمِ، وَإِنْ غَلَطَا فِي اجْتِهَادِهِمَا.

[١٨] وقال إبراهيم بن هاشم: مدقال لنا جرير قط بيغداد: حدثنا، ولا في كلمة واحدة، فقلت: تراه لا يغلط مؤق، فكانان رؤما نغس، فنلم، ثم يتب فيقرأ من الموضع الذي انتهى إليه.

[١٩] يعقوب السدوسي: سمعت علي بن المديني يقول: كان جرير بن عبد الحميد صلح بليلى، وكان له رمنون، يقولون: إذا أعنى، تعلق به - يُريد أنه كان يُصلي. وقلنا أبو القاسم اللالكثي: مُجْعَعٌ عَلَى ثِقَتِهِ. مَاتَ جَرِيرٌ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَبِئْسَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لِيَسْعَ وَالسَّبْعِينَ.

الطبقة التاسعة

٤٠٠ - عبدالله بن إدريس (ع)^(١)

[١] ابن يزيد، الإمام الحافظ المقرئ القُدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد الأودي الكوفي. وُلد سنة عشرين ومئة، وكان من أئمة الدين. وقد أقدمه الرشيدُ ببغداد ليؤديه قضاء الكوفة، فامتنع.

[٢] قال بشر بن الحارث: ما شرب أحد ماء الفرات فسلم إلا عبدالله بن إدريس.
قال أبو حاتم: هو حجة إمام من أئمة المسلمين.

[٣] وعن حسين العنقري قال: لما نزل بابن إدريس الموت، بكث بنته، فقال: لا تبكي يا بُنتي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

[٤] الحسن بن الربيع، قال: قرئ كتاب الخليفة إلى ابن إدريس، وأنا حاضر: من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى عبدالله بن إدريس، قال: فشهِق ابن إدريس شهقةً، وسقط بعد الظهر، فقمنا إلى العَصْر، وهو على حاله، وانتبه قبيل المغرب، وقد صببنا عليه الماء فلا شيء قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، صار يعرفني حتى يكتب إلي! أي ذنب بلغ بي هذا؟.

ملت بالكوفة سنة اثنين وتسعين ومئة.

[٥] قال يعقوب بن شيبه: سمعت علي بن المديني، وجعل يذم قراءة حمزة، وقال: إنما نزل القرآن بِلُغَةِ قُرَيْشٍ وهي التَّفْحِيم، فقال له بشر بن موسى: حدثنا نَوفَل، فقال ابن المديني: نَوفَل ثقة، قال: سمعت عبد الله بن إدريس يقول لحمزة: اتق الله، فإنك رجل تتأله، وهذه القراءة ليست قراءة عبد الله، ولا قراءة غيره، فقال

(١) انظر السير: ١٢/٩-٤٨.

حمزة: أما إني أتحرج أن أقرأ بها في المحراب. قلت: لِمَ؟ قال: لأنها لم تكن قراءة القوم. قلت: فما تصنع بها إذا؟ قال: إن رجعت من سفري لأتركها. ثم قال ابن إدريس: ما أستجيز أن أقول لمن يقرأ لحمزة: إنه صاحب سنة. قلت: اشتهر تحذير ابن إدريس من ذلك. والله يغفر له، وقد تلقى المسلمون حروفه بالقبول، وأجمعوا اليوم عليها.

٤٠١ - البرمكي^(١)

[١] الوزير الملك أبو الفضل جعفر، ابن الوزير الكبير أبي علي يحيى، ابن الوزير خالد بن برمك الفارسي:

[٢] كان خالد من رجال العلم، توصل إلى أعلى المراتب في دولة أبي جعفر، ثم كان ابنه يحيى كامل الشؤدد، جليل المقدار، بحيث إن المهدي ضم إليه ولده الرشيد، فأحسن تربيته وأدبه، فلما أفضت الخلافة إلى الرشيد، رد إلى يحيى مقاليد الأمور، ورفع محله، وكان يخاطبه يا أبي، فكان من أعظم الوزراء، ونشأ له أولاد صاروا ملوكاً، ولا سيما جعفر، وما أدراك ما جعفر؟ له تبا عجيب، وشأن غريب، بقي في الارتقاء في رتبة، شرك الخليفة في أمواله ولذاته وتصرفه في الممالك، ثم انقلب الدست في يوم. فقُتِل، وسُجِن أبوه وإخوته إلى الممات، فما أجهل من يغتر بالدنيا!

[٣] وقال الأصبغي: سمعت يحيى بن خالد يقول: الدنيا دُول، والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا عبرة.

[٤] قيل: إن ولدًا ليحيى قال له وهم في القيود: يا أبة بعد الأمر والنهي والاموال صرنا إلى هذا؟ قال: يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يفعل الله عنها.

(١) انظر السير: ٧١-٥٩/٩.

مات يحيى مسجوناً بالرقة سنة تسعين ومئة عن سبعين سنة .

[١٦] فأما جعفر، فكان من ملاح زمانه، كان وسيماً أبيضاً جميلاً فصيحاً مفوهاً، أديباً، عذب العبارة، حاتمى السخاء، وكان لعاباً غارقاً في لذات دنياه، ولي نيابة دمشق، فقدمها في سنة ثمانين ومئة، فكان يستخلف عليها، ويلازم هارون، وكان يقول: إذا أقلت الدنيا عليك، فأعط، فإنها لا تنفى، وإذا أدبرت، فأعط فإنها لا تنفى .

قد اختلف في سبب مصرع جعفر على أقوال .

[٢] وسئل سعيد بن سالم عن ذنب البرامكة، فقال: ما كان منهم بعض ما يوجب ما فعل الرشيد، لكن طالت أيامهم، وكل طويل يعمل .

[٣] وفي تاريخ ابن خلكان: أن الرشيد دعا ياسراً غلامه، فقال: قد انتخبك لأمر لم أره الأمين ولا المأمون، فحقق ظني . قال: لو أمرتني بقتل نفسي، لفعلت . قال: انتني برأس جعفر، فوجم لها، قال: ويلك مالك؟ قال: الأمر عظيم، ليسني مت قبل هذا .

قال: امض، ويلك، فمضى، فأتى جعفرأ، فقال: يا ياسر سررتني بإقبالك لكن سؤنتني بدخولك بلا إذن . قال: الأمر وراء ذلك يا جعفر، قد أمرت بكذا، قال المسكين - وأقبل يقبل قلمه، وقال: دعني أدخل وأوصي . قال: لا سبيل إلى ذلك، فالوص . فقال: لي عليك حق، فارجع إلى أمير المؤمنين . وقل: فقلته، فإن فليم، كانت حياتي على يدك . قال: لا أقبل، قال: فأتي معك إلى مخيمه، وأسمع كلامه، وقولك له . قال: أما هذا، فنعم . وذهب به، فلما دخل ياسراً، قال: ما وراءك؟ فذكر له قول جعفر، فشمته، وقال طين راجعتني، لأقدمك قبله . فخرج، وضرب عنقه، وأتاه برأسه، فقال: يا ياسر جيتني، بفلان وفلان، فلما أتاه بهما، قال: اضربا عنقه، فإني لا أقبل لوني قتل جعفر .

[١] وقال أبو الغتاهية :

قُولَا لِمَنْ يَرْتَجِي الْحَيَاةَ أَمَا فِي جَعْفَرٍ عِبْرَةٌ وَيَحْيَاةَ
كَانَا وَزَيْرِي خَلِيفَةَ اللَّهِ هَا رَوْنُ هُمَا مَا هُمَا وَزِيرَاهُ
فَذَالِكُمْ جَعْفَرٌ بِرُمْتِهِ فِي حَالِي رَأْسُهُ وَنُصْفَاهُ
وَالشَّيْخُ يَحْيَى الْوَزِيرُ أَصْبَحَ قَدْ نَحَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَأَقْصَاهُ
شُنَّتْ بَعْدَ الْجَمِيعِ شَمْلُهُمْ فَاصْبَحُوا فِي الْبِلَادِ قَدْ نَاهُوا
كَذَلِكَ مَنْ يُسْخِطِ الْإِلَهَ بِمَا يُرْضِي بِهِ الْعَبْدَ يَعْجِزُهُ اللَّهُ
سُبْحَانَ مَنْ دَانَتْ الْمُلُوكُ لَهُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
طُوبَى لِمَنْ تَابَ قَبْلَ عَشْرَةِ قَتَابَ قَبْلَ الْمَمَاتِ طُوبَاهُ
قُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةَ ، عَاشَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ
أَخُوهُ الْفَضْلُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِئَةَ .

٤٠٢ - أَبُو مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدُ^(١)

[٢] مِنْ كِبَارِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، صَحِبَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ، وَغَيْرَهُمَا ، وَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْأَبْدَالِ .

[٣] وَقِيلَ : إِنَّهُ ذَهَبَ بِبَصْرِهِ ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ التَّلَاوَةَ فِي الْمَصْحَفِ أَبْصَرَ بِإِذْنِ اللَّهِ .

[٤] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِيِّ : جَاءَ إِلَى أَبِي مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدِ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ قَالُوا : ادْعُ اللَّهَ لَنَا . فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِهِمْ ، وَلَا تَحْرِمْنِي بِهِمْ .

[٥] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَضِيلِ الْعَكِّيِّ : غَرَا أَبُو مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدِ ، فَحَضَرَ الْمُسْلِمُونَ حِصْنًا فِيهِ عَلَجٌ لَا يَرْمِي بِحَجَرٍ وَلَا نُشَابَ إِلَّا أَصَابَ ، فَشَكَّوْا إِلَى أَبِي مُعَاوِيَةَ ، فَقَرَأَ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال ١٧] . اسْتَرَوْنِي مِنْهُ ، فَلَمَّا وَقَفَ ، قَالَ :

٤٠٢ نظر السير : ٧٨/٩ - ٧٩ .

أين تريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير. فقال: أي رب. قد سمعت ما سألتوني، فأعطني ذلك: بسم الله، ثم رمى المذاكير، فوقع.

[١] ومن كلامه: من كانت الدنيا همها، طال غداً غمها، ومن خاف ما بين يديه، ضاق به ذرعها، وله مواعظ وحكم.

٤٠٣ - المَعافَى (خ، د، س) (١)

[٢] المَعافَى بن عِمْران، بن نَقِيل، الإمام، شيخ الإسلام، يَأْتُوته العلماء، أبو مسعود الأزدِي المَوْصِلِي الحافظ، وُلِدَ سنة تَبَعِ وعشرين ومئة. وكان من أئمة العلم والعمل، قُلَّ أن ترى المَيُوءَ مثله.

[٣] وقال بشر بن الحارث: إني لأذكر المَعافَى اليوم، فأنْتَفِعُ بذكْرِهِ، وأذكر رؤيته فأنْتَفِعُ.

[٤] بِشْرُ بن الحارث: سمعتُ المَعافَى يقول: سمعتُ الثَّورِي يقول: إذا لم يكن لله في العبد حاجة، نبذهُ إلى السُّلطان.

[٥] قال بشر الحافي: كان المَعافَى صاحبَ دُنْيَا واسعةٍ وضياع كثيرة.

[٦] قال مرّة رجل: ما أشدَّ البردَ اليوم، فالتفتَ إليه المَعافَى، وقال: استدفأتَ الآن، لو سكتُ، لكان خيراً لك.

[٧] قلتُ: قولٌ مثلُ هذا جائزٌ، لكنهم كانوا يكرهون فُضُولَ الكلام، واختلف العلماءُ في الكلام المباح، هل يكتبه المَلِكُ، أم لا يكتبان إلا المَسْتَحَبَّ الذي فيه أجرٌ، والمذمومُ الذي فيه تَبِعَةٌ؟ والصحيحُ كتابةُ الجميعِ لعمومِ النَّصْرِ في قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق ١٨]، ثم ليس إلى الملكين اطلاعٌ على النِّيَّاتِ والإخلاصِ، بل يكتبانِ النَّطْقَ، وأما السُّرَائِرُ الباعثةُ للنُّطْقِ، فإلله يتولأها.

(١) انظر السير: ٨٠/٩، ٨٦.

وقد أوصى المُعافى - رحمه الله - أولاده بِوَصِيَّةٍ نَافِعَةٍ تَكُونُ نَحْوًا مِنْ كُرَاسٍ .
 [١] ومما رواه المُعافى بنُ عِمْرانَ : عن سُفيانَ ، عن خُجَّاجِ بْنِ فَرَاغَةَ عن بُدَيْلِ ،
 قال : مَنْ عَرَفَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، أَحَبَّهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ الدُّنْيَا زَهْدًا فِيهَا ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَلْهَوُ
 حَتَّى يَغْفُلَ ، فَإِذَا تَذَكَّرَ حَزِنَ .

٤٠٤ - مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ (١)

[٢] ابن كثير الواعظ، البلخ الصالح، الرباني أبو السري السلمي الخراساني،
 وقيل: البصري، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير.
 [٣] وعظ بالعراق والشام ومصر، وبعد صيته، وتزاحم عليه الخلق، وكان ينطوي
 على زهد وتأله وخشية، ولوعظه وقع في النفوس.
 [٤] وقال أحمد بن أبي الخواريزي: سمعتُ عبد الرحمن بن مُطَرِّفٍ يَقُولُ: رُؤْيُ
 مَنْصُورٍ بِنِ عَمَّارٍ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقِيلَ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: عَفَّرَ لِي، وَقَالَ لِي: يَا
 مَنْصُورُ، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى تَخْلِيطِ فَيْكِ كَثِيرًا، إِلَّا أَنَّكَ كُنْتَ تَحُوشُ (٢) النَّاسَ إِلَى
 ذِكْرِي .

[٥] قال العباس السراج: حدثنا أحمد بن موسى الأنصاري قال: قال منصور بن
 عمار: حَجَجْتُ، فَبِتُّ بِالْكُوفَةِ، فَخَرَجْتُ فِي الظُّلْمَاءِ، فَإِذَا بِصَارِخٍ يَقُولُ: إِنِّهِي
 وَعَزَّتْكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مَخَالَفَتَكَ، وَعَصَيْتُ وَمَا أَنَا بِتَكَالِكِ جَاهِلٌ، وَلَكِنْ خَطِيئَةٌ
 أَعَانَنِي عَلَيْهَا شَقَائِي، وَغَرَّبَنِي سِتْرُكَ، فَالآنَ مِنْ يُنْقِذَنِي، فَتَلَوْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦] قَالَ: فَسَمِعْتُ ذَكَدَكَ، فَلَمَّا
 كَانَ مِنَ العَدَا، مَرَرْتُ هُنَاكَ، فَإِذَا بِجَنَازَةٍ، وَعَجُوزٌ تَقُولُ: مَرَّ البَارِحَةَ رَجُلٌ تَلَا آيَةَ
 فَتَفْطَرْتُ مَرَاتُهُ، فَوَقَعَ مَيْتًا .

لم أجد وفاة لمنصور، وكأنها في حدود المثبتين .

(٢) أي تسوفهم وتجمعهم .

(١) انظر السير: ٩٨-٩٣/٩ .

٤٠٥ غَنْدَرٌ (٤٠)

[١٧] أحمد بن جعفر، الحافظ، المجرّد، الثبت، أبو عبد الله الهذلي، مولاهم البصري الكرايسي، أحد المتّين.

وُلد سنة بضع عشرة ومئة.

[١٧] قال أحمد بن حنبل: قال غندر: لَزِمْتُ شُعْبَةَ عَشْرِينَ سَنَةً.

[١٨] قلت: ما أظنه رحل في الحديث من البصرة. وابن جريج هو الذي سمّاه غندراً، وذلك لأنه تعنت ابن جريج في الأخذ، وشحّب عليه أهل الحجاز، فقال: ما أتت إلا غندر.

[١٩] قال يحيى بن معين: أخرج غندر إلينا قاتله يوم جراباً فيه كتب، فقال: اجهدوا أن تخرجوا فيها خطأ، قال: فما وجدنا فيه شيئاً، وكان يصوم يوماً، ويقطر يوماً منذ خمسين سنة.

[٢٠] قال أبو حاتم الرازي: كان غندر صدوقاً مؤدباً، وفي حديث شعبة ثقة وأما في غير شعبة، فيكتب حديثه، ولا يصحّ به.

[٢١] عن يحيى بن معين قال: كان غندر يجلس على رأس المنارة يفرّق زكاته، فقيل له: لم تفعل هذا؟ قال: أرغب الناس في إخراج الزكاة.

[٢٢] اشتري سمكاً، وقال لأهله: اصلحوه، ويلم، فأكل عيالهم السمك، ولطخوا يده. فلما انتبه قال: هاتوا السمك. فقلوا: قد أكلت، فقال: لا. قلوا: فشم يدك. ففعل. ثم قال: صدقتم ولكن ما شيعت.

[٢٣] ينقل ابن مروان في المجالسة قال: حدثنا جعفر بن أبي عثمان، سمعت يحيى بن معين يقول: دخلنا على غندري، فقال: لا أحنسكم بشيء حتى نجيشوا معي إلى السوق وتمشوا، فبواكم الناس، فيكرموني. قلنا: فضيلاً خلفه إلى السوق.

فجعل الناس يقولون له: من هؤلاء يا أبا عبد الله؟ فيقول: هؤلاء أصحاب الحديث، جاؤوني من بغداد يكتبون عني.

قلت: انتفى أرباب الصحاح على الاحتجاج بغيره.

وكانت وفاته في سنة ثلاث وتسعين ومئة، وهو في عشر الثمانين رحمه الله.

٤٠٦ - ابن عُلَيْبَةَ (ع)

[١] إسماعيل بن إبراهيم بن يقطين، الإمام، العلامة، الحافظ الثبت، أبو بشر الأندلسي، مولاهم البصري الكوفي الأصل، المشهور بابن عُلَيْبَةَ، وهي أمه.

وُلد سنة مات الحسن البصري سنة عشر ومئة.

[٢] وكان فقيهاً، إماماً، مُفتياً، من أئمة الحديث، وكان يقول: من قال: ابن عُلَيْبَةَ، فقد اغتابني.

[٣] قلت: هذا سوء خلقٍ رحمه الله، شيء قد غلب عليه، فما الحيلة؟ فقد دعا النبي ﷺ غير واحد من الصحابة بأسمائهم مضافاً إلى الأُمِّ، الزبير ابن صَفِيَّة، وعمار ابن سُمَيْيَةَ.

[٤] ويقال عمرو بن زرارَةَ النيسابوري: صحبت ابن عُلَيْبَةَ أربع عشرة سنة، فما رأيتُه تبتسم فيها.

[٥] قلت: ما في هذا مدح، ولكنه مؤذن بخشية وحزن.

[٦] قال حماد بن مسلمة: ما كنا نُشَبِّهه شمالق إسماعيل بن عُلَيْبَةَ إلا بشمالق بيض حتى دخل فيما دخل فيه.

[٧] قلت: يريد ولاية الصلقة، وكان موصوفاً بالثمين والورع والتأله، منظوراً إليه في الفضل والعلم، وبذلت منه هفوات خفيفة، لم تُغَيِّر رُبَّتَهُ إن شاء الله.

(١) انظر السير: ١٠٧/٩ - ١٢٠.

[١] دخل على الأمين محمد بن هارون، فشمته محمد، فقال: أخطأت، وكان حدث بهذا الحديث: «تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان تحاججان عن صاحبهما» فقيل لابن عُلَيَّة: ألهما لسان؟ قال: نعم: فقالوا: إنه يقول: القرآن مخلوق، وإنما غلط.

[٢] قال الإمام أحمد: بلغني أنه أدخل على الأمين، فلما رآه، زحف وجعل يقول: يا ابن الفاعلة تتكلم في القرآن؟ وجعل إسماعيل يقول: جعلني الله فداك، زلة من عالم، ثم قال أحمد: إن يَغْفِرَ اللهُ له - يعني الأمين - فيها. ثم قال أحمد: وإسماعيل ثبت.

[٣] قال الفضل بن زياد: قلت: يا أبا عبد الله، إن عبد الوهَّاب قال: لا يحب قلبي إسماعيل أبداً، لقد رأيتُه في المنام كأن وجهه أسود. فقال أحمد: عافى الله عبد الوهَّاب، ثم قال: لزمت إسماعيل عشر سنين إلى أن أعيب، ثم جعل يُحرِّك رأسه كأنه يتلهف. ثم قال: وكان لا يُنصَفُ في التَّحَدُّثِ (١).

قلت: توفي إسماعيل سنة ثلاث وتسعين ومئة، عن ثلاث وثمانين سنة. عن شعبة قال: ابن عُلَيَّة رِيحَانَةُ الْفُقَهَاءِ.

[٤] قال سهل بن شاذويه، سمعتُ عليَّ بن خنْشَرَم يَقُولُ: قلتُ لوكيع: رأيتُ إسماعيل ابنَ عُلَيَّة يَشْرَبُ النَّبِيذَ حَتَّى يُحْمَلَ عَلَى الْحِمَارِ، يَحْتَاجُ مَنْ يَرُدُّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالَ وَكَيْعُ: إِذَا رَأَيْتَ الْبَصْرِيَّ يَشْرَبُ، فَاتِّهِمَهُ.

قلتُ: وكيف؟ قال: إن الكوفي يَشْرَبُهُ تَدْبِيئًا، والبصري يتركه تَدْبِيئًا.

[٥] وهذه حكاية غريبة، ما علمنا أحداً غَمَزَ إسماعيل بِشْرَبِ الْمُسْكِرِ قَطْ، وقد انحرف بعض الحُفَظَاءِ عَنْهُ بِلَا حُجَّةٍ، حتى إن منصور بن سَلَمَةَ الْخَزَاعِي تَحَدَّثَ

(١) ذكره المؤلف في «الميزان» وتعبه بقوله: إمامة إسماعيل وثيقة لا نزاع فيها، وقد بدت منه حقوة وتاب، فكان ماذا؟ إن أخطأ الله لا يكون ذكراً له من الغيبة، وأما القرآن، فقد قال عبد الصمد بن يزيد مردويه: سمعت ابن عُلَيَّة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

مرّة، فسبّقه لسانه، فقال: حدّثنا إسماعيل بن عُلَيْبَةَ، ثم قال: لا، ولا كرامة، بل أردتُ زُهيراً. وقال: ليس من قارف الذنوب كمن لم يُقارِفْه، أنا والله استنبتُهُ.

[١] قلتُ: يُشير إلى تلك الهفوة الصغيرة، وهذا من الجرح المردود، وقد اتفق علماء الأُمَّة على الاحتجاج بإسماعيل بن إبراهيم العَدْلِي المأمون، وقد قال عبد الصّمد ابن يزيد مرَدُونَهُ: سمعتُ إسماعيل بن عُلَيْبَةَ يقول: القرآن كلامُ الله غير مخلوق.

٤٠٧ - عبد الرحمن بن القاسم (خ، س) (١)

[٢] عالم الدِّيَارِ المصرية ومُفتيها، أبو عبدالله العُنَيْبِي، مولاهم المصري صاحب مالك الإمام.

[٣] وكان ذا مالٍ ودُنْيَا، فأنفقها في العلم، وقيل: كان يمتنع من جوائز السُّلطان، وله قَدَمٌ في الورع والتَّأَلُّهِ.

[٤] وعن مالك: أنه ذُكِرَ عنده ابنُ القاسم، فقال: عافاه الله، مثله كمثل جِرَابٍ مملوءٍ مِسْكَاً.

[٥] وعن ابن القاسم قال: ليس في قرب الولاية ولا في الدُّنُو منهم خير.

[٦] أحمد بن أخي ابن وهب: حدّثنا عمي قال: خرجتُ أنا وابنُ القاسم بضع عشرة سنة إلى مالك. فسنة أسألُ أنا مالكا، وسنة يسأله ابنُ القاسم.

[٧] عن علي بن مَعْبُدٍ، قال: رأيتُ ابنَ القاسم في النوم، فقلت: كيف وجدتَ المسائل؟ فقال: أف، أف. قلتُ: فما أحسنُ ما وجدت؟ قال: الرِّبَاطُ بالثُّغْرِ. قال: ورأيتُ ابنَ وهبٍ أحسنَ حالاً منه.

[٨] قال سعيد بنُ الحدّاد: سمعتُ سُحُنُونَ يقولون: كنتُ إذا سألتُ ابنَ القاسم عن المسائل، يقولُ لي: يا سُحُنُونَ، أنتَ فارغٌ، إني لأحسُّ في رأسي دَوِيّاً كدويِّ الرُّحَا

(١) انظر السير: ١٢٠/٩ - ١٢٥.

- يعني من قيام الليل - قال : وكانَ قَلْماً يَغْرِضُ لَنَا إِلاَّ وَهُوَ يَقُولُ : اُنْقُوا اللَّهَ ، فَإِنَّ قَلِيلَ
هَذَا الْأَمْرِ مَعَ تَقْوَى اللَّهِ كَثِيرٌ ، وَكَثِيرُهُ مَعَ غَيْرِ تَقْوَى اللَّهِ قَلِيلٌ .

[١] وَعَنْ سُحُنُونَ قَالَ : لَمَّا حَجَجْنَا كُنْتُ أَزَامِلَ ابْنَ وَهَبٍ ، وَكَانَ أَشْهَبَ يَزَامِلَهُ
يَتِيمُهُ ، وَكَانَ ابْنُ الْقَاسِمِ يُزَامِلُهُ ابْنَهُ مُوسَى ، وَنَزَلْنَا بِمَسْجِدٍ بِيَعُضِ مَدَائِنِ الْحِجَازِ ،
فَنَمْنَا ، فَانْتَبَهَ ابْنُ الْقَاسِمِ مَذْعُوراً ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، رَأَيْتُ السَّاعَةَ كَانَتْ رَجُلًا
دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ طَبَقٌ مَغْطَى وَفِيهِ رَأْسُ خَنْزِيرٍ . أَسْأَلُ اللَّهَ
خَيْرَهَا . فَمَا لَبِثْنَا حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مَعَهُ طَبَقٌ مَغْطَى بِمَنْدِيلٍ ، وَفِيهِ رُطْبٌ مِنْ تَمْرٍ تِلْكَ
الْقَرْيَةُ ، فَجَعَلَهُ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ الْقَاسِمِ ، وَقَالَ : كُلْ ، قَالَ : مَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ . قَالَ :
فَاعْطَهُ أَصْحَابُكَ ، قَالَ : أَنَا لَا أَكُلُهُ ، أُعْطِيهِ غَيْرِي ! فَانصَرَفَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لِي ابْنُ
الْقَاسِمِ : هَذَا تَأْوِيلُ الرَّوْيَا . وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ تِلْكَ الْقَرْيَةَ أَكْثَرُهَا وَقْفٌ غُصِبَتْ .

قال الحارث بن مسكين : كان ابن القاسم في الورد والزهد شيئاً عجيباً .
وُلِدَ ابْنُ الْقَاسِمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةَ ، وَتُوفِيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَمِئَةَ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَاشَ تِسْعاً وَخَمْسِينَ سَنَةً .

٤٠٨ - الكسائي^(١)

[٢] الإمام، شيخ القراءة، والمربية، أبو الحسن علي بن خزيمة بن عبدالله بن
يهمن بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، الملقب بالكسائي لكسائه أحرم فيه .
[٣] اختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى الشيع .

قال الشافعي : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَ فِي النُّحُو، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى الْكَسَائِي .
قال ابن الأنباري : اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدتهم في
الغريب، وأوحد في علم القرآن، كانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان

(١) انظر السيرة: ١٣١/٩ - ١٣٤ .

يَجْمَعُهُمْ، وَيَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَيَتْلُو وَهُمْ يَضْبُطُونَ عَنْهُ حَتَّى الْوَقُوفِ.

[١] قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: سَمِعْتُ الْكِسَائِيَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّاسِ مَرَّتَيْنِ.

[٢] وَعَنْ خَلْفٍ، قَالَ: كُنْتُ أَحْضُرُ بَيْنَ يَدَيِ الْكِسَائِيَّ وَهُوَ يَتْلُو، وَتُنْقَطُونَ عَلَى قِرَاءَتِهِ مَصَاحِفَهُمْ.

[٣] عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: صَلَّيْتُ بِالرُّشَيْدِ، فَأَخْطَأْتُ فِي آيَةٍ مَا أَخْطَأَ فِيهَا صَبِيٌّ، قُلْتُ: «وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعِينَ»، فَوَاللَّهِ مَا اجْتَرَأَ الرَّشِيدُ أَنْ يَقُولَ: أَخْطَأْتُ. لَكِنْ

قَالَ: أَيُّ لُغَةٍ هَذِهِ؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ يَعْتَرُ الْجَوَادُ. قَالَ: أَمَا هَذَا، فَتَنَم.

[٤] وَعَنْ خَلْفِ بْنِ هِشَامٍ: أَنَّ الْكِسَائِيَّ قَرَأَ عَلَى الْمَنْبِرِ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ بِالنَّصْبِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الْعِلَّةِ، فَتَرَّتْ فِي وَجُوهِهِمْ، فَمَحَّوْهُ، فَقَالَ لِي: يَا خَلْفُ، مَنْ

يَسْلَمُ مِنَ اللَّحْنِ؟

[٥] وَعَنْ الْقِرَاءِ قَالَ: إِنَّمَا تَعْلَمُ الْكِسَائِيَّ النَّحْوَ عَلَى كِبَرٍ (١).

قُلْتُ: كَانَ الْكِسَائِيُّ ذَا مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ الرَّشِيدِ، وَأَدَبٌ وَلَدَهُ الْأَمِينُ، وَنَالَ جَاهًا وَأَمْوَالًا، وَقَدْ تَرَجَمَتْهُ فِي أَمَاكِنَ.

سَارَ مَعَ الرَّشِيدِ، فَمَاتَ بِالرُّيِّ بِقَرْيَةِ أَرْبُوبِيَّةٍ سَنَةَ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَمِئَةَ عَشْرٍ عَنْ سَبْعِينَ

سَنَةً.

٤٠٩ - مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ (٢)

[٦] ابْنُ فَرْقَدٍ، الْعَلَّامَةُ، فَتْيَةُ الْعِرَاقِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيُّ، الْكُوفِيُّ، صَاحِبُ أَبِي حَنِيْفَةَ.

(١) وَكَانَ سَبَبُ تَعَلُّمِهِ أَنَّهُ جَاءَ يَوْمًا وَقَدْ مَشَى حَتَّى أَعْيَى، فَجَلَسَ إِلَى قَوْمٍ فَهَمَّ فَضِلَّ، وَكَانَ يُجَالِسُهُمْ كَثِيرًا، فَقَالَ: تَدْعَيْتُمْ، فَقَالُوا لَهُ تَجَالِسْنَا وَأَنْتَ تَلْحَنُ، فَقَالَ: كَيْفَ لِحْنْتُمْ؟ فَقَالُوا: إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ النَّعْبِ فَقُلْ: «أَعْيَيْتُمْ» وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ انْقِطَاعِ الْحِيلَةِ وَالتَّحْيِيرِ فِي الْأَمْرِ، فَقُلْ: «عَيْتُمْ» مَخْفَقَةً، فَأَنْفَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَقَامَ مِنْ قُورِهِ، فَسَأَلَ عَمَّنْ يَعْلَمُ النَّحْوَ، فَأَرَشَدُوهُ إِلَى مَعَاذِ الْهَرَاءِ، فَلَزِمَهُ حَتَّى أَتَقَدَّ مَا عِنْدَهُ.

(٢) انظر السير: ١٣٤/٩ - ١٣٦.

وُلد بواسط، ونشأ بالكوفة .

وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتَمَّ الفقه على القاضي أبي يوسف .

أخذ عنه : الشافعي فأكثر جداً، وآخرون .

قلت : ولي القضاء للرشيدي، بعد القاضي أبي يوسف، وكان مع تبحره في الفقه يُضربُ بذكائه المثل .

[١] كان الشافعي يقول : كتبت عنه وقرُّ بُختي^(١)، وما ناظرتُ سميئاً أذكى منه، ولو

أشاء أن أقول : نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن، لقلْتُ لفصاحته .

قال إبراهيم الحربي : قلت للإمام أحمد : من أين لك هذه المسائل الدقاق؟

قال : من كتِّب محمد بن الحسن .

[٢] قيل : إن محمداً لما احتضِرَ، قيل له : أتبكي مع العلم؟ قال : رأيت إن أوقفني

الله وقال : يا محمد، ما أقدمك الرِّي؟ الجهادُ في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا

أقول .

قلت : توفيَّ إلى رحمة الله سنة تسع وثمانين ومئة بالري .

٤١٠ - وكيع (ع)^(١)

[٣] ابن الجراح، بن مليح، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرُّاسي،

الكوفي، أحد الأعلام. وُلد سنة تسع وعشرين ومئة. وكان من يُحور العلم وأئمة الحفظ .

[٤] الفضل بن محمد الشعرائي : سمعتُ يحيى بن أكثم يقول : صحبتُ وكيعاً في

الحضِر والسفر، وكان يصومُ الدهر، ويختم القرآن كل ليلة .

قلت : هذه عبادةٌ يخضع لها . ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة .

(١) البختي : واحد البخت، وهي الإبل .

(٢) انظر السير : ١٤٠/٩ - ١٦٨ .

قد صحَّ نهيُه عليه السَّلام عن صومِ الدَّهر، وصحَّ أَنه نهى أن يُقرأ القرآنُ في أقلِّ من ثلاث، والسَّدين يُسرُّ، ومتابعةُ السنَّةِ أولى، فرضيَ اللهُ عن وكيع، وابنِ مثلٍ وكيع؟! ومع هذا فكان مُلازماً لشُربِ نبيذِ الكوفة الذي يُسكرُ الإكثارُ منه فكان مُتأولاً في شُربه، ولو تركه تورُّعاً، لكان أولى به، فإنَّ مَنْ توفَّى الشُّبهات، فقد استبرأ لدينه وعِرضه، وقد صحَّ النهيُّ والتَّحريمُ للنَّبيذِ المذكور. وليس هذا موضعُ هذه الأُمور، [١] وكلُّ أحدٍ يُؤخِّدُ من قوله ويتركُ، فلا قُدوةَ في خطأ العالم، نعم، ولا يُؤخِّجُ بما فعله باجتهاد، نسأل الله له المُسامحة.

قال يحيى بن معين: وكيعٌ في زمانه كالأوزاعيِّ في زمانه.

قلت: كان أحمدُ يُعظِّمُ وكيعاً ويُفخِّمُه.

[٢] قال محمدُ بنُ عامرِ المِصْبِيعي: سألتُ أحمدَ: وكيعٌ أحبُّ إليك أو يحيى بنُ سعيدٍ؟ فقال: وكيع. قلت: كيف فضَّلته على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم، والحفظِ والإتقانِ ما قد علمت؟ قال: وكيعٌ كان صديقاً لحفص بنِ غِيَاث، فلما وليَ القضاء، هَجَرَهُ، وإنَّ يحيى كان صديقاً لمعاذ بنِ مُعاذ، فلما وليَ القضاء، لم يَهْجُرْهُ يحيى.

وقال محمدُ بنُ عليِّ الوُزَاق: عُرض القضاء على وكيع، فامتنع.

[٣] محمد بنُ سَلامِ البِيكَنْدي: سمعتُ وكيعاً يقولُ: مَنْ طلبَ الحديثَ كما جاء فهو صاحبُ سنَّة، ومن طلبه ليُقَوِّي به رأيه، فهو صاحبُ بدعة.

[٤] وقال بشرُ بنُ موسى: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ: ما رأيت قطُّ مثلَ وكيعٍ في العلم والحفظِ والإسنادِ والأبوابِ مع خشوعٍ وورعٍ.

قلت: يقولُ هذا أحمدُ مع تحريه وورعه. وقد شاهد الكبار مثل هُشيم، وابنِ عَيينة، ويحيى القُطَّان، وأبي يوسف القاضي وأمثالهم.

[٥] يحيى بنُ أيوب، حدَّثني بعضُ أصحابِ وكيع الذين كانوا يلزمونه. أنَّ وكيعاً كان

لا ينام حتى يقرأ جزءه من كُلِّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يَقُومُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، فَيَقْرَأُ الْمُفْضَلَ، ثُمَّ يَجْلِسُ، فَيَأْخُذُ فِي الْاسْتِغْفَارِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

[١] قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، مَا رَأَيْتُ بِيَدِ وَكَيْعٍ كِتَابًا قَطُّ، إِنَّمَا هُوَ حِفْظٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَدْوِيَةِ الْحِفْظِ: فَقَالَ: إِنْ عَلِمْتَكَ الدَّوَاءَ اسْتَعْمَلْتَهُ؟ قُلْتُ: إِي وَآلِهِ. قَالَ: تَرَكْتُ الْمَعَاصِيَ مَا جَرَّبْتُ مِثْلَهُ لِلْحِفْظِ.

[٢] سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ: أَيُّمَا أَحْفَظُ وَكَيْعٌ أَوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ؟ قَالَ: وَكَيْعٌ أَحْفَظُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَتَقَنُّ، وَقَدْ اتَّقَى بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَتَوَافَقَا حَتَّى سَمِعَا أَذَانَ الصُّبْحِ.

[٣] قَالَ يَعْقُوبُ الْقَسَوِيُّ - وَبَلَّغَهُ قَوْلُ يَحْيَى: مَنْ فَضَّلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى وَكَيْعٍ فَعَلِيهِ اللَّعْنَةُ -: كَانَ غَيْرُهُ هَذَا أَشْبَهَ بِكَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، لَمْ يَقُلْ مِثْلَ هَذَا، وَكَيْعٌ خَيْرٌ فَاضِلٌ حَافِظٌ.

[٤] قَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَعِينٍ يَقُولُ: رَأَيْتُ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَوْحًا فِيهِ أَسْمَاءُ شَيْوخَ: فَلَانَ رَافِضِيٍّ، وَفُلَانَ كَذَا، وَوَكَيْعَ رَافِضِيٍّ، فَقُلْتُ لِمَرْوَانَ: وَكَيْعٌ خَيْرٌ مِنْكَ، قَالَ: مَنِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَسَكَتَ، وَلَوْ قَالَ لِي شَيْئًا، لَوَثِبَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ عَلَيْهِ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ وَكَيْعًا، فَقَالَ: يَحْيَى صَاحِبُنَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُ لِي، وَيُرْحَبُ.

[٥] وَالظَّاهِرُ أَنَّ وَكَيْعًا فِيهِ تَشْبِيحٌ بِسَيْرِ لَا يَضُرُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ كَوَفِيٍّ فِي الْجُمْلَةِ، وَقَدْ صَنَّفَ كِتَابَ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، سَمِعْنَاهُ قَدَّمَ فِيهِ بَابَ مَنَاقِبِ عَلِيِّ عَلَيْهِ مَنَاقِبُ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[٦] قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُفَيْرٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ قَالَ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مَهْدِيٍّ لَا يَتَحَدَّثُ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ، وَلَا يُبْرِي فِيهِ قَلَمٌ، وَلَا يَيْتَسِمُ أَحَدٌ، وَكَانَ وَكَيْعٌ يَكُونُونَ فِي مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُمْ فِي صَلَاةٍ فَإِنْ أَنْكَرَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْئًا انْتَعَلَ وَدَخَلَ، وَكَانَ ابْنُ نُمَيْرٍ يَغْضَبُ وَيَصِيحُ وَإِنْ رَأَى مِنْ يَبْرِي قَلَمًا، تَغْيِيرَ وَجْهِهِ غَضِبًا.

[١] وقال علي بن المديني: كان وكيع يَلْحَنُ، ولو حطت عنه بالفواظ، لكانت عجباً، كان يقول: حدثنا مسعر عن «عيشة».

وقال إبراهيم الحزبي: سمعت أحمد يقول: ما رأيت عيني مثل وكيع قط، يحفظ الحديث جيداً، ويُذَكِّرُ الفقه، فيُحَسِّنُ مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد.

[٢] قال سلم بن جنادة: جالست وكيعاً سبع سنين، فما رأيتُه بَرَقَ، ولا مسَّ حصاةً، ولا جلس مجلساً فتحرَّك، وما رأيتُه إلا مستقبلاً القبلة، وما رأيتُه يحلف بالله.

[٣] وروي عن وكيع أن رجلاً أغلظ له، فدخل بيتاً، فعفر وجهه ثم خرج إلى الرجل، فقال: زد وكيعاً بذنبي، فلواه ما سلطت عليه.

[٤] قال مروان بن محمد الطاطري: ما رأيت فيمن رأيت أخشع من وكيع، وما وُصِفَ لي أحد قط إلا رأيتُه دون الصفة إلا وكيعاً، رأيتُه فوق ما وُصِفَ لي.

[٥] قال سعيد بن منصور: قدِم وكيع مَكَّةَ سَمِيناً، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن، وأنت راهب العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

[٦] وقال إسحاق بن راهويه: حفظني وحفظ ابن المبارك تكلف، وحفظ وكيع أصلي، قام وكيع، فاستند، وحدث بسبع مئة حديث حفظاً.

[٧] أبو زرعة الرازي: سمعت أبا جعفر الجمال يقول: أتينا وكيعاً فخرج بعد ساعة، وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به، فرعنا من النور الذي رأيناه يتلأأ من وجهه،

فقال رجل بجني: أهذا ملك؟! فتعجبنا من ذلك النور.

[٨] وقال أحمد بن سنان: رأيت وكيعاً إذا قام في الصلاة، ليس يتحرَّك منه شيء، لا يزول ولا يميل على رجلٍ دون الأخرى.

[٩] قال الفلاس: ما سمعت وكيعاً ذاكراً أحداً بسوء قط.

قلت: مع إمامته، كلامه نزر جداً في الرجال.

[١٠] قلت: أصح إسناد بالعراق وغيرها، أحمد بن حنبل، عن وكيع، عن سفيان،

عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، وفي «المُسند» بهذا السند عدة متون.

علي بن خشرم: سمعت وكيعاً يقول: لا يكمل الرجل حتى يكتب عمّن هو فوقه وعمّن هو مثله، وعمّن هو دونه.

[١] محنة وكيع - وهي غريبة - تورط فيها ولم يرد إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي ﷺ «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع، فليتنق عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه».

قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: (يا أي وأمي، ما أطيب حياتك وميتك)، ثم قال البهي: وكان ترك يوماً وليلة حتى رنا بطنه، وانثنت خنصرأه - قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت فريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله! هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف. قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أنني أردت تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع، بعدما أرادوا صلبه فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعاً احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر قالوا: لم يمت رسول الله. فأراد الله أن يرثهم آية الموت.

فهذه زلة عالم، فما لو كيع. ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الإسناد! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل ماجورون، فإنهم تحيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غصاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يؤهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس إن شاء الله بذلك، فإن الحي قد يربو جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الأمراض، وأشد الناس بلاء الأنبياء، وأنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى آدميين ورائحتهم، وأكل الأرض لأجسامهم،

والنبي ﷺ فمُفارق لسائر أُمته في ذلك، فلا يَلِينُ، ولا تَأْكُلُ الأَرْضُ جَسَدَهُ، ولا يتَغَيَّرُ رِيحُهُ، بل هو الآن، وما زال أَطْيَبَ رِيحاً من المِسْكِ، وهو حيٌّ في لَحْدِهِ حَيَاةً مِثْلِهِ فِي البَرزَخِ، التي هي أَكْمَلُ من حَيَاةِ سائر النَّبِيِّينَ، وحيَاتِهِمْ بِلا ريب أُنْتُمْ وَأَشْرَفُ من حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ هُمْ بِنَصِ الكِتَابِ ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وهؤلاء حَيَاتِهِمْ الآن التي فِي عَالَمِ البَرزَخِ حَقٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ حَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَا حَيَاةِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَهُمْ شِبْهُ بِحَيَاةِ أَهْلِ الكَهْفِ، وَمِنْ ذَلِكَ: اجْتِمَاعُ آدَمَ وَمُوسَى، لَمَّا احْتَجَّ عَلَيْهِ مُوسَى، وَحَجَّه آدَمُ بِالْعِلْمِ السَّابِقِ كَانَ اجْتِمَاعَهُمَا حَقًّا، وَهَمَا فِي عَالَمِ البَرزَخِ، وَكَذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَطَالَتْ مَحَاوِرَاتُهُ مَعَ مُوسَى، هَذَا كُلُّهُ حَقٌّ. وَالَّذِي مِنْهُمْ لَمْ يَذُقِ المَوْتَ بَعْدَ هُوَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ تَبَرَّهَنْ لَكَ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ مَا زَالَ طَيِّبًا مُطَيِّبًا، وَأَنَّ الأَرْضَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهَا أَكْلُ أَجْسَادِ الأنبياءِ، وَهَذَا شَيْءٌ سَبِيلُهُ التَّوْقِيفُ، وَمَا عَنَّفَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لَمَّا قَالُوا لَهُ بِلا عِلْمٍ: وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أُرْمِتْ؟ - يَعْنِي يَلِيَتْ - فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأنبياءِ».

وهذا بَحْثٌ مُعْتَرِضٌ فِي الاعْتِذَارِ عَنِ إِمَامٍ مِنْ أئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَقَدْ قَامَ فِي الدَّفْعِ عَنْهُ مِثْلُ إِمَامِ الحِجَازِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَلَوْلَا أَنَّ هَذِهِ الوَاقِعَةَ فِي عِدَّةِ كُتُبٍ، وَفِي مِثْلِ «تَارِيخِ الحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرٍ» وَفِي «كَامِلِ الحَافِظِ ابْنِ عَدِيٍّ» لَأَعْرَضْتُ عَنْهَا جَمَلَةً، فَفِيهَا عِبْرَةٌ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَثْمَانَ: مَرَضَ وَكَيْعٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ سُفْيَانَ أَتَانِي، فَبَشَّرَنِي بِجَوَارِهِ، فَأَنَا مُبَادِرٌ إِلَيْهِ.

مَاتَ وَكَيْعٌ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةَ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ.
قُلْتُ: عَاشُ ثَمَانِيًا وَسِتِينَ سَنَةً سِوَى شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ.

٤١١ - يوسف بن أسباط^(١)

- [١] الزاهد، من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم.
- [٢] نزل الثغور مرابطاً.
- [٣] قال المسيب: سألته عن الزهد، فقال: أن تزهد في الحلال، فأما الحرام، فإن ارتكبتَه، عَذِبَكَ.
- [٤] وسئل يوسف: ما غاية التواضع؟ قال: أن لا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك.
- [٥] وعنه قال: للصادق ثلاث خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة.
- وعنه: خلقت القلوب مساكن للذكر، فصارت مساكن للشهوات. لا يتمحور الشهوات إلا بحرف مزعج، أو شوق مقلق، الزهد في الرئاسة أشد منه في الدنيا.
- [٦] قال ابن خبيق: قلت لابن أسباط: لِمَ لا تأذن لابن المبارك بسلام عليك؟ قال: خشيت أن لا أقوم بحقه، وأنا أجهه.
- [٧] وعن يوسف قال: يُجزىء قليل الورع والتواضع من كثير الاجتهاد في العمل. وثقه ابن معين.

٤١٢ - محمد بن فضيل (ع)^(٢)

- [٨] ابن غزوان، الإمام الصدوق الحافظ، أبو عبد الرحمن الضبي مولاهم الكوفي، مُصَنَّف كتاب «الدعاء» وكتاب «الزهد»، وكتاب «الصيام» وغير ذلك.
- [٩] حدث عنه عددٌ كبير، وجم غفير على تشيع كان فيه، إلا أنه كان من علماء الحديث، والكمال عزيز.
- وقال أحمد بن حنبل: هو حسن الحديث شيعي.

(١) انظر السير: ١٦٩/٩ - ١٧١.

(٢) انظر السير: ١٧٣/٩ - ١٧٥.

[١] وقال أبو داود السُّجِسْتَانِي : كَانَ شَيْعِيًّا مُتَحَرِّقًا .

قلتُ : تحرقه على من حارب أو نازع الأمرَ علياً رضي الله عنه ، وهو مُعْظَمُ
للشُّيخين رضي الله عنهما .

قلتُ : مات في سنة خمسٍ وتسعين ومئة .

٤١٣ - يحيى القَطَّان (ع)^(١)

[٢] يحيى بن سعيد بن فروخ ، الإمام الكبير ، أمير المؤمنين في الحديث ، أبو سعيد
التميمي مولا هم البصري ، الأحول ، القَطَّان ، الحافظ .
وُلِدَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ عَشْرِينَ وَمِئَةَ .

وعُني بهذا الشَّانِ أتمَّ عنايةً ، ورَحَّلَ فيه ، وسادَ الأقران ، وانتهى إليه الجِمْطُ ،
وتكلَّم في العِلَلِ والرُّجَالِ ، وتخرَّجَ به الحُفَّاطُ ، كَمُسَدِّدٍ ، وعليّ ، والفلاس ، وكان
في الفروع على مذهب أبي حنيفة - فيما بلغنا - إذا لم يجد النص .

وَبَيَّنَ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَالَ : مَا رَأَيْتُ بَعِينِي مِثْلَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقَطَّانِ .

[٣] قال ابنُ خزيمة : سمعتُ بُنْدَارًا يَقُولُ : اِخْتَلَفْتُ إِلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَكْثَرَ مِنْ
عَشْرِينَ سَنَةً ، مَا أَظُنُّهُ عَصَى اللَّهَ قَطُّ ، لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا فِي شَيْءٍ .

قال الحافظُ ابنُ عمَّارٍ : كُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى يَحْيَى الْقَطَّانِ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ
شَيْئًا ، بَرِيَّ الثُّجَارِ ، إِذَا تَكَلَّمَ أَنْصَتَ لَهُ الْفُقَهَاءُ .

[٤] وقال عليُّ بنُ المديني : كُنَّا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، فَقَرَأَ رَجُلٌ سُورَةَ الدُّخَانِ ،
فَصَعِقَ يَحْيَى ، وَعَشِيَّ عَلَيْهِ .

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ : لَوْ قَدَّرَ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ ، لَدَفَعَهُ يَحْيَى - يَعْنِي
الصَّعِقَ .

(١) انظر السير: ١٧٥/٩-١٨٨ .

[١] قال ابن معين: وكان يحيى يعجى معه بمسباح، فيُدخلُ يده في ثيابه، فيَسْبِجُ.
[٢] قال محمد بن يحيى بن سعيد: قال أبي: كنتُ أُخرجُ من البيتِ أطلبُ
الحديث، فلا أرجع إلا بعد العتمة.

[٣] قلت: كان يحيى بن سعيد مُتَعَتِّتاً في نقدِ الرجال، فإذا رأته قد وثق شيخاً،
فاعتمد عليه، أما إذا لئِنَ أحداً، فتأنَّ في أمره حتى ترى قولَ غيره فيه، فقد لئِنَ
مثل: إسرائيل، وهمام، وجماعة احتجَّ بهم الشيخان.

[٤] عن زهير الباهي، قال: رأيتُ يحيى القطان في النومِ عليه قميصٌ بين كتفيه
مكتوبٌ: بسم الله الرحمن الرحيم، كتابٌ من الله العزيز العليم براءةً ليحيى بن
سعيد القطان من النار.

[٥] قال محمد بن عمرو بن عبيدة العُصفري: سمعتُ عليَّ بنَ المدني قال: رأيتُ
خالد بنَ الحارث في النوم، فقلتُ: ما فعلَ الله بك؟ قال: غفَّر لي على أن الأمر
شديدٌ. قلتُ: فما فعلَ يحيى القطان؟ قال: نراه كما يرى الكوكب الدرِّيُّ في أفق
السَّماء.

توفي يحيى بن سعيد سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

٤١٤ - عبد الرحمن بن مهدي (ع) (١)

[٦] ابن حسان، أبو سعيد الإمام الناقدُ المجدود، سيدُ الحُفاظ، العُنبري، وقيل:
الأزدي، مولا هم البصري اللؤلؤي.

وُلد سنة خمسٍ وثلاثين ومئة.

وطلب هذا الشأن وهو ابن بضع عشرة سنة.

كان إماماً حُجَّةً قُدوةً في العلم والعمل.

(١) انظر السير: ١٩٢/٩ - ٢٠٩.

[١] ودوي عن ابن مهدي قال: لولا أنني أكثره أن يعصى الله، لتمنيت أن لا يبقى أحد في المضرب إلا اعتابني! أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها؟!!

[٢] وعنه قال: كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس، فرحت، وإذا قلوا، حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء، فلا تعد إليه، فما عدت إليه.

[٣] قال عبد الرحمن رسته: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن مهدي، أن أباه قام ليلة، وكان يحيى الليل كله، قال: فلما طلع الفجر رمى بنفسه على الفراش حتى طلعت الشمس، ولم يصل الصبح، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض شيئاً شهرين، فقرح فخذه جميعاً.

[٤] وقال رسته: سمعت ابن مهدي يقول لفتى من ولد الأمير جعفر بن سليمان: بلغني أنك تتكلم في الرب، وتصفه وتشبهه. قال: نعم، نظرنا، فلم نر من خلق الله شيئاً أحسن من الإنسان، فأخذ يتكلم في الصفة والقامة. فقال له: رؤيتك يا بني حتى نتكلم أول شيء في المخلوق، فإن عجزنا عنه، فنحن عن الخالق أعجز، أخبرني عما حدثني شعبة، عن الشيباني، عن سعيد بن جبيرة، عن عبد الله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] قال: رأى جبريل له ست مئة جناح، فبقي الغلام ينظر. فقال: أنا أهون عليك صف لي خلقاً له ثلاثة أجنحة، وركب الجناح الثالث منه موضعاً حتى أعلم. قال: يا أبا سعيد، عجزنا عن صفة المخلوق، فأشهدك أنني قد عجزت ورجعت.

[٥] قال نعيم بن حماد: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: كيف تعرف الكذاب؟ قال: كما يعرف الطبيب المجنون.

[٦] قال أحمد بن سنان القطان: سمعت مهدي بن حسان يقول: كان عبد الرحمن يكون عند سفيان عشرة أيام وخمسة عشر يوماً بالليل والنهار، فإذا جاءنا ساعة، جاء

رسولُ سفيان في أثره يطلبُهُ ، فيدَعُنَا ويذهبُ إليه .

[١] وقال رُسته : سمعتُ عبدَ الرحمن يقولُ : كان يُقالُ : إذا لقيَ الرجلُ الرجلَ فوقَه في العلمِ ، فهو يومُ غنيمتهِ . وإذا لقيَ مَنْ هو مثلهُ ، دارسُهُ ، وتعلَّم منه ، وإذا لقيَ مَنْ هو دونَه ، تواضَع له ، وعلمُه ، ولا يكونُ إماماً في العلمِ من حدِّث بكلِّ ما سمع ، ولا يكونُ إماماً من حدِّث عن كُلِّ أحد ، ولا من يُحدِّث بالشاذِّ ، والحِفْظُ للإتقان .

[٢] قال عبدُ الرحمن رُسته : سألتُ ابنَ مهديٍّ عن الرجلِ يبني بأهله ، أبتَرَكَ الجماعةَ أيّاماً؟ قال : لا ، ولا صلاةً واحدةً . وحضرتهُ صبيحةً بُنيَ على ابنته ، فخرج ، فأذن ، ثم مشى إلى بابهما ، فقال للجارية : قولي لهما : يخرجان إلى الصلاة ، فخرج النساءُ والجواري ، فقلن : سبحان الله ! أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال : لا أبرحُ حتى يخرجنا إلى الصلاة ، فخرجنا بعدما صلَّى ، فبعثَ بهما إلى مسجدٍ خارجٍ من الدَّرب . قلتُ : هكذا كان السُّلفُ في الحرصِ على الخيرِ .

قال بُنْدَار : سمعتُ عبدَ الرحمن يقولُ : ما نعرفُ كتاباً في الإسلامِ بعدَ كتابِ الله أصحَّ من «موطأ مالك» .

قلتُ : توفيَ ابنُ مهديٍّ بالبصرةِ سنةَ ثمانٍ وتسعينٍ ومئةً .

[٣] قال أبو عبيدٍ الأجرِيُّ : سمعتُ أبا داودَ يقولُ : قال أحمدُ بنُ سنانٍ : سمعتُ عبدَ الرحمن بنَ مهديٍّ يقولُ : لو كانَ لي عليه سلطانٌ - على من يقرأُ حمزةً - لأوجعتُ ظهره ويطنَّه .

قلتُ : جاء نحوُ هذا عن جماعةٍ (١) وإنما ذلك عائدٌ إلى ما فيها من قبيل الأداء ، والله أعلم ، وقد استقرَّ اليومُ الإجماعُ على تلقِّي قراءةِ حمزةً بالقبولِ .

(١) قال : ابن قدامة في «المغني» ٤٩٢/١ ولم يكره أحد قراءة أحد من العشر إلا قراءة حمزة والكسائي ، لما فيهما من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد ، وقال ابن الجزري في «غاية النهاية» ٢٦٣/١ : وأما ما ذكر عن عبده ابن إدريس وأحمد بن حنبلٍ من كراهة قراءة حمزة ، فإن ذلك محمول على قراءة من سمعنا منه ناقلاً عن حمزة ، وما آفة الأخبار إلا روايتها ، قال ابن مجاهد : قال محمد بن الهيثم : والسبب في ذلك أن رجلاً ممن قرأ على سُلَيْمٍ حضر مجلس ابن إدريس - فقرأ ، فسمع ابن إدريس الفاظاً فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف ، فكره ذلك =

[١] ابن مسلم، الإمامُ شيخُ الإسلام، أبو محمد الفهري، مولاهم المِصري الحافظ.

مولده: سنة خمسٍ وعشرين ومئة، أرخه ابنُ يونس، وقال: قيل ولأوه للأنصار. طلب العلم، وله سبع عشرة سنة.

[٢] وقال خالد بن خدّاش: قرئ على عبد الله بن وهبٍ كتابُ أهوالِ يومِ القيامة - تأليفه - فخرٌ مغشياً عليه. قال: فلم يتكلم بكلمةٍ حتى ماتَ بعدَ أيامٍ رحمه الله تعالى.

[٣] وعن سُحنون الفقيه قال: كان ابنُ وهبٍ قد قَسَمَ دهره أثلثاً ثلثاً في الرُّباط، وثلثاً يُعلمُ الناسَ بمصر، وثلثاً في الحجِّ، وذكر أنه حجَّ ستاً وثلاثين حجّةً.

[٤] قال أحمد بن سعيد الهَمْداني: دخل ابنُ وهبٍ الحمامَ، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ [المؤمن: ٤٧] فغشي عليه.

[٥] قال ابنُ أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا حرملة: سمعتُ ابنَ وهبٍ يقول: نذرتُ أني كُلّما اغتبتُ إنساناً أن أصوم يوماً، فأجهدني، فكنّتُ اغتابُ وأصوم، فتوبتُ أني كُلّما اغتبتُ إنساناً أن أتصدّق بدرهم، فمن حُبِّ الدرهم تركتُ الغيبة.

قلت: هكذا والله كان العلماءُ وهذا هو ثمرَةُ العلمِ النافع، وعبدُ الله حُجّةٌ مطلقاً، وحديثه كثيرٌ في الصُّحاح، وفي دواوين الإسلام، وحسبُك بالنَّسائي وتعبته في النقد حيث يقول: وابنُ وهبٍ ثقةٌ، ما أعلمُهُ روى عن الثقات حديثاً منكراً.

[٦] قلت: أكثرُ في تواليفه من المقاطيع والمعضلات، وأكثرُ عن ابنِ سمعان وبابته، وقد تَمَعَّقَ بعضُ الأئمةِ على ابنِ وهبٍ في أخذه للحديث، وأنه كان يترخّصُ في

= ابن إدريس، وطمن فيه. قال محمد بن الهيثم: وقد كان حمزة يكره هذا وينه عن، قلت: أما كراهته الإفراط من ذلك، فقد روي عنه من طرق = أنه كان يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز: لا تفعل! أما علمت أن ما كان فوق البيض، فهو برص، وما كان فوق الجعرة، فهو فطط، وما كان فوق الفراء، فليس بفراء.

(١) انظر السير: ٢٢٣/٩ - ٢٣٤.

الأخذ، وسواءً ترخص ورأى ذلك سائغاً، أو تشدّد، فمن يروي مئة ألف حديث،
وينذر المنكر في سعة ما روى فإنه المنتهى في الإلتقان.

قال أبو الطاهر بن عمرو: جاءنا نعي ابن وهب، ونحن في مجلس سفيان بن
عيينة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أصيب به المسلمون عامة، وأصبت به
خاصة.

قلت: قد كان ابن وهب له دنيا وثروة، فكان يصل سفيان، ويبرّه، فلهذا يقول:
أصبت به خاصة.

قال يونس بن عبد الأعلى: كانوا أرادوا ابن وهب على القضاء، فتغيّب. قال:
ومات سنة سبع وتسعين ومئة.

قلت: عاش اثنتين وسبعين سنة.

٤١٦ - الرشيد^(١)

[١] الخليفة، أبو جعفر هارون، بن المهدي محمد، بن المنصور أبي جعفر
عبدالله، بن محمد، بن علي، بن عبدالله بن عباس الهاشمي العبّاسي.

[٢] كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حجّ وجهاد، وغزو وشجاعة،
ورأي.

وأمه أم ولد، اسمها خيزران.

أغزاه أبوه بلاد الروم، وهو حدث في خلافته.

[٣] قيل: إنه كان يصلي في خلافته في كل يوم مئة ركعة إلى أن مات، ويتصدق
بألف، وكان يحب العلماء، ويعظم حرّمات الدين، ويغض الجدال والكلام،
ويكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وعظ، ووعظه الفضيل مرة حتى شهق
في بكائه.

(١) انظر السير: ٢٨٦/٩ - ٢٩٥.

[١] ولما بلغه موتُ ابنِ المبارك، حَزَنَ عليه، وجلسَ للعزاء، فعزَّاه الأكابر.
 [٢] وعن أبي مُعاوية الضُّرير قال: صبَّ عليَّ يديَّ بعدَ الأكلِ شخصٌ لا أعرفه،
 فقال الرشيدُ: تَدري مَنْ يصبُّ عليك؟ قلتُ: لا، قال: أنا، إجلالاً للعلم.
 [٣] وعن الأصمعي: قال لي الرشيدُ وأمر لي بخمسة آلاف دينار: وقُرنا في الملاء،
 وعلمنا في الخلا، سمعها أبو حاتمٍ من الأصمعي.

[٤] قال ابنُ حزم: أراه كان يشربُ النبيذَ المُختلفَ فيه، لا الخمرَ المتفقَ على
 حُرمتها.

[٥] قلتُ: حجٌّ غير مرة، وله فتوحاتٌ ومواقف مشهودة، ومنها فتحُ مدينةِ هِرَقلة^(١)،
 ومات غازياً بخراسان، وقبره بمدينة طوس، عاش خمساً وأربعين سنة، وصلَّى عليه
 ولده صالح، توفِّي في سنة ثلاثٍ وتسعين ومئة.

وَدَدَ له يحيى بنُ خالدٍ مدَّة، وأحسنَ إلى الغلوية، وحجَّ سنة (١٧٣)، وعزَّلَ عن
 خراسان جعفر بن أشعث بولده العباس بن جعفر، وحجَّ أيضاً في العام الآتي،
 وعقد بولاية العهد لولده الأمين صغيراً، فكان أقبحَ وهنٍ تمَّ في الإسلام، وأرضى
 الأمراءَ بأموالٍ عظيمة، وتحركَ عليه بأرض الدبلم يحيى بنُ عبد الله بن حسن
 الحسيني، وعظم أمره، وبادر إليه الرافضة، فتنكَّد عيشُ الرشيد وأغتم، وجَهَّز له
 الفضلُ ابن وزيره في خمسين ألفاً، فخارت قوى يحيى، وطلب الأمان، فأجابه
 ولاطفه، ثم ظفَّر به، وحَبَسَه، ثم نعلل ومات.

[٦] وفي سنة ١٧٩ اعتمر الرشيدُ في رمضان، واستمرَّ على إحرامه إلى أن حجَّ ماشياً
 من بطنِ مكة.

وتفاقم الأمرُ بين قيسٍ ويعين بالشام، وسالتِ الدماء.

(١) هي مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم، وكان الرشيد غزاهها بنفسه، ثم افتتحها عنوة بعد حصارٍ وحربٍ
 شديدٍ ودمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها

[١] وغزا الرشيدُ، ووَعَلَ في أرضِ الرومِ، فافتتَحَ الصَّفصافُ، وبلغ جيشُه أنقرةَ .
وفي سنة ١٨٥ ظهر بعبَّادان أحمدُ بن عيسى بن زيد بن علي العلوي، وبناحية
البصرة، وتُوع ثم عَجَز وهرب، وطال اختفاؤه أزيد من ستين عاماً.

[٢] وفي سنة سبعٍ قتل الرشيدُ جعفر بن يحيى البرمكي، وسجَّن أباه وأقاربه، بعد
أن كانوا قد بلغوا رتبةً لازميداً عليها، وفيها انتقض الصلحُ مع الرومِ، ومكروا عليهم
بنفُور، فيقال: إنه من ثرية جفنة الغساني، وبعث يتهدد الرشيدَ، فاستشاط غضباً،
وسار في جيوشه حتى نازله هرقله، وذلت الرومُ، وكانت غزوة مشهودة.

[٣] وفي سنة ثمانٍ كانت الملحمة العظيمة، وقُتل من الرومِ عددٌ كثير، وجرح
الثقور ثلاث جراحات، وتم الفداء حتى لم يبق في أيدي الروم أسير.

٤١٧ ورش^(١)

[٤] شيخ الإقراء بالديار المصرية، أبو سعيد، وأبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عبد
الله بن عمرو. القبطي الإفريقي، مولى آل الزبير.

قيل: وُلد سنة عشر ومئة.

جود ختماتٍ على نافع، ولقبه نافع بورشٍ لشدة بياضه، والورش لبِنُ يصنع،
وقيل: لقبه بطائر اسمه ورشان، ثم خُفف فكان لا يكرهه، ويقول: نافع أستاذي
سماني به.

وكان ماهراً بالعربية، انتهت إليه رئاسة الإقراء.

وكان ثقةً في الحروف حجةً، وأما الحديثُ فما رأينا له شيئاً وقد استوفيت ترجمته
في أخبار القراء.

(١) انظر السير: ٢٩٥/٩-٢٩٦.

[١] قال يونس: كان جيّد القراءة، حسن الصوت، إذا قرأ يهجر، ويمد، ويشدّد، ويبيّن الإعراب لا يملّه سامعه.

[٢] ويقال: إنّه تلا على نافع أربع ختمات في شهر واحد.

مات بمصر في سنة سبع وتسعين ومئة.

٤١٨ شقيق^(١)

[٣] الإمام الزاهد شيخ خراسان، أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البَلخي. صحب إبراهيم بن آدم.

[٤] وعن شقيق قال: كنت شاعراً، فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاث مئة ألف درهم، ولبست الصوف عشرين سنة، ولا أدري أني مرأى حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك، ولا تشرك به شيئاً، وأن ترضى عن الله، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس.

[٥] وعنه: لو أن رجلاً عاش مئتي سنة لا يعرف هذه الأربعة، لم ينج: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة أمر الله ونهيه، ومعرفة عدو الله وعدو النفس.

[٦] وقد جاء عن شقيق مع تألّهِه وزُهده أنه كان من رؤوس الغزاة.

[٧] عن شقيق قال: مثل المؤمن مثل من غرس نخلة يخاف أن تحمل شوكاً، ومثل المنافق مثل من زرع شوكاً يطمع أن يحمل تمراً، هيهات.

[٨] وعنه: ليس شيء أحب إليّ من الضيف لأن رزقه على الله، وأجره لي.

[٩] وعنه: علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار.

(١) انظر السير: ٣١٦-٣١٣/٩.

[١] وعنه: من شكى مُصيبةً إلى غير الله، لم يجد حلاوة الطاعة.

[٢] وقال الحاكم: قدِمَ شقيقُ نَيْسَابُورِ في ثلاثِ مئةٍ من الزُّهادِ، فطلب المأمونُ أن يجتمعَ به، فامتنع.

[٣] وقُتِلَ شقيقُ في غَزَاةِ كُولَانَ سنةَ أربعٍ وتسعينِ ومئةٍ.

٤١٩ الأَمِينُ (١)

١٤١ الخليفةُ، أبو عبدالله محمد بن الرشيد هارون، الهاشمي العباسي البغدادي. عَقَدَ له أبوه بالخلافة بعده، وكان مَلِيحاً، بديع الحُسن، أبيض وسيقاً طويلاً، ذا قُوَّةٍ وشجاعةٍ وأدبٍ وفصاحةٍ، ولكنه سيءُ التَّديبِ مُفْرِطُ التَّبذيرِ، أرعن لُعَاباً، مع صحبةٍ إسلامٍ ودينٍ.

قال المسعودي: ما وُلِّيَ الخلافةَ هاشميُّ ابنِ هاشميةِ سونيِ عليٍّ ومحمد الأَمِينِ.

[٥] وفي سنة ١٩٤ أمر الأَمِينُ بالدعاء لابنه موسى بولاية العهد بعد ولي العهد المأمون والقاسم، وأغرى الفضلُ بنُ الربيعِ الأَمِينِ بالمأمون وحثه على خلعه لعداوةٍ بينهما، وحسنَ له ذلك السُّنديُّ، وعليُّ بن عيسى بن ماهان، ثم بعثَ الأَمِينُ يطلبُ من المأمون تقديمَ موسى ولده على المأمون، ولقَّبه الناطقُ بالحق، فأبى ذلك المأمونُ.

وأما الأَمِينُ، فبلغه خلافُ المأمون، فأسقطه من الدُّعاء، وطلب ما كتبه الرشيدُ وعلَّقَهُ بالكعبة من العهد بين الأخوين، فمزَّقه، فلامَهُ الألباءُ فلم يَنْتَصح، حتى قال له خازم بن عَزِيمَةَ، لن يَنْصَحَكَ من كَذَبِكَ، ولن يَغْشَكَ من صَدَقَكَ، لا تُجسِرَ القواد على الخلع، فيخلعوك، ولا تحمِلْهم على التُّكْثِ، فالغادرُ مفلولٌ، والناكثُ مخذولٌ، فلم يلتفتْ، وباع لموسى بالعهد واستَوَزَّرَ له.

(١) انظر السير: ٣٣٤/٩ - ٣٣٩.

فلما عرف المأمون، خلع أخاه، وتسمى بأمر المؤمنين، وأما ابن ماهان، فجّهزه الأمين، وخصه بمئتي ألف دينار، وأعطاه قيداً من فضة ليقيده به. المأمون بزعمه، وعرض الأمين جيشه بالنهر وان، وأقبل طاهر في أربعة آلاف فالتقوا، فقتل ابن ماهان، وتمزق جيشه، هذا والأمين عاكف على اللهو واللعب، فبعث جيشاً آخر، وندم على خلع المأمون.

وأنفق الأمين بيوت الأموال على الجند ولا يتفعون، وجاءت أمداد المأمون مع هرثمة بن أعين والفضل بن سهل، وضعف أمر الأمين، وجين جنده من الخراسانيين، وأحاطت المأمونية ببغداد، يحاصرون الأمين واشتد البلاء، وعظم القتال، وقاتلت العائمة والرعاغ عن الأمين قتال الموت، واستمر الويل والحصار، وجرت أمور لا توصف، وتفاقم الأمر. ونفذت خزائن الأمين، حتى باع الامتعة، وأنفق في المقاتلة، وما زال أمره في سفال، ودثرت محاسن بغداد، ودام الحصار والويل خمسة عشر شهراً.

دخل طاهر بغداد عتوة، ونادى: من لزم بيته، فهو آمن، وحاصروا الأمين في قصوره أياماً، ثم رأى أن يخرج على حمية ليلاً، وفعل فظفروا به، وهو في خراقة^(١) فشد عليه أصحاب طاهر في الزواريق^(٢) وتعلقوا بخرافته، فنقيت، وغرقت، فرمى الأمين بنفسه في الماء، فظفر به رجل، وذهب به إلى طاهر، فقتله، وبعث برأسه إلى المأمون، فإنا لله، ولم يسر المأمون بمصرع أخيه.

وعاش الأمين سبعا وعشرين سنة، وقتل في المحرم سنة ثمان وتسعين ومئة، وخلافته دون الخمس سنين، سامحه الله وغفر له.

(١) ضرب من السفن بالبحيرة، فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر.

(٢) هي القوارب الصغار.

٤٢٠ معروف الكرخي (١)

[١] عَلِمَ الزُّهَادُ، بِرُكَّةِ الْعَصْرِ، أَبُو مَحْفُوظِ الْبَغْدَادِيِّ، وَاسْمُ أَبِيهِ قَيْرُوزٌ، وَقِيلَ: قَيْرُزَانٌ، مِنَ الصَّابِئَةِ.

[٢] ذَكَرَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، فَقِيلَ: قَصِيرُ الْعِلْمِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ، وَهَلْ يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ.

[٣] قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ شَدَّادٍ: قَالَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْحَبْرُ الَّذِي فِيكُمْ بِبَغْدَادٍ؟ قُلْنَا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَبُو مَحْفُوظِ مَعْرُوفٌ. قُلْنَا: بِخَيْرٍ، قَالَ: لَا يَزَالُ أَهْلُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَ فِيهِمْ.

[٤] عَنْ مَعْرُوفٍ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ شَرِّهِ، أَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْعَمَلِ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ.

[٥] وَقَصَّ إِنْسَانٌ شَارِبَ مَعْرُوفٍ، فَلَمْ يَفْتَرِ مِنَ الذُّكْرِ، فَقَالَ: كَيْفَ أَقْصُ؟ قَالَ: أَنْتَ تَعْمَلُ، وَأَنَا أَعْمَلُ.

[٦] وَقِيلَ: اغْتَابَ رَجُلٌ عِنْدَ مَعْرُوفٍ، فَقَالَ: اذْكُرِ الْقَطْنَ إِذَا وُضِعَ عَلَى عَيْنَيْكَ.

[٧] وَعَنْهُ قَالَ: مَا أَكْثَرَ الصَّالِحِينَ، وَمَا أَقَلَّ الصَّادِقِينَ.

[٨] وَعَنْهُ: مَنْ كَابَرَ اللَّهَ، صَرَعَهُ، وَمَنْ نَازَعَهُ، قَمَعَهُ، وَمَنْ مَآكَرَهُ خَدَعَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، مَنَعَهُ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لَهُ، رَفَعَهُ، كَلَامُ الْعَبْدِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ خِذْلَانٌ مِنَ اللَّهِ.

[٩] وَعَنْهُ: مَنْ لَعَنَ إِمَامَهُ، حُرِّمَ عَدْلُهُ.

[١٠] وَعَنْ ابْنِ شَيْرَوَيْهِ: قُلْتُ لِمَعْرُوفٍ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَمْشِي عَلَى الْمَاءِ قَالَ: مَا وَقَعَ هَذَا، وَلَكِنْ إِذَا هَمَمْتَ بِالْعُبُورِ، جُمِعَ لِي طَرَفَا النِّهْرِ، فَأَتَخَطَّأُهُ.

[١١] مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ الطُّوسِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَعْرُوفٍ، ثُمَّ جِئْتُ، وَفِي وَجْهِهِ أَثَرٌ، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ: سَلْ عَمَّا يَعْنِيكَ عَافَاكَ اللَّهُ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ،

(١) انظر السير: ٣٢٩/٩-٣٤٥.

ثم قال: صليتُ البارحة، ومضيتُ، فطفئتُ بالبيت، وجئتُ لأشرب من زمزم، فزلقتُ، فأصاب وجهي هذا.

[١] ابن مسروق: حدثنا يعقوبُ ابنُ أخي معروف، أنُ معروفًا استسقى لهم في يومٍ حارٍ، فما استثموا رفع ثيابهم حتى مُطروا.

وقد استجيب دعاءُ معروف في غيرِ قضية، وأفرد الإمامُ أبو الفرج ابنُ الجوزي مناقبَ معروفٍ في أربعِ كراريس.

[٢] قال عبيدُ بنُ محمد الوراق: مرُّ معروف، وهو صائمٌ بسقاه يقول: رَحِمَ اللهُ من شرب، فشرِبَ رجاءَ الرحمة. مات معروفٌ سنةً مئتين.

٤٢١ الخُرَيْبِيُّ (خ، ع) (١)

[٣] عبد الله بن داود بن عامر، الإمامُ الحافظُ القُدوري، أبو عبد الرحمن الهَمْداني، ثم الشَّعْبِيُّ، الكوفي، ثم البَصْرِيُّ، المشهورُ بالخُرَيْبِيِّ لنزوله محلَّةَ الخُرَيْبِيِّ بالبصرة.

وقد قطعَ الحديثَ قبل موته بأعوام، وكان ثقةً عابداً ناسكاً.

[٤] وقال محمدُ بنُ يحيى الذَّهلي: سألتُ الخُرَيْبِيَّ عن التوكل، فقال: أرى التوكلَ حُسْنَ الظَّنِّ بالله.

[٥] عن الخُرَيْبِيِّ، قال: كانوا يَسْتَحْبُونَ أن يكون للرجل خبيثَةٌ من عملٍ صالحٍ لا نَعْلَمُ به زوجته ولا غيرها.

[٦] وقال زيدُ بنُ أنحزم: سمعتُ عبدَ الله بنَ داود يقول: مَنْ أمكَنَ الناسَ من كلِّ ما يريدون، أضروا بدينه وديناه.

(١) انظر السير: ٣١٦/٩-٣٥٢.

[١] أبو العَيَّان قال: أتيت عبد الله بن داود، فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث، قال: اذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن، قال: اقرأ ﴿واتل عليهم نبأ نوح...﴾ [يونس: ٧١]، فقرأت العشر حتى أنفذته، فقال لي: اذهب الآن فتعلم الفرائض، قلت، قد تعلمت الصُّلب والجد والكُبر^(١). قال: فأيما أقرب إليك ابن أخيك أو عمك؟ قلت: ابن أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي، قال: اذهب الآن، فتعلم العربية، قلت: قد علمتها قبل هذين، قال: فلم قال عمر - يعني حين طعن - يا لله، يا للمسلمين، لم فتح تلك وكسر هذه؟ قلت: فتح تلك اللام على الدعاء وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدثت أحداً، لحدثتكَ.

[٢] قال أبو نصر بن ماکولا: كان الخُرَيْبِيُّ عسراً في الرواية.

قلت: لقيه البخاري، ولم يسمع منه، واحتاج إليه في الصحيح، فروى عن مُسَدِّدٍ عنه، وعن الفلاس عنه، وعن نصر بن علي عنه، وترك التحديث تديناً إذ رأى طلبهم له بنيةً مذخولة.

قال الخُرَيْبِيُّ: ولدت سنة ست وعشرين ومئة.

ومات سنة ثلاث عشرة ومئتين.

٤٢٢ يزيد بن هارون (ع)^(٣)

[٣] ابن زاذي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالد السلمي، مولاهم الواسطي، الحافظ.

مولده في سنة ثمان عشرة ومئة.

وقال أحمد بن حنبل: كان يزيد حافظاً متقناً.

(١) أي: مسائل الفرائض الكبرى.

(٢) انظر السير: ٣٧١-٣٥٨/٩.

[١] قال أحمد بن سنان القَطَّان : ما رأينا عالماً قطُّ أحسنَ صلاةً من يزيد بن هارون ،
لم يكن يفتّر من صلاة الليل والنهار .

[٢] قال أبو حاتم الرازي : يزيد ثقةٌ إمامٌ ، لا يُسأل عن مثله .

[٣] عن عاصم بن عليّ قال : كنتُ أنا ويزيد بن هارون عند قيس بن الربيع ، فاما
يزيد ، فكان إذا صلى العَتَمَةَ ، لا يزال قائماً حتى يُصَلِّيَ الغداةَ بذلك الوضوء ، نيفاً
وأربعين سنة .

[٤] وقال أحمد بن عبدالله العجليّ : يزيد بن هارون ثقةٌ ثبتٌ متعبّدٌ حسن الصلاة
جداً ، يُصَلِّي الضُّحى ستَّ عشرة ركعةً ، بها من الجودة غير قليل ، قال : وكان قد
عَمِيَ .

قال يعقوب بن شبّبة : كان يزيد يُعدُّ من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .
[٥] يحيى بن أكثم ، قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيد بن هارون ، لأظهرتُ
القرآن مخلوق ، فقبل : ومن يزيد حتى يُتَّقَى ؟ فقال : ويحك إنني لأرتضيه لا أن له
سُلْطَنَةً ، ولكن أخافُ إن أظهرته ، فيردُّ عليّ ، فيختلفُ الناس ، وتكون فتنة .

[٦] قال أبو نافع سبّط يزيد بن هارون : كنتُ عند أحمد بن حنبل ، وعنده رجلان ،
فقال أحدهما : رأيتُ يزيد بن هارون في المنام ، فقلتُ له : ما فعل الله بك ؟ قال :
غفر لي ، وشفعني ، وعاتبني ، وقال : أتحدّث عن حريز بن عثمان ؟ فقلتُ : ياربُّ ما
علمتُ إلا خيراً ، قال : إنه يُبغِضُ علياً رضي الله عنه ، وقال الرجل الآخر : رأيتُه في
المنام فقلتُ له : هل أتاك منكراً ونكيراً ؟ قال : إي والله ، وسألاني : مَنْ ربُّك ؟ وما
دينك ؟ فقلتُ : ألمثلي يُقال هذا ، وأنا كنتُ أعلمُ الناس بهذا في الدنيا ؟ فقال لي :
صدقّت .

توفي يزيد بواسطة سنة ستٍّ ومثنتين .

[١] وقال أحمد بن سنان : ما رأيت عالماً قط أحسن صلاةً من يزيد بن هارون ، يقومُ كأنه أسطوانة .

[٢] وروى المروزي عن جعفر بن ميمون حكايةً تدلُّ على أن يزيد بن هارون كان صاحبَ مزاح ، وكان يتأدَّب بحضور الإمام ، ولا يُمازحه .

[٣] الطبراني : حدثنا المعمرى ، سمعتُ خلفَ بنَ سالم يقول : كنا في مجلس يزيد ابن هارون ، فمزح مع مُستمليه ، فتتخَّح أحمدُ بنُ حنبل ، فقال يزيدُ : من المتخَّح ؟ فقبل له : أحمد بن حنبل ، فضرب يزيدُ على جبينه وقال : ألا أعلمتموني أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح .

وَمِنْ طَبَقَةِ عَلِيِّ رَأْسِ الْمَثَلِينَ ، وَهِيَ الْعَاشِرَةُ

٤٢٣ سُلَيْمُ بْنُ عَيْسَى (١)

[٤] ابن سُلَيْم ، شيخ القراء ، أبو عيسى ، وأبو محمد الحنفي مولا هم الكوفي ، تلميذ حمزة ، وأحدق أصحابه ، وهو خَلْفُهُ فِي الْإِفْرَاءِ .

[٥] قال الدُّورِيُّ : قال لي الكسائيُّ : كنتُ أقرأ على حمزة ، فجاء سُلَيْمٌ فتلَكَّأتُ ، فقال حمزةُ : تهابُهُ ولا تهابُنِي ؟ قلتُ : أيُّها الأستاذُ ، أنت إن أخطأتُ ، قومْتَنِي ، وهذا إن أخطأتُ عَيْرِنِي .

[٦] وقيل : إن سُلَيْمًا تلا على حمزة بن حبيب عشرَ ختم .
مات سُلَيْمٌ سنةَ ثمانٍ وثمانين ومئة .

٤٢٤ عَلِيُّ الرَّضِيِّ (٢)

[٧] الإمام السَّيِّد ، أبو الحسن ، عليُّ الرَّضِيُّ بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر ، بن علي ، بن الحسين ، الهاشميُّ العَلَوِيُّ المدنيُّ وأمه تَوَيْبَةُ

(١) انظر السير : ٣٧٦-٣٧٥/٩ . (٢) انظر السير : ٣٩٣-٣٨٧/٩ .

اسمها سُكَيْتَةٌ .

مولده بالمدينة في سنة ثمان وأربعين ومئة عام وفاة جدّه .

يقال : أفتى وهو شاب في أيام مالك . استدعاه المأمون إليه إلى خراسان ، وبالح

في إعظامه ، وصيّره وليّ عهده ، فقامت قيامة آل المنصور ، فلم تطل أيامه ، وتوفي .

[١] وعن عليّ بن موسى الرضّى ، عن أبيه قال : إذا أقبلت الدنيا على إنسان ، أعطته

محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه ، سلّبت محاسن نفسه .

[٢] قال الصّوليّ : حدثنا أحمد بن يحيى أن الشعبي قال : أفتخر بيت قيل قول

الأنصار يوم بدر :

ويبشر بدر إذ يرّد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

[٣] ثم قال الصّوليّ : أفتخر منه قول الحسن بن هاني ، في عليّ بن موسى الرضّى :

قيل لي أنت واحد الناس في كـ لـ كلام من المقال بديه

لك في جوهر الكلام بديع يثمر الدرّ في يدي مجتنبه

فغلام تركت مدح ابن موسى بالخصال التي تجتمع فيه

قلت : لا أهتدي لمدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

[٤] قلت : لا يسوغ إطلاق هذا الأخير إلا بتوقيف ، بل كان جبريل معلّم نبينا ﷺ ،

وعليه .

[٥] وعن أبي الصّلت قال : سمعت عليّ بن موسى بالموقف يدعو : اللهم كما سترت

عليّ ما أعلم فاغفر لي ما تعلم ، وكما وسعني علمك ، فليسعني عفوك ، وكما

أكرمتني بمعرفتك فاشفعها بمغفرتك يا ذا الجلال والإكرام .

توفي سنة ثلاثٍ ومئتين كهلاً .

قال ابن جرير : دخلت سنة ثلاثٍ ، فسار المأمون إلى طوس ، وأقام عند قبر أبيه

الرشيد أياماً ، ثم إن عليّ بن موسى أكل عنباً ، فأكثر منه ، فمات فجأة في آخر صفر

فدفن عند الرشيد ، واغتتم المأمون لموته .

[١] قال المبرّد: عن أبي عثمان المازني قال: سئِلَ عليُّ بن موسى الرضّي: أيكلفُ الله العباد ما لا يُطيقون؟ قال: هو أعدلُ من ذلك، قيل: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: هم أعجزُ من ذلك.

[٢] قيل: قال المأمون للرضّي: ما يقولُ بنو أبيك في جدنا العباس؟ قال: ما يقولون في رجلٍ فرضَ اللهُ طاعةَ نبيِّه على خلقه، وفرض طاعته على نبيِّه. وهذا يوهّم في البديهة أن الضميرَ في طاعته للعبّاس، وإنما هو لله - فأمر له المأمون بال ألف درهم.

[٣] قيل: إن أخاه زيداً خرج بالبصرة على المأمون، وقتك، وعسف فنقذ إليه المأمونُ عليّ بن موسى أخاه ليُرده، فسارَ إليه فيما قيل، وقال: ويلك يا زيد، فعلتَ بالمسلمين ما فعلتَ، وترعّمَ أنك ابنُ فاطمة؟! والله لأشدُّ الناسِ عليك رسولُ الله ﷺ، ينبغي لمن أخذَ برسولِ الله أن يُعطي به، فبلغ المأمون، فبكى، وقال: هكذا ينبغي أن يكونَ أهلُ بيتِ النبوة هكذا.

[٤] وقد كان عليُّ الرضّي كبيرَ الشان، أهلاً للخلافة، ولكن كذبت عليه وفيه الرافضة، وأطروه بما لا يجوز، وادعوا فيه العصمة، وغلّت فيه، وقد جعل الله لكلُّ شيءٍ قدراً.

٤٢٥ الحسين بن علي الجعفي (ع)^(١)

[٥] ابن الوليد، الإمامُ القدوةُ الحافظُ المقرئُ المجوّدُ الرَّاهِد، بقیةُ الأعلام، أبو عبدالله، وأبو محمد الجعفي مولا هم الكوفي.

قرأ القرآن على حمزة الزيات، وأتقنه، وأخذ الحروفَ عن أبي عمرو بن العلاء، وعن أبي بكر بن عیّاش.

(١) انظر السير: ٣٩٧/٩ - ٤٠١.

[١] قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي - يُريد بالفضل التقوى والتأله - هذا عُرف المتقدمين.

[٢] وقال قتيبة: قيل لسفيان بن عيينة: قدم حسين الجعفي، فوثب قائماً، وقال: قدم أفضل رجل يكون قط.

[٣] وقال موسى بن داود: كنت عند ابن عيينة، فجاء حسين الجعفي فقام سفيان، فقبل يده.

[٤] وروى أبو هشام الرفاعي عن الكسائي، قال: قال لي هارون الرشيد: من أقرأ الناس؟ قلت: حسين الجعفي.

[٥] قال حميد بن الربيع: رأى حسين الجعفي كأن القيامة قد قامت وكان منادياً ينادي: ليقيم العلماء، فدخلوا الجنة، قال: فقاموا: وقمت معهم. قيل لي: اجلس، لست منهم، أنت لا تحدث، قال: فلم يزل يعدُّ يحدث بعد أن كان لا يحدث حتى كتبنا عنه أكثر من عشرة آلاف حديث.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: حسين الجعفي ثقة، كان يُقرئ القرآن، رأس فيه، وكان رجلاً صالحاً، لم أر رجلاً قط أفضل منه.

قال: كان جميلاً لباساً يَخضِبُ وخصائبه إلى الصفرة.

قيل: إن مولده في سنة تسع عشرة ومئة. وتوفي في سنة ثلاث ومئتين، وله بضع وثمانون سنة.

٤٢٦ الحفري (م، ٤) (١)

[٦] الإمام الثبوت القدوة الولي، أبو داود، عمر بن سعد الحفري، الكوفي، العابد. والحفر: موضع بالكوفة، وهو بكنيته أشهر.

(١) انظر السير: ٤١٧-٤١٥/٩.

[١] حُكِيَ أَنَّهُ أَبْطَأَ يَوْمًا فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْجَمَاعَةِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: أَعْتَبِدُرُ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِي نُوبٌ غَيْرُ هَذَا، صَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ بِنَاتِي حَتَّى صَلَّيْتُ فِيهِ. ثُمَّ أَخَذْتُهُ، وَخَرَجْتُ إِلَيْكُمْ.

[٢] قَالَ وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَاحِ: إِنْ كَانَ يُدْفَعُ بِأَحَدٍ فِي زَمَانِنَا، فَبَابِي دَاوُدَ الْحَفْرِيِّ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: لَا أَعْلَمُنِي رَأَيْتُ بِالْكُوفَةِ أَعْبَدَ مِنْهُ.

[٣] وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْتَشِرَ، خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ مَسْجِدُهُمْ مُخَصَّبًا، فَقِيلَ: أَلَيْسَ كَفَارَتُهَا دَفْنُهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي أُؤْخَذُ قَبْلَ أَنْ أَكْفُرَ.

[٤] وَتَزَوَّجَ بِأَمْرَأَةٍ، فَأَصْدَقَهَا ثَلَاثَةَ دِنَانِيرٍ، وَكَانَ قُوْتُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ قُرْصَيْنِ، وَيَفْلَسُ فِجْلٍ أَوْ هَنْدَبًا.

قَالَ أَبُو حَمْدُونَ الطَّيِّبُ الْمُفْرِيُّ: دَفَنَّا أَبَا دَاوُدَ الْحَفْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَتَرَكَنَا بِأَبِهِ مَفْتُوحًا، مَا كَانَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ.

مَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَمِثْتَيْنِ.

قُلْتُ: مَاتَ وَقَدْ شَاخَ، أَحْسَبُهُ مِنْ أَبْنَاءِ السَّبْعِيِّينَ.

٤٢٧ الْوَاقِدِيُّ (١)

[٥] مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ وَاقِدِ الْأَسْلَمِيِّ مَوْلَاهُمُ الْوَاقِدِيُّ الْمَدِينِيُّ الْقَاضِي، صَاحِبُ التُّصَانِيفِ وَالْمَغَازِي، الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَحَدُ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ عَلَى ضِعْفِهِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ.

وُلِدَ بَعْدَ الْعِشْرِينَ وَمِئَةً.

وَجَمَعَ، فَأَوْعَى، وَخَلَطَ الْعَتَّ بِالسَّمِينِ، وَالْمَعْرَزَ بِالذَّرِّ الثَّمِينِ، فَطَرَحُوهُ لِذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ فِي الْمَغَازِي، وَأَيَّامِ الصُّحَابَةِ وَأَخْبَارِهِمْ.

(١) انظر السير: ٤٥٤/٩-٤٦٩.

قدم بغداد في دينٍ لحقّه سنة ثمانين ومئة، فلم يزل بها، وخرج إلى الشام والرُقّة، ثم رجع، فولاه المأمون القضاء، إذ قدّم من خراسان، ولأه القضاء بعسكر المهدي، فلم يزل قاضياً حتى مات ببغداد سنة سبع ومئتين.

وقال الخطيب: هو ممن طُبّق ذكره شرق الأرض وغربها، وسارت بكتبه الرُكبان في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات والفقهِ، وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء.

قد كانت للواقدي في وقته جلاله عجيبة، ووقع في النفوس بحيث إن أبا عامر العقدي قال: نحن نُسأل عن الواقدي؟ ما كان يُفيدنا الشيوخ والحديث إلا الواقدي.

[١] قال ابن سعد: كان الواقدي يقول: ما من أحدٍ إلا وكتبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثر من كتي.

[٢] وعن أبي حذافة السهمي قال: كان للواقدي ستُّ مئة قِمَطْر (١) كُتِب.

[٣] قلت: لا شيء للواقدي في الكتب الستة إلا حديث واحد، عند ابن ماجه، حدثنا ابن أبي شيبه، حدثنا شيخ لنا، فما جسر ابن ماجه أن يُفصح به، وما ذاك إلا لو هن الواقدي عند العلماء، ويقولون: إن ما رواه عنه كاتبه في «الطبقات» هو أمثل قليلاً من رواية الغير عنه.

قال عباس الدوري: مات الواقدي وهو على القضاء، وليس له كفن، فبعث المأمون باكفانه.

[٤] وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يُحتاج إليه في الغزوات، والتاريخ وتورده آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض، فلا ينبغي أن يُذكر، فهذه الكتب الستة، ومُسند أحمد، وعامة من جمع في الأحكام، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس

(١) القمطر، والبغطرة: ما تصان فيه الكتب.

ضَعْفَاءَ، بِلٍ وَمُتْرَوَكِينَ، وَمَعَ هَذَا لَا يُخْرِجُونَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ شَيْئاً، مَعَ أَنَّ وَزَنَهُ عِنْدِي أَنَّهُ مَعَ ضَعْفِهِ يُكْتَبُ حَدِيثُهُ وَيُرْوَى لِأَنِّي لَا أَتَّهَمُهُ بِالْوَضْعِ، وَقَوْلٌ مِنْ أَهْلِهِ فِيهِ مُجَازَفَةٌ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ كَمَا أَنَّهُ لَا عِبْرَةَ بِتَوْثِيقٍ مِنْ وَثْقِهِ، كِزِيدٌ، وَأَبِي عُيَيْدٍ، وَالصَّاعِقَانِي، وَالْحَرَبِيُّ، وَمَعْنَى، وَتَمَامُ عَشْرَةِ مُحَدِّثِينَ، إِذْ قَدْ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ الْيَوْمَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُحْتَجَّةٍ، وَأَنَّ حَدِيثَهُ فِي عِدَادِ الْوَاهِي، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٢٨ أبو عاصم (ع)^(١)

[١] الضُّحَّاكُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ابْنُ الضُّحَّاكِ، الْإِمَامُ الْحَافِظُ شَيْخُ الْمُحَدِّثِينَ الْأَثْبَاتِ، أَبُو عَاصِمِ الشَّيْبَانِيِّ، مَوْلَاهُمْ، وَيُقَالُ: مِنْ أَنْفُسِهِمُ، الْبَصْرِيُّ، وَأُمُّهُ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ يَبِيعُ الْحَرِيرَ.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِئَةً.

[٢] وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ يَقُولُ: مَنْذُ عَقَلْتُ أَنَّ الْغَيْبَةَ حَرَامٌ، مَا اغْتَبْتُ أَحَدًا قَطُّ.

[٣] وَرَوَى أَبُو عُيَيْدٍ الْأَجْرَبِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: كَانَ أَبُو عَاصِمٍ يَحْفَظُ قَدْرَ أَلْفِ حَدِيثٍ مِنْ جَيِّدِ حَدِيثِهِ، وَكَانَ فِيهِ مُزَاحٌ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا قِيلَ لَهُ النَّبِيلُ، لِأَنَّ فَيْلًا قَدِمَ الْبَصْرَةَ، فَذَهَبَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ: مَالِكَ لَا تَنْظُرُ؟ قَالَ: لَا أَجِدُ مِنْكَ عِوَضًا، قَالَ: أَنْتَ نَبِيلٌ. وَبَعْضُهُمْ نَقَلَ أَنَّ أَبَا عَاصِمٍ كَانَ صَخْمَ الْأَنْفِ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً، فَلَمَّا خَلَا بِهَا دَنَا مِنْهَا لِيُقْبِلَهَا، فَقَالَتْ: نَحْ رُكْبَتِكَ عَنْ وَجْهِِي قَالَ: لَيْسَ ذَا رُكْبَتِي، إِنَّمَا هُوَ أَنْفٌ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ الْحَزْرَ وَجَيِّدَ الثِّيَابِ، وَكَانَ إِذَا أَقْبَلَ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: جَاءَ النَّبِيلُ.

(١) انظر السير: ٤٨٠/٩ - ٤٨٥.

وقيل لأنَّ شُعبةَ حَلَفَ أَلَّا يُحَدِّثَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ شَهْرًا، فَقَصَدَهُ أَبُو عَاصِمٍ
فَدَخَلَ مَجْلِسَهُ، وَقَالَ: حَدَّثَ وَغَلَامِي الْعَطَّارُ حُرَّ لَوْجِهِ اللَّهُ كَفَّارَةٌ عَنِ يَمِينِكَ،
فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ.

[١] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى الرَّجَّاحُ: سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ يَقُولُ: مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ،
فَقَدْ طَلَبَ أَعْلَى الْأُمُورِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ.
تُوفِّيَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

٤٢٩ يحيى ابن آدم (ع)^(١)

[٢] ابن سليمان، العلامة، الحافظ، المجرّد، أبو زكريّا الأمويّ، وُلِدَ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ
وَمِنَّةً.

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ: ثِقَّةٌ، كَثِيرُ الْحَدِيثِ، فَقِيهُ الْبَدَنِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُنٌّ
مُتَقَدِّمٌ، سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: يَرْحَمُ اللَّهُ يَحْيَى بْنَ آدَمَ، أَيُّ عِلْمٍ كَانَ عِنْدَهُ! وَجَعَلَ
عَلِيٌّ يُطْرِبُهُ. وَسَمِعْتُ عُيَيْدَ بْنَ بَيْشٍ، سَمِعْتُ أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ
آدَمَ قَطُّ، إِلَّا ذَكَرْتُ الشُّعْبِيَّ - يُرِيدُ أَنَّهُ كَانَ جَامِعًا لِلْعِلْمِ.

[٣] وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ: كَانَ عُمَرُ فِي زَمَانِهِ رَأْسَ
النَّاسِ، وَهُوَ جَامِعٌ، وَكَانَ بَعْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي زَمَانِهِ، وَبَعْدَهُ الشُّعْبِيُّ فِي زَمَانِهِ،
وَكَانَ بَعْدَهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَكَانَ بَعْدَ الثَّوْرِيِّ يَحْيَى بْنُ آدَمَ.

[٤] قُلْتُ: قَدْ كَانَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ مِنْ كِبَارِ أَيْمَةِ الْاجْتِهَادِ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ كَمَا قَالَ فِي
زَمَانِهِ، ثُمَّ كَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَمَعَاذُ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُمْ فِي زَمَانِهِ
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَائِشَةُ، وَأَبُو مُوسَى، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، ثُمَّ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عَمْرٍو،
ثُمَّ عَلْقَمَةُ، وَمَسْرُوقٌ، وَأَبُو إِدْرِيسَ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ.

(١) انظر السير: ٥٢٢/٩-٥٢٩

[١] ثم عروة، والشعبي، والحسن، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وطاووس، وعبد، ثم الزهري، وعمر بن عبدالعزيز، وقتادة، وأيوب، ثم الأعمش، وابن عوف، وابن جريج، وعبيد الله بن عمر، ثم الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومعمّر، وأبو حنيفة، وشعبة، ثم مالك، والليث، وحماد بن زيد، وابن عيينة، ثم ابن المبارك، ونحى القطان، ووكيع وعبد الرحمن، وابن وهب، ثم يحيى بن آدم، وعفان، والشافعي، وطائفة، ثم أحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وعلي بن المديني، وابن معين، ثم أبو محمد الدارمي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وآخرون من أئمة العلم والاجتهاد.

واتفق موته غريباً في سنة ثلاثٍ ومثني.

[٢] قال هشام بن منصور: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: قال لي يحيى بن آدم: يجيئي الرجل ممن أبغضه، وأكره مجيئه، فأقرأ عليه كل شيء معه، لأستريح منه، ولا أراه، ويجيء الرجل أودّه، فأزده حتى يرجع إلي.

٤٣٠ عبد الرزاق بن همام (ع) (١)

[٣] ابن نافع، الحافظ، عالم اليمن، أبو بكر الحميري، مولا هم الصنعائي الثقة الشيعي.

وُلد سنة ست وعشرين ومئة.

[٤] قال علي بن المديني: قال لي هشام بن يوسف: كان عبد الرزاق أعلمنا واحفظنا.

[٥] قلت: هكذا كان النظراء يعترفون لأقرانهم بالحفظ.

وفي المسند قال أحمد بن حنبل: ما كان في قرية عبد الرزاق بئر فكاننا نذهب

(١) النظر السير: ٥٦٣/٩ - ٥٨٠.

ن بكر على ميلين نتوضأ، ونحمل معنا الماء .

[١] وقال أبو عمرو المُستملِي : سمعتُ محمدَ بنَ رافعٍ يقولُ : كنتُ مع أحمدَ وإسحاقَ عند عبدِ الرزّاقِ ، فجاءنا يومَ الفطرِ ، فخرجنا مع عبدِ الرزّاقِ إلى المُصلّى ، ومعنا ناسٌ كثيرٌ ، فلما رجعنا ، دعانا عبدُ الرزّاقِ إلى الغداء ، ثم قال لأحمدَ وإسحاقَ : رأيتُ اليومَ منكما عجباً ، لم تُكبراً ، فقال أحمدُ وإسحاقُ : يا أبا بكرٍ ، كنا ننتظرُ هل تُكبرُ ، فنُكبرُ ، فلما رأيناك لم تُكبرُ ، أمسكنا ، قال : وأنا كنتُ أنظرُ إليكما ، هل تُكبران فأُكبرُ .

[٢] الحسن بن سفيان : سمعتُ فياضَ بنَ زهيرِ النَّسائي ، يقولُ : تشفّعنا بامرأةِ عبدِ الرزّاقِ عليه ، فدخلنا ، فقلنا : هاتوا ، تشفّعتم إليّ بمن ينقلبُ معي على فراشي ؟ ثم قال :

ليس الشفيعُ الذي يأتيك مُتّزراً مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا
[٣] قال عبدُ الرزّاقِ : قدمتُ مكةَ مرةً ، فأتاني أصحابُ الحديثِ يومين ثم انقطعوا عني يومين ، أو ثلاثةً ، فقلتُ : ياربُّ ما شأنِي ؟ أكذابُ أنا ؟ أيُّ شيءٍ أنا ؟ قال فجاؤوني بعد ذلك .

[٤] العُقيلي في كتاب «الضعفاء» له ، في ترجمة عبدِ الرزّاقِ : حدثنا محمدُ بنُ أحمدَ ابنِ حمّاد ، سمعتُ محمدَ بنَ عثمانَ الثَّقفي ، قال : لما قدِمَ العباسُ بنُ عبدِ العظيمِ من عندِ عبدِ الرزّاقِ من صنعاء ، قال لنا - ونحن جماعة - ألسنُ قد نَجِسْتُمُ الخُروجَ إلى عبدِ الرزّاقِ ، فدخلتُ إليه ، وأقمتُ عنده حتى سمعتُ منه ما أردتُ ؟ والله الذي لا إله إلا هو ، إنَّ عبدَ الرزّاقِ كذابٌ ، والواقديُّ أصدقُ منه .

[٥] قلتُ : بل والله ما برَّ عبّاسٌ في يمينه ، ولَبِسَ ما قال ، يعمدُ إلى شيخِ الإسلامِ ، ومُحدثِ الوقتِ ، ومن احتجَّ به كلُّ أربابِ الصّحاح - وإن كان له أوهامٌ مغمورةٌ ، وغيره أبرعُ في الحديثِ منه - فيرميه بالكذبِ ، ويُقدِّمُ عليه الواقديُّ الذي أجمعت

الحُفَاظُ عَلَى تَرْكِهِ، فَهُوَ فِي مَقَالَتِهِ هَذِهِ خَارِقٌ لِلْإِجْمَاعِ بِبَيِّنٍ.

[١] قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الصَّنَعَانِيَّ يَقُولُ: كَانَ زَيْدُ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَدْ لَزِمَ عَبْدَ الرَّزَّاقِ، فَأَكْثَرَ عَنْهُ، ثُمَّ خَرَقَ كُتُبَهُ، وَلَزِمَ مُحَمَّدَ بْنَ ثَوْرٍ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثِ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانَ. . . الْحَدِيثُ الطَّوِيلُ، فَلَمَّا قَرَأَ قَوْلَ عُمَرَ لِعَلِيِّ وَالْعَبَّاسِ: فَجِئْتُ أَنْتَ تَطْلُبُ مِيرَاثَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَجَاءَ هَذَا يَطْلُبُ مِيرَاثَ امْرَأَتِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: انظروا إلى الأنوك، يقول: تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث زوجته من أبيها، لا يقول: رسول الله ﷺ. قال زيد بن المبارك: فلم أعد إليه ولا أروي عنه.

[٢] قُلْتُ: هَذِهِ عَظِيمَةٌ، وَمَا فَهَمَ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ، فَإِنَّكَ يَا هَذَا لَوْ سَكَتَ، لَكَانَ أَوْلَى بِكَ، فَإِنَّ عُمَرَ إِنَّمَا كَانَ فِي مَقَامِ تَبْيِينِ الْعُمُومَةِ وَالْبُتُوَّةِ، وَإِلَّا فَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ بِحَقِّ الْمَصْطَفَى وَبِتَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ مِنْ كُلِّ مُتَحَدِّثٍ مُتَنَطِّعٍ، بَلِ الصَّوَابُ أَنْ نَقُولَ عَنْكَ: انظروا إلى هذا الأنوك الفاعل - عفا الله عنه - كيف يقول عن عُمَرَ هَذَا، وَلَا يَقُولُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْفَارُوقُ؟! وَبِكُلِّ حَالٍ فَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَنَا وَلِعَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَإِنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، صَادِقٌ.

[٣] قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الصَّرَارِيَّ يَقُولُ: بَلَّغْنَا وَنَحْنُ بِصَنْعَاءَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَنَّ أَصْحَابَنَا، يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرَهُمَا، تَرَكَوا حَدِيثَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَكَرَهُوهُ، فَدَخَلْنَا مِنْ ذَلِكَ عَمَّ شَدِيدًا، وَقُلْنَا: قَدْ أَنْفَقْنَا، وَرَحَلْنَا وَتَعَبْنَا، فَلَمْ أَزَلْ فِي عَمٍّ مِنْ ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ، فَخَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ فَلَقَيْتُ بِهَا يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا زَكْرِيَا، مَا نَزَلَ بِنَا مِنْ شَيْءٍ بَلَّغْنَا عَنْكُمْ فِي عَبْدِ الرَّزَّاقِ؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْنَا: بَلَّغْنَا أَنَّكُمْ تَرَكَتُمْ حَدِيثَهُ وَرَغِبْتُمْ عَنْهُ، قَالَ: يَا أَبَا صَالِحٍ، لَوْ ارْتَدَّ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا تَرَكَتُمْ حَدِيثَهُ.

[١] سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، يَقُولُ: مَا انْشَرَحَ صَدْرِي قَطُّ أَنْ أَفْضَلَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَرَحَمَهُمَا اللَّهُ، وَرَحِمَ عَثْمَانَ وَعَلِيًّا مَنْ لَمْ يُحِبَّهُمْ فَمَا هُوَ بِمُؤْمِنٍ، أَوْثَقُ عَمَلِي حُبِّي إِيَّاهُمْ.
توفي عبد الرزاق في سنة إحدى عشرة ومئتين.

٤٣١ عليُّ بن بكَّار^(١)

[٢] الإمامُ الرِّبَانِيُّ العَابِدُ، أَبُو الحَسَنِ، البَصْرِيُّ الرَّاهِدُ، نَزِيلُ المِصْبِصَةِ، ومُرِيدُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ.

[٣] قَالَ يَوْسُفُ بْنُ مُسْلِمٍ: بَكَى عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ، حَتَّى عَمِيَ، وَكَانَ قَدْ أَثْرَتِ الدَّمْعُ فِي خَدَّيْهِ.

[٤] قُلْتُ: وَكَانَ فَارِسًا، مُرَابِطًا، وَمُجَاهِدًا كَثِيرَ الغَزْوِ، فَرَوَيْ عَنهُ أَنَّهُ قَالَ: وَاقَعْنَا العَدُوَّ، فَانْهَزَمَ المُسْلِمُونَ، وَقَصُرَ بِي فَرَسِي، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَقَالَ الفَرَسُ: نَعَمْ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، حَيْثُ تَنَكَّلَ عَلَيَّ فَلَانَةَ فِي عَظْفِي، فَضَمَنْتُ أَنْ لَا يَلِيَهُ غَيْرِي.

[٥] وَقَالَ مُوسَى بْنُ طَرِيفٍ: كَانَتِ الجَارِيَةُ تُفَرِّشُ لِعَلِيِّ بْنِ بَكَّارٍ، فَيَلْمَسُهُ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَطَيِّبٌ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لِبَارِدٌ، وَاللَّهِ لَا عِلْوَتَكَ اللَّيْلَةَ، وَكَانَ يُصَلِّي الفَجْرَ، بِوَضُوءِ العَتَمَةِ.
مات سنة سبع ومئتين.

٤٣٢ النَّبَاجِيُّ^(٢)

[٦] القُدْوَةُ، العَابِدُ، الرَّبَّانِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ بَنَ بَرِيدَ الصُّوفِيِّ، لَهُ كَلَامٌ

(١) انظر السير: ٥٨٤/٩ - ٥٨٥.

(٢) انظر السير: ٥٨٦/٩.

شريف، ومواعظ .

[١] روى أبو نعيم، عن أبيه، عن خاله، أن النبأجي كان مُجاب الدعوة، وله آيات وكرامات، كان في سفر، فأصاب رجل عائن ناقته بالعين فجاءه النبأجي، ودعا عليه بألفاظ، فخرجت حدقتا العائن، ونشطت الناقة .

[٢] وعنه قال : لو جعلت لي دعوة مجابة ما سألت الفردوس ، ولكنك أسأل الرضى ، فهو تعجيل الفردوس .

[٣] قال ابن بكير: سمعت النبأجي يقول: ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا، نخاف في أعمالنا التقصير، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مخلصين .
للنبأجي ترجمة طويلة في «الحلية» .

الجزء العاشر

[١] محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عديمتاف .

الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبدالله القرشي ثم المطلب الشافعي المكي، العزّي المولد، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبدالمطلب .

اتفق مولد الإمام بغزة، ومات أبوه إدريس شاباً، فنشأ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة، فتحوّلت به إلى مخدّته وهو ابن عامين، فنشأ بمكة وأقبل على الرّمي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشعر، فبرع في ذلك وتقدّم .

حُبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه .

[٢] وارتحل - وهو ابن نيفٍ وعشرين سنة وقد أفتى وتأهل للإمامة - إلى المدينة، فحمل عن مالك بن انس والموطأ، عرّضه من حفظه .

[٣] وصنّف الكبار في مناقب هذا الإمام قديماً وحديثاً، ونال بعض الناس منه غصاً، فما زاده ذلك إلا رفعةً وجلالة، ولاح للمُنصفين أن كلام أقرانه فيه بهوى، وقُل من برز في الإمامة، وردّ على من خالفه إلا وعودي، نعوذ بالله من الهوى، وهذه الأوراق تضيّق عن مناقب هذا السيد .

قال المزيّني: ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي رحمه الله وكان رُثماً قبض على لحيته فلا يفضل عن قبضته .

(١) انظر السير: ١٠ / ٥ - ٩٩

[١] قال أبو عبيد: ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي، وكذا قال يونس بن عبد الأعلى، حتى إنه قال: لو جمعت أمة لوسعهم عقله.

قلت: هذا على سبيل المبالغة، فإن الكامل العقل لو نقص من عقله نحو الربع، لبان عليه نقص ما، ولبقي له نظراء، فلو ذهب نصف ذلك العقل منه، لظهر عليه النقص، فكيف به لو ذهب ثلثا عقله! فلو أنك أخذت عقول ثلاثة أنفس مثلاً، وصيرتها عقل واحد، لجاها منه كامل العقل وزيادة.

[٢] قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة.

قلت: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلِفون.

[٣] وقال تميم بن عبد الله: سمعت سويد بن سعيد يقول: كنت عند سُفيان، فجاها الشافعي فسلم، وجلس، فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً، فغشيت على الشافعي، فقيل: يا أبا محمد، مات محمد بن إدريس، فقال ابن عيينة: إن كان مات، فقد مات أفضل أهل زمانه.

[٤] قال الحارث بن سريج: سمعت يحيى القطان يقول: أنا أدعو الله للشافعي، أخضه به.

[٥] المُرزني: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رقى طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه.

[٦] قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: المرء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن.

[١] الربيع: سمعتُ الشافعي يقول: وددتُ أن الناسَ تعلّموا هذا العلم - يعني كُتبه - على أن لا يُنسب إليّ منه شيء.

[٢] أبو يحيى زكريا الساجي، حدثنا المُرزبي، قال: قلتُ إن كان أحدٌ يُخرج ما في ضميري، وما تعلقُ به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصِرتُ إليه، وهو في مسجدٍ مصر، فلما جثوتُ بين يديه، قلتُ: هَجَسَ في ضميري مسألةٌ في التوحيد فعلمتُ أن أحدًا لا يعلمُ علمك، فما الذي عندك؟ فغَضِبَ، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلتُ: نعم، قال: هذا الموضعُ الذي أغرقَ الله فيه فرعونَ.

أبلغك أن رسولَ الله ﷺ أمر بالسؤالِ عن ذلك؟ قلتُ: لا، قال: هل تكلمتُ فيه الصحابة؟ قلتُ: لا، قال: تدري كم نجماً في السماء؟ قلتُ: لا، قال: فكوكبٌ منها: تعرفُ جنسه، طلوعه، أقوله، ممّ خُلِقَ؟ قلتُ: لا، قال: فشيءٌ تراه بعينك من الخلقِ لستَ تعرفه، تتكلمُ في علم خالقه؟ ثم سألني عن مسألةٍ في الوضوء، فأخطأتُ فيها، ففرَّعها على أربعةِ أوجهٍ، فلم أصبْ في شيءٍ منه، فقال: شيءٌ تحتاج إليه في اليوم خمسَ مراتٍ، تدعُ علمه، وتتكلّفُ علمَ الخالقِ، إذا هَجَسَ في ضميرك ذلك، فارجعْ إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَالْحَكْمَ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، إن في خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ الآية [البقرة ١٦٣-١٦٤]، فاستبدلُ بالمخلوقِ على الخالقِ، ولا تتكلّفُ علمَ ما لم يبلغه عقلك، قال: فَبَيَّنْتُ.

[٣] الربيع سمعتُ الشافعي يقول: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ.

[٤] وسمعته يقول: تجاوزَ الله عما في القلوبِ، وكتبَ على الناسِ الأفعالَ والأقوالَ.

[٥] وعن الشافعي قال: ما كابرني أحدٌ على الحقِّ ودافع، إلا سقطَ من عيني، ولا قبله إلا هبته، واعتقدتُ موذته.

[١] عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أبي يقولُ: قال الشافعيُّ: أنتم أعلمُ بالأخبارِ الصَّحاحِ منا، فإذا كان خبيرٌ صحيحٌ، فأعلمُني حتى أذهبَ إليه، كوفياً كان، أو بصرياً أو شامياً.

[٢] قال الشافعيُّ: كلُّ ما قلتهُ فكانَ من رسولِ الله ﷺ خلافُ قولِي ممَّا صحَّ، فهو أولى، ولا تُقلِّدوني.

[٣] وقال الحميديُّ: روى الشافعيُّ يوماً حديثاً، فقلتُ: أتأخذُ به. فقال: رأيتني خرجتُ من كنيسةٍ، أو عليَّ زُنارٌ، حتى إذا سمعتُ عن رسولِ الله ﷺ حديثاً لا أقولُ به.

[٤] الربيعُ بنُ سليمان، قال: كان الشافعيُّ قد جزأ الليلَ، فثلثه الأولُ يكتبُ، والثاني يُصلي، والثالثُ ينام. قلتُ: أفعاله الثلاثةُ عبادةٌ بالنبيةِ.

[٥] محمدُ بنُ إسماعيلَ، حدثني حسين الكرايسي: بَتَّ مع الشافعيِّ ليلةً، فكان يُصلي نحو ثلثِ الليلِ، فما رأيتُهُ يزيدُ على خمسين آيةً، فإذا أكثرَ، فتمتة آية، وكان لا يمرُّ بآيةِ رحمةٍ إلا سأل الله، ولا بآيةِ عذابٍ إلا تعوَّذَ، وكانما جُمع له الرجاءُ والرهبةُ جميعاً.

[٦] أبو عوانةُ الإسفراييني: حدثنا الربيعُ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: ما شبعْتُ منذ ستِّ عشرةِ سنةٍ إلا مرةً، فأدخلتُ يدي فتقيأتُها.

[٧] رواها ابن أبي حاتم عن الربيع، وزاد: لأنَّ الشبعَ يُثقلُ البدنَ، ويُفسدُ القلبَ ويُزيلُ الفطنة، ويجلبُ النومَ، ويُضعفُ عن العبادة.

[٨] أبو بكر محمد بن القاسم بن مطر، سمعتُ الربيعَ: قال لي الشافعيُّ: عليك بالزُّهدِ فإنَّ الزُّهدَ على الزاهدِ أحسنُ من الحلْيِ على المرأةِ الناهِدِ.

[٩] وقال الربيعُ: كان الشافعيُّ ماراً بالحدائين، فسقط سوطُه، فوثبَ غلامٌ، ومسحه بكُمِهِ، وناولَه، فأعطاه سبعةَ دنانير.

[١] أبو ثور، قال: كان الشافعي من أسمح الناس، يشتري الجارية الصّناع التي تطبخ وتعمل الخلّواء، ويشترطُ عليها هو أن لا يقرنّها، لأنّه كان عليلاً لا يُمْكِنه أن يقرب النساء لبأسور به إذ ذاك، وكان يقول لنا: اشتهوا ما أردتم.

[٢] عن الشافعي: أصل العلم التّشبيث، وثمرته السّلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة، وأصل الصبر الحزم، وثمرته الطّقر، وأصل العمل التوفيق، وثمرته الشّجّع، وغاية كلّ أمر الصدق.

[٣] وعن الشافعي: يشن الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

[٤] وعنه: ضياع العالم أن يكون بلا إخوان، وضياع الجاهل، قلة عقله، وأصعب منهما من واهي من لا عقل له.

[٥] آلات الرياسة خمس: صدق اللّهِجة، وكيّمان السّر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة.

وقد صنّف الحافظ أبو بكر الخطيب كتاباً في ثبوت الاحتجاج بالإمام الشافعي.

[٦] وما تكلم فيه إلا حاسد أو جاهل بحاله، فكان ذلك الكلام الباطل منهم موجّباً لارتفاع شأنه، وعُلو قدره، وتلك سنة الله في عباده: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله ممّا قالوا وكان عند الله وحيها، يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ [الأحزاب ٦٩ - ٧٠].

[٧] وعن يونس بن عبد الأعلى، قال: ما كان الشافعي إلا ساحراً ما كُنّا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كأنّ الفاظه سُكْر وكان قد أوتي عذوبة منطقي، وحسن بلاغة، وفرط ذكاء، وسيلان ذهن، وكمال فصاحة، وحضور حجّة.

[٨] فعن عبد الملك بن هشام اللغوي، قال: طالّت مُجاسناتنا للشافعي، فما سمعتُ منه لحنَةً قط.

[٩] قلت: أتى يكون ذلك، ويمثله في الفصاحة يضرّب المثل، كان أفصح قریش في زمانه، وكان ممّا يؤخذ عنه اللّغة.

[١٦] قال الربيع: قال لي الشافعي: إن لم يكن الفقهاء العاملين أولياء الله فما لله ولي.

[٢٦] قال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم: ما رأيت أحداً أقلّ صباً للماء في تمام التطهر من الشافعي.

[٣٦] الأصم: سمعت الربيع يقول: سأل رجل الشافعي عن قاتل الوزغ هل عليه غسل؟ فقال: هذا فتياً العجائز.

[٤٤] قال صالح بن محمد جزرة: سمعت الربيع، سمعت الشافعي يقول: لا أعلم عالماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه.

[٥٥] قال حرملته: كان الشافعي يتلهف على ما ضيغ المسلمون من الطب، ويقول ضيعوا ثلث العلم، ووكّلوه إلى اليهود والنصارى.

[٦٦] علي بن أحمد بن النضر الأزدي، سمعت أحمد بن حنبل، وسئل عن الشافعي، فقال: لقد من الله علينا به، لقد كنا تعلمنا كلام القوم، وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا، فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلم من غيره، وقد جالسناه الأيام والليالي، فما رأينا منه إلا كل خير، فقيل له: يا أبا عبدالله، كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه - يشير إلى التشيع وأنهما نسباه إلى ذلك - فقال: أحمد بن حنبل: ما ندري ما يقولان، والله ما رأينا منه إلا خيراً.

[٧٧] قلت: من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مفتر، لا يدري ما يقول.

[٨٨] الربيع بن سليمان قال: حججنا مع الشافعي، فما ارتقى شراً ولا هبط وادياً، إلا وهويكي، وتشد:

يا راكباً قف بالمخضب من منى واهتف بقاعد حيفنا والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتظم القرات الفاض
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

[١] قُلْتُ: لو كان شيعياً - وحاشاه من ذلك - لما قال: الخلفاء الراشدون خمسة، بدأ بالصديق، ونختم بعمر بن عبدالعزيز^(١).

[٢] قال الشافعي: المُحَدَّثَاتُ من الأمور ضربان: ما أُحْدِثَ يُخَالِفُ كتاباً أو سنةً أو اثرأ أو إجماعاً، فهذه البدعة ضلالة، وما أُحْدِثَ من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه مُحَدَّثَةٌ غيرُ مذمومة، قد قال عمرُ في قيام رمضان: نِعِمَّتِ البِدْعَةُ هذه، يعني أنها مُحَدَّثَةٌ لم تكن، وإذا كانت فليس فيها ردُّ لما مضى.

[٣] روى أبو الشيخ الحافظ وغيره من غير وجه: أن الشافعي لما دخل مصر أتاه جِلَّةُ أصحابِ مالك، وأقبلوا عليه، فلما رأوه يُخَالِفُ مالكا، ویتَقَضُّ عليه، جَفَوْهُ، وتَنَكَّرُوا له، فأنشأ يقول:

أَثَرٌ دَرَأَ بَيْنَ سَارِحَةِ النَّعْمِ وَأَنْظَمٌ مَشُوراً لِرَاعِيَةِ الْغَنَمِ
لَعَمْرِي لَيْنٌ ضَيِّعَتْ فِي شَرِّ بَلَدَةٍ فَلَسْتُ مُضِيعاً بَيْنَهُمْ غَرَّرَ الْحِكْمِ
فَإِنْ قَرَّجَ اللَّهُ اللَّطِيفُ بِلَطْفِهِ وَصَادَفَتْ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكْمِ
بَثَّتْ مَفِيداً وَاسْتَفَدْتُ وَوَادَهُمْ وَالْأَفْمَحُزُونَ لَذِي وَمُكْتَسَمِ
وَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْماً أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُتَوَجِّينَ فَقَدْ ظَلَمَ
وَكَاتِبُ عِلْمِ الدِّينِ عَمَّنْ يُرِيدُهُ يَبُوءُ بِإِثْمِ زَادَ وَأَثْمِ إِذَا كَتَمَ
[٤] قال أبو عبدالله بن مندة: حَدَّثْتُ عن الربيع قال: رأيتُ أشهبَ بنَ عبدالعزيز ساجداً يقولُ في سجوده: اللَّهُمَّ أَمِتِ الشَّافِعِيَّ لا يذهب علمُ مالكٍ فبلغَ الشافعي، فأنشأ يقول:

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَبِتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدِ
فَقُلْ لِلذِّي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ

(١) وللخبر نعمة في غاية النفاسة عند البيهقي، وهي: ثم قال أحمد لمن حوله: اعلموا رحمكم الله تعالى أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئا من العلم، وحرمه قرناؤه وأشكاله، حسدوه فرموه بما ليس فيه، وبثت الخصلة في أهل العلم.

وَقَدْ عَلِمُوا لَوْ يَنْفَقُ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ لَئِن مِتَّ مَا الدَّاعِي عَلِيٌّ بِمُخْلِذٍ

[١٦] قال المُتَبَرِّدُ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الشَّافِعِيِّ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيفَةَ لَفَصَحَاءُ،
فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

قَلُّوا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَيْدٍ
وَأَشْجَعَ فِي الرَّغَى مِنْ كُلِّ لَيْثٍ وَالرَّ مَهْلَبٍ وَأَبِي يَزِيدٍ
وَلَوْلَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَيْدِي
[١٧] قال أبو نعيم بن عدي الحافظ: سمعتُ الربيع مراراً يقول: لو رأيتُ الشافعيَّ
وحسنَ بيانه وفصاحته، لعجبتُ، ولو أنه ألفَ هذه الكتبَ على عربيته التي كان
يتكلمُ بها معنا في المناظرة، لم نقدر على قراءة كتبه لفصاحته، وغرائب ألفاظه،
غير أنه كان في تأليفه يوضحُ للعوام.

[١٨] ابن خزيمة وغيره، حدثنا المُزَنِّيُّ قال: دخلتُ على الشافعيِّ في مرضه الذي
مات فيه، فقلتُ: يا أبا عبد الله، كيف أصبحتُ؟ فرفعَ رأسه، وقال: أصبحتُ من
الدنيا راحلاً، وإلاخواني مُفارقاً، وإسوء عملي مُلاقياً، وعلى الله وإرداء، ما أدري
روحي تصيرُ إلى جنَّةٍ فأهنيها أو إلى نارٍ فأعزِّيها، ثم بكى، وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبي وصاقت مذاهبي جعلتُ زجائي دُونَ عَفْوِكَ سُلْمًا
تعاظمني ذنبي قلماً قرنته بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوِكَ أَعْظَمًا
فما زلتُ ذا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُغْوَى بِابْلِيسَ عَابِدٌ فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا
وَإِنِّي لَأَتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو تَرْحَمًا

[١٩] وعن الربيع للشافعي:

لَقَدْ أَصْبَحْتَ نَفْسِي تَتَوَقَّى إِلَى مِصْرٍ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَلِلْمَالِ وَالْبَغْيِ
وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ
أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى قَبْرِي

[١] قال ابن ماجة القزويني : جاء يحيى بن معين إلى أحمد بن حنبل، فينا هو عنده، إذ مر الشافعي على بغلته، فوثب أحمد يسلم عليه، وتبعه، فأبطأ، ويحيى جالس، فلما جاء، قال يحيى : يا أبا عبدالله، كم هذا؟ فقال : دغ عنك هذا؟ إن أردت الفقه، فالزم ذنب البغلة.

[٢] الربيع : سمعت الشافعي يقول : لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة.

[٣] وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يقول : يا يونس : الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

[٤] وقال لي : رضى الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه.

[٥] وعن الشافعي : العلم ما نفع، ليس العلم ما حفظ.

[٦] وعنه : اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

[٧] وعنه : لو أعلم أن الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته.

[٨] عن الشافعي : ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل : ولم؟ قال : لأن العاقل لا يعدو من إحدى خلتين، إما ينتم لأخرته أو لدنياه، والشحم مع الغم لا ينعقد.

[٩] قلت : كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية، لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى، كما تقرّر الكف عن الكثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب وتتوقر على حب الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة

للعالم المُنصِفِ العَرَبِيِّ من الهوى، بشرط أن يستغفرَ لهم، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر ١٠].

[١٦] فالقوم لهم سوابق، وأعمالٌ مُكفِّرةٌ لما وقع منهم وجهادٌ مُحَاءٌ، وعبادةٌ مُمنَحَصَةٌ، ولنا ممن يغلو في أحدٍ منهم، ولا تدعي فيهم العصمة، نقطع بأن بعضهم أفضل من بعض، ونقطع بأن أبا بكرٍ وعمرَ أفضل الأمة، ثم تنمى العشرة المشهود لهم بالجنة، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد، وأمّهات المؤمنين، وبنات نبينا ﷺ، وأهل بدر مع كونهم على مراتب، ثم الأفضل بعدهم مثل أبي الدرداء وسلمان الفارسي، وابن عمرو وسائر أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم بنص آية سورة الفتح [١٨]، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالد بن الوليد والعبّاس وعبدالله بن عمرو، وهذه الحُلبية، ثم سائر من صحب رسول الله ﷺ وجاهد معه، أو حجّ معه، أو سمع منه، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميع صواحب رسول الله ﷺ المهاجرات والمدنيات وأمّ الفضل وأمّ هانئ الهاشمية وسائر الصحابيات.

[٢] فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك، فلا نُعرج عليه، ولا كرامة، فأكثره باطلٌ وكذبٌ وافتراءٌ، فدأب الرافضين رواية الأباطيل، أو ردّها ما في الصحاح والمسانيد، ومتى إفاقة من به سكران؟!.

[٣] ثم قد تكلم خلق من التابعين بعضهم في بعض، وتحاربوا، وجرت أمورٌ لا يمكن شرحها، فلا فائدة في بثها ووقع في كتب التواريخ وكتب الجرح والتعديل أمورٌ عجيبة والعاقِل خصم نفسه، ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، ولُحوم العلماء مسمومةٌ وما يُقَل من ذلك لتبسين غلط العالم، وكثرة وهمه، أو نقص حفظه، فليس من هذا النمط، بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن، والحسن من الضعيف.

[١] وإمامنا، فبحمد الله ثبت في الحديث، حافظ لما وعى، عديم الغلط، موصوف بالإتقان... متين الديانة، فمن نال منه بجهل وهوى ممن عليم أنه منافس له، فقد ظلم نفسه، ومقتة العلماء، ولاخ لكل حافظ تحامله، وجر الناس برجليه، ومن أثنى عليه، واعترف بإمامته وإتقانه، وهم أهل العقْد والحل قديماً وحديثاً، فقد أصابوا، وأجملوا، وهُدوا، ووفَّقوا.

[٢] وأما أئمتنا اليوم وحكَّامنا، فإذا أعدموا ما وُجد من قدح بهوى، فقد يُقال: أحسنوا ووفَّقوا وطاقعتهم في ذلك مفترضة لما قد رأوه من حسم مادة الباطل والشر. وبكل حال، فالجهال والضلال قد تكلموا في خيار الصحابة، وفي الحديث الثابت «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليرزقهم ويعافيهم».

[٣] وقد كنتُ وقتتُ على بعض كلام المغاربة في الإمام رحمه الله، فكانت فائدتي من ذلك تضعيف حال من تعرَّض إلى الإمام، والله الحمد.

ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر، وخالف أقرانه من المالكية، وهوى بعض فروعهم بدلائل السنة وخالف شيخه في مسائل، تألموا منه، ونالوا منه، وجرت بينهم وحشة، غضر الله لكل، وقد اعترف الإمام سُحنون، وقال: لم يكن في الشافعي بدعة، فصدق والله، فرحم الله الشافعي، وأين مثل الشافعي والله! في صدقه، وشرفه، ونبله، وسعة علمه، وفرط ذكائه، ونصره للحق، وكثرة مناقبه، رحمه الله تعالى.

[٤] وعنه قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللثام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وقال: أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

لا نلأم والله على حب هذا الإمام، لأنه من رجال الكمال في زمانه رحمه الله، وإن كنا نحب غيره أكثر.

[١] السيدة المَكْرُمَةُ الصالحة، ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن السيد سبط النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، العلوية الحَسَنِيَّة، صاحبة المشهد الكبير المعمول بين مصر والقاهرة.

وتحوّلت هي من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق فيما قيل، ثم تُوفيت بمصر في شهر رمضان سنة ثمان ومئتين. ولم يبلغنا كبير شيء من أخبارها.

[٢] ولجَهَلَةٌ المصريين فيها اعتقادٌ يتجاوز الوصف، ولا يجوزُ مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دَسائس دُعاة العبيديَّة (٢).

[٣] وقيل: كانت من الصّالحات والعوايد، والدُّعاء مستجاباً عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين (٣) وفي المساجد، وعِرْفَة ومُزْدَلِفَة، وفي السُّفَر المباح، وفي الصَّلَاة، وفي السُّحُر، ومن الأبوين، ومن الغائب لأخيه، ومن المُضطرّ، وعند قبور المُعذِّبين، وفي كل وقت وحين، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولا يُنهي الداعي عن الدُّعاء في وقتٍ إلا وقت الحاجة، وفي الجماع، وشبه ذلك. ويتأكد الدُّعاء في جوف الليل، ودُبُر المكتوبات، وتعدّ الأذان.

(١) انظر السير: ١٠٦/١٠-١٠٧.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٦٢/١٠: وإلى الآن قد بلغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثير جداً، ولا سيما عوام مصر، فإنهم يظنون فيها عبارات شبيهة مجازفة تؤول إلى الكفر والشرك، والفاظاً يجب أن يعرفوا أنها لا تجوز، وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالة، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بعقلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغلاة في القبور وأصحابها وقد أمر النبي ﷺ بنسوة القبور وطمسها، والمغلاة في البشر حرام، ومن زعم أنها تغل من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله تعالى فهو مشرك، رحمها الله وأكرمها.

(٣) لم يثبت عنه ﷺ شيء في كون الدعاء مستجاباً عند قبور الأنبياء والصالحين، والسلف الصالح لا يعرف عنهم أنهم كانوا يقصدون قبور الأنبياء والصالحين للدُّعاء عندهم، ويرى ابن الجزري في «الحصن الحصين» أن استجابة الدعاء عنه قبور الأنبياء والصالحين ثبت بالتجربة، وأقره عليه الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ص ٤٧ لكن قيده بشروط ألا تنشأ عن ذلك مفسدة وهي أن يعتقد في ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده كما يقع لكثير من المعتقدين في القبور، فإنهم قد يظنون الغلو بأهلها إلى ما هو شرك بالله عز وجل فينادونهم مع الله، ويطلبون منهم ما لا يطلب إلا =

[١] العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي، مولا هم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، وكان ثقة.

[٢] ورد عن ثعلبة أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، ولَسَقَطت، لأنه خَلَصها، ولأنها كانت تُتَنَازَعُ ويدَّعِيها كلُّ أحد.

[٣] ونقل أبو بديل الوضاحي أن المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يُجمع به أصول النحو، وأُفِرِدَ في حَجْرَةٍ، وقرَّر له خدماً، وجواري، ووزَّاقين فكان يُملي في ذلك سنين. قال ولما أملى كتاب «معاني القرآن» اجتمع له الخلق، فكان من جملة من جملتهم ثمانون قاضياً، وأمل «الحمد» في مئة ورقة.

[٤] وكان المأمون قد وكل بالفراء ولديه يلقنهما النحو، فأراد القيام، فابتدرا إلى نعله، فقدم كل واحد فردة، فبلغ ذلك المأمون، فقال: لن يكبر الرجل عن تواضعه لسلطانه وأبيه ومعلمه.

[٥] وعن ثمامة بن أشروس: رأيت الفراء، فقالتشته عن اللغة، فوجدته بحراً، وعن النحوفشاهدته نسيجاً وحده، وعن الفقه فوجدته عارفاً باختلاف القوم، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب والشعر والنجوم، فأعلمت به أمير المؤمنين فطلبه. وقيل: عُرف بالفراء لأنه كان يقري الكلام.

وقال سلمة: أني لأعجب من الفراء كيف يُعظَّم الكسائي، وهو أعلم بالنحو

صه.

مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومئتين، وله ثلاث وستون سنة، رحمه الله.

من الله عز وجل، وهذا معلوم من أحوال كثير من العاكفين على القبور خصوصاً العامة الذين لا يفتنون لدقائق الشرك.

(١) انظر السير: ١٠/١١٨-١٢١.

٤٣٦ قَبِيصَةُ بنِ عُقْبَةَ (ع)^(١)

[١] أبو محمد، الحافظ الإمام الثقة العابد، أبو عامر السوائي الكوفي.

وما أظنه ارتحل في الحديث، وكان من أوعية العلم.

[٢] عن يحيى بن معين: سمعتُ قَبِيصَةَ يَقُولُ: شَهِدْتُ عِنْدَ شَرِيكِ، فَامْتَحَنِي فِي

شهادتي، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسُفْيَانَ، فَأَنْكَرَ عَلَيَّ شَرِيكَ، وَقَالَ: لِمَ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَمْتَحَنَهُ.

قال أحمد بن سلمة النيسابوري: سمعتُ هُنَادًا يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ، إِذَا ذَكَرَ قَبِيصَةَ:

الرَّجُلُ الصَّالِحُ. وَتَدْمَعُ عَيْنَاهُ، وَكَانَ هُنَادٌ كَثِيرَ الْبُكَاءِ.

[٣] قال عبد الرحمن بن داود بن منصور الفارسي: سمعتُ حَفْصَ بنَ عُمَرَ قَالَ: مَا

رَأَيْتُ مِثْلَ قَبِيصَةَ مَا رَأَيْتُهُ مَتَبَسِّمًا قَطُّ، مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

[٤] قُلْتُ: كَذَا كَانَ وَاللَّهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ، الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْيَوْمَ فَلَا عِلْمَ وَلَا عِبَادَةَ، بَلْ

تَخْيِيطٌ وَلِحْنٌ، وَتَصْنِيفٌ كَثِيرٌ، وَحِفْظٌ يَسِيرٌ، وَإِذَا لَمْ يَرْتَكِبِ الْعِظَائِمَ، وَلَا يُخْلُ

بِالْفَرَائِضِ، فَلِلَّهِ دَرَّةٌ.

مَاتَ قَبِيصَةُ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَمِئَتِينَ.

٤٣٧ يَحْيَى بنِ حَمَّادٍ (خ، م، ت، س، ق)^(٢)

[٥] ابن أبي زياد، الإمام الحافظ، أبو محمد، وأبو بكر الشيباني، مولاهم

البيصري.

[٦] وقال محمد بن النعمان بن عبد السلام: لِمَ أَرَأَيْتَ مِنْ يَحْيَى بنِ حَمَّادٍ، وَأَظُنُّهُ

لَمْ يَضْحَكْ.

[٧] قُلْتُ: الضَّحْكُ الْيَسِيرُ وَالتَّبَسُّمُ أَفْضَلُ وَعَدَمُ ذَلِكَ مِنْ مَشَائِخِ الْعِلْمِ عَلَى

قَسَمِينَ:

(١) انظر السير: ١٣٠-١٣٥

(٢) انظر السير: ١٣٩-١٤٤

أحدهما: يكونُ فاضِلاً لمن تركهُ أدباً وخوفاً من الله، وحُزناً على نفسه المسكينة .

والثاني: مذمومٌ لمن فعله حمقاً وكبراً وتصنعاً، كما أنَّ من أكثر الضحك استخفَّ به، ولا ريبَ أن الضحك في الشباب أخفُّ منه وأعدُّ في الشيوخ .
[١] وأما التَّبَسُّمُ وطلاقةُ الوجه فارتفع من ذلك كله، قال النبي ﷺ «تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» وقال جريرٌ: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ إلا يتَّبَسَّم . فهذا هو خلقُ الإسلام، فأعلى المقاماتِ من كان بكاءً بالليل، بساماً بالنهار .

[٢] بقي هنا شيءٌ: ينبغي لمن كان ضحوكاً بساماً أن يقصُر من ذلك، ويلومَ نفسه حتى لا تمجَّه الأنفُس، وينبغي لمن كان عبوساً منقبضاً أن يتَّبَسَّم، ويحسنَ خلقه، ويمتتَ نفسه على رداءةِ خلقه، وكل انحرافٍ عن الاعتدالِ فمذمومٌ، ولا بدُّ للنفسِ من مجاهدةٍ وتأديبٍ .

مات في سنة خمس عشرة ومئتين .

٤٣٨ أبو نعيم (ع) (١)

[٣] الفضلُ بنُ دُكين، الحافظُ الكبير، شيخُ الإسلام، الفضلُ بنُ عمرو بنِ حمادِ التيميِّ الطلحيِّ القرشيِّ مولاهم . الكوفيُّ المُلانيُّ الأحول، مولى آلِ طلحة بنِ عبيد الله .

[٤] وكان شريكاً لعبدِ السلام بنِ حربِ المُلاني، كانا في حانوتٍ بالكوفةِ يبيعان الملاءَ وغيرَ ذلك، وكان كذلكُ غالبُ علماءِ السلفِ إنما يُنفِقون من كسبهم .

[٥] وكان من أنمةِ هذا الشأنِ وأثباتهم .

قال أحمدُ بن منصور الرُّمادي، خرجتُ مع أحمدَ ويحيى إلى عبدالرزاق خادماً

(١) انظر السير: ١٠٠ / ١٤٢ - ١٥٧

لهما، قال: فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين، أريد أن أختبر أبا نعيم، فقال أحمد: لا ترد فالرجل ثقة، قال يحيى: لا بد لي.

فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثاً وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه، ثم إنهم جازوا إلى أبي نعيم، فخرج، وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلس أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق، فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي، اضرب عليه ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي فاضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أما هذا - وذراع أحمد بيده - فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا - يُريدني - فأقل من أن يفعل ذلك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، وأخرج رجله، فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام، فدخل داره، فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمتك وأقل لك: إنه ثبت، قال: والله، لرفسته لي أحب إلي من سفرتي.

[١٦] قال أبو المظفر في كتاب «مرآة الزمان» قال عبد الصمد بن المهدي: لما دخل المأمون بغداد، نادى بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأن الشيوخ بقوا يضربون ويحبسون، فنهاهم المأمون وقال: قد اجتمع الناس على إمام، فمر أبو نعيم، فرأى جندياً وقد أدخل يديه بين فخذي امرأة، فنهاه بعنف، فحمله إلى الوالي، فحمله الوالي إلى المأمون. قال: فأدخلت عليه بكرة وهو يسبح، فقال: توضأ. فنوضأت ثلاثاً ثلاثاً على ما رواه عبد خير، عن علي، فصليت ركعتين، فقال: ما تقول في رجل مات عن أبوين؟ فقلت: للأُم الثلث، وما بقي للاب، قال: فإن خلف أبويه وأخاه؟ قلت: المسألة بحالها، وسقط الأخ، قال: فإن خلف أبوين

وأخوين؟ قلت: للآمِّ السُّدُسُ وما بقي للآبِ. قال: في قول الناس كُلُّهُمْ؟ قلت: لا، إنَّ جدَّكَ ابنَ عَبَّاسٍ يا أميرَ المؤمنين ما حجبَ الآمَّ عن الثُّلُثِ إلا بثلاثةِ إخوة. فقال: يا هَذَا، من نهى مثلك عن الأمرِ بالمعروفِ؟! إنما نهينا أقواماً يجعلون المعروفَ مُنكراً. ثم خرجتُ.

[١] عن أحمد بن حنبل قال: إنما رفع الله عَفَانَ وأبا نُعَيْمٍ بالصدق حتى نُوِّهَ بذكرهما.

ومات سنة تسع عشرة ومئتين.

[٢] قال بشر بن عبد الواحد: رأيتُ أبا نُعَيْمٍ في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ - يعني فيما كان يأخذ على الحديث - فقال: نظر القاضي في أمري، فوجدني ذا عيالٍ، فعفا عني.

قلت: ثبت عنه أنه كان يأخذ على الحديث شيئاً قليلاً لفقره.

[٣] قال علي بن خنيزم: سمعتُ أبا نُعَيْمٍ يقول: يلومونني على الأخذ، وفي بيتي ثلاثة عشر نفساً، وما في بيتي رغيص.

قلت: لأموة على الأخذ يعني من الإمام، لا من الطلبة.

[٤] وقد كان أبو نُعَيْمٍ ذا دُعابة، فروى علي بن العباس المَقَانِعي، سمعتُ الحسيني ابن عمرو العنقري يقول: دقَّ رجلٌ على أبي نُعَيْمٍ الباب، فقال: مَنْ ذا؟ قال: أنا، قال: مَنْ أنا؟ قال: رجلٌ من ولد آدم، فخرج إليه أبو نُعَيْمٍ، وقبله، وقال: مرحباً وأهلاً، ما ظننتُ أنه بقي من هذا النسل أحد.

٤٣٩ يعقوب (م، د، س، ق) (١)

[٥] ابن اسحاق بن زيد، الإمام المَجُودُ الحافظُ، مقرئ البصرة، أبو محمد الحضرمي مولا هم البصري، أحد العشرة.

(١) انظر السير: ١٠ / ١٦٩ - ١٧٤

وُلد بعد الثلاثين ومئة .

[١٦] وفاق النَّاسَ فِي الْقِرَاءَةِ، وَمَا هُوَ بِدُونَ الْكِسَائِيِّ، بَلْ هُوَ أَرْجَحُ مِنْهُ عِنْدَ أَثْمَةِ، لَكِنْ رَزَقَ أَبُو الْحَسَنِ سَعَادَةً .

[١٧] وَكَانَ يُقَرَأُ النَّاسَ عِلَالِيَّةً بِحَرْفِهِ بِالْبَصْرَةِ فِي أَيَّامِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَيَحْيَى الْقَطَّانِ، وَابْنِ مَهْدِيٍّ، وَالْقَاضِي أَبِي يَوْسُفَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَيَحْيَى الْبَزِيدِيٍّ، وَسُلَيْمِ، وَالشَّافِعِيِّ، وَبِزِيدِ بْنِ هَارُونَ، وَعَدَدٌ كَثِيرٌ مِنْ أَثْمَةِ الدِّينِ، فَمَا بَلَّغْنَا بَعْدَ الْفَحْصِ وَالتَّنْقِيهِ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْقُرَاءِ وَلَا الْفُقَهَاءِ وَلَا الصُّلَحَاءِ وَلَا النُّحَاةِ وَلَا الْمُخْلَفَاءِ كَالرُّشَيْدِ وَالْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ أَنْكَرُوا قِرَاءَتَهُ، وَلَا مَنَعُوهُ مِنْهَا أَصْلًا، وَلَوْ أَنْكَرَ أَحَدٌ عَلَيْهِ لُنُقِلَ وَلا شَتَهَرَ، بَلْ مَدَّحَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ، وَأَقْرَأَ بِهَا أَصْحَابُهُ بِالْعِرَاقِ، وَاسْتَمَرَّ إِمَامٌ جَامِعٌ الْبَصْرَةَ بِقِرَاءَتِهَا فِي الْمَحْرَابِ سِنِينَ مُتَطَاوِلَةً، فَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ، بَلْ تَلَقَّاهَا النَّاسُ بِالْقَبُولِ، وَلَقَدْ عُوْمِلَ حِمْزَةٌ مَعَ جَلَالَتِهِ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِي قِرَاءَتِهِ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْكِبَارِ، وَلَمْ يَجْرِ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْحَضْرَمِيِّ أَبَدًا، حَتَّى نَشَأَ طَائِفَةٌ مُتَأَخَّرُونَ لَمْ يَأْلَفُوهَا، وَلَا عَرَفُوهَا، فَانْكَرُوهَا، وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ، قَالُوا: لَمْ تَنْصِلْ بِنَا مُتَوَاتِرَةً، قُلْنَا: اتَّصَلَتْ بِخَلْقٍ كَثِيرٍ مُتَوَاتِرَةً، وَلَيْسَ مِنْ شَرِطِ التَّوَاتُرِ أَنْ يَصِلَ إِلَى كُلِّ الْأُمَّةِ فَعِنْدَ الْقُرَاءَةِ أَشْيَاءٌ مُتَوَاتِرَةٌ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَعِنْدَ الْفُقَهَاءِ مَسَائِلُ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ أَثْمَتِهِمْ لَا يَدْرِيبُهَا الْقُرَاءُ، وَعِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ أَحَادِيثُ مُتَوَاتِرَةٌ قَدْ لَا يَكُونُ سَمِعَهَا الْفُقَهَاءُ، أَوْ أَفَادَتِهِمْ ظَنًّا فَقَطْ، وَعِنْدَ النُّحَاةِ مَسَائِلُ قَطْعِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ اللَّغُويُونَ، وَلَيْسَ مِنْ جَهْلِ عِلْمًا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ عِلْمُهُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِلْجَاهِلِ: تَعْلَمُ، وَسَلِ أَهْلَ الْعِلْمِ، إِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ، لَا يُقَالُ لِلْعَالِمِ: أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُ، رَزَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ الْإِنْصَافَ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْقِرَاءَاتِ تَدْعُونَ تَوَاتُرَهَا، وَبِالْجَهْدِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَى غَيْرِ الْأَحَادِ فِيهَا، وَنَحْنُ نَقُولُ: نَتَلَوُهَا وَإِنْ كَانَتْ لَا تُعْرَفُ إِلَّا عَنْ وَاحِدٍ، لِكُونِهَا تُلْقِيَتْ بِالْقَبُولِ، فَأَفَادَتِ الْعِلْمَ، وَهَذَا وَقَعَ فِي حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، وَقِرَاءَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَمَنْ ادَّعَى تَوَاتُرَهَا فَقَدْ كَابَرَ الْجِسْمَ، أَمَّا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ سُورَةٌ وَأَيَّاتُهُ فَمُتَوَاتِرَةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، مُحْفَوظٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا

يستطيع أحد أن يُبدله ولا يزيد فيه آية ولا جملة مستقلة، ولو فعل ذلك أحد عمداً
لانسَلخ من الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
[الحجر ٩].

وأول من ادعى أن حرف يعقوب من الشاذ أبو عمرو الداني، وخالفه في ذلك
أئمة، وصار في الجملة في المسألة خلاف حدث والله أعلم.

قال العلامة أبو حاتم السجستاني: يعقوب أعلم من رأينا بالحروف والاختلاف
في القرآن وعلمه ومذهبه ومذهب النحو.

[١] وقال أحمد بن حنبل: هو صدوق، وقال محمد بن أحمد العجلي يمدح
يعقوب:

أبو من القراء كان وجله ويعقوب في القراء كالكوكب النري
تقرؤه محض الصواب وتوجهه فمن مثله في وقته وإلى الخسر
[٢] وعن أبي عثمان المازني قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقرأت عليه سورة طه
فقلت: ﴿مكاناً سوي﴾، فقال: اقرأ ﴿سوي﴾ قراءة يعقوب.

[٣] قال أبو القاسم الهذلي في «كامله»: ومنهم يعقوب الحضرمي، لم ير في زمنه
مثله، كان عالماً بالعربية ووجهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً نقياً ورعاً زاهداً،
[٤] بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة، ولم يشعر، ورد إليه، فلم
يشعر، لشغله بعبادة ربه، وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يحبس ويطلق.
مات يعقوب سنة خمس ومئتين.

٤٤٠ الأصمعي (د، ت) (١)

[٥] الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن
قريب بن عبد الملك الأصمعي، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام.

(١) انظر السير: ١٠ / ١٧٥ - ١٨١

وُلِدَ سَنَةَ بَضْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةً. وَقَدْ أَتَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ فِي السَّنَةِ.

- [١] قيل للأصمعي: كيف حفظت ونسوا؟ قال: درّست وتركوا.
[٢] قال عمر بن شبة: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة.
[٣] وعن ابن دُرَيْدٍ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ بَخِيلًا، وَيَجْمَعُ أَحَادِيثَ الْبُخْلَاءِ.
[٤] وقال محمد بن سلام: كنا مع أبي عُبَيْدَةَ بِقُرْبِ دَارِ الْأَصْمَعِيِّ، فَسَمِعْنَا مِنْهَا ضَجَّةَ فَبَادَرَ النَّاسُ لِيَعْرِفُوا ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّمَا يَفْعَلُونَ هَذَا عِنْدَ الْخُبْزِ، كَذَا يَفْعَلُونَ إِذَا فَقَدُوا رَغِيْفًا.

[٥] وروى ثعلب، عن أحمد بن عمر النحوي قال: قدم الحسن بن سهل، فجمع أهل الأدب، وحضرت، ووقع الحسن على خمسين رُقعة، وجرى ذِكْرُ الْحِفَاطِ، فذكرنا الزهري وقتادة، فقال الأصمعي: فإنا أعيذ ما وقع به الأمير على التوالي، فأحضرت الرقاع، فقال: صاحب الرقعة الأولى كذا وكذا، واسمه كذا وكذا، ووقع له بكذا وكذا، والرُقعة الثانية كذا، والثالثة... حتى مر على نَيْفٍ وأربعين رُقعة، فقال نصر بن علي الجهضمي: أيها المرء أتبع على نفسك من العين. ونصانيف الأصمعي ونوادره كثيرة، وأكثر تواليفه مختصرات، وقد فُقدَ أَكْثَرُهَا. مات الأصمعي سنة خمس عشرة ومئتين.

٤٤١ أبو سليمان الداراني (١)

[٦] الإمام الكبير، زاهد العصر، أبو سليمان، عبد الرحمن بن أحمد البستي الداراني (٢).

(١) انظر السير: ١٨٢ / ١٠ - ١٨٦.

(٢) قال ابن خلكان ٣ / ١٣١، والداراني بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون، هذه النسبة إلى داريا وهي قرية بغطوة دمشق، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب.

وُلِدَ فِي حُدُودِ الْأَرْبَعِينَ وَمِئَةً .

[١] عَنِ الْجُنَيْدِ قَالَ : قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّرَانِيُّ : رِيَمَا يَقَعُ فِي قَلْبِي التُّكْتُةُ مِنْ نُكْتِ الْقَوْمِ أَيَّامًا فَلَا أَقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا بِشَاهِدِينَ عَدْلِينَ : الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ .

[٢] وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ : أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ خِلَافُ هَوَى النَّفْسِ .

[٣] وَقَالَ : لِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ ، وَعِلْمُ الْخِذْلَانِ تَرْكُ الْبُكَاءِ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ صَدَأٌ ، وَصَدَأُ الْقَلْبِ الشَّبَعُ .

[٤] قَالَ الْجُنَيْدُ : شَيْءٌ يُرَوَى عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ ، أَنَا أَسْتَحْسِنُهُ كَثِيرًا : مَنْ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ شُغْلًا عَنِ النَّاسِ ، وَمَنْ اشْتَغَلَ بِرَبِّهِ شُغْلًا عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ النَّاسِ .

[٥] ابْنُ بَحْرِ الْأَسَدِيِّ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ ، سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ : مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خَلْقِهِ ، وَأَعْقَبَهُ الْجِلْمَ ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ .

[٦] وَعَنْهُ : الْفُتُوَّةُ أَنْ لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ ، وَلَا يَفْقَدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .

تُوفِّي أَبُو سُلَيْمَانَ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ .

٤٤٢ عُلَيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ (١)

[٧] وَأَخْتُ الرَّشِيدِ ، الْهَاشِمِيَّةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ، أَدِيبِيَّةٌ ، شَاعِرَةٌ ، عَارِفَةٌ بِالْفَنَاءِ وَالْمَوْسِيقَى ، رَخِيمَةٌ الصَّوْتِ ، ذَاتُ عِفَّةٍ وَتَقْوَى وَمَنَاقِبِ .

وَكَانَتْ عُلَيَّةُ مِنْ مِزَاجِ زَمَانِهَا ، وَأَطْرَفِ بَنَاتِ الْخُلَفَاءِ .

[٨] رَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَاتِبُ أَنَّهَا لَا تَغْنِي إِلَّا زَمَنَ حَيْضِهَا ، فَإِذَا طَهَّرَتْ أَقْبَلَتْ عَلَى التَّلَاوَةِ وَالْعِلْمِ ، إِلَّا أَنْ يَدْعُوهَا الْخَلِيفَةُ ، وَلَا تَقْدِرُ تَخَالْفُهُ .

[٩] وَكَانَتْ تَقُولُ : لَا عَفْرَ لِي فَاحْشَةَ ارْتِكَبْتُهَا قَطُّ ، وَمَا أَقُولُ فِي شِعْرِي إِلَّا عَيْثًا .
وَجَاءَ عَنْهَا قَالَتْ : مَا كَذَبْتُ قَطُّ .

(١) انظر السير: ١٨٧/١٠ - ١٨٨ .

وكان أخوها لا يبصر عن غيابها، وأخذها معه إلى الرُّبِّي .

قبل ماتت سنةً عشرٍ ومِثْنين ، ولها خمسون سنة .

[١] وسبب موتها أن المأمونَ ضمَّها إليه فقبلها ، وهي عمته ، وكان وجهها مُغَطَّى ،

فشرقت وسعلت ، ثم حُمت أياماً ، وماتت .

٤٤٣ أبو العتاهية (١)

[٢] رأس الشعراء ، الأديب الصالح الأوحى ، أبو إسحاق إسماعيل بن قاسم بن

سويد العنزي مولاهم الكوفي ، نزيل بغداد .

لقب بأبي العتاهية لاضطراب فيه .

سار شعره لجودته وحسبه وعدم تقعره .

[٣] وقد جمع أبو عمر بن عبد البر شعره وأخباره ، تنسك بأخذه ، وقال في المواعظ

والزهد فاجاد .

[٤] وكان أبو نواس يُعظِّمه ، ويتأدب معه لدينه ، ويقول : ما رأيتُهُ إلا توهَّمتُ أنَّه

سماوي ، وأنِّي أرضي .

مدح أبو العتاهية المهدي ، والخلفاء بعده ، والوزراء ، وما أصدق قوله :

[٥] إنَّ الشَّبَابَ والفِرَاقَ والجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلغِرِّ أَي مَفْسَدَةٌ

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوَّةُ مَا أَكْثَرَ القُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ

هِيَ المَقَادِيرُ فَلَمَنِي أَوْ فَلَزَّ إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ القَدْرُ

توفي أبو العتاهية في سنة إحدى عشرة ومِثْنين ، وله ثلاث وثمانون سنة ، أو

نحوها ، ببغداد .

وتحتمل سيرة أبي العتاهية أن تعمل في كراريس .

(١) انظر السير : ١٠ / ١٩٥ - ١٩٨

[١] المُنْتَكَمُ المُنَاطِرِ البَارِعِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَشْرُ بْنُ هَيْثَافِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ العَدَوِيِّ مَوْلَاهُمُ البَغْدَادِيُّ المَرِيسِيُّ، مِنْ مَوَالِي آلِ زَيْدِ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كَانَ بَشْرٌ مِنْ كِبَارِ الفُقَهَاءِ.

[٢] وَنَظَرَ فِي الكَلَامِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، وَأَنْسَلَخَ مِنَ الوَزْعِ وَالتَّقْوَى، وَجَرَّدَ القَوْلَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، حَتَّى كَانَ عَيْنَ الجَهْمِيَّةِ فِي عَصْرِهِ وَعَالِمَهُمْ، فَمَقَّتَهُ أَهْلُ العِلْمِ، وَكَفَرَهُ عِدَّةٌ، وَلَمْ يُدْرِكْ جِهَمَ بْنِ صَفْوَانَ، بَلْ تَلَقَّفَ مَقَالَاتِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ. وَقَالَ أَبُو النُّضْرِ هَاشِمُ بْنُ القَاسِمِ: كَانَ وَالِدُ بَشْرٍ يَهُودِيًّا قَصَّارًا صَبَّاعًا.

[٣] ذَكَرَهُ النَّدِيمُ، وَأَطْنَبَ فِي تَعْظِيمِهِ، وَقَالَ: كَانَ دِينًا وَرِعًا مُتَكَلِّمًا. ثُمَّ حَكَى أَنَّ البَلْخِيَّ قَالَ: بَلَغَ مِنْ وَرَعِهِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَطَأُ أَهْلَهُ لَيْلًا مَخَافَةَ الشُّبُهَةِ وَلَا يَتَزَوَّجُ إِلَّا مَنْ هِيَ أَصْغَرُ مِنْهُ بِعَشْرِ سَنِينَ مَخَافَةَ أَنْ تَكُونَ رَضِيعَتَهُ.

[٤] وَنُقِلَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِزَيْدِ بْنِ هَارُونَ: عِنْدَنَا بِبَغْدَادِ رَجُلٌ، يُقَالُ لَهُ: المَرِيسِيُّ، يَقُولُ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ: مَا فِي فِتْيَانِكُمْ مَنْ يَفْتِكُ بِهِ؟ قُلْتُ: قَدْ أَخَذَ المَرِيسِيُّ فِي دَوْلَةِ الرُّشَيْدِ، وَأَهْيَنَ مِنْ أَجْلِ مَقَالَتِهِ. وَقَالَ قَتَيْبَةُ: بَشْرُ المَرِيسِيُّ كَافِرٌ.

وَمَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ. وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ. فَهُوَ بَشْرُ الشَّرِّ، وَبَشْرُ الحَافِي بَشْرُ الخَيْرِ، كَمَا أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ هُوَ أَحْمَدُ السُّنَّةِ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ أَحْمَدُ البِدْعَةِ.

[٥] وَمَنْ كُفِّرَ بِبِدْعَةٍ وَإِنْ جَلَّتْ، لَيْسَ هُوَ مِثْلَ الكَافِرِ الأَصْلِيِّ، وَلَا اليَهُودِيِّ وَالمَجُوسِيِّ، أَيْ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَصَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَزَكَى وَإِنْ ارْتَكَبَ العِظَائِمَ وَضَلَّ وَابْتَدَعَ، كَمَنْ عَانَدَ الرُّسُولَ، وَعَبَدَ الوَثْنَ، وَبَنَدَ الشِّرَائِعَ وَكَفَرَ، وَلَكِنْ نَبْرًا إِلَى اللهُ مِنَ البِدْعِ وَأَهْلِهَا.

(١) انظر السير: ١٠/١٩٩-٢٠٢

[١] العلامة أبو معن الثُمَيْرِيُّ البَصْرِيُّ المتكَلِّم، من رؤوس المعتزلة، وكان تديماً ظريفاً صاحب مَلَح، اتَّصَلَ بالرَّشِيد، ثمَّ بالمأمون. روى عنه تلميذه الجاحظ.

[٢] قال: المقلِّدون من أهل الكتاب وَعَبْدَةُ الأوثان لا يدخلون النَّارَ بل يصيرون تُرَاباً. وإن من مات مسلماً وهو مُصْرَعٌ على كَبِيرَةٍ خُلِدَ في النَّارِ، وإنَّ أطفال المؤمنين يُصَيَّرُونَ تُرَاباً، ولا يدخلون جنة.

قلت: قَبَّحَ اللهُ هذه النَّحْلَةَ.

[٣] قال المُبَرِّدُ: قال ثُمَامَةُ: خرجت إلى المأمون، فرأيت مجنوناً شُدًّا، فقال: ما اسمك؟ قلت: ثُمَامَةُ، فقال: المُتَكَلِّمُ؟ قلت: نعم، قال: جلست على هذه الأجرَّة، ولم يَأْذَن لكَ أهلها، فقلت: رأيتها مبدولة، قال: لعل لهم تديباً غير البَدَلِ، متى يجد النَّائم لذة النَّوم؟ إن قلت: قَبْلَهُ، أَحَلَّتْ، لأنَّه يَقْظَانُ، وإن قلت: في النَّوم، أَبْطَلْتِ، إذ النَّائم لا يعقل، وإن قلت: بعده فقد خرج عنه، ولا يوجد شيء بعد فقده، قال: فما كان عندي فيها جواب.

[٤] وعنه قال: عدت رجلاً، وتركت حماري على بابه، ثم خرجت فإذا صبي راكمه، فقلت: لم راكمه بغير إذني؟ قال: خفت أن يذهب، قلت: لو ذهب كان أهون عليّ، قال: فهب لي، وعدُّ أنه ذهب، واربح سُكْرِي، فلم أدري ما أقول.

[٥] الجاحظ، حدثني ثُمَامَةُ، قال: شهدت رجلاً قدم خصمه إلى والي، فقال: أصلحك الله، هذا ناصبي رافضي جهمي مشبه، يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على عليّ، ويلعن معاوية بن أبي طالب.

[٦] قال هارون الحمَّال: حدثنا محمد بن أبي كبشة قال: كنت في سفينة، فسمعتُ هاتفاً يقول: لا إله إلا الله، كذَّبَ المَرِيْسِيُّ على الله، ثم عاد الصوت يقول: لا إله

(١) انظر السير: ٢٠٦-٢٠٣/١٠

إلا الله ، علي ثمامة والمريسي لعنة الله ، قال : ومعنا رجل من أصحاب المريسي
في المركب ، فخر ميتاً .

الطبقة الحادية عشرة

٤٤٦ أسدُ بنُ الفُرات^(١)

[١] الإمام العلامة القاضي الأمير، مُقدّمُ المُجاهدين، أبو عبدالله الحرّاني، ثم المغربي.

مولده بحرّان سنة أربع وأربعين ومئة.

ودخل القيروانَ مع أبيه في الجهاد، وكان أبوه الفُراتُ بن سنان من أعيان الجُند. وغلب عليه علمُ الرأي، وكتب علمُ أبي حنيفة.

[٢] قيل: إنه رجَعَ من العراق، فدخل على ابنِ وهب، فقال: هذه كتب أبي حنيفة، وسأله أن يُجيبَ فيها على مذهب مالك، فأبى، وتورّع، فذهب بها إلى ابن القاسم، فأجابهُ بما حَفِظَ عن مالك، وبما يعلم من قواعد مالك، وتُسمى هذه المسائل الأُسديّة.

وحصلت بإفريقية له رئاسة وإمرة، وأخذوا عنه، وتفقهوا به.

[٣] وحمل عنه سُحنون بن سعيد، ثم ارتحل سُحنون بالأُسديّة إلى ابن القاسم، وعرضها عليه، فقال ابن القاسم: فيها أشياء لا بد أن تُغَيَّرَ، وأجاب عن أماكن، ثم كتب إلى أسدِ بن الفُرات: أن عارضَ كُتُبَكَ بِكُتُبِ سُحنون، فلم يفعل، وعزَّ عليه، فبلغ ذلك ابن القاسم، فتألم، وقال: اللهم لا تبارك في الأُسديّة، فهي مرفوضة عند المالكية.

[٤] وقد كان أسدُ ذا إتقانٍ، وتحريراً لِكُتُبِهِ، لقد بيعت كُتُبُ فقيه، فتُودي عليها: هذه قُوِبِلت على كتب الإفريقي، فاشتروها ورقتين بدرهم.

(١) انظر السير: ١٠ / ٢٨-٢٢٥

[١] مضى أسدُ أميراً على الغزاة من قِبَل زيادة الله الأغلبيّ متولّي المغرب، فافتتح بلداً من جزيرة صَقْلِيّة، وأدركه أجله هناك في سنة ثلاث عشرة ومئتين .
 [٢] وكان مع توسُّعه في العلم فارساً بطلاً شجاعاً مقداماً، زحف إليه صاحبُ صَقْلِيّة في مئة ألف وخمسين ألفاً. قال رجلٌ: فلقد رأيتُ أسداً ويده اللواءُ يقرأ سورة ﴿يس﴾ ثم حملَ بالجيشِ، فهزَمَ العَدُوَّ، ورأيتُ الدمَ وقد سَالَ على قناة اللواءِ وعلى ذراعه .

٤٤٧ أبو مُسَهَّرٍ (ع)^(١)

[٣] عبدُ الأعلى بنُ مُسَهَّرٍ بنِ عبدِ الأعْلَى، الإمامُ شيخُ الشَّامِ، أبو مسهر النِّسائِيُّ الدَّمشقيُّ الفقيه .

وكان من أوعية العلم .

مولده سنة أربعين ومئة .

[٤] قال ابنُ سعد: كان أبو مُسَهَّرٍ راويةً سعيدِ بنِ عبد العزيز، وكان أشخصَ من دمشق إلى المأمونِ بالرُّقَّة، فسأله عن القرآن، فقال: هو كلامُ الله، وأبى أن يقول: مخلوق، فدعا له بالنُّطع والسيِّف ليضربَ عنقه، فلما رأى ذلك، قال: مخلوقٌ . فتركه من القتل، وقال: أما إنك لو قُلتَ ذاك قُبِلَ السيِّف، لقبِلتُ منك، ولكنتُك تخرُجُ الآن فتقولُ: قلتَ ذاكَ فَرَقاً من القتل، فأمر بحبسِهِ ببغداد في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة ومات بعد قليلٍ في الحبسِ في غُرَّة رجب من السنة، فشهدته قومٌ كثيرٌ من أهل بغداد .

[٥] قال أبو إسحاق الجوزجاني: سمعتُ يحيى بنَ مَعِينٍ يقولُ: الذي يُحدِّثُ ببلدٍ به من هو أولى بالتحديث منه أحق، وإذا رأيتي أحدثُ فيها مثلُ أبي مُسَهَّرٍ فينبغي للحيثي أن تحلق .

(١) انظر السير: ١٠ / ٢٢٨ - ٢٣٨

[١] قال ابن ديزيل: سمعتُ أبا مُسهرٍ ينشدُ:

فَبِكَ عُمِّرَتْ بِمِثْلِ مَا عَاشَ نُوحٌ ثُمَّ لَاقَيْتَ كُلَّ ذَاكَ بِسَارَا
هَلْ مِنْ الْمَوْتِ لَا أَبَالُكَ بَدُّ أَيِّ حَيٍّ إِلَى سِوَى الْمَوْتِ ضَارَا

[٢] قال عليُّ بن عثمان النُفيلي: كُنَّا عَلَى بَابِ أَبِي مُسْهَرٍ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ
الْحَدِيثِ، فَمَرِضٌ، فَعَدْنَا، وَقُلْنَا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: فِي عَافِيَةٍ، رَاضِيًا عَنِ
اللَّهِ، سَاخِطًا عَلَى ذِي الْقَرْنَيْنِ، كَيْفَ لَمْ يَجْعَلْ سِدًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، كَمَا
جَعَلَهُ بَيْنَ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَمَا كَانَ بَعْدَ هَذَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَافَى
الْمَأْمُونُ دِمَشْقًا، وَنَزَلَ بِبَدْيِ مَرَّانَ وَبَنَى الْقُبَّةَ فَوْقَ الْجَبَلِ، فَكَانَ بِاللَّيْلِ يَأْمُرُ بِجَمْرِ
عَظِيمٍ، فَيُوقَدُ وَيُجْعَلُ فِي طُسُوتِ كِبَارٍ، تُذَلَّى مِنْ عِنْدِ الْقُبَيْبَةِ بِسَلْسَلٍ وَجِبَالٍ،
فَتُضِيءُ لَهَا الْغُوطَةُ، فَيُصِيرُهَا بِاللَّيْلِ.

وَكَانَ لِأَبِي مُسْهَرٍ حَلَقَةٌ فِي الْجَامِعِ بَيْنَ الْعِشَاءِ بَيْنَ عِنْدِ حَائِطِ الشَّرْقِيِّ، فَبَيْنَا هُوَ
لَيْلَةً، إِذْ قَدْ دَخَلَ الْجَامِعَ ضَوْءٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ أَبُو مُسْهَرٍ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: النَّارُ الَّتِي
تُذَلَّى مِنَ الْجَبَلِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى تُضِيءَ لَهُ الْغُوطَةُ. فَقَالَ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً
تُعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ الآية [الشعراء ١٢٨ و ١٢٩] وَكَانَ فِي
الْحَلَقَةِ صَاحِبٌ خَبِرَ لِلْمَأْمُونِ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمَأْمُونِ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا رَحَلَ الْمَأْمُونُ، أَمَرَ بِحَمْلِ أَبِي مُسْهَرٍ إِلَيْهِ، فَامْتَحَنَهُ بِالرُّقَّةِ فِي الْقُرْآنِ.
قُلْتُ: قَدْ كَانَ الْمَأْمُونُ بَأْسًا وَبِلَاءً عَلَى الْإِسْلَامِ.

[٣] قَالَ أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ قَدْرًا مِنْ أَبِي مُسْهَرٍ، كُنْتُ أَرَاهُ إِذَا
خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، اصْطَفَى النَّاسَ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، وَيَقْبَلُونَ يَدَهُ.

٤٤٨ زُبَيْدَةُ (١)

[٤] الْمَسْتُ الْمُحْجَبَةُ أُمَّةُ الْعَزِيزِ، وَتُكْنَى أُمُّ جَعْفَرِ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرٍ،

(١) انظر السير: ٢٤١ / ١٠.

العبَّاسيَّة، والدةُ الأمينِ محمدِ بنِ الرُّشيدِ، قيل: لم تلد عبَّاسيَّةً خليفَةً سواها.
وكانت عظيمَةً الجاهِ والمالِ، لها آثارٌ حميدةٌ في طريقِ الحجِّ، وجُدُّها المنصورُ
هو لُقْبها زُبيدَةٌ.

[١] وكان في قصرها من الجَوَّاري نحو من مئةٍ جارِيَةٍ كُلُّهنَّ يحفظنَّ القرآنَ.
تُوِّفِيَتْ سنَّةً ستَّ عشرةٍ ومئتينِ.

٤٤٩ عَفَّان (ع) (١)

[٢] ابنُ مُسلمِ بنِ عبداللهِ مولى عَزْرَةَ بنِ ثابتِ الأنصاري، الإمامِ الحافظِ، مُحدِّثُ
العراقِ، أبو عثمانِ البصري الصُّفَّارِ، بقيةُ الأعلامِ.
ولد سنَّةً أربعٍ وثلاثينِ ومئةٍ تحديداً أو تقريبا.

[٣] قال حنبلٌ: حضرتُ أبا عبداللهِ وابنِ مَعِينٍ عندِ عَفَّانٍ بعد ما دعاه إسحاقُ بنِ
إبراهيمِ للمِحَنَةِ، وكان أولُ مَنْ امْتَحَنَ مِنَ النَّاسِ عَفَّانَ، فسأله يحيى من الغدِ بَعْدَ
ما امْتَحَنَ، وأبو عبداللهِ حاضرٌ ونحنُ معه، فقال: أخبِرنا بما قال لك إسحاقُ؟
قال: يا أبا زكريا لم أُسَوِّدْ وجهك ولا وجوه أصحابك، إني لم أجب. فقال له:
فكيف كان؟ قال: دعاني وقرأ عليَّ الكتابَ الذي كتب به المأمونُ من الجزيرةِ،
فإذا فيه: امتحن عَفَّانَ، وادعه إلى أن يقول: القرآنُ كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقرَّه
على أمره، وإن لم يُجِبْكَ إلى ما كتبتُ به إليك فاقطعْ عنه الذي يُجرى عليه - وكان
المأمونُ يُجرى على عَفَّانِ كلَّ شهرٍ خمسَ مئةٍ درهمٍ - فلما قرأ عليَّ الكتابَ قال
لي إسحاقُ، ما تقول؟ فقرأتُ عليه ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ حتى ختمتها، فقلت:
أمخلوقٌ هذا؟ فقال: يا شيخُ إنَّ أميرَ المؤمنين يقول: إنَّك إن لم تُجِبْهُ إلى الذي
يدعوكُ إليه يقطعْ عنك ما يجري عليك. فقلت: ﴿وفي السماءِ رزقكم وما

(١) انظر السير: ٢٤٢/١٠. ٢٥٥

تُوَعِدُونَ ﴿ [الذاريات ٢٢] فَسَكَتَ عَنِّي ، وانصرفتُ ، فسُرُّ بذلك أبو عبد الله
ويحيى .

قلتُ : هذه الحكايةُ تدلُّ على جلالَةِ عَفَّانٍ وارتفاعِ شأنِهِ عندَ الدولة ، فإنَّ غيره
امْتَحَنَ وَقِيدَ وَسُجِنَ ، وَعَفَّانٌ فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه .
[١٦] قال القاسمُ بن أبي صالح : سمعتُ إبراهيم بن ديزيل ، يقول : لما دُعي عَفَّانُ
للمحنة كنتُ آخذاً بلجامِ حِمَارِهِ ، فلما حَضَرَ عُرِضَ عليه القولُ ، فامتنع أن يُجيبَ ،
فقيل له : يُحِبُّ عَطَاؤَكَ . قال : وكان يُعطى في كُلِّ شهرٍ ألفَ درهمٍ - فقال : ﴿ وفي
السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعَدُونَ ﴾ فلما رَجَعَ إلى دارِهِ عَدَّ لَهُ نِسَاؤَهُ ومن في دارِهِ ، قال : وكان
في دارِهِ نحو أربعين إنساناً ، فذُقَ عليه داقُ البابِ ، فدخل عليه رجلٌ شَبَّهُهُ بِسَمَّانٍ
أو زِيَّاتٍ ، ومعه كيسٌ فيه ألفُ درهمٍ ، فقال : يا أبا عثمان تَبَّتْكَ اللهُ كما تَبَّتْ الدين
وهذا في كُلِّ شهرٍ .

[٢] محمد بن الحسن بن علي بن بحر : حدثنا الفلاس قال : رأيتُ يحيى يوماً حدثت
بحديثٍ ، فقال له عَفَّانُ : ليس هو هكذا . فلما كانَ من الغدِ ، أتيتُ يحيى ، فقال :
هو كما قال عَفَّانُ ، ولقد سألتُ اللهُ أن لا يكونَ عندي على خلاف ما قال عَفَّانُ .
قلتُ : هكذا العلماءُ ، فانظر يا مسكين كيف أنت عنهم بِمَعزَلٍ .

[٣] قال سلمةُ بن شبيب : قلتُ لأحمدَ بن حنبلٍ : طلبتُ عَفَّانَ في منزله ، قالوا :
خرج ، فخرجتُ أسأله عنه ، فقيل : توجَّه هكذا ، فجعلتُ أمضي أسأله عنه ، حتى
انتهيتُ إلى مقبرةٍ ، وإذا هو جالسٌ يقرأ على قبرِ بنتِ أخي ذي الرِّياسَتَيْنِ ، فَبِرَقْتُ
عليه ، وقلتُ : سَوْءَةٌ لَكَ قال : يا هذا ، الخَبِرَ الخَبِرَ ! قلتُ : لا أشيع اللهُ بطنك . قال :
فقال لي أحمدُ : لا تذكُرَنَّ هذا فإنه قد قامَ في المحنة مَقاماً محموداً عليه ، ونحو
هذا من الكلام .

مات عَفَّانُ في سنة عشرين ومئتين أو قبلها .

قلتُ : عاش خمساً وثمانين سنة رحمه الله .

٤٥٠ القَعْنَبِيُّ (خ، م، د) (١)

[١] عبدالله بن مسلمة بن قَعْنَب، الإمام الثبُت القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبدالرحمن الحارثي القَعْنَبِيُّ المدني، نزيل البصرة، ثم مكة. مولده بعد سنة ثلاثين ومئة بيسير.

[٢] وقال أبو حاتم: ثقة حُجَّةٌ لم أر أخشع منه، سألناه أن يقرأ علينا «الموطأ»، فقال: تعالوا بالعَدَاة، فقلنا: لنا مجلس عند حجاج بن منْهال، قال: فإذا فرغتم منه. قلنا: نأتي حينئذٍ مُسلم بن إبراهيم. قال: فإذا فرغتم. قلنا: نأتي أبا حذيفة النهدي. قال: فبعد العصر. قلنا: نأتي عارماً أبا النعمان، قال: فبعد المغرب. فكان يأتينا بالليل، فيخرج علينا، وعليه كِبَلٌ ما تحته شيء في الصيف، فكان يقرأ علينا في الحرِّ الشديد حينئذ. الكبل: الفرو الكبير.

قال عمرو بن علي بن الفلاس: كان القَعْنَبِيُّ مُجَابِبَ الدعوة.

[٣] ويروى عن أبي سَبْرَةَ المَدِينِي قال: قلتُ للقَعْنَبِيِّ: حَدَّثْتُ ولم تكن تُحَدِّثُ! قال: إني أُرَيْتُ كأَنَّ القيامةَ قد قامت، فصيحٌ بأهل العلم، فقاموا، وقمتُ معهم، فتودى بي: اجلس. فقلتُ: إلهي ألم أكن أطلبُ؟ قال: بلى، ولكنهم نُشِروا، وأخفيتَه. قال: فحدَّثْتُ.

وقال إسماعيل القاضي: كان القَعْنَبِيُّ من المجتهدين في العبادة.

[٤] أحمد بن منير البلخي، سَمِعْتُ حَمْدَانَ بن سَهْلَ البلخيِّ الفقيه يقول: ما رأيتُ أحداً إذا رُوِيَ ذَكَرَ الله تعالى إلا القَعْنَبِيُّ رحمه الله، فإنه كان إذا مرَّ بمجلسٍ يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: كان يسمي الراهبَ لعبادته وفضله.

[٥] عن الحُثَيْنِيِّ قال: كُنَّا عند مالكٍ، فقدم ابن قَعْنَبٍ من سَفَرٍ، فقال مالك: قوموا بنا إلى خير أهل الأرض.

ومات القَعْنَبِيُّ سنة إحدى وعشرين ومئتين.

(١) انظر السير: ٢٥٧/١٠ - ٢٦٤

٤٥١ المأمون^(١)

[١] الخليفة، أبو العباس، عبدالله بن هارون الرشيد. وُلد سنة سبعين ومئة. وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وعمل الرصد^(٢) فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة.

أنته وفاة أبيه وهو يمر سائراً لغزو ما وراء النهر، فبايع من قبله لأخيه الأمين، ثم جرت بينهما أمور وخطوب وبلاء وحروب تُشيب النواصي، إلى أن قُتل الأمين، وبايع الناس المأمون في أول سنة ثمان وتسعين ومئة.

[٢] وعن المأمون: أنه تلا في رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة.

[٣] أبو العباس السراج: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال: تقدّم رجل غريب بيده محبرة إلى المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به، فقال: ما تحفظ في باب كذا وكذا؟ فلم يذكر شيئاً. فقال حدثنا هشيم، وحدثنا يحيى، وحدثنا حجاج بن محمد، حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر شيئاً، فقال: حدثنا فلان. ثم قال لأصحابه: يطلب أحدكم الحديث ثلاثة أيام، ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث، اعطوه ثلاثة دراهم.

[٤] وعن يحيى بن أكثم: كان المأمون يحلم حتى يُغيظنا، قيل: مرّ ملاح، فقال: أتظنون أن هذا ينبل عندي وقد قتل أخاه الأمين؟! فسمعها المأمون، فتبسّم، وقال: ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل.

[٥] وعن المأمون قال: أعياني جوابُ ثلاثة:

صرت إلى أم ذي الرياستين الفضل بن سهل أعزبها فيه، وقلت: لا نأسي عليه، فإني عوضه لك، قالت: يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولدي أكسبني مثلك.

(١) انظر السير: ٢٧٢/١٠ - ٢٩٠

(٢) الرصد في علم الفلك: اسم لموضع تعين فيه حركات الكواكب.

[١] قال: وأُتيتُ بمتنبيءٍ، فقلت: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران، قلت: ويحك، موسى كانت له آيات، فإتني بها حتى أؤمن بك. قال: إنما أتيتُ بالمعجزات فرعون، فإن قلت: أنا ربكم الأعلى كما قال، أتيتك بالآيات.

وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم، فقال خطيبهم: هو شرُّ عامل، أما في أول سنة، فبعنا الأثاث والعقار، وفي الثانية بعنا الضياع، وفي الثالثة نَزَحنا وأتيناك، قال: كذبت، بل هو محمود، وعرفت سُخْطكم على العَمال. قال: صدقت يا أمير المؤمنين، وكذبتُ، قد خصصتنا به مدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر ليشملهم من عدله وإنصافه ما شملنا. فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلته.

[٢] وعن المأمون قال: الناس ثلاثة: رجل منهم مثل الغذاء لا بد منه، ومنهم كالدواء يُحتاج إليه في حال المرض، ومنهم كالداء مكروه على كل حال. وعنه قال: لا نزهة ألد من النظر في عُقول الرجال.

[٣] قيل: إن المأمون لتشيُّعه أمر بالنداء بإباحة المُتعة - مُتعة النساء - فدخل عليه يحيى بن أكثم، فذكر له حديث علي رضي الله عنه بتحريمها، فلما علم بصحة الحديث، رجع إلى الحق، وأمر بالنداء بتحريمها. أما مسألة القرآن، فما رجع عنها، وصمَّم على امتحان العلماء في سنة ثمانين عشرة، وشدَّد عليهم، فأخذ الله.

[٤] وكان كثير الغزو.

[٥] وفيها - أعني سنة ٢٠٥ - نصر المسلمون على بابك، وبيته.

[٦] وكانت الحروب شديدة بين عسكر الإسلام وبين بابك، وظَهَرَ باليمن الصناديق، وقتل، وسى، وأدعى النبوَّة، ثم هلك بالطاعون.

[٧] وفي سنة اثنتي عشرة: سار محمد بن حُميد الطوسي لمحاربة بابك، وأظهر المأمون تفضيل علي على الشيعين، وأن القرآن مخلوق، واستعمل على مصر والشام أخاه المُعتصم فقتل طائفة، وهذب مصر، ووقع المصاف مع بابك مرات.

- [١] وفي سنة خمس عشرة: سار المأمون لغزو الروم، ومن غزوته عطف إلى دمشق.
- [٢] وفي سنة ست عشرة: كثر غازيا في الروم، وجهز أخاه المعتصم، ففتح حصوناً، ودخل سنة سبع عشرة مصر، وقتل المتغلب عليها عبدوساً الفهري.
- [٣] وفيها وقع حريق عظيم بالبصرة أذهب أكثرها.
- مات في سنة ثمان عشرة ومئتين وله ثمان وأربعون سنة.

٤٥٢ الْمُتَعَصِّم (١)

[٤] الخليفة أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي.

وُلد سنة ثمانين ومائة.

[٥] قال الرياشي: كتب طاغية الروم إلى المعتصم ينهذه، فأمر بجوابه، فلما عُرض عليه رماه، وقال للكاتب: اكتب: (أما بعد، فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع) ﴿وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار﴾.

[٦] قلت: وامتنح الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار، وأخذ بذلك المؤذنين وفقهاء المكاتب، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاماً.

[٧] وكان في سنة ٢١٨ الوباء المفرد والقحط بمصر، ومات أكثرهم.

[٨] واشتد البلاء ببابك، وهزم الجيوش، ودخل في دينة خلائق من العجم، وعسكر بهمذان، فبرز لقتاله إسحاق المصعبي، فكانت ملحمة عظيمة، فيقال: قُتل منهم ستون ألفاً، وهرب باقيهم إلى الروم.

[٩] وفي سنة اثنتين وعشرين، كان المصافى بين بابك الخرمي وبين الأفشين، فطحنه الأفشين، واستباح عسكره، وهرب، ثم إنه أسر بعد فصول طويلة، وكان أحد الأبطال، أخاف الإسلام وأهله، وهزم الجيوش عشرين سنة، وغلب على

(١) انظر السير: ١٠ / ٢٩٠-٣٠٦

أذربيجان وغيرها، وأراد أن يقيم العملة المحوسية.

[١] وكان المعتصم والمامون قد أنفقوا على حرب بابك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، ففي هذه السنة، بعث المعتصم نفقات إلى جيشه مع الأفسين فكانت ثلاثين ألف ألف درهم، وأخذت البُدْ مدينة بابك اللعين، واختفى في غِيضَةٍ، وأبْرَ أهله وأولاده، وقُطِعَ دابر الخُرْمِيَّة.

[٢] وقال المسعودي: هرب بابك بأخيه وأهله وخواصه في زِي التجار، فنزل بأرض أرمينية بعمل سهل بن سباط، فابتاعوا شاة من راع، فَنَكِرهم، فأتى سهلاً، فأعلمه فقال: هذا بابك بلا شك، فركب في أجناده حتى أتى بابك، فترجل وسلم عليه بالملك، وقال: قم إلى قصرِك، فأنا عبدك، فمضى معه، ومدَّ السُّمَاط له، وأكل معه، فقال بابك: أمثلك يأكل معي! فوقف واعتذر، ثم أحضر حدّاداً ليقيده، فقال: أغدراً يا سهل؟ قال: يا ابن الفاعلة، إنما أنت راعي بقر، ثم قيّد أتباعه، وكاتب الأفسين، فجهز أربعة آلاف، فتسلموه وجاء سهل، فخلع عليه الأفسين، وبعث بطاقة بذلك إلى بغداد، فضجَّ الناس بالتكبير والشكر لله، ثم قدموا ببابك في صفر سنة ثلاث.

[٣] وكان هذا الشقيُّ ثوبياً على دين ماني ومزْدَك، يقول بتناسخ الأرواح، ويستحلُّ البنتَ وأمها.

[٤] وقيل: إنه أباد من الأمة خلّاتق، وبخط الإمام ابن الصّلاح: أن قتل بابك بلغوا ألف ألف وخمسة مئة ألف، وأحصي قتل أبي مسلم الخراساني، فبلغوا ألفي ألف.

[٥] قال نبطويه: يُقال للمعتصم: المُثْمَن، فإنه ثامن بني العباس، وتملك ثمانين سنين، وثمانية أشهر، وله فتوحات ثمانية.

وقتل ثمانية: بابك، والأفسين، ومازيار، وباطيس، ورئيس الرّنادقة وعُجيفاً، وقارون، وأمير الرافضة.

[١] وقال غير نفظويه : خالف من الذهب ثمانية آلاف دينار، وثمانية عشر ألف ألف درهم، وثمانين ألف فرس، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور. وقيل بلغ ممالئكه ثمانية عشر ألفاً، وكان ذا سطوة إذا غضب لا يُبالي من قتل.

قال الخطيب: كثر عسكرُ المعتصم، وضاق عليهم بغداد، فبنى مدينة (سُرَّ من رأى) وتحوَّل إليها وتُسمى أيضاً العسكر. مات المعتصم سنة سبع وعشرين ومئتين، وله سبع وأربعون سنة وسبعة أشهر، ودفن (بسُرَّ من رأى) وصلى عليه ابنه الواثق.

٤٥٣ الواثق بالله^(١)

[٢] الخليفة أبو جعفر، وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله. وكان مولده سنة ست وتسعين ومئة.

[٣] قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن.

[٤] قال عُبيدُ الله بن يحيى: حدثنا إبراهيم بن أسباط، قال: حُمل رجل مقيد، فأدخل على ابن أبي دؤاد بحضور الواثق، فقال لأحمد: أخبرني عن ما دعوتهم الناس إليه، أعلمه رسول الله ﷺ فما دعا إليه، أم شيء لم يعلمه؟ قال: بل علمه. قال: فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه، وأنتم لا يسعكم؟! فبهتوا، وضحك الواثق، وقام قابضاً على فمه، ودخل مجلساً، ومدَّ رجله وهو يقول: أمر وسع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه ولا يسعنا! ثم أمر أن يُعطى الشيخ ثلاث مئة دينار، وأن يرد إلى بلده.

(١) انظر السير: ٣٠٦/١٠-٣١٤

[١] وفي سنة إحدى وثلاثين: قتل أحمد بن نصر الحزاعيّ الشهيد ظلماً، وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وافتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مئة نفس، فقال ابن أبي دواد: من لم يقل: القرآن مخلوق، فلا تفتكوه.

وفيها جاء المجوس الأرمانيون في مراكب من ساحل البحر الأعظم، فدخلوا إشبيلية بالسيف، ولم يكن لها سور بعد، فجهز لحربهم أمير الأندلس عبدالرحمن المرواني جيشاً، فالتقوا، فانهزم الأرمانيون، وأسر منهم أربعة آلاف وبه الحمد.

[٢] قال زرقان بن أبي داود: لما احتضر الوثاق، ردّد هذين البيتين:

الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مشتركٌ لا سوقةٌ منهمُ يبقى ولا ملكٌ
ما ضرَّ أهلَ قليلٍ في تفرُّقهم وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر باليسط، فطويت، وألصق خده بالتراب، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه.

قلت: كانت خلافته خمس سنين ونصفاً، مات بسامراً، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وبأيعوا بعده أخاه المتوكل.

٤٥٤ زكريا بن عدي (خ، ت) (١)

[٣] ابن زريق، الإمام الحافظ الثبت، أبو يحيى التيمي، مولاهم الكوفي، نزيل بغداد.

[٤] وكان عدي ذمياً فأسلم.

[٥] وقال المنذرين شاذان: ما رأيت أحفظ من زكريا بن عدي، جاءه أحمد بن حنبل ويحيى، فقالا: أخرج إلينا كتاب عبيد الله بن عمرو، فقال: ما تصنعون به؟ خذوا حتى أملي عليكم كله، وكان يحدث عن عدة من أصحاب الأعمش، فميّز ألفاظهم.

(١) انظر السيرة: ٤٤٢/١٠-٤٤٥

- [١] وقيل: إنه لما احتضر، قال: اللهم إني إليك مشتاق.
- [٢] وقال أبو يحيى صاعقة: قدم زكريا بن عدي، فكلّموا له من يستعمله على قرية في الشهر بثلاثين درهماً، فرجع بعد شهر، وقال: ليس أجدني أعمل بقدر الأجرة.
- [٣] واشتكت عينه، فأتاه رجل بكحل، فقال: أنت ممن يسمع الحديث مني؟ قال: نعم، فأبى أن يأخذه.
- [٤] وقد نال منه أبو نعيم الكوفي بلا حجة، وقال: ماله وللحديث؟ هو بالتوراة أعلم.
- قال ابن سعد: هو من موالى تيم الله، وكان رجلاً صالحاً ثقة، قال: وتوفي في سنة إحدى عشرة ومئتين.

٤٥٥ الوَحَاطِيّ (خ، م) (١)

- [٥] الإمام العالم الحافظ الفقيه، أبو زكريا، يحيى بن صالح الوحاظي الدمشقي، وقيل: الجمصي.
- قال يحيى بن معين ثقة.
- وممن وثقه ابن عدي وابن حبان، وغمزه بعض الأئمة لبدعة فيه، لا لعدم إتقان.
- [٦] قال أحمد بن حنبل: أخبرني رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال: لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث - يعني هذه التي في الرؤية - ثم قال أحمد: كأنه نزع إلى رأي جهّم.

قلت: والمعتزلة تقول: لو أن المحدثين تركوا ألف حديث في الصفات والأسماء والرؤية، والنزول، لأصابوا. والقدرية تقول: لو أنهم تركوا سبعين حديثاً في إثبات القدر.

والرافضة تقول: لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التي يدعون صحتها ألف

(١) انظر السير: ١٠ / ٤٥٣ - ٤٥٦

حديث، لأصاويًا، وكثير من ذوي الرأي يردّون أحاديث شافه بها الحافظ المفتي
المجتهد أبو هريرة رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه ما كان فقيها، ويأتوننا بأحاديث
ساقطة، أو لا يعرف لها إسناداً أصلاً محتجّين بها.

قلنا: وللكلّ موقفٌ بين يدي الله تعالى: يا سبحان الله! أحاديث رؤية الله في
الآخرة متواترة، والقرآن مصدق لها، فأين الإنصاف؟
[١] قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا يزيد بن عبد ربه يقول: سمعت وكيعاً يقول
ليحيى الوحاظي: اجتنب الرأي، فإني سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: البول في
المسجد أحسن من بعض قياسهم.
مات الوحاظي سنة اثنتين وعشرين ومئتين.

٤٥٦ علي بن الجعد (خ، د) (١)

[٢] ابن عبيد الإمام الحافظ الحجّة مُسند بغداد، أبو الحسن البغدادي الجوهري
مولى بني هاشم.
وُلد سنة أربع وثلاثين ومئة.

[٣] قال الحسين بن إسماعيل الفارسي، سألت عبدوس بن هانيء عن حال عليّ بن
الجعد، فقال: ما أعلم أني لقيت أحفظ منه، فقال: كان يُتهم بالجهم.
قال: قد قيل هذا، ولم يكن كما قالوا، إلا أن ابنه الحسن بن علي كان على
قضاء بغداد، وكان يقول بقول جهم، قال: كان عند علي بن الجعد عن شعبة نحو
من ألف ومئتي حديث، وكان قد لقي المشايخ فزهدت فيه بسبب هذا القول، ثم
ندمت بعد.

[٤] وقال أبو يحيى الناقد: سمعتُ أبا غسان الدوري يقول: كنتُ عند علي بن
الجعد، فذكروا حديث ابن عمر: «كنا نُفاضلُ علي عهد النبي ﷺ فنقول: خير

(١) انظر السير: ١٠ / ٤٥٩-٤٦٨

هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان، فيبلغ النبي ﷺ، فلا يُنكره.

فقال علي: انظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته يقول: كنا نفاضل. وكنت عنده فذكروا حديث: «إن ابني هذا سيد» قال: ما جعله الله سيداً. قلت: أبو غسان لا أعرف حاله، فإن كان قد صدق، فلعل ابن الجعد قد تاب من هذه الورطة، بل جعله سيداً علي رغم أنف كل جاهل، فإن من أصرّ على مثل هذا من الرد على سيد البشر، يكفر بلا مشنوبة، وأي سُودد أعظم من أنه يبيع بالخلافة، ثم نزل عن الأمر لقرابته، وبايعه علي أنه ولي عهد المؤمنين، وأن الخلافة له من بعد معاوية حسماً للفتنة، وحقناً للدماء، وإصلاحاً بين جيوش الأمة ليتفرغوا لجهاد الأعداء، ويخلصوا من قتال بعضهم بعضاً، فصَحَّ فيه تفرّس جدّه ﷺ، وعُدَّ ذلك من المعجزات، ومن باب إخباره بالكوائن بعده، وظهر كمال سُودد السيد الحسن ابن علي ربحانة رسول الله ﷺ وحبّيه، والله الحمد.

[١] وقال محمد بن حماد المقرئ: سألت يحيى بن معين عن علي بن الجعد، فقال: ثقة صدوق، ثقة صدوق قلت: فهذا الذي كان منه؟ فقال: أيش كان منه؟ ثقة صدوق.

[٢] وقال فيه مسلم: هو ثقة لكنّه جهمي.

قلت: ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه.

[٣] وقد كان طائفة من المحدثين ينظعون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة، وإلا فعليّ إمام كبير حجة، يقال: مكث ستين سنة يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وبحسبك أن ابن عدي يقول في «كامله» لم أر في رواياته حديثاً منكراً إذا حدّث عنه ثقة.

توفي سنة ثلاثين ومئتين، وقد استكمل ستاً وتسعين سنة.

الطبقة الثانية عشرة

٤٥٧ بشر بن الحارث^(١)

[١] ابن عبدالرحمن، الإمام المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي.

وُلد سنة اثنتين وخمسين ومئة.

[٢] كان يَزُمُ نفسه، فقد كان رأساً في الورع والإخلاص.

[٣] قال أبو بكر المروزي: سمعتُ بشرأ يقول: الجوع يصفى الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق.

[٤] وقال أبو بكر بن عثمان: سمعتُ بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهي شواء منذ أربعين سنة، ما صفا لي درهمه.

[٥] علي بن عثام، قال: أقام بشر بن الحارث بعبادان يشرب ماء البحر، ولا يشرب من حياض السلطان، حتى أضرب بجوفه، ورجع إلى أخته وجعاً، وكان يعمل المغازل ويبيعها، فذاك كسبه.

[٦] وقال يعقوب بن بختان: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله، وحسنت نيته فيه، وأما أنا فاستغفر الله من طليبه، ومن كل خطوة خطوت فيه.

[٧] قال أحمد بن حنبل: لو كان بشر تزوج لتم أمره.

[٨] قال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كل شعرة منه عقل، وطئ الناس عقبه خمسين سنة، ما عرف له غيبة لمسلم، ما رأيت أفضل منه.

[٩] وعنه: شاطر سخى أحب إلى الله من صوفي بخيل.

(١) انظر السير: ١٠ / ٤٦٩-٤٧٧

[١] وعنه: أمس قدم مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد.

[٢] لا يفلح من ألف أفضاذا النساء.

[٣] إذا أعجبك الكلام، فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

[٤] وعنه قال: قد يكون الرجل مرثياً بعد موته، يحب أن يكثر الخلق في جنازته.

[٥] لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سُداً.

[٦] حمزة بن دهقان، قال: قلت لبشر بن الحارث: أحب أن أخلو معك. قال: إذا

شئت فيكون يوماً. فرأيت قد دخل قبة، فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أصلي

مثلها، فسمعت يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي

من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك

تعلم فوق عرشك أني لا أؤثر على حبك شيئاً، فلما سمعته، أخذني الشهيق

والبكاء، فقال: اللهم أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا ها هنا، لم أتكلم.

[٧] وقيل لأحمد: مات بشر. قال: مات والله وما له نظير، إلا عامر بن عبد قيس،

فإن عامراً مات ولم يترك شيئاً. ثم قال أحمد: لو تزوج.

[٨] قال إبراهيم الحربي: لو قسم عقل بشر على أهل بغداد، صاروا عقلاء.

[٩] قيل: جاء رجل إلى بشر، فقبله، وجعل يقول: ياسيدي أبا نصر. فلما ذهب،

قال بشر لأصحابه، رجل أحب رجلاً على خير توهمه، لعل المحب قد نجا،

والمحبيب لا يدري ما حاله.

مات بشر الحافي رحمة الله عليه سنة سبع وعشرين ومئتين، قبل المعتصم

الخليفة بسنة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة.

وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب.

[١٠] عن بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها، أحب لقاء

مولاه، وعنه: ما اتقى الله من أحب الشهرة.

[١١] وعنه قال: لا تعمل لتذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة.

[١] الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله.

مولد أبي عبيد سنة سبع وخمسين ومئة.

وصنف التصانيف الموثقة التي سارت بها الركبان. وله مصنف في القراءات لم

أره، وهو من أئمة الاجتهاد.

له كتاب «الأموال» في مجلد كبير سمعناه بالاتصال. وكتاب «الغريب» مروى

أيضاً، وكتاب «فضائل القرآن» وقع لنا، وكتاب «الغهور»، وكتاب «الناسخ

والمسنوخ» وكتاب «المواعظ»، وكتاب «الغريب المصنف في علم اللسان» وغير

ذلك وله بضعة وعشرون كتاباً.

[٢] قال أبو بكر الأنباري: كان أبو عبيد - رحمه الله - يقسم الليل أثلاثاً فيصلّي ثلثه،

وينام ثلثه، ويصنف الكتب ثلثه.

[٣] علي بن عبد العزيز، سمعت أبا عبيد يقول: المتبع السنة كالقابض على الجمر

هو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله.

[٤] عبد الله بن العباس الطيالسي، سمعت الهلال بن العلاء الرقي يقول: من الله

على هذه الأمة بأربعة في زمانهم: بالشافعي تفقه بحديث رسول الله ﷺ، وبأحمد

ثبت في المحنة، ولولا ذلك كفر الناس، ويحيى بن معين نفى الكذب عن

الحديث، وبأبي عبيد فسّر الغريب من الحديث، ولولا ذلك لاقتحم الناس في

الخطأ.

[٥] وقال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الحق يحبّه الله عزّ

وجلّ: أبو عبيد القاسم بن سلام أفقه مني وأعلم مني.

[٦] قال أبو العباس ثعلب: لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل، لكان عجياً.

[٧] قال إبراهيم بن محمد النّسّاج: سمعت إبراهيم الحربي يقول: أدركت ثلاثة

(١) نظر السير: ١٠/٤٩٠-٥٠٩

تعجزُ النساءُ أن يلدن مثلهم : رأيتُ أبا عُبَيْدٍ ، ما مثله إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيتُ بشر بن الحارث ، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيتُ أحمد بن حنبل ، فرأيتُ كأن الله قد جمع له علمَ الأولين ، فمن كل صنف يقول ما يشاء ، ويُمسِكُ ما يشاء .

[١] انصرف يوماً من الصلاة ، فمرَ بدار إسحاق الموصلي ، فقالوا له : يا أبا عبيد ، صاحب هذه الدار يقول : إن في كتابك (غريب المصنف) ألف حرف خطأ . فقال : كتاب فيه أكثر من مئة ألف يقع فيه ألف ليس بكثير؟ ولعلَّ إسحاق عنده رواية ، وعندنا رواية ، فلم يعلم ، فخطَّأنا ، والروايتان صواب ، ولعله أخطأ في حروف ، وأخطأنا في حروف ، فبقي الخطأ يسيراً .

[٢] العباس الثوري ، سمعتُ أبا عبيد القاسم بن سلام - وذكر الباب الذي يُروى فيه الرؤية ، والكرسي موضع القدمين ، وضحك ربنا ، وأين كان ربنا - فقال : هذه أحاديث صحاح ، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض ، وهي عندنا حق لا نشك فيها ، ولكن إذا قيل : كيف يضحك؟ وكيف وضع قدمه؟ قلنا : لا تُفسر هذا ، ولا سمعنا أحداً يفسره .

[٣] قلتُ : قد فسّر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم ، وما أبقوا ممكناً ، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً ، وهي أهم الدين ، فلو كان تأويلها سائغاً أو حتماً ، لبادروا إليه ، فعلم قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق ، لا تفسير لها غير ذلك ، فنؤمن بذلك ، ونسكت اقتداءً بالسلف ، معتقدين أنها صفات لله تعالى ، استأثر الله بعلم حقائقها ، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين ، كما إن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين ، فالكتاب والسنة نطق بها ، والرسول ﷺ بلع ، وما تعرض لتأويل ، مع كون الباري قال ﴿لَتُنَبِّئَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل ٤٤] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . مات سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة . بلغ سبعاً وستين سنة ، رحمه الله .

٤٥٩ يحيى بن يحيى (خ، م، ت، س)^(١)

[١] ابن بكر، شيخ الإسلام، وعالم خراسان، أبو زكريا التميمي المُنْقَرِي النيسابوري الحافظ.

وُلد يحيى بن يحيى سنة اثنتين وأربعين ومئة.

[٢] أبو العباس السُّرَّاج: سمعتُ الحسين بن عبدش وكان ثقةً، سمعتُ محمد بن أسلم يقول: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، فقلت: عمن أكتبُ؟ فقال: عن يحيى بن يحيى.

قال خُشْنَامُ بن سعيد: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: كان يحيى بن يحيى عندي إماماً، ولو كانت عندي نفقة، لرحلتُ إليه.

[٣] قال أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب: سمعتُ الحسين بن منصور قال: كنا عند أحمد بن حنبل، فروى حديثاً عن سفيان، فقلت: خالفك يحيى بن يحيى، فتوقف، وقال: لا خير فيما يُخالِفُ يحيى بن يحيى.

[٤] ويبلغنا أن يحيى أوصى بثياب بدنه لأحمد بن حنبل، فلما قدّمتُ على أحمد، أخذ منها ثوباً واحداً للبركة، وردّ الباقي، وقال: إنّه ليس تفصيل ثيابه من زِيّ بلدنا. مات يحيى بن يحيى سنة ستّ وعشرين ومئتين.

[٥] قال الحاكم: سمعتُ أبي: سمعتُ أبا عمرو العَمْرَوِيّ والي البلد يقول: بينا أنا نائم ذات ليلة على السطح، إذ رأيتُ نوراً يسطّعُ إلى السماء، من قبر في مقبرة الحسين، كأنه منارة بيضاء، فدعوتُ بسلام لي رام، فقلت: ارم ذلك القبر الذي يسطّعُ منه النور، ففعل، فلما أصبحت، بكرتُ بنفسي، فإذا الشّابة في قبر يحيى ابن يحيى رحمة الله عليه.

وقال أحمد بن سيّار المَرُوزِي: يحيى بن يحيى من موالِي بني مُنْقَر، كان ثقةً، حسن الوجه، طويل اللحية، خيراً، فاضلاً، صائناً لنفسه.

(١) انظر السير: ١٠/٥١٢-٥١٩

[١] وقال نصر بن زكريا: سمعت محمد بن يحيى الدهلي: سمعت يحيى بن معين يقول: الذُّبُّ عن السُّنَّةِ أفضل من الجهاد في سبيل الله. فقلت ليحيى: الرجل يُنْفِقُ ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد، فهذا أفضل منه! قال: نعم، بكثير.

٤٦٠ يحيى بن يحيى بن كثير^(١)

[٢] ابن وِئاس بن شِمال بن منغايا، الإمام الكبير، فقيه الأندلس، أبو محمد الليثي البربري المصمودي الأندلسي القرطبي.

مولده في سنة اثنتين وخمسين ومئة.

ولازم ابن وهب، وابن القاسم، ثم حجَّ، ورجع إلى المدينة ليزداد من مالك، فوجده في مرض الموت، فأقام إلى أن توفاه الله، وشهد جنازته، ورجع إلى قرطبة بعلمٍ جَمِّ، وتصدر للاشتغال، وازدحموا عليه، وتعدَّ صيته، وانتفعوا بعلمه وهديه وسمته.

وكان كبير الشأن، وافر الجلالة، عظيم الهيبة، نال من الرئاسة والحُرمة ما لم يبلغه أحد.

[٣] وبلغنا أن يحيى بن يحيى الليثي كان عند مالك بن أنس رحمه الله، فمرَّ على باب مالك الفيل، فخرج كلٌّ من كان في مجلسه لرؤية الفيل، سوى يحيى بن يحيى، فلم يقم، فأعجب به مالك وسأله: من أنت؟ وأين بلدك؟ ثم لم يزل بعد مُكْرَمًا له.

[٤] وعن يحيى بن يحيى، قال: أخذت بركاب الليث، فأراد غلامه أن يمنعني، فقال الليث، دعه. ثم قال لي: خدَمَكَ العِلْمُ. قال: فلم تزل بي الأيام حتى رأيتُ ذلك.

(١) انظر السير: ١٠ / ٥١٩ - ٥٢٥

[١] وقيل إن عبدالرحمن بن الحكم المرواني صاحب الأندلس نظر إلى جارية له في رمضان نهاراً، فلم يَمْلِكْ نفسه أن واقعها، ثم ندم، وطلب الفقهاء، وسألهم عن توبته، فقال يحيى بن يحيى: صُم شهرين متتابعين، فسكت العلماء، فلما خرجوا قالوا ليحيى:

مالك لم تفته بمذهبتنا عن مالك أنه مخير بين العتيق والصوم والإطعام؟ قال: لو فتحنا له هذا الباب، لسهل عليه أن يطأ كل يوم، ويعتق رقبة، فحملته على أصعب الأمور لثلاثا يعود.

[٢] قال أبو عمر بن عبد البر: قدم يحيى بن يحيى الأندلس بعلم كثير، فعادت قُتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار الفقيه عليه، وانتهى السلطان والعامَّة إلى رأيه، وكان فقيهاً حسن الرأي، وكان لا يرى القنوت في الصبح، ولا في سائر الصلوات، ويقول: سمعت الليث بن سعد يقول: سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: إنما قنت رسول الله ﷺ نحواً من أربعين يوماً يدعو على قوم، ويدعو لآخرين. قال: وكان الليث لا يقنت.

[٣] قال: وكان يرى جواز كراء الأرض بجزء مما يخرج منها، على مذهب الليث، ويقول: هي سنة رسول الله ﷺ في خير.

[٤] وقضى برأي أمينين إذا لم يوجد في أهل الزوجين حكمان يصلحان لذلك.

[٥] قال أبو القاسم بن بشكوال الحافظ: كان يحيى بن يحيى مُجاب الدعوة، قد أخذ نفسه في هيئته ومقعده هيئة مالك الإمام بالأندلس، فإنه عرض عليه قضاء الجماعة، فامتنع، فكان أمير الأندلس لا يولي أحداً القضاء بمدائن إقليم الأندلس، إلا من يُشير به يحيى بن يحيى، فكثرت لذلك تلامذة يحيى بن يحيى، وأقبلوا على فقه مالك، ونبذوا ما سواه.

وفاة يحيى بن يحيى في سنة أربع وثلاثين ومئتين.

(١) الأمير الكبير، أبو إسحاق، الملقَّب بالمبارك، إبراهيم بن أمير المؤمنين محمد ابن أبي جعفر، الهاشمي العباسي الأسود. ويُعرف بالتَّنين للونه، وضخامته.

كان فصيحاً، بليغاً، عالماً، أديباً، شاعراً، رأساً في فن الموسيقى.

[٢] قال علي بن المغيرة الأثرم: حدثنا إبراهيم: أنه ولي إمرة دمشق أعواماً لم يقطع فيها على أحد طريق، وحدثت أن الأفة في قطع الطريق من دعامة ونعمان ويحيى ابن أرميا اليهودي البلقاي، وأنهم لم يضعوا يدهم في يد عامل، فكاتبهم. فتاب دعامة. وحلف النعمان بالإيمان أنه لا يؤذي مهما وليت، وطلب ابن أرميا أماناً ليأتي، وينظر، فأجبت، فقدم شابٌ أشعرٌ أعرٌ في أقبية ديباج، ومنطقةٍ وسيف محلى، فدخل على الخضراء، فسلم دون البساط، فقلت: اصعد. قال: إن لبساطٍ ذماماً، أخاف أن يلزمني جلوسي عليه، وما أدري ما تسومني، قلت: أسلم، وأطع. قال: أما الطاعة فأرجو، ولا سبيل إلى الإسلام، فما عندك إن لم أسلم؟ قلت: لا بد من جزية. قال: أعفني. قلت: كلاً. قال: فانا منصرف على أمانتي. فأذنت له، وأمرتهم أن يسقوا فرسه، فلما رأى ذلك، دعا بدابةً غلامه، وترك فرسه، وقال: لن أخذ شيئاً ارتفق منكم، فأحاربكم عليه، فاستحييت وطلبتُه، فلما دخل، قلت: الحمد لله، ظفرت بك بلا عهد. قال: وكيف؟ قلت: لأنك انصرفت من عندي، وقد عدت، قال: شرطك أن تصرفني إلى أمانتي، فإن كان دارك أمانتي، فلست بخائف، وإن كان أمانتي أرضي، فؤدني، فجهدت به أن يؤدني جزية على أن أهيه في السنة ألفي دينار، فأبى، وذهب فأسعر الدنيا شراً، وحمل مالاً من مصر، فتعرض له، فكتب النعمان إليّ، فأمرته بمحاربتِه، فسار النعمان، ووافاه اليهودي في جماعته، فسأله النعمان الانصراف، فأبى، وقال: بارزني، وإن

(١) انظر السير: ١٠/٥٥٧-٥٦١

شئت، برزت وحدي إليك وإلى جندك. فقال النعمان: يا يحيى، ويحك أنت
 حَدِّثْ قَدْ بُلِّيتَ بِالْمُعْجَبِ، ولو كنت من أنفُس قريش لما أمكنك معارَة السلطان،
 وهذا الأمير هو أخو الخليفة، وأنا - وإن افرقنا في الدين - أحب أن لا يقتل على
 يديَّ فارس، فإن كنت تُحِبُّ السَّلامَةَ، فابرز إليَّ ولا يُبتلى بنا غيرنا، فبرز له
 العصر، فما زال في مبارزة إلى الليل، فوقف كل منهما على فرسه متكئاً على
 رمحه، فنعسَ النعمان، فطعنه اليهوديُّ، فيقع سنانُ رمحه في المِنطَقة، فدارت،
 وصارت السُّنان يدور معها، فاعتنقه النعمان، وقال: أغدراً يا ابن اليهودية؟ فقال:
 أو مُحارِبِ ينامِ يابنِ الأُمّةِ؟! فاتكأ عليه النعمان، فسقط فوقه، وكان النعمان
 ضَخْماً، فصار فوقه، فذبح اليهوديُّ، وبعث إليَّ برأسه، فاطمأنت البلادُ، ثم ولني
 بعدي عمي سليمان، فانتهبه أهلُ دمشق، وسَبَّوا حُرْمَتَهُ.

[١] قال الخطيب: بُويعَ إبراهيمُ بالخِلافةِ زمنَ المأمون، فحاربَ الحسن بن سهل،
 فهزَمه إبراهيم، ثم أقبلَ لحربه حُميدُ الطُّوسِي، فهزِمَ جَمعُ إبراهيم، واختفى
 إبراهيم زماناً إلى أن ظفر به المأمون، فعمّا عنه.

[٢] وعن منصور بن المهدي قال: كان أخي إبراهيم إذا تنحج، طرب من يسمعه،
 فإذا غنى، أصغَتِ الوحوش حتى تضع رؤوسها في حجره، فإذا سكَّت، هَرَيْتَ.
 وكان إذا غنى لم يبق أحد إلا ذهل.

[٣] وقال ابن الفضل بن الربيع: ما اجتمع أخ وأخت أحسن عِناءً من إبراهيم بن
 المهدي وأخته عليّة.

[٤] قال ثمامة بن أشرس: قال لي المأمون: قد عزمْتُ على تفرِيعِ عمي،
 فحضرت، فجنِّي بإبراهيمَ مغلولاً قد تهَدَّلَ شعرُهُ على عينيهِ، فسَلَّم، فقال:
 المأمون: لا سَلِّمَ اللهُ عليك، أكفراً بالنعمة وخروجاً عليَّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين،
 إن القدرة تُذهِبُ الحفيظة، ومن مَدَّ له في الاغترار هجمت به الأناة على التلف،
 وقد رفعت الله فوق كلِّ ذنب كما وضع كلَّ ذي ذنب دونك، فإن تعاقب، فبحقِّك،

وإن تعف بفضلك . قال : إن هذين يعني ابنه العباس والمعتصم يشيران بقتلك . قال : أشارا عليك بما يشار به على مثلك في مثلي ، والملك عقيم ، ولكن تأبى لك أن تستجلب نصراً إلا من حيث عمودك الله ، وأنا عمك ، والعمُّ صنو الأب ، ويكسى . فتفرغرت عينا المأمون ، وقال : خلوا عن عمي ، ثم أحضره ، وناداه ، وما زال به حتى ضرب له بالعود .

[١] وقيل : إن أحمد بن خالد الوزير ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن قتلتك ، فلك نظراء ، وإن عفوت ، لم يكن لك نظير .

توفي إبراهيم في سنة أربع وعشرين ومئتين .

٤٦٢ أبو نصر الثمار (م ، س) (١)

[٢] عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك .

مولده عام مقتل أبي مسلم الخراساني .

وقال أبو حاتم : ثقة ، يُعدُّ من الأبدال .

توفي ببغداد في سنة ثمان وعشرين ومئتين ، ودفن بباب حرب ، وهو ابن إحدى

وتسعين سنة ، وكان بصره قد ذهب .

[٣] قال أبو زرعة الرازي : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر الثمار ،

ولا ابن معين ، ولا يمتحن ، فأجاب .

[٤] وقال أبو الحسن الميموني : صحَّ عندي أنه - يعني أحمد - لم يحضر أبا نصر

الثمار حين مات ، فحسبت أن ذلك لما كان أجاب في المحنة .

[٥] قلت : أجاب نفيَّةً وخوفاً من النكال ، وهو ثقة بحاله والله الحمد .

[٦] قال محمد بن محمد بن أبي الورد : قال لي مؤدِّن بشر بن الحارث : رأيت بشراً

رحمه الله في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي .

(١) انظر السير : ١٠ / ٥٧١ - ٥٧٤

قلت: ما فعل بأحمد بن حنبل؟ قال: عُفِرَ له . فقلت: ما فعل بأبي نصر التُّمَار؟
قال: هيهات، ذاك في عليين، فقلت: بماذا نال ما لم تنالاه؟ فقال: بفقره وصبره
على بُنيّاته.

٤٦٣ خَلْفُ بنِ هِشَامِ (م، د) (١)

[١] ابن ثعلب، الإمام الحافظ الحجّة، شيخ الإسلام، أبو محمد البغدادي البزار،
المقرئ.
مولده سنة خمسين ومئة .

[٢] وله اختيارٌ في الحروف صحيح ثابت ليس بشاذُّ أصلاً، ولا يكاد يخرج فيه عن
القراءات السبع، وأخذ عنه خلق لا يُحصون .

[٣] قال حمدان بن هانئ المقرئ: سمعته يقول: أشكل عليّ باب من النحو،
فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى خذفته .

[٤] قال أبو الحسن عبد الملك الميموني: قال رجل لأبي عبدالله: ذهبت إلى خلف
البزار أعظه، بلغني أنه حدّث بحديث عن الأحوص عن عبدالله قال: «ما خلق الله
شيئاً أعظم . . .» وذكر الحديث، فقال أبو عبدالله، ما كان ينبغي له أن يحدث بهذا
في هذه الأيام - يريد زمن المحنة - والمتن: «ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم
من آية الكرسي»، وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة: إن الخلق
واقع ها هنا على السماء والأرض وهذه الأشياء، لا على القرآن .

[٥] قلت: كذا ينبغي للمحدّث أن لا يشهر الأحاديث التي يَشْبُهَتْ بظواهرها أعداء
السُّنن من الجهمية، وأهل الأهواء، والأحاديث التي فيها صفات لم
تثبت، فإنك لن تحدّث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم، إلا كان فتنةً لبعضهم، فلا
تكنم العلم الذي هو علم، ولا تبدّله للجبهة الذين يشغبون عليك، أو الذين

(١) انظر السير: ١٠ / ٥٧٦ - ٥٨٠

يفهمون منه ما يضرهم .

[١] وقال: أعدت الصلاة أربعين سنة كنت أتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين .

[٢] قال الحسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن لأصحاب الحديث .

[٣] إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، حدثنا أحمد بن إبراهيم وراق خلف بن هشام أنه سمع خلفاً يقول: قدمت الكوفة، فصرت إلى سليم بن عيسى، فقال لي: ما أقدمك؟ قلت: أقرأ على أبي بكر بن عياش، فقال: لا تزيد، قلت: بلى، فدعا ابنه وكتب معه إلى أبي بكر، لم أدر ما كتب، فأتينا منزل أبي بكر .

قال ابن أبي حسان: وكان لخلف تسع عشرة سنة، فلما قرأ الورقة، قال: أدخل الرجل، فدخلت وسلمت، فصعد في النظر، ثم قال: أنت خلف؟ قلت: نعم، قال: أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك؟ فسكت، فقال لي: اقعد، هات أقرأ، قلت: أعليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله، لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حملة القرآن، ثم خرجت، فوجه إلى سليم يسأله أن يرُدني فأبيت، ثم إنني ندمت واحتجبت، فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر .

[٤] قال النقاش: قال يحيى القحطام: رأيت خلف بن هشام في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي .

توفي خلف في سنة تسع وعشرين ومئتين، وقد شارف الثمانين .

٤٦٤ سعيد بن كثير بن عُفير (خ، م، س) (١)

[٥] الإمام الحافظ العلامة الأخباري الثقة أبو عثمان المصري . مولده سنة ست

وأربعين ومئة . وهو من موالى الأنصار .

(١) انظر السير: ١٠ / ٥٨٣-٥٨٦

[١] قال ابن عدي: هو عند الناس ثقة، ثم ساق قول أبي إسحاق السعدي الجوزجاني في سعيد بن عفير: فيه غير لون من البذع، وكان مُخَلَّطاً غير ثقة، فهذا من مُجازفات السعدي.

[٢] قال ابن عدي: هذا الذي قاله السعدي لا معنى له، ولم أسمع أحداً، ولا بلغني عن أحد كلاماً في سعيد بن عفير، وقد حدث عنه الأئمة، إلا أن يكون السعدي أراد به سعيد بن عفير آخر. وقال يحيى بن معين: رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عفير.

قلت: حسبك أن يحيى إمام المحدثين ابهر لابن عفير. وقال أبو سعيد بن يونس: كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب والتواريخ، كان في ذلك كله شيئاً عجيباً، وكان مع ذلك أدبياً فصيحاً، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تُملُّ مجالسته، ولا يُنزَفُ علمه.

[٣] علي بن عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير قال: كنا بقبة الهواء عند المأمون فقال لنا: ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول: ﴿أليس لي ملك مصر﴾ [الزخرف ٥١].

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي ترى بقية ما دُمِر. قال تعالى: ﴿ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف ١٣٧] قال: صدقت. ثم أمسك. مات سعيد بن عفير سنة ست وعشرين ومئتين.

٤٦٥ نعيم بن حماد بن معاوية (خ، د، ت، ق) (١)

[٤] الإمام العلامة الحافظ، أبو عبدالله الخزاعي المروزي الفرضي الأهور، صاحب التصانيف.

[٥] عن أحمد قال: أول من عرفناه يكتب المسند نعيم بن حماد.

(١) انظر السير: ١٠ / ٥٩٥ - ٦١٢

[١] العباس بن مصعب قال: وضع نعيم بن حماد الفَرَضِيّ كتاباً في الردِّ على أبي حنيفة، وناقضَ محمد بن الحسن.

[٢] فقال ابن المبارك: نعيمٌ هذا قد جاء بأمر كبير، يريد أن يُبطل نكاحاً قد عُقد، ويبطل بيوعاً قد تقدمت، وقوم توالدوا على هذا، ثم خرج إلى مصر، فأقام بها نحو نيف وأربعين سنة، وكتبوا عنه بها، وحُمِل إلى العراق في امتحان (القرآن مخلوق) مع البويطي مُقيدين، فمات نعيمٌ بالعسكر سنة تسعٍ وعشرين.

قلت: نعيمٌ من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركنُ النفس إلى رواياته.

[٣] قال عبدالمخالق بن منصور: رأيت يحيى بن معين كأنه يهَجِّن نعيم بن حماد في خبر أم الطفيل في الروية، ويقول: ما كان ينبغي له أن يحدث بمثل هذا.

[٤] فأما خبر أم الطفيل، فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره، حدثنا نعيم، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدث عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب: سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه في صورة كذا. فهذا خبرٌ منكرٌ جداً، أحسن النسائي حيث يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يُصدق على الله؟! وهذا لم ينفرد به نعيم، فقد رواه أحمد بن صالح المصري الحافظ، وأحمد بن عيسى الشَّسْتَرِي، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، عن ابن وهب. قال أبو زرعة النَّصْرِي: رجاله معروفون.

قلت: بلا ريب قد حدث به ابن وهب وشيخُه وابن أبي هلال، وهم معروفون عُدول، فأما مروان، وما أدراك ما مروان، فهو خفيد أبي سعيد المَعْلِي الأنصاري وشيخه هو عمارة بن عامر بن عمرو بن حَزَم الأنصاري.

[٥] ولئن جَوَزنا أن النبي ﷺ قال، فهو أدري بما قال، ولرواياه في المنام تعبير لم يذكره عليه السلام، ولا نحن نُحسن أن نعبِّره، فأما أن نحمله على ظاهره الحسِّي، فمعاذ الله أن نعتقد الخوض في ذلك بحيث إن بعض الفضلاء قال: تصحَّف الحديث، وإنما هو: رأي رثيِّه بياءٍ مشددة، وقد قال علي رضي الله عنه: حدثوا

الناس بما يعرفون، ودعوا ما يُنكرون. وقد صحَّح أن أبا هريرة كنتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: لو بُنِّتْهُ فيكم لَقُطِعَ هذا البلعوم، وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناذه يتعين نقله ويتأكد نشره، ويتبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء.

[١] والعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأوائيل والنهيآت الفلاسفة وبعض رياضتهم بل أكثره، وعلم السحر، والسيمياء، والكيمياء، والشعبذة، والحيل، ونشر الأحاديث الموضوععة، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البطلال المختلفة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصفا، وشعر يُعرض فيه إلى الجناب النبوي، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتحذر، ومن ابتلي بالنظر فيها للفرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليطالعه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجئ إلى التوحيد، والدعاء بالعافية في الدين، وكذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وردت في الصفات لا يحل بثها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامها فحسن. اللهم فاحفظ علينا إيماننا، ولا قوة إلا بالله.

[٢] أبو سهل بن زياد القطان، أخبرنا محمد بن إسماعيل الترمذي، سمعتُ نعيم بن حماد يقول: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

[٣] قلتُ: هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصفات، فما يُنكر الثابت منها من فقه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان:

[٤] تأويلها وصرْفُها عن موضع الخطاب، فما أولئها السلفُ ولا حَرَفُوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمرُوها كما جاءت.

[١]المقام الثاني : المبالغة في إثباتها، وتصوُّرها من جنس صفات البشر، وتشكُّلها في الذهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصِّفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف عزَّ وجلَّ لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيهه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١] فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البارئ، تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته المقدَّسة، نُقرُّها ونعتقد أنها حق، ولا نُمثِّلها أصلا ولا نتشكُّلها.

الطبقة الثانية عشرة

٤٦٦ محمد بنُ سعد^(١)

[١] ابن منيع، الحافظ العلامة الحجة، أبو عبدالله البغدادي، كاتب الواقدي، ومصنف «الطبقات الكبير» في بضعة عشر مجلداً و«الطبقات الصغير» وغير ذلك. وُلد بعد الستين ومئة.

وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار.

وكان من أوعية العلم، ومن نظر في «الطبقات» خضع لِعَلِمِهِ.

سليمان بن إسحاق بن الخليل: سمعتُ إبراهيم الحَرَبِي يَقُول: كان أحمدُ بن حنبل يوجّه في كل جمعة بخنبل إلى ابن سعد يأخذُ منه جُزْأَيْنِ من حديث الواقدي ينظر فيهما، قال إبراهيم: ولو ذهب سَمِعَهُمَا، كان خيراً له.

قال ابنُ فهم: محمد بن سعد صاحبُ الواقدي، وهو مولى الحسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب، تُوَفِّي ببغداد، في سنة ثلاثين ومئتين، وهو ابن اثنتين وستين سنة.

قال: وكان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، كتب الحديث والفقه والغريب.

(١) انظر السير: ١٠/٦٦٤-٦٦٧

الجزء الحادي عشر

٤٦٧- ابن شُبُويَّة (د) (١)

[١] الإمامُ القدوةُ المحدثُ، شيخُ الإسلام، أبو الحسن، أحمدُ بنُ محمد بن ثابت، الخِزاعيُّ المَرُوزِيُّ الحافظُ، ابن شُبُويَّة.

[٢] قال عبدالله بنُ أحمد بن شُبُويَّة: سمعت أبي يقول: مَنْ أراد عِلْمَ القبر، فعليه بالأثر، وَمَنْ أراد عِلْمَ الخُبْرِ، فعليه بالرأي.

[٣] وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني ثابت بن أحمد بن شُبوية قال: كان يُخَيَّلُ إليَّ أن لأبي فضيلةً على أحمد بن حنبل لجهاده، وفكاكِ الأسرى، فسألتُ أخي عبدالله، فقال: أحمد بنُ حنبل أرجح، فلم أقنع، فأرَيْتُ شيخاً حوله الناس، يسألونه، ويسمعون منه، فسألتُهُ عنهما، فقال: سبحان الله!! إن أحمد ابن حنبل ابتلي فصيبر، وإن ابن شُبوية عوفي، المُبتلى الصابرُ كالمُعافي! هيهات.

توفي سنة ثلاثين ومئتين، وهو ابن ستين سنة.

٤٦٨- أحمدُ بنُ حَرَب (٢)

[٤] ابنُ فيروز، الإمامُ القدوة، شيخُ نيسابور، أبو عبدالله النيسابوريُّ الزاهد. كان من كبار الفقهاء والعباد.

[٥] قال زكريا بنُ دَلُوبِه: كان أحمد بنُ حَرَب إذا جلس بين يدي الحُجَّامِ يُحْفِي شاربِه، يَسِّح، فيقول له الحُجَّام: اسكت ساعة، فيقول: اعمل أنت عملك، وربما قطع من شفته، وهو لا يعلم.

(١) انظر السير: ١١ / ٩٧

(٢) انظر السير: ١١ / ٣٢-٣٥

[١] مرَّ أحمد بنُ حرب بصبيان يلعبون، فقال أحدهم: أمسكوا، فإن هذا أحمد ابن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض على لحيته، وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأخى الليل بعد ذلك حتى مات.

[٢] رَغِبَ الناس في سماع كتبه، ثم إن أمه ماتت سنة عشرين ومِئتين فجع، وعاود الغزو، وخرج إلى بلاد التُّرك، وافتح فتحاً عظيماً، غَبَطَ به فسمي به الأعداء إلى ابن طاهر، فأحضره، ولم يأذن له في الجلوس وقال: أُنْخِرج وتجمع إلى نفسك هذا الجمع، وتخالِفُ أعوان السلطان؟ ثم إن ابن طاهر عرف صِدْقَه، فتركه، فسار، وجاور بمكة. وكان تتجَلَّه الكَرَامِيَّة، وتعظمه لأنه أستاذ محمد بن كَرَام، ولكنه سليم الاعتقاد بحمد الله.

[٣] وعن يحيى بن يحيى التميمي، قال: إن لم يكن أحمد بن حرب من الأبدال، فلا أدري مَنْ هم!!؟

[٤] قال أحمد بن حرب: عبدتُ الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء: تركت رِضى الناس حتى قَدَرْتُ أن أتكلّم بالحق، وتركتُ صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة.

[٥] وقيل: إنه استسقى لهم ببخارى، فما انصرفوا إلا يخوضون في المطر رحمة الله عليه. مات سنة أربع وثلاثين ومِئتين، وقد قارب الستين.

٤٦٩- عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ^(١) (خ، د، م، س)^(٢)

[٦] الشيخ الإمام الحُجَّة، أمير المؤمنين في الحديث، أبو الحسن علي بن عبد الله ابن جعفر السعدي، مولا هم البصري، المعروف بابن المدينة. مولد علي في سنة إحدى وستين ومِئته، بالبصرة.

(١) انظر السير: ٤١/١١ - ٦٠.

(٢) لقد شدد الذهبي المؤلف، رحمه الله، التكريز على العفلي لإبراهه علي بن المدينة في كتابه «الضعفاء» فقال في «ميزانه» ٣/١٤٠ & ١٤١: وقد بدت منه حقوة ثم ناب منها، وهذا أبو عبد الله البخاري - وناهيك به - =

[١] قال أبو حاتم الرازي: كان ابن السدينيّ علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل. وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، إنما يكتنيه تَبَجِيلاً له.

[٢] إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة، فذكر حديثاً ثم قال سفيان: تلومني على حبِّ عليٍّ، والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني.

كان سفيانُ يُسمي عليَّ بن المديني حَيَّة الوادي.

[٣] وقال عباس العنبري: كان يحيى القَطَّان ربما قال: لا أحدث شهراً ولا

أحدث كذا، فحدَّثتُ أنه حدث ابن المديني قبل انقضاء الشهر. قال: فكلمت

يحيى في ذلك، فقال: إني أسئني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا.

[٤] قال أبو قدامة السرخسي: سمعتُ علياً يقول: رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها.

قال أبو قدامة: صدَّق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد.

قال إبراهيم بن معقل: سمعت البخاري، يقول: ما استصغرت نفسي عند

أحد إلا عند عليِّ بن المديني.

[٥] قال عباس العنبري: لعله كان يقُدِّم على الحسن البصري، كان الناس

يكتبون قيامه وعوده ولياسه، وكل شيء يقول أو يفعل أو نحو هذا.

[٦] قال أحمد بن أبي خيثمة: سمعت ابن معين، يقول: كان علي بن المديني

إذا قدم علينا، أظهر السنَّة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيع.

= قد سحن صحيحه بحديث علي بن المديني. ولو تركت حديث علي وصاحبه محمد، وشيخه عبدالرزاق، وعثمان بن أبي شيبة... لغلقتنا الباب، وانقطع الخطاب، ولما ت الأثار، واستولت الزنادقة، ولخرج الدجال. أفنا لك عقل يا عقيلي؟! أتدري فيمن تتكلم؟ وإنما نبعناك في ذكر هذا النمط لنُدب عنهم، ولنزيف ما قيل فيهم. كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقات كثيرين لم نورد لهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث. وأنا أتشهي أن تعرفني من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه. بل الثقة الحافظ إذا انفرد بأحدية، كان أرفع له، وأكمل لثبته، وأدل على اعتناؤه بعلم الأثر، وضبطه دون أقرانه لأشياء ما عرفوها، اللهم إلا أن يتبين غلظه ووجهه في الشيء، فيعرف ذلك فانظر أول شيء إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الكبار والصغار، ما فيهم أحد إلا وقد انفرد بسة، فيقال له: هذا الحديث لا يتابع عليه!! وكذلك التابعون، كل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم، وما الغرض هذا، فإن هذا مقرر على ما ينبغي في علم الحديث.

قلت: كان إظهاره لمناقب الإمام علي بالبصرة، لمكان أنهم عثمانية، فيهم انحراف على علي.

[١] قال عبدالله بن أبي زياد القَطَوَانِي: سمعت أبا عبيد: يقول: انتهى العلم إلى أربعة: أبو بكر بن أبي شيبة أشرفهم له، وأحمد بن حنبل أفقهم فيه، وعلي ابن المدني أعلمهم به، ويحيى بن معين أكتبهم له.

[٢] قال أبو أمية الطَّرْسُوسِي: سمعتُ علياً، يقول: ربما أذكُرُ الحديثَ في الليل، فأمر الجارية تُسْرِجُ السراجَ فأنظر فيه.

[٣] قال ابن عمار المَوْصِلِي في «تاريخه»: قال لي علي بن المدني: ما يمنعك أن تكفرَ الجَهمِيَّةَ، وكنت أنا أولاً لا أكفرهم؟ فلما أجاب علي إلى المحنة، كتبتُ إليه أذكره ما قال لي، وأذكره الله. فأخبرني رجلٌ عنه أنه بكى حين قرأ كتابي. ثم رأيتُه بعد، فقال لي: ما في قلبي مما قلت وأجبت إلى شيء، ولكنني خفتُ أن أقتل، وتعلّمُ ضعفي أنني لو ضربت سوطاً واحداً لمت، أو نحو هذا.

[٤] قال ابنُ عمار: ودفع عني عليُّ امتحان ابن أبي ذؤاد إياي، شفعَ فيّ ودفع في غير واحد من أهل الموصل من أجلي، فما أجابَ دِيانَةَ إلا خوفاً.

[٥] قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: كان أبو زُرْعَةَ ترك الرواية عن علي من أجل ما بدا منه في المحنة، وكان والذي يروي عنه لنزوعه عما كان منه. قال أبي: كان عليُّ علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل.

قلت: ويروى عن عبدالله بن أحمد، أن أباه أمسك عن الرواية عن ابن المدني، ولم أر ذلك، بل في «مسنده» عنه أحاديث، وفي «صحيح البخاري» عنه جملة وافرة.

مات بسامراء في سنة أربع وثلاثين ومئتين.

[١] شاعر العصر أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أسلم وكان نصرانياً. مدح الخلفاء والكبراء. وشعره في الذروة.

وكان أسمر طوالاً فصيحاً، عذب العبارة مع ثمّة قليلة.

وُلد في أيام الرشيد، وكان أولاً حدثاً يسقي الماء بمصر، ثم جالس الأدباء، وأخذ عنهم وكان يتوقّد ذكاءً. وسحّت قريحته بالنظم البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقدمه على الشعراء، وله فيه قصائد. وكان يُوصف بطيب الأخلاق والظرف والسماحة.

وقيل: قديم في زبي الأعراب، فجلس إلى حلقة من الشعراء، وطلب منهم أن يسمعوا من نظمه، فشاع وذاع وخضعوا له. وصار من أمره ما صار. وقد كان البحثري يرفع من أبي تمام، ويقدمه على نفسه، ويقول: ما أكلت الخبز إلا به، وإني تابع له.

[٢] وهو القائل:

وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تُجْرَى عَلَى الْجَحِيحِ هَلَكْنَ إِذَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبِهَائِمُ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَعَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالذَّرَاهِمُ

[٣] وديوان أبي تمام كبير سائر، ولما مات، رثاه محمد بن عبد الملك الوزير فقال:

نَبَأَ أَلَمٌ مُقْلِقِلِ الْأَحْنَاءِ لَمَّا أَتَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ
قَالُوا حَبِيبٌ قَدْ تَوَى فَأَجَبْتُهُمْ نَاشِدْتُمْ لَأَنْ تَجْعَلُوهُ الطَّائِي

مات سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

[٤] وله في المعتصم أو ابنه:

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِ فِي حُلْمِ أَحْنَفِ فِي ذُكَاةِ إِيَّاسِ

(١) انظر السير: ١١ / ٦٣-٦٩.

[١] فقال الوزير: شبهت أمير المؤمنين بأجلاف العرب، فأطرق ثم زادها:
لا تُكبروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس
فإنه قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

٤٧١- يحيى بن معين (خ، م، د) (١)

هو الإمام الحافظ الجهيد، شيخ المحدثين، أبو زكريا، يحيى بن معين بن
عون. العظفاني ثم المُرِّي، مولاهم البغدادي، أحد الاعلام.
ولد سنة ثمان وخمسين ومئة.

وهو أسن الجماعة الكبار الذين هم: علي بن المدني، وأحمد بن حنبل،
وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو خيثمة، فكانوا يتأدبون معه،
ويعترفون له، وكان له هيبة وجلالة، يركب البغلة ويتجمل في لباسه، رحمه الله
تعالى.

قال أبو الحسن بن البراء، سمعت علياً يقول: لا نعلم أحداً من لذن آدم كتب
من الحديث ما كتب يحيى.

قال أحمد بن عتبة، سألت يحيى بن معين: كم كتبت من الحديث؟ قال:
كتبت بيدي هذه ست مئة ألف حديث - قلت: يعني بالمكرر.

[٢] عبد الخالق بن منصور: سمعت ابن الرومي، يقول: ما رأيت أحداً قط يقول
الحق في المشايخ غير يحيى، وغيره كان يتحامل بالقول.

قلت: هذا القول من عبدالله بن الرومي غير مقبول، وإنما قاله باجتهاده،
ونحن لا ندعي العصمة في أئمة الجرح والتعديل، لكن هم أكثر الناس صواباً،
وأندرهم خطأً، وأشدهم إنصافاً، وأبعدهم عن التحامل، وإذا اتفقوا على تعديل
أو جرح، فتمسك به، واعضض عليه بناجذيك، ولا تتجاوزة، فتندم. ومن شد

(١) انظر السير: ١١ / ٩٦٧١.

منهم، فلا عبرة به. فخلَّ عنك العناء، وأعطى القوس ياريها، فوالله لولا الحنَّاطُ
الأكابر، لخطبت الزنادقة على المنابر، ولئن خطب خطب من أهل البدع فإنما
هو بسيف الإسلام وبلسان الشريعة وبجاء السنة وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم فنعود بالله من الخذلان.

[١] ومن نادر ما شدَّ به ابن معين، رحمه الله، كلامه في أحمد بن صالح حافظ
مصر، فإنه تكلم فيه باجتهاده، وشاهد منه ما يُلين به باعتباره عدالته لا باعتبار
إتقانه، فإنه متقن ثبت، ولكن عليه ماخذ في تبه وناوٍ كان يتعاطاه، والله لا يحب
كلَّ مختال فخور، ولعله اطلع منه على حال في أيام شبَّية ابن صالح، فتاب
منه أو من بعضه، ثم شاخ، ولزم الخير، فلقبه البخاري والكبار، واحتجوا به.
وأما كلامُ النسائي فيه، فكلامٌ مونتورٌ لأنه آذى النسائي، وطرده من مجلسه، فقال
فيه: ليس بثقة.

[٢] وقال ابن الغلابي: قال يحيى: إني لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن
أكون قد أخطأت فيه.

وقال محمد بن هارون الفلاس: إذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين
فاعلم أنه كذاب، يضع الحديث، وإنما يبغضه لما يُبين من أمر الكذابين.
[٣] وقال جعفر بن أبي عثمان: كنا عند يحيى بن معين، فجاءه رجل مستعجل،
فقال: يا أبا زكريا، حدثني بشيء أذكرك به، فقال يحيى: اذكرني أنك سألتني
أن أحدثك فلم أفعل.

[٤] الحسين بن فهم: سمعت يحيى بن معين، يقول: كنت بمصر، فرأيت
جارية بيعت بألف دينار، ما رأيت أحسن منها، صلى الله عليها. فقلت: يا أبا
زكريا، مثلك يقول هذا؟ قال: نعم، صلى الله عليها وعلى كل مريح.

هذه الحكاية محمولة على الدُّعابة من أبي زكريا. وتروى عنه بإسناد آخر.

[٥] قال سعيد بن عمرو البردعي: سمعت المحافظ أبا زرعة الرازي، يقول: كان
أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار، ولا عن يحيى بن معين،
ولا عن أحد ممن امتحن فأجاب.

[١] قلت: هذا أمر ضيق، ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية. وهذا هو الحق. وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقيّة.

[٢] عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين، يقول: كنت إذا دخلت منزلي بالليل، قرأت آية الكرسي على داوي وعيالي خمس مرات، فيينا أنا أقرأ، إذا شيء يكلمني: كم تقرأ هذا؟ كأن ليس انساناً يُحسن يقرأ غيرك؟ فقلت: أرى هذا يسوءك؟ والله لأزيدنك. فصرت أقرأها في الليلة خمسين ستين مرة.

[٣] قال إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين، يقول: ما الدنيا إلا كحلْم، والله ما ضرَّ رجلاً اتقى الله على ما أصبح وأمسى، لقد حججت وأنا ابن أربع وعشرين سنة، خرجت رجلاً من بغداد إلى مكة، هذا من خمسين سنة كأنما كان أمس. فقلت ليحيى: ترى أن ينظر الرجل في رأي الشافعي، وأبي حنيفة؟ قال: ما أرى لأحد أن ينظر في رأي الشافعي، ينظر في رأي أبي حنيفة أحب إليّ.

قلت: قد كان أبو زكريا رحمه الله حنيفياً في الفروع، فلهذا قال هذا، وفيه انحراف يسير عن الشافعي.

[٤] قال محمد بن جرير الطبري: خرج ابن معين حاجاً، وكان أكولاً فحدثني أبو العباس أحمد بن شاه أنه كان في رُفْقَتِهِ، فلما قدِموا قُيدَ أهدي إلى يحيى فالزوج لم يَضِحْ، فقلنا له: يا أبا زكريا، لا تأكله فإننا نخاف عليك. فلم يعبأ بكلامنا وأكله، فما استقر في معدته حتى شكوا وجع بطنه وانسهل، إلى أن وصلنا إلى المدينة ولا نهوض له. فتفاوضنا في أمره، ولم يكن لنا سبيل إلى المُقام عليه لأجل الحج، ولم ندر ما نعمل في أمره. فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج. وبتنا فلم يُصبح حتى وصّى ومات، فغسلناه ودفناه.

قال عباس الدوري: مات قبل أن يُحجَّ عامئذٍ، وصلى عليه والي المدينة، وكلم الحزامي الوالي، فأخرجوا له سرير النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فحمل عليه.

أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ، قال: مات يحيى سنة ثلاث وثلاثين، وقد استوفى
خمسا وسبعين سنة، ودخل في الست، ودفن بالبقيع.

[١] قال حُبَيْشُ بن مَبْشَرِ الفقيه - وهو ثقة - : رأيت يحيى بن معين في النوم،
فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أعطاني وخباني وزوجني ثلاث مئة حوراء، ومهد
لي بين البابين، أو قال: بين الناس. سمعها جعفر بن أبي عثمان من حُبَيْش.

[٢] ورواها الحسين بن الخصب، عن حُبَيْش، قال: رأيت يحيى بن معين في
النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني عليه في داره وزوجني ثلاث مئة
حوراء. ثم قال للملائكة: انظروا الى عبدي كيف نظري وحسن.

[٣] قال عباس، سمعت يحيى يقول في قوله: «لَا تَمْنَعُهُ نَفْسَهَا وَلَوْ كَانَتْ عَلَى
قَتَبٍ» قال: كانت المرأة في الجاهلية إذا أرادت أن تلد تقعد على قتب ليكون
أسرع لولادتها.

[٤] وقال: لست أعجب ممن يحدث فيخطيء، بل ممن يصيب.

[٥] وقال يحيى في من صلى خلف الصف وحده، قال: يُعِيد.

[٦] وقال في من صلى بقوم على غير وضوء، قال: لا يعيدون ويعيد.

[٧] وقال لي: أنا أوتر بثلاث، ولا أقنت إلا في النصف الأخير من رمضان، وأرفع
يدي إذا قنت، ولا أرى المسح على العمامة، ولا أرى الصلاة على رجل يموت
بغير البلد - كان يحيى يؤمن هذا الحديث - ولا أرى أن يهب الرجل بنته بلا
مهر، ولا أن يزوجه على سورة. رأيت يحيى يؤمن هذه الأحاديث.

[٨] على بن الحسين بن الجنيد، سمعت يحيى بن معين، يقول: إنا لنظعن
على أقوام لعلمهم قد حطوا رحالهم في الجنة من أكثر من مئتي سنة. قال ابن
مَهْرُوبٍ: فدخلت على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح
والتعديل»، فحدثته بهذه الحكاية، فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من
يده، وجعل يبكي، ويستعيني الحكاية، أو كما قال.

[١] ابن أسود، الحافظ الصادق، مُسند وقته، أبوخالد القيسي الثوباني البصري . وهو أخو الحافظ أمية بن خالد .

وُلد بعد الأربعين ومئة بقليل .

واحتج به الشيخان . وما أدري مستند قول النسائي : هو ضعيف .

[٢] قلت : رافق أخاه في الطلب، وتشاركوا في ضبط الكتب، فسأغ له أن يروي من كُتِبَ أخيه، فكيف بالماضين لو رأونا اليوم نسمع من أي صحيفة مُصْحَفَةٌ على أجهل شيخ له إجازة، ونروي من نسخة أخرى بينهما من الاختلاف والغلط ألوان، ففاضلنا يُصحح ما تيسر من حفظه، وطالبنا يتشأغل بكتابة أسماء الأطفال، وعالمنا ينسخ، وشيخنا ينام، وطائفة من الشبية في وادٍ آخر من المُشاركة والمحادثة . لقد اشتفى بنا كل مبتدع ومُجنأ كل مؤمن . أفهؤلاء الغُثاء هم الذين يحفظون على الأمة دينها؟ كلا والله . فرحم الله هُدْبَةَ، وأين مثل هُدْبَةَ؟ نعم ما هو في الحفظ كشعبة .

[٣] قال الحسن بن سُفيان : سمعتُ هُدْبَةَ بِنَ خَالِدٍ، يقول : صليت على شعبة . فقيل له : رأيته؟ فغضب، وقال : رأيت من هو خير منه حماد بن سلمة، وكان سُنيًّا، وكان شعبة رأيه رأي الإرجاء .

[٤] قلت : كلا لم يكن شعبة مرجئاً ولعله شيء يسير لا يضره .

[٥] قال عَبْدَانُ الْأَهْوَازِيُّ : كنا لا نصلي خلف هُدْبَةَ من طول صلاته، يُسَبِّحُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ نِفَاءً وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً . قال : وكان من أشبه خلق الله بهشام بن عمار، لحبته ووجهه، وكل شيء منه حتى صلاته .
وقال ابن حبان : مات سنة ست أو سبع وثلثين .

(١) انظر السير: ١١ / ٩٧-١٠٠ .

[١] الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون، أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي الأخباري، صاحب الموسيقى، والشعر الرائق، والتصانيف الأدبية مع الفقه واللغة، وأيام الناس، والبصير بالحديث، وعلو المرتبة. ولد سنة بضع وخمسين ومئة.

[٢] وسمع من: مالك بن أنس، وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة وبقية بن الوليد، وأبي معاوية الضرير، والأصمعي، وعدد كثير.

[٣] حدث عنه: ولده حماد الراوية، وشيخه الأصمعي، والزيبر بن بكار وأبو العيلاء، ويزيد بن محمد المهلب، وآخرون.

ولم يُكثِر عنه الحفاظ لاشتغاله عنهم بالدولة، وقيل: ولد سنة خمسين ومئة. صنّف كتاب «الأغاني» الذي يرويه عنه ابنه.

[٤] وعن إسحاق الموصلي قال: بقيت دهرًا من عمري أغلس كل يوم إلى هشيم أو غيره من المحدثين، ثم أصير إلى الكسائي، أو الفراء، أو ابن غزالة، فأقرأ جزءًا من القرآن، ثم إلى أبي منصور زلزل^(٢) فيصارني طرفين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة، فأخذ منها صوتًا أو صوتين ثم آتي الأصمعي، وأبا عبيدة فاستفيدُ منهما، وآتي مجلس الرشيد بالعشي.

[٥] وعن إسحاق أنه كان يكره أن يُنسب إلى الغناء، ويقول: لأن أُضرب على رأسي بالمقارع أحب إلي من أن يُقال عني: مُغني.

وقال المأمون: لولا شهرة إسحاق بالغناء، لوليتَه القضاء.

[٦] وقد أنشد إسحاق الرشيد أبياتا يقول فيها:

عَظَائِي عَظَاءُ الْمُكْثِرِينَ تَكْرُمًا وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعَلَّمِينَ قَلِيلٌ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أُحْرِمَ الْغِنَى وَرَأْيِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَلِيلٌ

(١) انظر السير: ١١١ / ١١٨-١٢١.

(٢) وهو الذي علم إسحاق الموصلي ضرب العود.

فأمر له بمئة ألف درهم .
مات سنة خمس وثلاثين ومئتين .

٤٧٤ - داود بن رُشيد (خ، م، د، س) (١)

[١] الإمام الحافظ الثقة، أبو الفضل الخوارزمي، ثم البغدادي مولى بني هاشم، رَحَّالٌ جَوَّالٌ، صاحبُ حديث.

[٢] إبراهيم الحربي: حدثنا داود بن رشيد قال: قمت ليلة أصلي، فأخذني البرد لما أنا فيه من العري، فأخذني النوم، فرأيت كأن قائلًا يقول: يا داود، أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا؟ قال الحربي: فأظنُّ داود ما نام بعدها، يعني: ما ترك تهجد الليل.

[٣] قال: وسمعتُ داودَ يقول: قالت حكماءُ الهند: لا ظفرَ مع بغي ولا صحبةَ مع نهم، ولا ثناءَ مع كبر، ولا صداقةَ مع خب، (٢) ولا شرفَ مع سوءِ أدب ولا برٌّ مع شح، ولا محبةَ مع هُزء، ولا قضاءَ مع عدمِ فقه، ولا عُذرَ مع إصرار ولا سِلْمَ قلبٍ مع غيبة، ولا راحةَ مع حسد، ولا سُودَدَ مع انتقام، ولا رئاسةَ مع عزةَ نفسٍ وعُجب، ولا صوابَ مع تركِ مُشاورَةٍ، ولا ثباتَ مُلكٍ مع تهاون.

توفي في سنة تسع وثلاثين ومئتين، وهو من أبناء الثمانين، ولعل بعض أمراء الزمان يحوي هذه الجلال الرديّة.

٤٧٥ - عثمان بن أبي شيبة (خ، م، د، ق) (٣)

هو الإمام الحافظ الكبيرُ المفسر، أبو الحسن، عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة، صاحب التصانيف، وأخو الحافظ أبي بكر.

(١) انظر السير: ١١ / ١٣٣-١٣٥.

(٢) الخب، بالكسر والفتح: الخداع والخبث والغش.

(٣) انظر السير: ١١ / ١٥١-١٥٤.

وُلِدَ بُعِيدَ السَّتِينَ وَمِئَةَ .

سُئِلَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فَاتَّيَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: ثِقَةٌ مَأْمُونٌ.

[١] وَهُوَ مَعَ ثِقَتِهِ صَاحِبُ دُعَابَةٍ حَتَّى فِيمَا يَنْصَحُفُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ سَامِحَهُ
اللَّهُ .

[٢] قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: جِئْتُهُ فَقَالَ لِي: إِلَى مَتَى لَا يَمُوتُ إِسْحَاقُ بْنُ

رَاهُوِيَه؟ فَقُلْتُ لَهُ: شَيْخٌ مِثْلَكَ يَتَمَنَّى هَذَا؟! قَالَ: دَعْنِي فَلَوْ مَاتَ لَصُفَا لِي

جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ .

قُلْتُ: فَمَا عَاشَ بَعْدَ إِسْحَاقَ سِوَى خَمْسَةِ أَشْهُرٍ .

[٣] الدَّارِقُطْنِيُّ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ، حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَبَابِ أَنَّ عَثْمَانَ

ابْنَ أَبِي شَيْبَةَ، قَرَأَ عَلَيْهِمْ فِي التَّفْسِيرِ:

﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْقَيْلِ﴾ [الفيل: ١] .

فَقَالَهَا: أَلْفَ لَامٍ مِيمٍ .

قُلْتُ هُوَ: إِمَّا سَبَقَ لِسَانٌ، أَوْ انْبَسَاطٌ مُحَرَّمٌ .

[٤] وَقَالَ الْفَاضِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ كَاسٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ الْخَصَّافُ قَالَ: قَرَأَ

عَلَيْنَا عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي التَّفْسِيرِ:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ، جَعَلَ﴾ السَّفِينَةَ، فَنَادُوا ﴿السَّقَايَةَ﴾ [يوسف:

٧٠] .

فَقَالَ: أَنَا وَأَخِي لَا نَقْرَأُ لِعَاصِمٍ .

وَقَدْ أَكْثَرَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» .

قَالَ مُطَيَّنٌ: مَاتَ عَثْمَانُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ .

[١] نائب دمشق للمتوكل، كان ظلوماً عُسوفاً، شُدَّ عليه طائفةٌ من أشراف العرب فقتلوه بباب دار الإمارة يوم الجمعة سنة بضع وثلاثين ومئتين فبلغ المتوكل فتنمراً، وقال: مَنْ للشام في صولة الحجاج؟ فندب أفريدون التركي، فسار في سبعة آلاف فارس. ورخص له المتوكل في بذل السيف ضحوتين، وفي نهب البلد. فنزل بيت ليهيا. فلما أصبح قال: يا دمشق، أيش يحل بك اليوم مني، فقدمت له بغلةً دهماً ليركبها، فضربته بالزوج على فؤاده فقتلته. فقبره كان معروفاً ببيت ليهيا، وردَّ عسكره إلى العراق. ثم جاء بعد المتوكل إلى دمشق وأنشأ قصرًا بداريًا، وصلح الحال.

٤٧٧ - الخزاعي (د)^(٢)

[٢] الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله، أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي المروزي ثم البغدادي. كان جدُّه أحدُ نُبلاء الدولة العباسية، وكان أحمد أماراً بالمعروف، قوالاً بالحق.

قال ابنُ الجنيْد: سمعتُ يحيى بن معين يترحم عليه، وقال: ختم الله له بالشهادة، وقد كتبتُ عنه، وكان عنده مصنفاتٌ هُشيم كلها، وعن مالك أحاديث، وكان يقولُ عن الخليفة: ما دخل عليه من يصدِّقه. ثم قال يحيى: ما كان يُحدِّث، ويقول: لستُ هناك.

[٣] قال الصولي: كان هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون قبايعه سهل، ولزم ابنُ نصر بيته، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلقٌ يأمرون

(١) انظر البهير: ١١ / ١٦٢.

(٢) انظر البهير: ١١ / ١٦٦ - ١٦٩.

بالمعروف. قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى زجلان موسران من أصحابه، فبذلاً مالاً، وعزماً على الوثوب في سنة إحدى وثلاثين فتم الخبير إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم، فأخذ أحمد وصاحبيه وجماعته، ووجد في منزل أحدهما أعلاماً، وضرب خادماً لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتون أحمد ليلاً، ويخبرونه بما عملوا. فحملوا إلى سامراء مقيدين، فجلس الوراق لهم، وقال لأحمد: دع ما أخذت له، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله. قال: أتمخلوق هو؟ قال: كلام الله. قال: فترى ربك في القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمر هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم، ووافقه فقهاء، فأظهر أحمد بن أبي دؤاد أنه كاره لقتله. وقال: شيخ مختل، تغير عقله، يؤخر. قال الوراق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده، ودعا بالصمصامة، وقام وقال: احتسب خطاي إلى هذا الكافر. فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد ونصب رأسه بالجانب الشرقي، وتبع أصحابه فسجنوا.

[١] قال الحسن بن محمد الحرابي: سمعت جعفر بن محمد الصائغ، يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل قال رأسه: لا إله إلا الله.

قال المروزي: سمعت أحمد ذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله لقد جاد بنفسه.

[٢] وعلق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر دعاه الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن، ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فجعله الله إلى ناره. وكتب محمد بن عبد الملك.

[٣] ونقل عن الموكل بالرأس أنه سمعه في الليل يقرأ (يس) وصح أنهم أقعدوا رجلاً بقصبة، فكانت الريح تدبر الرأس إلى القبلة، فيديره الرجل.

[٤] قال السراج: سمعت خلف بن سالم، يقول بعد ما قتل ابن نصر وقيل له: ألا تسمع ما الناس فيه يقولون: إن رأس أحمد بن نصر يقرأ؟! فقال: كان رأس

يحيى يقرأ.

[١] وقيل زكى في النوم، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيتُ الله، فضحك إليّ. وقيل: إنه قال: غضبتُ له فاباحني النظر إلى وجهه.

بقي الرأس منصوباً ببغداد، والبَدَنُ مصلوباً بسامراء بست سنين إلى أن أنزل، وجمع في سنة سبع وثلاثين، فذُفِنَ رحمة الله عليه.

٤٧٨ - أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ^(١)

[٢] القاضي الكبير، أبو عبدالله، أحمدُ بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي، الجهمي، عدو أحمد بن حنبل. كان داعيةً إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم.

ولد سنة ستين ومئة بالبصرة، ولم يُضَف إلى كرمه كرم.

[٣] قال حريز بن أحمد بن أبي دُوَادٍ: كان أبي إذا صلى، رفع يده إلى السماء وخاطب ربه ويقول:

ما أنت بالسَّبِّبِ الضعيف وإنما نُجِّحُ الْأُمُورَ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
فَالْيَوْمَ حَاجَّتُنَا إِلَيْكَ، وَإِنَّمَا يُدْعَى الطَّيِّبُ لِنَاعَةِ الْأَوْصَابِ

وقال أبو العيناء: كان ابن أبي دُوَادٍ شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً ما رأيتُ ريباً أفصح منه.

[٤] قال عونُ بنُ محمد الكِندي: لَعَهْدِي بالكُرْخِ، ولو أن رجلاً قال: ابن أبي داود مسلمٌ، لقتل. ثم وَقَعَ الحَرِيْقُ في الكُرْخِ، فلم يكن مثله قطُّ فكلَّم ابنُ أبي دُوَادٍ المعتصمَ في الناس، ورفقه إلى أن أطلق له خمسة آلاف درهم، فقسمها على الناس، وغرم من ماله جملةً. فَلَعَهْدِي بالكُرْخِ وئو أن إنساناً، قال: زِدْ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ وسخ لقتل.

(١) انظر السير: ١٧١-١٦٩.

- [١] وقد كان ابن أبي داود يوم المحنة إلباً على الإمام أحمد، يقول: يا أمير المؤمنين، اقتله، هو ضالٌ مُضِلٌّ.
- [٢] قال عبدالله بن أحمد: سمعتُ أبي، سمعتُ بشرَ بن الوليد، يقول: استتبتُ أحمد بن أبي داود من قوله: القرآن مخلوق في ليلة ثلاث مرات ثم يرجع.
- [٣] إسحاق بن إبراهيم بن هانيء، قال: حضرتُ العيدَ مع أحمد بن حنبل، فإذا بقاصٌ يقول: علي ابن أبي داود اللعنة، وحشا الله قبره ناراً. فقال أبو عبدالله: ما أنفعهم للعامّة.
- [٤] قال المغيرة بن محمد المهلبي: ماتَ وولده محمد منكوبين الولدَ أولاً، ثم مات الأب في سنة أربعين وميتين، ودُفِنَ بداره ببغداد.
- [٥] قلت: صادرة المتوكل، وأخذ منه ستة عشر ألف درهم، واقتصر، فالدنيا مَحْنٌ.

٤٧٩ - ابنُ الزِّيَّات (١)

- [٦] الوزيرُ الأديبُ العلامةُ أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده سوقياً، فساد هذا بالأدب وفنونه وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان مُعادياً لابن أبي داود فأغرى ابنُ أبي داود المتوكل، حتى صادر ابنُ الزيات وعذبه.
- [٧] وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمتُ أحداً قط، الرحمةُ حورٌ في الطبع. فسُجن في قفص حرج، جهاته بمسامير كالمسأل، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة حورٌ في الطبيعة.
- مات في سنم ثلاث وثلاثين وخمسين. وله ترسلٌ بديع، وبلاغة مشهورة، وأخبار في «وفيات الأعيان».

(١) انظر السير: ١١ / ١٧٢-١٧٣.

٤٨٠ - ابن كُلاب (١)

[١] رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبدالله بن سعيد بن كُلاب القَطَّان البصري صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم.
 [٢] وكان يُلقب كُلاباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانهِ وبلاغته وأصحابه هم الكُلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الأشعري، وكان يردُّ على الجهمية.
 [٣] وقال بعض من لا يعلم: إنه ابتدع ما ابتدعه ليندس دين النَّصارى في ملتنا وإنه أَرْضَى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظرهم.

[٤] وصنَّف في التوحيد، وإثبات الصفات، وأنَّ علوَّ الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل على وفق النص، وكذلك قال المُحاسبي في كتاب فهم القرآن. ولم أقع بوفاة ابن كُلاب. وقد كان باقياً قبل الأربعين ومئتين.

٤٨١ - ابن بنتِ السُّدي * (د، ت، ق) (٢)

[٥] الشيخ الإمام محدِّث الكوفة، أبو محمد، وقيل: أبو إسحاق إبراهيم (٣) بن موسى الفزاري الكوفي سبط اسماعيل السُّدي.
 قال أبو حاتم: صدوق.

وكان من شيعة الكوفة. وقيل: كان غالياً.
 قال عبدان الأهوازي: أنكر علينا أبو بكر بن أبي شيبة، أو هناد مضميناً إلى إسماعيل بن موسى، وقال: أيش عملتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف. وإنما أنكروا علوه في التشيع.

(١) انظر السير: ١١ / ١٧٤-١٧٦.

(٢) انظر السير: ١١ / ١٧٦-١٧٧.

(٣) هو في كتب التراجم: إسماعيل بن موسى، وليس إبراهيم، وكذا صرح الذهبي نفسه.

[١] قال علي بن جعفر: أخبرنا إسماعيل بن بنتِ السُّدي، قال: كنتُ في مجلس مالك، فسئل عن فريضة، فأجاب بقول زيد، فقلتُ ما قال فيها علي وابن مسعود، رضي الله عنهما، فأوَّماً إلى الحجبة، فلما همَّوا بي عدوتُ وأعجزتهم، فقالوا: ما نصنعُ بكتبه ومحبرته؟ فقال: اطلبوه برفق، فجاؤوا إليَّ فجلستُ معهم. فقال مالك: من أين أنت؟ قلت: من الكوفة، قال: فأين خلقتُ الأدب؟ فقلت: إنما ذاكرتُك لاستفيد فقال: إنَّ علياً وعبدالله لا يُنكر فضلُهما، وأهل بلدينا على قول زيد بن ثابت، وإذا كنتُ بين قوم، فلا تُبداهم بما لا يعرفون، فيبدأكُ منهم ما تكره.

تُوفِّي إسماعيل الفزاري في خمس وأربعين وميتين. وكان من أبناء التسعين، سامحه الله.

٤٨٢ أحمد بن حنبل (ع) (١)

[٢] هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبدالله، أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام. رُبِّي أحمدٌ يتيماً.

قال صالح، قال لي أبي: ولدتُ سنة أربع وستين ومئة. طلب العلم وهو ابنُ خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد.

ومن صفته:

كان شيخاً مخضوباً طوالاً أسمر شديد السُمر.

وعن محمد بن عباس النحوي، قال: رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه رُبعة، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شَعرات سود، ورأيتُ ثيابه غلاباً بيضاً، ورأيتُه معتماً وعليه إزار.

(١) انظر السير: ١١ / ٣٥٨١٧٧.

[١] وقال المروزي: رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامّة جلوسه متربعا خاشعا، فإذا كان برّا، لم يتبين منه شدة خشوع، وكنت أدخل، والجزء في يده يقرأ.

[٢] وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله، يقول: تزوجت وأنا ابن أربعين سنة، فزق الله خيرا كثيرا.

قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعين، وما فُسر، ونحو ذلك. وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.

قال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله، كان الله جمع له علم الأولين والآخرين.

أحمد بن سلمة: سمعت ابن راهويه، يقول: كنت أجالس أحمد وابن معين، وبتذاكر فأقول: ما فقهه؟ وما تفسيره؟ فيسكتون إلا أحمد.

[٣] قال: وحدثنا المروزي: قلت لأحمد: أكان أغمي عليك، أو غشي عليك عند ابن عيينة؟ قال: نعم، في دهليزه رخصني الناس، فأغمي عليّ. وروي أن سفيان قال يومئذ: كيف أحدث وقد مات خير الناس؟

[٤] وعن شيخ أنه كان عنده كتاب بخط أحمد بن حنبل، فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أياما، فدللت على موضعه، فجئت فإذا هو في شبيه بكهف في جباد^(١). فقلت: سلام عليكم، أدخل؟ فقال: لا ثم قال: ادخل، فدخلت، وإذا عليه قطعة لئد خلّق، فقلت: لم حجبتني؟ فقال: حتى استترت. فقلت: ما شأنك؟ قال: سرقت ثيابي. قال: فبادرت إلى منزلي فجئته بمئة درهم، فعرضتها عليه، فامتنع، فقلت: قرصا، فأبى، حتى بلغت عشرين درهما، ويأبى. فقلت: ما يحل لك أن تقتل نفسك. قال: ارجع،

(١) موضع بمكة بلى الصفا.

فرجعت، فقال: أليس قد سمعت معي ابن عيينة؟ قلت: بلى. قال: تحب أن أنسخه لك؟ قلت: نعم. قال: اشتر لي ورقاً. قال: فكتب بدراهم اكتسب منها ثوبين.

[١] كان أحمد بن حنبل يصلي بعد الرزاق، فسأله عنه عبدالرزاق، فأخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئاً.

[٢] المروزي: سمعت جعفر بن ميمون بن الأصبح، سمعت أبي يقول: كنا عند يزيد بن هارون، وكان عنده المعطي، وأبوخيشمة، وأحمد، وكانت في يزيد، رحمه الله، مداعبة، فذاكره المعطي بشيء. فقال له يزيد: فقدتك، فتحنح أحمد فالتفت إليه، فقال: من ذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل، فقال: ألا أعلمتوني أنه ها هنا؟

[٣] قال أحمد بن سنان القطان: ما رأيت يزيد لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل، ولا أكرم أحداً مثله، كان يقعده إلى جنبه ويوقره، ولا يمازحه.

[٤] وقال عبدالرزاق: ما رأيت أحداً أفقه ولا أروع من أحمد بن حنبل.

قلت: قال هذا، وقد رأى مثل الثوري ومالك وابن جريج.

[٥] وقال قتيبة: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب، يعني: أحمد بن حنبل، وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد، فاعلم أنه صاحب سنة. ولو أدرك عصر الثوري، والأوزاعي، والليث، لكان هو المقدم عليهم. فقيل لقتيبة: يضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

[٦] وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

[٧] وروى عن إسحاق بن راهويه، قال: أحمد حجة بين الله وبين خلقه.

[٨] وقال عبدالله بن أحمد: قال أصحاب بشر الحافي له حين ضرب أبي: لو أنك خرجت فقلت: إني على قول أحمد، فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟!

[٩] القاسم بن محمد الصائغ: سمعت المروزي، يقول: دخلت على ذي النون السجن، ونحن بالعسكر، فقال: أي شيء حال سيدنا؟ يعني: أحمد بن حنبل.

[١٠] عن ابن المديني، قال: أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من كتاب.

[١] وعن محمد بن مُصعب العابد، قال: لسوط ضربه أحمد بن حنبل في الله أكبر من أيام بشر بن الحارث.
قلت: بشر عظيم القدر كأحمد، ولا ندرى وزن الأعمال، إنما الله يعلم ذلك.

وقال الحُثَيْبِي: سمعت اسماعيل بن الخليل، يقول: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان آية.

[٢] محمد بن يحيى النيسابوري، حين بلغه وفاة أحمد، يقول: ينبغي لكل أهل دار بغداد أن يُقيموا عليه النياحة في دورهم.

قلت: تكلم الدهلي بمقتضى الحُزْنِ لا بمقتضى الشرع.

لَمَّا مات سعيد بن أحمد بن حنبل، جاء إبراهيم الحربي إلى عبد الله بن أحمد، فقام إليه عبد الله، فقال: تقوم إلي؟ قال: والله لو رأك أبي، لقام إليك، فقال إبراهيم: والله لو رأى ابن عيينة أباك، لقام إليه.

وقد أثنى على أبي عبد الله جماعة من أولياء الله، وتركوا به. روى ذلك ابن الجوزي، وشيخ الإسلام ولم يصح سند بعض ذلك.

في فضله وتألهه وشمائله:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد ابن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم سالحة، فلم يقبلها.

[٣] وبعث ابن طاهر حين مات أحمد بأكفانٍ وحنوط، فأبى صالح أن يقبله وقال: إن أبي قد أعد كفته وحنوطه، وردّه، فراجع، فقال: إن أمير المؤمنين أعفى أبا عبد الله مما يكره، وهذا مما يكره، فلست أقبله.

[٤] دخل على أحمد عمه، فقال: يا ابن أخي، أيش هذا الغم؟ وأيش هذا الحزن؟ فرفع رأسه، وقال: يا عم، طوبى لمن أحمل الله ذكره.

[٥] قال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح، قال: ربما رأيتُ أبي يأخذ الكسر، ينفض الغبار عنها، ويصيرها في قصعة، ويصب عليها ماء ثم يأكلها بالملح. وما رأيتُه

اشترى رماناً ولا سفرجلاً ولا شيناً من الفاكهة، إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعنباً وتمرأ.

[١] وقال لي : كانت والدتك في الظلام تَغزُلُ غزلاً دقيقاً، فتبيع الأستار بدرهمين أقل أو أكثر، فكان ذلك قوتنا، وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كيلا يراه، فُوبختنا، وكان ربما خُبِزَ له، فيجعل في فَخَّارة عدساً وشحمأ وتمرأ، وكان يأتدِمُ بالخل كثيراً.

[٢] وكان إذا توضع لا يدع من يستقي له، وربما اعتللت فيأخذ قدحاً فيه ماء فيقرأ فيه، ثم يقول: اشرب منه، واغسل وجهك ويدك.

[٣] وكان ربما أخذ القُدوم، وخرج إلى دار السكان، يعمل الشيء بيده. واعتل فتعالج.

[٤] وكان ربما خرج إلى البقال، فيشتري الجُرزة الحطب والشيء، فيحمله بيده. وكان يتنور في البيت. فقال لي في يوم شتوي: أريد أدخل الحمام بعد المغرب، فقل لصاحب الحمام. ثم بعث إلي: إني قد أضربت عن الدخول. وتنور في البيت.

[٥] وكنت أسمعه كثيراً يقول: اللهم سلم سلم.

[٦] وأخبرنا المرؤذي: قلت لأبي عبدالله: ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدا الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبدالله، وكنا نمُد المنجنيق ونرمي عن أبي عبدالله. ولقد رمي عنه بحجر، والعلاج على الحصن مترس بدرة فذهب برأسه وبالدرقة، قال: فتغير وجه أبي عبدالله وقال: ليه لا يكون استدراجاً. قلت: كلا.

[٧] وعن رجل قال: عندنا بخراسان يظنون أن أحمد لا يشبه البشر يظنون أنه من الملائكة.

[٨] وقال آخر: نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة.

قلت: هذا غلو لا ينبغي، لكن الباعث له حبٌ ولي الله في الله.
[١] قال المرؤذي: رأيتُ طبيباً نصرانياً خرج من عند أحمد معه راهب، فقال:
إنه سألني أن يجيء معي ليري أبا عبدالله.

وأدخلتُ نصرانياً على أبي عبدالله، فقال له: إنني لأشتهي أن أراك منذ
سنين. ما بقاؤك صلاح للإسلام وحدهم، بل للخلق جميعاً، وليس من أصحابنا
أحد إلا وقد رضي بك.

[٢] قال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جازنا، قال: كانت أمي مُقعدةً
من نحو عشرين سنة. فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسأله أن
يدعوني، فأتيتُ، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل
سألني أمي وهي مُقعدة أن أسألك الدعاء. فسمعت كلامه كلام رجل مُغضب.
فقال: نحن أخرج أن تدعوا الله لنا. فوليتُ منصرفاً، فخرجتُ عجوز، فقالت:
قد تركته يدعو لها. فجئتُ إلى بيتنا ودققتُ الباب، فخرجت أمي على رجليها
تمشي.

هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس.

[٣] قال عبدالله بن أحمد: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة. فلما
مرض من تلك الأسواط، أضعفته، فكان يصلي كل يوم وليلة مئة وخمسين
ركعة.

[٤] وعن أبي اسماعيل الترمذي: قال: جاء رجل بعشرة آلاف من ربح تجارته
إلى أحمد فردها. وقيل: إن صيرفاً بذل لأحمد خمس مئة دينار، فلم يقبل.

ومن آدابه:

[٥] قال عبدالله بن أحمد: رأيتُ أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه
وسلم، فيضعها على فيه يقبلها. وأحسب أني رأيتُه يضعها على عينه، ويغمسها
في الماء ويشربه يستشفى به.

[١] ورأيتُه أخذَ قَصْعَةَ النبي صلى الله عليه وسلم فغسلها في حُبِّ الماء ثم شرب فيها ورأيتُه يَشْرَبُ من ماء زمزم يستشفى به، ويمسح به يديه ووجهه.

[٢] قلت: أين المتنطع المنكر على أحمد، وقد ثبت أن عبدالله سأل أباه عمن يلمس رُمَانَةَ منبر النبي صلى الله عليه وسلم، وتَمَسُّ الحجرة النبوية، فقال: لا أرى لذلك بأساً. أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع.

[٣] وقال المروزي: قال لي أحمد: ما كتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به حتى مرُّ بي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، احتجَمَ وأعطى أبا طَيِّبَةَ ديناراً، فأعطيتُ الحُجَّامَ ديناراً حين احتجمتُ.

[٤] قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

[٥] قال عبدالله بن أحمد: كان أبي يقرأ كلَّ يوم سُبْحاً، وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يُصلي ويدعو.

[٦] قال المروزي: كان أبو عبدالله إذا ذكر الموت، خَنَقَتَهُ العبرة وكان يقول: الخوف يمنعني أكلَ الطعام والشراب، وإذا ذكرتُ الموت هان علي. كلُّ أمر الدنيا. إنما هو طعامٌ دونَ طعام، ولباسٌ دونَ لباس وإنها أيامٌ قلائل. ما أُعْدِلَ بالفقر شيئاً، ولو وجدتُ السبيل لخرجتُ حتى لا يكون لي ذكر.

[٧] وسئل عن القراءة بالألحان، فقال: هذه بدعة لا تُسمع.

[٨] وعن المروزي، قال: لم أر الفقير في مجلسٍ أعزُّ منه في مجلس أحمد. كان مانلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه جِلْم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تَعَلَّوه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر.

[٩] قال عبدالله: رأيتُ أبي حُرَّجَ على النمل أن يَخْرُجوا من داره فرأيتُ النمل قد خرجن بعد نملاً سوداً، فلم أرهم بعد ذلك.

[١٠] عبدالله بن أحمد، قال: قال أبو سعيد بن أبي حنيفة المؤدب: كنتُ أتِي أباك فيدفع إليَّ الثلاثة درهم وأقلُّ وأكثر ويقعد معي، فيتحدث، وربما أعطاني

الشيء، ويقول: أعطيتك نصف ما عندنا. فجئت يوماً، فأطلت القمود أنا وهو. قال: ثم خرج ومعه تحت كسانه أربعة أرغفة. فقال: هذا نصف ما عندنا. فقلت: هي أحب إلي من أربعة آلاف من غيرك.

[١] وكان أبو عبد الله شديد الحياء، كريم الأخلاق، يُعجبه السخاء.

[٢] قال المروزي: رأيت أبا عبد الله يقوم لورده قريباً من نصف الليل حتى يُقارب السُحر. ورأيتُه يركع فيما بين المغرب والعشاء.

[٣] وقال عبد الله: ربما سمعتُ أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم. وكان يُكثر الدعاء ويُخفيه، ويُصلي بين العشاءين، فإذا صلى عشاء الآخرة، ركع ركعات صالحه، ثم يُوتر وينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيُصلي وكانت قراءته لينة، ربما لم أفهم بعضها. وكان يصوم ويُدمن، ثم يُفطر ما شاء الله. ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض. فلما رجع من العسكر، أدمن الصوم إلى أن مات.

[٤] قال له خراساني: الحمد لله الذي رأيتك، قال: اقمُد، أي شيء ذا؟ من أنا؟

[٥] وعن رجل قال: رأيت أثر الغم في وجه أبي عبد الله، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيراً، قال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً. من أنا وما أنا؟!.

قال إبراهيم الخريزي: كان أحمد يُجيب في العرس والختان، ويأكل. وذكر غيره أن أحمد ربما استعفى من الإجابة. وكان إن رأى إناء فضة أو منكرأ، خرج. وكان يُحب الخمول والانزواء عن الناس، ويعوذ المريض وكان يكره المشي في الأسواق، ويُؤثر الوحدة.

[٦] ودوى عن المرزوي، قال: قلت لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من ربه يُطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يُطالبه بأداء السنة والملكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تُطالبه بهواها، وإبليس يُطالبه بالفحشاء، وملئك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يُطالبونه بالنفقة؟!.

[١] فاطمة بنت أحمد بن حنبل، قالت: وقع الحريق في بيت أخي صالح وكان قد تزوج بفتية، فحملوا إليه جهازاً شبيهاً بأربعة آلاف دينار فأكلته النار فجعل صالح، يقول: ما غمني ما ذهب إلا ثوبٌ لأبي كان يصلي فيه أتبرك به وأصلي فيه. قالت: فطفيء الحريق، ودخلوا فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حوله وسلم.

[٢] قال ابن الجوزي: بلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزيني أنه حكى أن الحريق وقع في دارهم، فأحرق ما فيها إلا كتاباً كان فيه شيء بخط الإمام أحمد. قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة ٥٥٤، وغرقت كتبي، سلم لي مجلداً فيه ورقتان بخط الإمام.

[٣] قلت: وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مئة ببغداد عام على مقابر مقبرة أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز علو ذراع، ووقف بقدره الله، وبقيت الحصر حول قبر الإمام بغيرها، وكان ذلك آية.

[٤] محمد بن المسيب، سمعت زكريا بن يحيى الضرير، يقول: قلت لأحمد بن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يكون مفتياً؟ يكفيه مئة ألف؟ فقال: لا. إلى أن قال: فيكفيه خمس مئة ألف حديث؟ قال: أرجو.

[٥] المحسنة:

[٦] الصّدقُ بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمُخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخذل، فمن قام بهما كاملاً، فهو صديق. ومن ضعف، فلا أقل من التآلم والإنكار بالقلب. ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله.

عن ثوبان قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم. «إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون، وإذا وُضع السيف عليهم، لم يُرَفَع عنهم إلى يوم القيامة، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله.»

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يُخْفِرُنَّ أَحَدَكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى امْرَأً لَه فِيهِ مَقَالٌ، فَلَا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ؟ فَيَقُولُ: مَخَافَةُ النَّاسِ. فَيَقُولُ: فَلَإِي كُنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَخَافَ».

[١] كان الناس أمة واحدة، ودينهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر فلما استشهد قُفِّلَ باب الفتنة عمر رضي الله عنه، وانكسر الباب، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى دُجِحَ صبراً. وتفرقت الكلمة وتمت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين. فظهرت الخوارج، وكفرت سادة الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب.

[٢] وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة، والجهمية والمجسمة بخراسان في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها. إلى بعد المتين، فظهر المأمون الخليفة - وكان ذكياً متكلماً، له نظرٌ في المعقول - فاستجلب كتب الأوائل، وعرب حكمة اليونان، وقام في ذلك وقعد، وخبَّ ووضع، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها، بل والشيعه. وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن، وامتنح العلماء، فلم يُمَهَّل. وهلك لعامة، وخلق بعده شراً وبلاءً في الدين. فإن الأمة ما زالت على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى ووحيه وتزويله، لا يعرفون غير ذلك، حتى نبغ لهم القول بأنه كلام الله مخلوق مجعول، وأنه إنما يضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله. فأنكر ذلك العلماء ولم تكن الجهمية يظهرين في دولة المهدي والرشيدي والأمين فلما ولي المأمون، كان منهم، وأظهر المقالة. روى أحمد بن إبراهيم الدورقي، عن محمد بن نوح: أن الرشيد قال: بلغني أن بشر بن غياث المريسي، يقول: القرآن مخلوق، فليله عليّ إن أظفرتني به، لأقتلنه. قال الدورقي: وكان متوارياً يلهم الرشيد فلما مات الرشيد، ظهر، ودعا إلى الضلالة.

[١] قلت: ثم إن المأمون نظر في الكلام، وناظر، وبقي متوقفاً في الدعاء إلى بدعته.

[٢] قال أبو الفرج بن الجوزي: خالطه قوم من المعتزلة، فحسبوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد ويراقب الشيخ، ثم قوي عزمه وامتنح الناس.

ابن عَرَفَةَ، حدثني ابن أَكْثَم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكانُ يزيد بن هارون، لأظهرت أن القرآن مخلوق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يُتقى؟ فقال: ويحك!! إني أخاف أن أظهرته فبردُ عليّ يختلف الناس، وتكون فتنة، وأنا أكر الفتنة. فقال الرجل: فإنا أخبرُ ذلك منه، قال له: نعم، فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد، وقال: يا أبا خالد، إن أمير المؤمنين يُقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر خلق القرآن، فقال: كذبت علي أمير المؤمنين. أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه فإن كنت صادقاً، فاقعد. فإذا اجتمع الناس في المجلس، فقل. قال: فلما أن كان الغد، اجتمعوا. فقام، فقال كعقالته، فقال يزيد: كذبت علي أمير المؤمنين، إنه لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، ومالم يُقل به أحد. قال: فقدم، وقال: يا أمير المؤمنين، كنت أعلم، وقصص عليه، قال: ويحك يلعب بك!!

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي، يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة، قرأ علينا كتاب الذي صار إلى طرسوس، يعني: المأمون فكان فيما قرأ علينا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. فقلت: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قال صالح: ثم امتحن القوم، ووجه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعاً غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد سجادة. ثم أجاب هذان، وبقي أبي ومحمد في الحبس أياماً، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدين زميلين.

[١] الأصم: حدثنا عباس الدوري: سمعت أبا جعفر الأنباري، يقول: لما حبل

أحمد إلى المأمون، أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعيّت. فقلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أحببت إلى خلق القرآن ليجيئ خلق، وإن أنت لم تجب، ليمتنعن خلق من الناس كثير. ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت، فاتق الله ولا تجب فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله. ثم قال: يا أبا جعفر، أعد علي فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله.

[١] قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذكرون أبا عبدالله بالرقعة في التقيّة وما روي فيها. فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: «إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمِنْشَارِ، لَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ» فإيسنا منه.

[٢] وقال: لست أبالي بالحبس، ما هو ومزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف إنما أخاف فتنة السوط. فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبدالله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُري عنه.

[٣] عن محمد بن إبراهيم بن مُصعب، وهو يومئذ صاحب شرطة المعتصم خلافة لأخيه اسحاق بن إبراهيم، قال: ما رأيت أحداً لم يُدَاخِل السلطان، ولا خالط الملوک، كان أثبت قلباً من أحمد يومئذ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صيرنا إلى أذنة، ورحلنا منها في جوف الليل، وفتح لنا بابها، إذا رجل قد دخل. فقال: البشري! قد مات الرجل يعني: المأمون. قال أبي: وكننت أدعو الله أن لا أراه.

وبقي أحمد محبوباً بالرقعة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، فردّ أحمد إلى بغداد.

[٤] قال أبو عبدالله: ما رأيت أحداً على حدائث سنه، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد حُتم له بخير قال لي ذات يوم: يا أبا عبدالله، الله الله، إنك لست مثلي. أنت رجل يقتدى بك. قد مدّ الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله وأثبت لأمر الله، أو نحو هذا. فمات،

وصليت عليه، ودفنته.

قال صالح: وصار أبي إلى بغداد مقيداً، ثم حُسين في دارٍ اُكثريت عند دار عمارة، ثم حُوّل إلى حبس العامة في درب الموصليّة. فقال: كنت أصلي بأهل السجن، وأنا مقيد. فلما كان في رمضان سنة تسع عشر - قلت: وذلك بعد موت المأمون بأربعة عشر شهراً - حُوّلْتُ إلى دار إسحاق بن إبراهيم، يعني: نائب بغداد.

فلما كان في الليلة الرابعة، وجه، يعني: المعتصم، ببُغا الكبير إلى إسحاق، فأمره بحملي إليه، فأدخلتُ على إسحاق، فقال: يا أحمد إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى، إن لم تجبه، أن يضربك ضرباً بعد ضرب وأن يقتلك في موضع لا يرى فيه شمس ولا قمر. أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. أفيكونُ مجعولاً إلا مخلوقاً؟ فقلت: فقد قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْبٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]. أفخلقهم؟ قال: فسكت، فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان أُخرجتُ، وجمي بداية فأركبتُ وعليّ الأقياد، ما معي من يُمسكني، فكُدتُ غير مرة أن أُخِرَّ على وجهي لثقل القيود. فجمي بي إلى دار المعتصم، فأدخلتُ حجرة، ثم أدخلتُ بيتاً، وأقفل الباب عليّ في جوف الليل ولا سراج، فأردتُ الوضوء، فمددتُ يدي، فإذا بإناءٍ فيه ماء، وطستُ موضع، فتوضأتُ وصليتُ.

فلما كان من الغد، أُخرجتُ تكّتي، وشددتُ بها الأقياد أحملها وعطفتُ سراويلي. فجاء رسولُ المعتصم، فقال: أجب فأخذ بيدي، وأدخلني عليه، والتكّة في يدي، أحملُ بها الأقياد، وإذا هو جالسٌ، وأحمدُ بنُ أبي دُوادٍ حاضر، وقد جمع خلقاً كثيراً من أصحابه فقال لي المعتصم: ادنُه ادنُه. فلم يزلُ يُدنيني حتى قربتُ منه. ثم قال: اجلس فجلست، وقد أثقلتني الأقياد، فمكثتُ قليلاً، ثم قلتُ: أئاذن في الكلام؟ قال: تكلم، فقلت: إلى ما دعا الله ورسوله؟ فسكتُ هنيئاً، ثم قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقلت: فأنا أشهد

ان لا إله إلا الله. ثم قلت: إن جدك ابن عباس يقول: لما قدم وقد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، سألوه عن الإيمان، فقال: «أتدرون ما الإيمان؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا الخُمس من المَغْنَمِ». قال أبي: فقال يعني: المعتصم: لولا أنني وجدْتُك في يد من كان قبلي، ما عرضتُ لك.

[١٦] ثم قال: يا عبدالرحمن بن إسحاق، ألم آمرك برفع المحنة؟ فقلت: الله أكبر! إن في هذا لفرجاً للمسلمين. ثم قال لهم: ناظروه وكلموه، يا عبدالرحمن كلمه. فقال: ما تقول في القرآن؟ قلت: ما تقول أنت في علم الله؟ فسكت، فقال لي بعضهم: أليس قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ [الرعد: ١٦]. والقرآن أليس شيئاً؟ فقلت: قال الله: ﴿تَدْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

فدمرت إلا ما أراد الله. فقال بعضهم: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفيكون محدثاً إلا مخلوقاً؟ فقلت: قال الله: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص: ١) فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا م. وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين (إن الله خلق الذكر) فقلت: هذا خطأ، حدثنا غير واحد: «إن الله كتَبَ الذِّكْرَ» واحتجوا بحديث ابن مسعود: «ما خلق الله من جنَّة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي». فقلت: إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض، ولم يقع على القرآن. فقال بعضهم: حديث خباب «يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه». فقلت: هكذا هو.

قال صالح: وجعل ابن أبي دؤاد ينظر إلى أبي كالمغضب. قال أبي:

وكان يتكلم هذا، فأردُّ عليه. ويتكلم هذا فأردُّ عليه، فإذا انقطع الرجل منهم، اعترض ابن أبي دؤاد، فيقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضالٌّ مضلٌّ مبتدع!

فيقول: كَلِّمُوهُ، ناظروه. فيكلمني هذا، فأرد عليه، ويكلمني هذا، فأرد عليه. فإذا انقطعوا، يقول المعتصم: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى أقول به. فطال المجلس، وقام، ورُدِدْتُ إلى الموضع.

فلما أصبحنا، جاء رسوله، فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه، فقال لهم ناظروه وكلموه، فجعلوا يناظرونني، فأردُّ عليهم. فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في الكتب والسنة، قلت: ما أدري ما هذا. قال: فيقولون: يا أمير المؤمنين، إذا توجهت له الحُجَّةُ علينا، ثَبَّتْ وإذا كلمناه بشيء، يقول: لا أدري ما هذا؟ فقال: ناظروه. فقال رجل: يا أحمد، أراك تذكر الحديث وتتجمله، فقلت: ما تقول في قوله: ﴿يُؤْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؟ قال: خصَّ الله بها المؤمنين. قلت: ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً؟ فسكت، وإنما احتججتُ عليهم بهذا، لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن. فحيثُ قال لي: أراك تتجملُ الحديث، احتججتُ بالقرآن، يعني: وإن السنة خصَّصتِ القاتلَ والعبد، فأخرجتهما من العموم. قال: فلم يزالوا كذلك إلى قُرب الزوال. فلما ضَجِر، قال: قوموا، ثم خلا بي، وبعيد الرحمن بن إسحاق، فلم يزل يكلمني، ثم قام ودخل. ورُدِدْتُ إلى الموضع.

قال: فلما كانت الليلة الثالثة، قلتُ: خَلِيقُ أَنْ يَحْدُثَ غَدَاً مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ فَقَلْتُ لِلْمَوْكَلِ بِي: أُرِيدُ خَيْطاً فَجَاءَنِي بِخَيْطٍ، فَشَدَدْتُ بِهِ الْأَقْيَادَ، وَرَدَدْتُ التُّكَّةَ إِلَى سِرَاوِيلِي مَخَافَةَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ فَأَتَعَرَّى. فلما كان من الغد، أُدخِلْتُ إِلَى الدار، فإذا هي غَاصَّةٌ فَجَعَلْتُ أُدخِلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السِّيفُ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السِّبَاطُ وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَوْمَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ كَبِيرٌ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ. فلما انتهيتُ إليه قال: أَعَدَد. ثم قال: ناظروه، كلموه. فجعلوا يناظرونني يتكلم هذا، فأرد عليه، ويتكلم هذا، فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم. فجعل بعضٌ من هو قائم على رأسي يومئ إليَّ بيده، فلما طال

المجلس، نحاني. ثم خلا بهم، ثم نحاهم، ورددني إلى عنده، وقال: ويحك يا أحمد! أجبني حتى أطلق عنك يدي، فرددت عليه نحو ردي. فقال: عليك، وذكر اللعن، خذوه اسحبوه خلّعوه. فسُحِبْتُ وخلّعتُ.

[١١] قال: وقد كان صار إليّ شعراً من شعر النبي، صلى الله عليه وسلم في كُم قميصي، فوجه إليّ إسحاق بن إبراهيم، يقول: ما هذا المصْرُورُ؟ قلت: شعراً من شعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعى بعضهم ليخْرِقَ القميص عني، فقال المعتصم: لا تخرقوه، فترع، فظننتُ أنه إنما ذُريء عن القميص الخرق بالشعر. قال: وجلس المعتصم على كرسي ثم قال: العُقَابَيْنِ والسَّيَاطِ فجيء بالعُقَابَيْنِ، فمُدَّتْ يداي، فقال بعض من حضر خلفي: خُذْ نَاتِيءَ الخَشْبَتَيْنِ بيديك، وشُدَّ عليهما. فلم أفهم ما قال، فتخلّعتُ يداي.

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم آلان في أمر أحمد لما علق في العقابين، ورأى ثباته وتصميمه وصلابته، حتى أغراه أحمد بن أبي دؤاد، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تركته، قيل: قد ترك مذهب المأمون، وسخط قوله، فهاجه ذلك على ضربه.

قال صالح: قال أبي: ولما جيء بالسياط، نظر إليهما المعتصم فقال: اثنوني بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم، فيضربني سوطين، فيقول له: شُدْ، قطع الله يدك! ثم يتنحى ويتقدم آخر، فيضربني سوطين، وهو يقول في كل ذلك: شُدْ، قطع الله يدك! فلما ضربت سبعة عشر سوطاً، قام إليّ، يعني: المعتصم فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إنني والله عليك لشفيق، وجعل عُجِيفَ يَنْحُسِنِي بِقَائِمَةِ سَيْفِهِ، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول: وبلك! إمامك على رأسك قائم. وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي، اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين أنت صائم، وأنت في الشمس قائم! فقال لي: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به. فرجع

وجلس. وقال للجلاد: تقدم، وأوجع. فقطع الله يدك، ثم قام الثانية وجعل يقول: ويحك يا أحمد: أجبني. فجعلوا يقبلون عليّ، ويقولون: يا أحمد، إمامك على رأسك قائم! وجعل عبدالرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ والمعتمد يقول: أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرح حتى أطلق عنك يدي، ثم رجع، وقال للجلاد: تقدم، فجعل يضربني سوطين ويتنحي، وهو في خلال ذلك يقول: شدّ، قطع الله يدك فذهب عقلي، ثم أفقت بعد، فإذا الأقياد قد أطلقت عني. فقال لي رجل ممن حضر: كبتناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك بارية^(١) ودسناك! قال أبي فما شعرت بذلك وأتوني بسويق، وقالوا: اشرب وتقياً، فقلت: لا أفطر. ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت الظهر، فتقدم ابن سماعه، فصلى. فلما انفتل من صلاته، وقال لي: صليت، والدم يسيل في نوبك؟ قلت: قد صلى عمر، وجرّحه يُعَبُّ دماً. (٢)

قال صالح: ثم خلّي عنه، فصار إلى منزله، وكان مكثه في السجن منذ أخذ إلى أن ضرب وخلي عنه، ثمانية وعشرين شهراً. ولقد حدثني أحد الرجلين اللذين كانا معه، قال: يا ابن أخي، رحمة الله على أبي عبدالله، والله ما رأيت أحداً يشبهه، ولقد جعلت أقول له في وقت ما يؤجّه إلينا بالطعام: يا أبا عبدالله، أنت صائم، وأنت في موضع تقيّة. ولقد عطش، فقال لصاحب الشراب: ناولني، فناولته قدحاً فيه ماء وثلج، فأخذه ونظر فيه، ثم رده، ولم يشرب، فجعلت أعجب من صبره على الجوع والعطش، وهو فيما هو فيه من الهول!

قال صالح: فكنت أتمس وأحتال أن أوصل إليه طعاماً أو رغيماً في تلك الأيام، فلم أقدر. وأخبرني رجل حضره: أنه تفقده في الأيام الثلاثة وهم يناظرونه، فما لحن في كلمة. قال: وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته

(١) الحصير المنسوج.

(٢) أي: يجري ويتفجر منه الدم.

وَشِدَّةِ قَلْبِهِ .

قال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله، يقول: ذهب عقلي مراراً، فكان إذا رُفِعَ عني الضرب، رَجَعْتُ إلى نفسي . وإذا اشترخيت وسقطتُ، رُفِعَ الضرب أصابني ذلك مراراً . ورايته، يعني: المعتصم، قاعداً في الشمس بغير مظلة، فسمعته، وقد أفقت، يقول لابن أبي دُوَادٍ، لقد ارتكبتُ إنمّا في أمرِ هذا الرجل . فقال: يا أمير المؤمنين، إنه - والله - كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه . فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد . وقد كان أراد تخليتي بلا ضرب، فلم يدعه، ولا إسحاق ابن ابراهيم .

قال حنبل: وبلغني أنّ المعتصم، قال لابن أبي دُوَادٍ بعدما ضُربَ أبو عبد الله: كم ضُرب؟ قال: أربعة أو نيفاً وثلاثين سوطاً .

[١] قال ابنُ أبي حاتم: حدثني أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد بن حنبل، جعل المعتصمَ في حلِّ يومٍ فتح عاصمة بابك وظفر به، أو في فتح عمورية، فقال: هو في حلِّ من ضربي .

[٢] قال ابنُ أبي حاتم: سمعتُ أبا زرعة، يقول: دعا المعتصم بعمّ أحمد، ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم، هو أحمد بن حنبل قال: فانظروا إليه، أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم . ولولا أنه فعل ذلك، لكننتُ أخاف أن يقع شيء لا يُقامُ له . قال: ولما قال: قد سلّمته إليكم صحيح البدن، هدأ الناس وسكنوا .

قلت: ما قال هذا مع تمكّنه في الخلافة وشجاعته إلا عن أمرٍ كبير كأنه خاف أن يموتَ من الضرب، فنُتخِجَ عليه العامة . ولو خرج عليه عامة بغداد لربما عجزَ عنهم .

وبلغنا أن المعتصم ندم، وأسقط في يده، حتى صلح .

[٣] وسمعته يقول: كلُّ من ذكّرني ففي حلِّ إلا مُبتدعاً، وقد جعلتُ أبا إسحاق - يعني: المعتصم - في حلِّ، ورايتُ الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ

أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم، أبا بكر بالعفو في قصة مسطح. قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سبيك؟!؟

محنة الواثق:

قال حنبل: لم يزل أبو عبد الله بعد أن برىء من الضرب يحضر الجمعة والجماعة، ويحدث ويصلي، حتى مات المعتصم، وولي ابنه الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة والميل إلى أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه. فلما اشتد الأمر على أهل بغداد وأظهرت القضاة المحنة بخلق القرآن، وفرق بين فضل الأنماطي وبين امرأته، وبين أبي صالح وبين امرأته، كان أبو عبد الله يشهد الجمعة، ويُعيد الصلاة إذا رجع، ويقول: توتى الجمعة لفضلها، والصلاة تُعاد خلف من قال بهذه المقالة.

[١] وجاء نفر إلى أبي عبد الله، وقالوا: هذا الأمر قد فشا وتفاقم ونحن نخافه على أكثر من هذا، وذكروا ابن أبي دؤاد، وأنه على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في المكاتب: القرآن كذا وكذا، فنحن لا نرضى بإمارته. فمنعهم من ذلك، وناظرهم. وحكى أحمد قصده في مناظرتهم، وأمرهم بالصبر. قال: فينا نحن في أيام الواثق، إذ جاء يعقوب ليلاً برسالة الأمير اسحاق بن إبراهيم إلى أبي عبد الله: يقول لك الأمير: إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد، ولا تُسأكني [٢] بأرض ولا مدينة أنا فيها، فأذهب حيث شئت من أرض الله. قال: فاختفى أبو عبد الله ببقية حياة الواثق وكانت تلك الفتنة، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي. ولم يزل أبو عبد الله مختفياً في البيت لا يخرج إلى الصلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق.

[٣] وعن إبراهيم بن هاني، قال: اختفى أبو عبد الله عندي ثلاثاً ثم قال: اطلب لي موضعاً، قلت: لا آمن عليك، قال: افعل، فإذا فعلت، أفدتك. فطلبت

له موضعاً، فلما خرج، قال: اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الغار ثلاثة أيام ثم تحول.

فصل في حال الإمام في دولة المتوكل

قال حنبل: وَلِيَّ المتوكل جعفر، فأظهر الله السُّنَّةَ، وفرَّج عن الناس، وكان أبو عبد الله يُحَدِّثُنَا وَيُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فِي أَيَّامِ المتوكل وسمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا كَانَ النَّاسُ إِلَى الحَدِيثِ والعِلْمِ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فِي زَمَانِنَا.

ثم وَلِيَّ بغدادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ، فجاء رسوله إلى أبي عبد الله فذهب إليه، فقرأ عليه كتاب المتوكل، وقال له: يَأْمُرُكَ بالخروج يعني: إلى سامراء، فقال: أنا شيخٌ ضعيفٌ عليلٌ. فكتبَ عَبْدُ اللَّهِ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ فورد جوابُ الكتاب: أن أمير المؤمنين يأمره بالخروج. فوجهَ عَبْدُ اللَّهِ أَجْنَاداً، فباتوا على بابنا أياماً، حتى تَهَيَّأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ للخروج فخرج ومعه صالح وعبد الله وأبي.

قال حنبل: فأخبرني أبي، قال: دخلنا إلى العسكر، فإذا نحن بموكبٍ عظيمٍ مُقْبِلٍ، فلما حاذى بنا، قالوا: هذا وصيف، وإذا بفارس قد أقبل، فقال لأبي عبد الله: الأمير وصيف يقرئك السلام، ويقول لك: إن الله قد أمكنك من عدوك، يعني: ابن أبي ذؤاد، وأمير المؤمنين يقبل منك، فلا تدع شيئاً إلا تكلمت به. فما رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئاً. وجعلتُ أنا أدعو لأمير المؤمنين، ودعوتُ لوصيف. وَمَضِينَا فَأَنْزَلْنَا فِي دَارِ إِيْتَاخٍ. وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكل والثُلُجُ والفاكهة وغير ذلك، فما ذاق منها أبو عبد الله شيئاً، ولا نظر إليها. وكان نفقة المائدة في اليوم مئةً وعشرين درهماً.

وكان يحيى بن خاقان، وابنه عبید الله، وعليُّ بن الجهم يختلفون إلى أبي عبد الله برسالة المتوكل. ودامت العلة بأبي عبد الله وضعف شديداً. وكان يواصل، ومكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب، ففى الثامن دخلت عليه، وقد كاد أن يُطْفَأَ، فقلت: يا أبا عبد الله، ابن الزبير كان يواصل سبعة، وهذا لك

اليوم ثمانية أيام. قال: إني مُطيق. قلتُ: بحقي عليك. قال: فإني أفعل. فأتته بسويق فشرِب. ووجهُ إليه المتوكل بمال عظيم. فردّه، فقال له عبيدالله بن يحيى: فإن أمير المؤمنين يأمرُك أن تدفعها إلى وُلدِكَ وأهلك. قال: هم مستغنون. فردها عليه فأخذها عبيدالله، فقسمها على ولده، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف. فبعثَ إليه أبو عبدالله: إنهم في كفاية، وليستَ بهم حاجة. فبعثَ إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، فما لك ولهذا؟ فأمسك أبو عبدالله، فلم يزل يُجري علينا حتى مات المتوكل.

[١] وجري بين أبي عبدالله وبين أبي كلام كثير. وقال: يا عم ما بقي من أعمارنا. كأنك بالأمر قد نزل. فإله الله، فإن أولادنا إنما يريدون أن يأكلوا بنا، وإنما هي أيام قلائل، وإنما هذه فتنة قال أبي: فقلت: أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر. فقال: كيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم؟ لو تركتموها، لتركوكم. ماذا تنتظر؟ إنما هو الموت. فإما إلى جنة، وإما إلى نار. فطوبى لمن قديم على خير. قال: فقلت: أليس قد أمرت ما جاءك من هذا المال من غير إشراف نفس، ولا مسألة أن تأخذه؟ قال: قد أخذت مرة بلا إشراف نفس، فالثانية والثالثة؟ ألم تستشرف نفسك؟ قلت: أفلم يأخذ ابنُ عمري وابنُ عباس؟ فقال: ما هذا وذاك! وقال: لو أعلم أن هذا المال يُؤخذ من وجهي، ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أبال.

قال حنبل: ولما طالت علة أبي عبدالله، كان المتوكل يبعثُ بابن ماسويه المتطبب، فيصِفُ له الأدوية، فلا يتعالج. ويدخلُ ابنُ ماسويه، فقال: يا أمير المؤمنين ليستَ بأحمد علة، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة، فسكتَ المتوكل.

ويبلغ أم المتوكل خبرُ أبي عبدالله، فقالت لابنها: أشتهي أن أرى هذا الرجل، فوجهُ المتوكل إلى أبي عبدالله، يسأله أن يدخلَ على ابنه المعتز، ويدعوه له ويسلمَ عليه، ويجعله في حجره. فامتنع ثم أجاب رجاءً أن يُطلق،

وينحدر إلى بغداد، فوجه إليه المتوكل خِلْعَةً وَأَتَوَهُ بِدَابَّةٍ يركبها إلى المعتز، فامتنع، وكانت عليه مِيثَرَةٌ نُمُورٌ فَقُدِّمَ إليه بغل لتاجر، فركبه، وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكان وعلى المجلس سِتْرٌ رقيق. فدخَلَ أبو عبد الله على المعتز، ونظر إليه المتوكل وأمه. فلما رآته، قالت: يا بُنَيَّ، الله الله في هذا الرجل فليس هذا ممن يُريد ما عندكم، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله، فإذْنٌ له ليذهب، فدخَلَ أبو عبد الله على المعتز، فقال: السلامُ عليكم، وجلس ولم يُسَلِّمْ عليه بالإمرة. فسمعتُ أبا عبد الله بعدُ يقول: لما دخلتُ عليه، وجلستُ، قال مؤدِّبه: أصلح الله الأمير، هذا هو الذي أمره أمير المؤمنين يُودِّبُكَ ويعلمك؟ فقال الصبي: إن عَلَّمَنِي شيئاً، تعلمته، ! قال أبو عبد الله: فعجبتُ من ذكائه وجوابه على صغره، وكان صغيراً.

ودامت علة أبي عبد الله، وبلغ المتوكل ما هو فيه، وكلمه يحيى بن خاقان أيضاً، وأخبره أنه رجل لا يُريد الدنيا، فأذِنَ له في الانصراف فجاء عُبيد الله بن يحيى وقتَ العصر، فقال: إنَّ أمير المؤمنين قد أذِنَ لك، وأمر أن يُفرش لك حَرَاقَةٌ^(١) تنحدر فيها. فقال أبو عبد الله: اطلبوا لي زورقاً أنحدر الساعة. فطلبوا له زورقاً، فانحدر لوقته.

قال حنبل: فما علمنا بقدومه حتى قيل: إنه قد وافى، فاستقبلته بناحية القطيعة. وقد خرج من الزورق، فمشيتُ معه، فقال لي: تَقَدَّمْ لا يراك الناس فيعرفوني، فتقدمته. قال: فلما وصل، ألقى نفسه على قفاه من التعب والغياء.

[١] قال صالح بن أحمد: قدم المتوكلُ فنزل الشَّمَّاسِيَّةَ، يُريدُ المدائن فقال لي أبي: أحِبُّ أن لا تذهب إليهم تنبِّه عليّ. فلما كان بعد يومٍ أنا قاعدٌ، وكان يوماً مطيراً، فإذا يحيى بن خاقان قد جاء في موكبٍ عظيمٍ والمطرُ عليه، فقال لي: سبحان الله لم تصر إلينا حتى تبلِّغَ أمير المؤمنين السلام عن شيخك، حتى وجه بي، ثم نزل خارج الزُّقاق، فَجَهَدْتُ به أن يدخلَ على الدابة فلم يفعل،

(١) السفينة الخفيفة.

فجعل يَخوضُ المطر. فلما وصل نزع جُرموقه، ودخل وأبى في الزاوية عليه كساء، فسلم عليه، وقبل جبهته، وسأله عن حاله، وقال: أمير المؤمنين يُقرئك السلام، ويقول: كيف أنت في نفسك، وكيف حالك؟ وقد أنست بقربك، يسألك أن تدعو له فقال: ما يأتي عليَّ يومٌ إلا وأنا أدعو الله له. ثم قال: قد وَجَّه معي ألف دينار تُفرِّقها على أهل الحاجة. فقال: يا أبا زكريا، أنا في بيت مُنقطع، وقد أعفاني من كلِّ ما أكره، وهذا ممَّا أكره. فقال: يا أبا عبدالله، الخلفاء لا يحتملون هذا. فقال: يا أبا زكريا تلطف في ذلك. فدعاه، ثم قام، فلما صار إلى الدار، رجع، وقال: هكذا لو وَجَّه إليك بعض إخوانك كنت تفعل؟ قال: نعم. فلما صرنا إلى الدهليز، قال: قد أمرني أمير المؤمنين أدفعها إليك تُفرِّقها. فقلت: تكونُ عندك إلى أن تمضي هذه الأيام.

وَمِنْ سِيرَتِهِ:

أبو مسلم محمد بن إسماعيل: حدثنا صالح بن أحمد، قال: مضيت مع أبي يوم جمعة إلى الجامع، فوافقنا الناس قد انصرفوا. فدخل إلى المسجد، وكان معنا إبراهيم بن هاني، فتقدم أبي فصلى بنا الظهر أربعاً. وقال: قد فعله ابن مسعود بعلقمة والأسود. وكان أبي إذا دخل مقبرة، خلع نعليه، وأمسكهما بيده. [١] إبراهيم بن محمد بن سفيان: سمعت عاصم بن عمام البيهقي، يقول: بت ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء بماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء بحاله، فقال: سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل.

[٢] أحمد بن بندار الشعار: حدثنا أبو يحيى بن الرازي: سمعت علي بن سعيد الرازي، قال: صرنا مع أحمد بن حنبل إلى باب المتوكل، فلما أدخلوه من باب الخاصة، قال: انصرفوا، عافاكم الله. فما مرض منا أحد بعد ذلك اليوم.

[٣] قال الخلال: بلينا بقوم جهال، يظنون أنهم علماء. فإذا ذكرنا فضائل أبي عبدالله، يُخرجهم الحسد، إلى أن قال بعضهم فيما أخبرني ثقة عنه: أحمد بن حنبل نبيهم.

وقال عبد الله : سمعتُ أبي ، يقول : ربما أردتُ البكور في الحديث ، فتأخذ
أمي بثوبي ، وتقول : حتى يُؤذَنَ المؤذن .

(بَابُ)

[١٦] طاهر بن خلف ، سمعتُ المهدي بالله محمد بن الوائلي ، يقول : كان أبي
إذا أراد أن يقتلَ أحداً ، أحضرنا ، فأتني بشيخٍ مخضوبٍ مُقَيَّدٍ فقال أبي : اتذنوا
لأبي عبد الله وأصحابه ، يعني : ابن أبي دُوَادٍ قَالَ : فَأَدْخَلَ الشَّيْخُ ، فَقَالَ : السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : لَا سَلَامَ لَكَ اللهُ عَلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِشَسِّ
مَا أَذْبَكَ مُؤَدِّبِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى :

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

(النساء : ٨٦) .

فقال ابن أبي دُوَادٍ : الرَّجُلُ مُتَكَلِّمٌ . قَالَ لَهُ : كَلِّمَهُ ، فَقَالَ : يَا شَيْخُ مَا تَقُولُ
فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : لَمْ يُنْصِفْنِي ، وَلِي السُّؤَالُ . قَالَ : سَلْ قَالَ : مَا تَقُولُ فِي
الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : مَخْلُوقٌ . قَالَ الشَّيْخُ : هَذَا شَيْءٌ يَعْلَمُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ ، وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ أَمْ شَيْءٌ لَمْ يَعْلَمُوهُ ؟ قَالَ : شَيْءٌ لَمْ يَعْلَمُوهُ .
فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! شَيْءٌ لَمْ يَعْلَمُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلِمْتَهُ أَنْتَ ؟
فَحَجَل . فَقَالَ : أَقْلَنِي ، قَالَ : الْمَسْأَلَةُ بِحَالِهَا . قَالَ : نَعَمْ عَلِمُوهُ ، فَقَالَ : عَلِمُوهُ
وَلَمْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَا وَسَعَكَ مَا وَسَعَهُمْ ؟ قَالَ : فَقَامَ
أَبِي ، فَدَخَلَ مَجْلِساً ، وَاسْتَلْقَى ، وَهُوَ يَقُولُ : شَيْءٌ لَمْ يَعْلَمُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَلَا أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَلَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ عَلِمْتَهُ أَنْتَ !
سُبْحَانَ اللهِ ! شَيْءٌ عَلِمُوهُ ، وَلَمْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، أَفَلَا وَسَعَكَ مَا وَسَعَهُمْ ؟ ! ثُمَّ
أَمَرَ بِرَفْعِ قَبِيضِهِ ، وَأَنْ يُعْطَى مِثْلَ دِينَارٍ ، وَيُوَدَّنَ لَهُ فِي الرَّجْوَعِ ، وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ ابْنُ
أَبِي دُوَادٍ وَلَمْ يَمْتَحِنْ بَعْدَهَا أَبَداً .

وهذه قصة مليحة ، وإن كان في طريقها من يُجهل ولها شاهد .

(فصل)

[١] كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حُسن الأدب والسُّمت.

[٢] عبدالله بن محمد الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبليتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح، فقلنا: إنه يطعن عليك. قال: فأني شيء حيلتي، شيخ صالح قد بلي بي.

[٣] كان أحمد من أحبي الناس، وأكرمهم، وأحسنهم عشرة وأدباً كثير الإطراق، لا يُسمع منه إلا المذاكرة للحديث، وذكر الصالحين في وقار وسكون، ولفظ حسن. وإذا لقيه إنسان، بشر به، وأقبل عليه. وكان يتواضع للشيخ شديداً، وكانوا يعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم أره يعمل بغيره من التواضع والتكريم والتبجيل. كان يحيى أكبر منه بسبع سنين.

[٤] عبدالله بن أحمد، قال: كان أبي إذا أتى البيت من المسجد، ضرب برجله حتى يسمعوا صوت نعليه، وربما تنحنح ليعلموا به.

[٥] إسحاق بن هانئ، قال: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه المروزي، ومُهني، فذُق داق الباب، وقال: المروزي ها هنا؟ فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه فوضع مُهني أصبعه في راحته، وقال: ليس المروزي ها هنا، وما يصنع المروزي ها هنا؟ فضحك أحمد، ولم يُنكر.

[٦] قال إبراهيم الحربي: سُئل أحمد عن المسلم يقول للنصراني: أكرمك الله. قال: نعم، ينوي بها الإسلام.

[٧] وقيل: سُئل أحمد عن رجل نذر أن يطوف على أربع، فقال: يطوف طوافين، ولا يطف على أربع.

[٨] قال ابن عقيل: من عجب ما سمعته عن هؤلاء الأحداث الجهال، أنهم يقولون: أحمد ليس بفقير، لكنه مُحدث. قال: وهذا غاية الجهل لأن له اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم. وربما زاد على كبارهم.

[١] قلت: أحسبهم يظنونهم كان محدثاً ونس، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا. ووالله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث، ومالك والشافعي، وأبي يوسف، وفي الزهد والورع رتبة الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة، ويحيى القطان، وابن المديني ولكن الجاهل لا يعلم رتبة غيره!!؟

[٢] ابن السَّمَاك: حدثنا حنبل، قال: جمعنا أحمد بن حنبل، أنا وصالح وعبدالله، وقرأ علينا «المسند»، وما سمعنا غيرنا. وقال: هذا الكتاب: جمعته وانتقيته من أكثر من سبع مئة ألف وخمسين ألفاً فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه. فإن وجدتموه فيه، وإلا فليس بحجة.

[٣] قلت: في «الصحاحين» أحاديث قليلة، ليست في «المسند»، لكن قد يُقال: لا ترد على قوله. فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزم من هذا القول: أن ما وجد فيه أن يكون حجة، ففيه جملة من الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها، ولا يجب الاحتجاج بها. وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة، ولكنها قطرة في بحر. وفي غضون المسند زيادات جمّة لعبدالله بن أحمد.

قال ابن الجوزي: وله - يعني: أبا عبدالله - من المصنفات كتاب «نفي التشبه» مجلدة، وكتاب «الإمامة» مجلدة صغيرة، وكتاب «الرد على الزنادقة» ثلاثة أجزاء، وكتاب «الزهد» مجلد كبير وكتاب «الرسالة في الصلاة» - قلت: هو موضوع على الإمام - قال: وكتاب «فضائل الصحابة» مجلدة. قلت: فيه زيادات لعبدالله ابنه، ولأبي بكر القطيعي صاحبه.

زوجاته وآله:

قال زهير بن صالح: تزوج جدي بأُمّ عبّاسة، فلم يُولد له منها سوى أبي، ثم تُوِّفيت، ثم تزوج ربحانة امرأة من العرب فما ولدت له سوى عمي عبدالله. [٤] قال الخلال: سمعت المروزي، سمعت أبا عبدالله، ذكر أهله فترحم عليها، وقال: مكثنا عشرين سنة، ما اختلفنا في كلمة. وما علمنا أحمد تزوج نائلة.

[١] قال يعقوبُ بنُ بُحْتان: أمرنا أبو عبدالله أن نشتري له جاريةً فمضيتُ أنا وفوران، فتبعني أبو عبدالله، وقال: يا أبا يوسف، يكونُ لها لحم. وكان أسنُ بني أحمد بن حنبل صالح، فولي قضاءً أصبهان، ومات بها سنة خمس وستين ومثني عن نيف وستين سنة.

والولد الثالث سعيد بن أحمد، فهذا وُلد لأحمد قبل موته بخمسين يوماً، فكبر وتفقّه، ومات قبل أخيه عبدالله.

وأما حسن ومحمد وزينب، فلم يبلغنا شيءٌ من أحوالهم، وانقطع عقبُ أبي عبدالله فيما نعلم.

مَرَضُهُ:

[٢] وقال المروزي: مرض أحمدُ تسعةَ أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً، يسلمون ويردُّ بيده. وتسامع الناسُ وكثروا.

وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه. وجاء قومٌ من القضاة وغيرهم، فلم يؤذَنَ لهم. ودخل عليه شيخٌ، فقال: ادكُرْ وقوفك بين يدي الله، فشهِقَ أبو عبدالله، وسالت دُموعه.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعُ لي الصبيان بلسان ثقيل. قال: فجعلوا ينضمُّون إليه، وجعل يشمُّهم ويمسحُ رؤوسهم وعينه تدمع، وأدخلت تحتَه الطُّسْت، فرأيتُ بوله دماً عبيطاً. فقلتُ للطبيب، فقال: هذا رجلٌ قتت الحزنُ والغمُّ جوفه.

واشتدتْ علته يوم الخميس ووضَّأته، فقال: خلل الأصابع، فلما كانت ليلة الجمعة، نُقِل، وقُبضَ صدرُ النهار، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجت، وامتلات السكك والشوارع.

[٣] الخلال: أخبرني عصمةُ بن عصام، حدثنا حنبل، قال: أعطى بعضُ ولد الفضل بن الربيع أبا عبدالله، وهو في الحبس ثلاثَ شعرات فقال: هذه من شعر النبي، صلى الله عليه وسلم، فأوصى أبو عبدالله عند موته أن يجعل على

كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل ذلك به عند موته.
وقال عبدالله بن أحمد ومطين وغيرهما: مات لاثنتي عشرة خلت من ربيع
الأول، يوم الجمعة.

قال صالح بن أحمد: واشترينا له خنوطاً، وفرغ من غسله، وكفناه وحضر نحو
مئة من بني هاشم، ونحن نكفئه. وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على
السرير.

قال عبدالله: صلى على أبي محمد بن عبدالله بن طاهر، غلبنا على الصلاة
عليه، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار.

ولم يعلم الناس بذلك، فلما كان في الغد علموا، فجعلوا يجيئون،
ويصلون على القبر. ومكث الناس ما شاء الله، يأتون، فيصلون على القبر.
[١] قال الخلال: سمعت عبد الوهاب الوراق، يقول: ما بلغنا أن جمعاً في
الجاهلية ولا الإسلام مثله - يعني: من شهد الجنزة - حتى بلغنا أن الموضع
مسيح وحزر على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف وحزنا على القبور نحواً
من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب، يأتون
من أراد الوضوء.

[٢] الخلال: سمعت عبد الوهاب الوراق، يقول: أظهر الناس في جنازة أحمد بن
حنبل السنة والطعن على أهل البدع، فرأى الله المسلمين بذلك على ما عندهم
من المصيبة لما رأوا من العز وعلو الإسلام، وكبت أهل الزيغ ولزم بعض الناس
القبر، ويأتوا عنده، وجعل النساء يأتين حتى منعن، وسمعت المروزي يقول عن
علي بن مهرويه، عن خالته، قالت: ما صلوا ببغداد في مسجد العصر يوم وفاة
أحمد، وقيل: إن الزحمة دامت على القبر أياماً.

[٣] عن أخي أبي عقيل، قال: رأيت شاباً، توفّي بقروين، فقلت: ما فعل بك
ربك؟ قال: غقر لي. ورأيت مستعجلاً، فسألته، فقال: لأن أهل السماوات قد
اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل، وأنا أريد استقباله. وكان أحمد

توفي تلك الأيام .

[١] الهيثم بن خالدويه، قال: رأيت السُّنْدِيَّ في النوم، فقلت: ما حالُّك؟ قال: أنا بخير لكن اشتغلوا عني بمجيء أحمد بن حنبل.

[٢] عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعتُ أبي، يقول: رأيتُ ربَّ العزة في المنام، فقلتُ: ياربُّ، ما أفضلُ ما تقَرَّبُ به إليك المتقربون؟ قال: بكلامي يا أحمد. قلتُ يا رب، بفهم، أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.

[٣] زكريَّا بن يحيى السُّمَّسار، يقول: رأيتُ أحمد بن حنبل في المنام على رأسه تاجٌ مرصُّعٌ بالجواهر، في رجليه نعلان، وهو يخطُرُ بهما. قلتُ: ما فعل اللهُ بك؟ قال: غفر لي وأدانني، وتوجَّني بيده بهذا التاج وقال لي: هذا بقولك: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق. قلتُ: ما هذه الخطرة التي لم أعرفها لك في دار الدنيا؟ قال: هذه مشية الخدام في دار السلام.

[٤] وذكر شيخُ الإسلام بإسنادٍ طويلٍ عن محمد بن يحيى الرملي قاضي دمشق قال: دخلتُ العراقَ والحجازَ، وكتبتُ، فَمِنَ كَثْرَةِ الاختلاف لم أدرِ بأيها أخذ، فقلت: اللهم اهدني، فَنِمْتُ، فرأيتُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم وقد أسندَ ظهره إلى الكعبة، وعن يمينه الشافعي، وأحمد بن حنبل، وهو يتبسَّمُ إليهما. فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، بِمِ أأخذ؟ فأومأ إلى الشافعي وأحمد، وقال:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]

[٥] ولقد جمعَ ابنُ الجوزي فأوعى من المنامات في نحو من ثلاثين ورقة وليس أبو عبدالله ممن يحتاجُ تقريرَ ولايته إلى منامات، ولكنها جندٌ من جندِ اللهِ، تُسرُّ المؤمنَ ولا سيما إذا تواترت.

[١] هو الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي ثم الحنظلي المرزوي، نزيل نيسابور.

قلت: مولده في سنة احدى وستين ومئة.

قال حاشد بن اسماعيل: سمعت وهب بن جرير، يقول: جزي الله اسحاق ابن راهويه، وصدقته بن الفضل، وتعمر عن الإسلام خيراً، أحبوا السنة بالمشرق.

قلت: يعمر: هو ابن بشر.

قال أحمد بن سلمة: سمعت اسحاق يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: لم قيل لك: ابن راهوته؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يقال لك ذلك؟ قال: اعلم أيها الأمير أن أبي ولد في طريق مكة، فقالت الماروزة: راهوته، لأنه ولد في الطريق، وكان أبي يكره هذا. وأما أنا فلا أكرهه.

[٢] وعن محمد بن يحيى الصفار، قال: لو كان الحسن البصري في الأحياء لاحتاج إلى إسحاق في أشياء كثيرة.

[٣] محمد بن عبد الوهاب، سمعت اسحاق بن إبراهيم، وسئل عن رجل ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: من ترك «ب» أو «س» أو «م» منها، فصلاته فاسدة لأن الحمد سبع آيات.

وقال ابن المبارك: من تركها، فقد ترك مئة وثلاث عشرة آية من كتاب الله تعالى.

[٤] وقال أحمد بن حفص السعدي، شيخ ابن عدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل اسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً.

(١) نظر السير: ٣٥٨/١١ - ٣٨٣.

[١] قال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله، وسُئِلَ عن إسحاق بنِ راهويه، قال: مثُلُ إسحاق يُسألُ عنه! إسحاق عندنا إمام.

[٢] وقال إمامُ الأئمة ابنُ خزيمة: والله لو كان إسحاق في التابعين لأقرؤوا له بحفظه وعلمه وفقهه.

[٣] علي بن خشرم، حدثنا ابن فضل، عن ابن شبرمة، عن الشعبي قال: ما كتبتُ سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجلٌ بحديث قطُّ إلا حفظته. قال علي: فحدثتُ بهذا إسحاق بن راهويه فقال: تعجَّب من هذا؟ قلت: نعم. قال: ما كنتُ أسمع شيئاً إلا حفظته، وكانني أنظر إلى سبعين ألف حديث - أو قال: أكثر - في كتيبي.

[٤] قال أبو داود الخفاف: سمعتُ إسحاق بن راهويه، يقول: لكاني أنظر إلى مئة ألف حديث في كتيبي، وثلاثين ألفاً أسرُدُها. قال: وأملتُ علينا إسحاق أحدَ عشر ألف حديثٍ من حفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً. هذه الحكاية رواها الحافظ ابن عدي، عن يحيى بن زكريا بن حيوية، سمع أبا داود فذكرها. فهذا والله الحفظ.

قلت: قد كان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه من أئمة الاجتهاد. [٥] وورد عن إسحاق أنَّ بعض المتكلمين قال له: كفرتُ برب ينزل من سماءٍ إلى سماءٍ. فقال: آمنتُ برب يفعل ما يشاء.

قلت: هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول، قد صحَّت بها النصوصُ، ونقلها الخلفُ عن السلف، ولم يتعرَّضوا لها برداً ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقهم^(١) على أنها لا تُشبهُ نعوت المخلوقين وأنَّ الله ليس كمثله شيءٌ، ولا تُنبغي المناظرة، ولا التنازع فيها فإن في ذلك محاولةً للرد على الله ورسوله، أو حُوماً على التكليف أو التعطيل.

توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة.

(١) أي: اجتمعا.

[١] وقال عثمان بن جعفر اللبّان: حدثنا علي بن إسحاق بن راهويه قال: وُلد أبي من بطن أمه مثقوبَ الأذنين، فمضى جدي راهويه إلى الفضل ابن موسى فسأله، فقال: يكون ابنك رأساً إما في الخير، وإما في الشر. هذه الحكاية رواها الخطيب في «تاريخه» عن الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا عثمان فذكرها. وهذا إسناد جيد وحكاية عجيبة.

٤٨٤- عمرو بن زُرارة (خ، م، س) (١)

[٢] ابن واقد المُحدّث الإمام الثبت، أبو محمد الكلابي النيسابوري المقرئ. تلا على الكسائي. وقال النسائي: ثقة.

قال السُّراج: كان فيه زعازة. (٢)

[٣] وقال داود بن الحسين البيهقي: كنا نختلِفُ إلى عمرو بن زُرارة فخرج علينا يوماً، فضحك رجل، فقال عمرو: هب التحرُّج، أليس التقى؟ هب التقى، أليس الحياء؟ ثم قام ودخل.

قلت: قد يقال للزعر الأخلاق: هب حسن الخلق ذهب، أليس الحلم، وهب الحلم ذهب، أليس العفو.

قال البخاري: مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

٤٨٥- الأنطاكي (٣)

[٤] الإمام القدوة، واعظُ دمشق، أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي الزاهد. قال أبو حاتم الرازي: أدركته بدمشق، وكان صاحبَ مواعظ وزهد. من أقران

(١) انظر السير: ١١ / ٤٠٦-٤٠٧. (٢) أي شراسة وسوء خلق. (٣) انظر السير: ١١ / ٤٠٩-٤١٠.

بشر الحافي، وسري الشَّقْطِي.

كان يقال: هو جاسوس القلوب.

- [1] قال أحمد بن أبي الحَوَارِي: سمعتُ أحمد بنَ عاصم، يقول: أصلح فيما بقي، يُغْفَرُ لَكَ ما مضى، ما أَعْطَيْتُ إِلَّا من عَرَفَ مولاه.
[2] وعنه قال: يسيرُ اليقينُ يُخْرِجُ كُلَّ الشكِّ من القلب.

[3] ابن أبي حاتم: قال لي علي بنُ عبد الرحمن، قال لي أحمد بنُ عاصم: قِلةُ الخوف من قلة الحزن في القلب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب.

[4] قال أبو زرعة: أَملى عليُّ أحمد بنُ عاصم الحكيم: الناسُ ثلاثُ طبقات: مطبوع غالب وهم المؤمنون، فإذا غفلوا ذكروا، ومطبوع مغلوب فإذا بُصروا أبصروا ورجعوا بقوة العَقل، ومطبوع مغلوب غير ذي طباع ولا سبيل إلى ردِّ هذا بالمواعظ.

[5] قلتُ: فما الظنُّ إذا كان واعظُ الناس من هذا الضرب عبْدَ بطنه وشهوته، وله قلبٌ عربيٌّ من الحزن والخوف، فإن أنضافَ إلى ذلك فسقٌ مكينٌ، أو انحلالٌ من الدين، فقد خاب وخسر، ولا بُدَّ أن يفضحه الله تعالى.

[6] وعنه: الخَيْرُ كُلُّهُ أن تُرَوَى عنك الدنيا، ومُنَّ عليك بالقنوع، وتُصرفَ عنك وجوه الناس.

وله من هذا النحو مواعظ نافعة، ووقع في النفوس. رحمه الله.

٤٨٦ - هشامُ بنَ عَمَّار (خ، ٤) (١)

[7] ابن نُصَيْر، الإمامُ الحافظُ العَلَّامةُ المقرئ، عالمُ أهل الشام، أبو الوليد السُّلَمي، خطيب دمشق.

قال: ولدتُ سنة ثلاث وخمسين ومئة.

(١) انظر السير: ١١ / ١٣٥-١٢٠.

فلقد كان من أوعية العلم، وكان ابتداء طلبه للعلم وهو حَدَّثَ قبل السبعين ومئة، وفيها، وقرأ القرآن على جماعة.

وروى أبو حاتم الرازي: عن يحيى بن معين: كَيْسُ كَيْسٍ.

قال أبو القاسم بن الفرات: أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد الأصبهاني المقرئ، لما تُوْفِيَ أيوب بن تميم، يعني: مُقْرِيءَ دمشق رجعت الإمامة حينئذٍ إلى رجلين: أحدهما مشتهرٌ بالقراءة والضبط، وهو ابنُ ذكوان، فاتتَمَ الناسُ به، والآخرُ مشتهرٌ بالنقل والفصاحة والرواية والعلم، والدراية، وهو هشامُ بن عمار، وكان خطيباً بدمشق، رُزِقَ كِبَرَ السن، وصحَّةَ العقل والرأي، فارتحل الناسُ إليه في نقل القراءة والحديث.

وكان ابنُ ذكوان يُفْضَلُ، ويرى مكانه لكبر سنه. فلما توفي ابنُ ذكوان سنة اثنتين وأربعين، اجتمع الناسُ على إمامة هشام بن عمار في القراءة والنقل. وتوفي بعده بثلاث سنين.

[١] قال أبو أحمد بن عُدي في (كامله): سمعتُ قسطنطين بن عبد الله مولى المعتمد، يقول: حضرتُ مجلسَ هشام بن عمار، فقال المستملي: من ذكرت؟ فقال: أخبرنا بعضُ مشايخنا، ثم نَعَسَ، ثم قال له: من ذكرت؟ فنعس، فقال المستملي: لا تَنْتَفِعُوا به، فجمعوا له شيئاً فأعطوه فكان بعد ذلك يُعَلِّي عليهم حتى يَمَلُّوا.

[٢] وقال محمد بن أحمد بن راشد بن معدان الأصبهاني: سمعتُ ابنَ وَاوَةَ يقول: عزمْتُ زماناً أن أُمسِكَ عن حديث هشام بن عمار، لأنَّه كان يبيعُ الحديث.

قلت: العَجَبُ من هذا الإمام مع جلالته، كيف فعل هذا، ولم يكن محتاجاً، وله اجتهاده.

[٣] قال صالح بن محمد جَزْرَةَ: كان هشام بن عمار يأخذُ على الحديث ولا يحدثُ ما لم يأخذ، فدخلتُ عليه، فقال: يا أبا علي، حدثني بحديثٍ لعلِّي

ابن الجعد، فقال: حدثنا ابن الجعد، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: عَلِمَ مُجَانًا كَمَا عَلِمْتَ مُجَانًا. قال: تَعَرَّضْتَ بِي يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ فقلتُ: ما تعرّضت، بل قصدتُك.

[١] قال أبو بكر المروزي: ذكر أحمدُ بنُ حنبلٍ هشامَ بنَ عمار، فقال: طيَّاش خفيف.

[٢] خيشمة: سمعتُ محمدَ بنَ عوف، يقول: أتينا هشامَ بنَ عمار في مزرعة له، وهو قاعد على مورج له، وقد انكشفتُ سَوَّءَهُ، فقلنا: يا شيخ غَطُّ عليك. فقال: رأيتموه؟! لن ترمدَ عَيْنُكُمْ أَبَدًا، يعني يمزح.

[٣] قال أبو بكر محمد بن سليمان الرُّبَيعي: حدثنا محمد بن الفيض العَسَّاسي، سمعتُ هشامَ بنَ عمار، يقول: باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً وجهزني للحج. فلما صرْتُ إلى المدينة، أتيتُ مجلسَ مالك، ومعِي مسائل أريدُ أن أسأله عنها. فأتيتُه، وهو جالس في هيئة الملوكة، وغلَّمان قِيام، والناسُ يسألونه، وهو يُجيبُهُم. فلما انقضى المجلس، قال لي بعضُ أصحاب الحديث: سل عن ما معك؟ فقلتُ له: يا أبا عبدالله ما تقولُ في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام، احمَلْهُ فحملني كما يُحمل الصبي، وأنا يومئذُ غلام مدرِك، فضرَبني بِدِرَّةٍ مثل دِرَّةِ المعلمين سبع عشرة درة، فوقفتُ أبكي، فقال لي: ما يُبكيك؟ أوَجَعَتْكَ هذه الدِرَّة؟ قلت: إن أبي باع منزله، ووجَّه بي أتشرفُ بك وبالسماح منك، فضرَبتني؟ فقال: اكتب، قال: فحدثني سبعة عشر حديثاً، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني.

[٤] قال محمد بنُ حُرَيم الخُرَزمي: سمعتُ هشامَ بنَ عمار، يقول في خطبته: قولوا الحقَّ، ينزلُكم الحقُّ منازلَ أهلِ الحقِّ يوم لا يُقضى إلا بالحقِّ. قلتُ: وكان هشام خطيباً بليغاً صاحب بديهة.

[٥] قلت: أما قول الإمام فيه: طيَّاش، فلأنه بلغه عنه أنه قال في خطبته: الحمد لله الذي تجلَّى لخلقِه بخلقه. فهذه الكلمة لا ينبغي إطلاقها، وإن كان لها

معنى صحيح، لكن يَحْتَجُّ بِهَا الحُلُولِيُّ والاتحادي وما بلغنا أنه سبحانه وتعالى تجلّى لشيء إلا بجبل الطور، فصيرة ذكاً وفي تجلّيه لنا، صلى الله عليه وسلم، اختلاف أنكرته عائشة وأثبتته ابن عباس.

[١] وبكل حال، كلام الأقران بعضهم في بعض يُحتمل، وطّيه أولى من بثه إلا أن يُتفق المتعاصرون على جرح شيخ، فيعتمد قولهم، والله أعلم.

[٢] وقال محمد بن الفيض أيضاً: جاء رجل من قرية الحُرْجَلَة^(١) يطلب لعرس أخيه لعابيين، فوجد الوالي قد منعهم، فجاء يطلب مغبرين، يعني: مُزَمَّرَمِينَ يُغَبَّرُونَ بالقضيب، قال: فَلَقِيَهُ صُوفِيٌّ ماجن، فأرشده إلى ابن ذكوان، وهو خلف المنبر، فجاءه، وقال: إِنَّ السلطان قد مَنَعَ المغنّين. فقال: أحسن والله، فقال: فنعمل العرس بالمغبرين، وقد دُللتُ عليك. فقال: لنا رفيق، فإن جاء، جئت، وهو ذاك، وأشار إلى هشام بن عمار فقام الرجل إليه، وهو عند المحراب مُتَّكِيٌّ، فقال الرجل لهشام: أبو من أنت، فردّ عليه رداً ضعيفاً، فقال: أبو الوليد، فقال: يا أبا الوليد: أنا من الحُرْجَلَة، قال: ما أبالي من أين كنت. قال: إن أخي يعمل عرسه، فقال: فماذا أصنع؟ قال: قد أرسلتني أطلب له المُحَنَّثِينَ قال: لا بارك الله فيهم ولا فيك. قال: وقد طلب المغبرين فأرشدت إليك. قال: ومن بعثك؟ قال: هناك الرجل، فرفع هشام رجله، ورَقَسَهُ وقال: قم. وصاح بابن ذكوان: أقد تفرغت لهذا؟ قال: إي والله أنت رئيسنا، لو مضيت مَضِينًا.

تُوفِّي هشامُ بنُ عمار في سنة خمس وأربعين ومئتين.

٤٨٧- القواريري (خ، م، د، س) (١)

[٣] عبيدالله بن عمر بن ميسرة، الإمام الحافظ، محدث الإسلام، أبو سعيد الجُشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج، نزيل بغداد.

(١) من قرى دمشق. (٢) انظر السير: ١١ / ١١١-١١٢.

ولذ سنة اثنتين وخمسين ومئة تقريباً.

[١] البغوي، سمعتُ عُبيدالله القواريري، يقول: لم تكنُ تكادُ تفوتني صلاة العتمة في جماعة. فنزل بي ضيفاً، فشُغِلْتُ به. فخرجتُ أطلب الصلاة في قبائل البصرة. فإذا الناسُ قد ضلُّوا. فقلت في نفسي: يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صلاةُ الجميع تفضلُ على صلاةِ الفردِ إحدى وعشرين درجةً». وروى: «خمساً وعشرين درجةً» وروى «سبعاً وعشرين». فانقلبتُ إلى منزلي، فضليتُ العتمة سبعاً وعشرين مرة، ثم رقدتُ فرأيتني مع قوم راكبي أفراس، وأنا راكبٌ ونحن نتجاري وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلتُ أضربه لألحقهم، فالتفتُ إليَّ آخرهم، فقال: لا تُجهد فرسك، فليست بلا حِقناً. قال: فقلتُ: ولم؟ قال: لأننا صلينا العتمة في جماعة.

مات القواريري سنة خمس وثلاثين ومئتين.

ولم يكتب القواريري الحديث إلا على كبر من السن، ولو أنه بكر بالطلب، لسمع من جرير بن حازم وأقرانه، ولكن السماع واللقاء مُقدَّر.

٤٨٨- هناد بن السري (عج، م، ٤) (١)

[٢] ابن مُصعب، الإمامُ الحجة القدوة زين العابدين، أبو السري التميمي الدارمي الكوفي، مصنف كتاب «الزهد» وغير ذلك.

روى أبو العباس السراج أنه قال: ولدتُ سنة اثنتين وخمسين ومئة.

حدث عنه الجماعة، لكن البخاري في غير «صحيحه» اتفاقاً لا اجتناباً.

قال أبو داود: سمعتُ قتيبة، يقول: ما رأيتُ وكيعاً يُعظم أحداً تعظيمه لهناد.

[٣] وقال أحمد بنُ سلمة النيسابوري الحافظ: كان هناد رحمه الله كثيرَ البكاء، فرغ يوماً من القراءة لنا، فتوضأ، وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال، وأنا معه

(١) انظر السير: ١١ / ٤٦٥-٤٦٦.

في المسجد، ثم رَجَعَ إلى منزله، فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب. قال: فقلت لبعض جيرانه: ما أصبره على العبادة فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل، وما تزوج قط، ولا تسرى، وكان يقال له: راهب الكوفة.
قال أبو العباس الثقفى: مات في سنة ثلاث وأربعين ومئتين.

٤٨٩ - حَاتِمُ الْأَصْمُ (١)

[١] الزاهد القدوة الرباني، أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة، الأصم، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يُقال له: لقمان هذه الأمة.

[٢] وقيل له: على ما بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على خصال أربعة: علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فأطمأنت به نفسي، وعلمتُ أن عملي لا يعملهُ غيري، فأنا مشغول به، وعلمتُ أن الموت يأتي بغتة، فأنا أبادرهُ وعلمتُ أنني لا أدخلو من عين الله، فأنا مستحي منه.

[٣] وعنه: من أصبح مستقيماً في أربع فهو بخير: التفقه، ثم التوكل ثم الإخلاص، ثم المعرفة.

[٤] وعنه: تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت، فاذكرُ نَظَرَ الله إليك وإذا تكلمت فاذكرُ سَمْعَ الله منك، وإذا سكنت فاذكرُ عِلْمَ الله فيك.

[٥] قال أبو تراب: سمعتُ حاتماً يقول: لي أربعة نسوة، وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يؤسوس إليّ في أرزاقهم.

[٦] قال شقيق لحاتم، مُدَّ صحبتي، أي شيء تعلمت مني؟ قال: ست كلمات: رأيتُ الناس في شك من أمر الرزق، فتوكلتُ على الله. قال الله تعالى:

(١) انظر السير: ١١ / ٤٨٩-٤٨٧.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ورأيت لكل رجل صديقاً يُفشي إليه سره، ويشكو إليه، فصاقتُ الخير ليكونَ معي في الحساب، وتجاوزَ معي الصراط.

ورأيتُ كلَّ أحدٍ له عدو، فمن اغتابني ليس بَعْدُوِي، ومن أخذ مني شيئاً ليس بَعْدُوِي، بل عَدُوِي من إذا كنتُ في طاعة، أمرني بمعصية الله وذلك إبليس وجنوده، فاتخذتهم عدواً وحاربتهم.

ورأيت الناس كلهم لهم طالب، وهو ملك الموت، ففرغت له نفسي. ونظرتُ في الخلق، فأحببتُ ذا، وأبغضتُ ذا. فالذي أحببتُهُ لم يعطني، والذي أبغضتُهُ لم يأخذ مني شيئاً، فقلت: من أين أتيت؟ فإذا هو من الحسد فطرحته وأحببتُ الكل، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم. ورأيت الناس كلهم لهم بيتٌ ومأوى، ورأيتُ مأوى القبر، فكل شيء قدزرتُ عليه من الخير قَدَمته لنفسي لأعمرَ قبري.

فقال شقيق: عليك بهذه الخصال.

[١] وعن حاتم قال: لو أن صاحب خَبرٍ جلس إليك، لكنك تتحرز منه وكلامك يُعرض على الله فلا تحترز!

[٢] قلت: هكذا كانت نُكْتُ العارفين وإشاراتهم، لا كما أحدث المتأخرون من الفناء والمحو والجمع الذي آل بجهلتهم إلى الأتحد، وعدم السوى. توفي حاتم الأصم، رحمه الله - سنة سبع وثلاثين ومئتين.

٤٩٠ - أحمد بن خضرويه^(١)

[٣] الزاهد الكبير الرُّبائي الشهير، أبو حامد البلخي، من أصحاب حاتم الأصم.
[٤] وقد كان معمرًا، فإن السُّلَمي روى عن منصور بن عبدالله، سمع محمد بن

(١) انظر السير: ١١ / ٤٨٧-٤٨٩.

حامد، قال: كنتُ عند ابنِ خَضْرُوِيه، وهو يَنْزِعُ، فسئل عن شيء فقال: باباً كنت أقرعه منذ خمسٍ وتسعين سنة، الساعة يُفتح لا أدري يفتحُ بالسعادة أم بالشقاء.

[١] ومن كلامه: القلوبُ جَوَالَة، فإمّا أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحُش.

قيل: إنه تُوفي سنة أربعين ومئتين.

٤٩١- أبو حَسَّان الزِّيَادِي^(١)

[٢] الإمام العلامة الحافظ، مؤرخ العصر، قاضي بغداد، الحسن بن عثمان بن حماد البغدادي، وعرف بالزيادي لكون جده تزوج أم ولد كانت للأمير زياد بن أبيه.

[٣] وُلد القاضي أبو حسان في حدود سنة ستين ومئة.

وعن إسحاق الحربي، قال: حدثني أبو حسان الزِّيادي، أنه رأى ربَّ العزة في المنام، فقال: رأيتُ نوراً عظيماً لا أحسنُ أصفه، ورأيتُ فيه رجلاً خيلاً إلى أنه النبي، صلى الله عليه وسلم، وكأنه يشفعُ إلى ربه في رجلٍ من أمته، وسمعتُ قائلاً يقول: ألم يكفك أني أنزلُ عليك في سورة الرعد:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]. ثم انتهت.

قال الخطيب: كان أبو حسان أحدَ العلماء الأفاضل الثقات، ولي قضاء الشرقية، وكان كريماً مفضالاً.

[٤] قال يوسف بن البهلول الأزرق: حدثنا يعقوب بن شيبة، قال: أظَلَّ العيدُ رجلاً، وعنده مئة دينار لا يملك سواها، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة، فأنفذ إليه بالمئة دينار، فلم ينسب أن وردَ عليه رقعةٌ من بعض إخوانه يذكرُ أنه

(١) انظر السير: ١١ / ٤٩٨-٤٩٦.

أيضا في هذا العيد في إضافة، فوجه إليه بالصُّرَّة بعينها. قال: فبقي الأول لا شيء عنده، فاتفق أنه كتب إلى الثالث وهو صديقُه يذكُرُ حاله، فبعث إليه الصُّرَّة بختمها. قال فعرفها، وركبَ إليه، وقال: خيرني ما شأنُ هذه الصُّرَّة؟ فأخبره الخبر، فركبا معاً إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها. قال ابن البُهلول: الثلاثة يعقوبُ بنُ شيبه، وأبو حسان الزُّيادي وآخر نسيته. إسنادهما صحيح.

وقيل: عاشَ الزُّيادي تسعا وثمانين سنة، ماتَ في سنة الثنتين وأربعين ومئتين.

الطبقة الثالثة عشر

٤٩٢- أحمد بن المعدل^(١)

[١] ابن غيلان، شيخ المالكية، أبو العباس العبدي البصري الأصولي، وكان من بحور الفقه، صاحب تصانيف وفصاحة وبيان.

[٢] قال أبو إسحاق الحضرمي: كان ابنُ المعدل من الفقه والسكينة والأدب والحلاوة في غاية. وكان أخوه عبد الصمد الشاعر يُؤذيه، فكان أحمد، يقول له: أنت كالأصبع الزائدة، إن تُركت، شانت، وإن قُطعت آلمت. وقد كان أهل البصرة يسمون أحمد الراهب لتعبه ودينه.

[٣] عن عبد الجليل بن الحسن، قال: كان أحمد بن المعدل في مجلس أبي عاصم فمزح أبو عاصم يُخجل أحمد، فقال: يا أبا عاصم، إن الله خلقك جداً فلا تهزلن، فإن المستهزيء جاهل. قال تعالى:

﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا مُرُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

فخجل أبو عاصم. ثم كان يُعبد أحمد بن المعدل إلى جنبه.

[٤] وروى يموت بن المزرع، عن المبرّد، عن أحمد بن المعدل، قال: كنت عند ابن الماجشون، فجاءه بعض جلسائه، فقال: يا أبا مروان أعجوبة، خرجت إلى حائطي بالغابة، فعرض لي رجل، فقال: اخلع ثيابك قلت: لِمَ؟ قال: لأنني أخوك، وأنا غريان. قلت: فالمواساة؟ قال: قد لبستها برهة. قلت: فتعربني؟ قال: قد رويتا عن مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل غريانا. قلت: ترى عورتني. قال: لو كان أحد يلقاك هنا، ما تعرضت لك. قلت: دعني أدخل حائطي، وأبعث بها إليك، قال: كلا، أردت أن توجه عبيدك، فأفسك. قلت: أحلف لك. قال: لا تلزم يمينك للصل. فحلفت له: لأبعثن بها طيبة بها نفسي

(١) انظر السير: ١١ / ٥١٩-٥٢١.

فأطرق ثم قال: تصفحتُ أمرَ اللصوصِ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا، فلم أجد لهما أخذاً بنسيئة، فأكرهُ أن أبتدع، فخلعتُ ثيابي له.

٤٩٣ - محمد بن كرام^(١)

[١] السُّجِسْتَانِي المُبْتَدِع، شَيْخُ الكُرَامِيَّة، كَانَ زَاهِداً عَابِداً رَبَانِيّاً بَعِيدَ الصِّيْتِ، كَثِيرَ الْأَصْحَابِ، وَلَكِنَّهُ يَرَوِي الْوَاهِيَاتِ كَمَا قَالَ ابْنُ حَبَانَ. خُذِلَ حَتَّى التَّقَطَّ مِنَ الْمَذَاهِبِ أَرْدَاهَا، وَمِنَ الْأَحَادِيثِ أَرَاهَا، ثُمَّ جَالَسَ الْجَوْتِبَارِي، وَابْنَ نَسِيمٍ، وَلِعِلْمَهُمَا قَدْ وَضَعَا مِثْلَ أَلْفِ حَدِيثٍ، وَأَخَذَ التَّقَشُّفَ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ حَرْبٍ.

قلت: كَانَ يَقُولُ: الْإِيمَانُ هُوَ نَطْقُ اللِّسَانِ بِالتَّوْحِيدِ، مَجْرَدٌ عَنِ عَقْدِ قَلْبٍ، وَعَمَلُ جَوَارِحٍ. وَقَالَ خُلِقَ مِنَ الْإِتْبَاعِ لَهُ: بَأَنَّ الْبَارِيَّ جَسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ تَجَوَّزَ مِنْهُ الْكِبَائِرُ سِوَى الْكُذْبِ.

وَقَدْ سُجِنَ ابْنُ كُرَامٍ، ثُمَّ نُفِيَ. وَكَانَ نَاشِطاً عَابِداً، قَلِيلَ الْعِلْمِ. قَالَ الْحَاكِمُ: مَكَثَ فِي سَجْنِ نَيْسَابُورِ ثَمَانِي سِنِينَ، وَمَاتَ بِأَرْضِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِثْنِينَ.

قلت: طَوَّلْنَا تَرْجَمَتَهُ فِي «تَارِيخِ الْإِسْلَامِ». وَكَانَتْ الْكُرَامِيَّةُ كَثِيرِينَ بِخِرَاسَانَ. وَلَهُمْ تَصَانِيفٌ، ثُمَّ قَلُّوا وَتَلَاشَوْا. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْأَهْوَاءِ.

٤٩٤ - الْجَاحِظُ^(٢)

[٢] الْعَلَامَةُ الْمُبْتَحَرُ، ذُو الْفَنُونِ، أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ بْنِ مَحْيُوبِ الْبَصْرِيِّ الْمَعْتَرَلِيِّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. أَخَذَ عَنِ النَّظَامِ.

(١) انظر السير: ١١ / ٥٢٣-٥٢٤. (٢) انظر السير: ١١ / ٥٢٦-٥٣٠.

قلت: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر.

قال المبرّد: دخلتُ عليه، فقلتُ: كيف أنت؟ قال: كيف من نصفه مفلوج، ونصفه الآخر منقرس؟ لو طار عليه ذباب لآلمه، والآفة في هذا أني جُرت التسعين. وقيل: طلبه المتوكل، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشقي مائل، ولعاب سائل؟!!

[١] قلت: كان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جداً. قيل: لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الكُتُبِين، ويبيتُ فيها للمطالعة، وكان باقعة^(١) في قوة الحفظ.

وله كتاب «الحيوان» سبع مجلدات، وأضاف إليه كتاب «النساء» وهو فرق ما بين الذكر والأنثى، وكتاب «البنغال» وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب «الجمال». ليس من كلام الجاحظ، ولا يقاربه.

قال رجل للجاحظ: ألك بالبصرة ضيعة؟ قال: قتبسم، وقال: إنما إناء وجارية ومن يخدمها، وحمار، وخادم. أهديتُ كتاب «الحيوان» إلى ابن الزيات، فأعطاني ألفي دينار، وأهديتُ إلى فلان فذكر نحواً من ذلك، يعني: أنه في خير وثروة.

[٢] قلت: يظهر من شمائل الجاحظ أنه يُخْتَلَق.

[٣] قال إسماعيل الصفّار: حدثنا أبو العيّن، قال: أنا والجاحظ وضعنا حديث فذك^(٢)، فأدخلناه على الشيخ بيغداد، فقبلوه إلا ابن شيبّة العلوي، فإنه قال: لا يُشبهه آخر هذا الحديث أوله. ثم قال الصفّار: كان أبو العيّن يحدث بهذا بعدما تاب.

قيل للجاحظ: كيف حالك؟ قال: يتكلم الوزير برأيي، وصلات الخليفة

(١) أي داهية، يقال: ما فلان إلا باقعة من البواقيع، سمي باقعةً لجلوله بقاع الأرض، وكثرة تنقبه في البلاد، ومعرفة بها، فشبّه الرجل البصير بالأمور، الكثير البحث عنها، المجربُ نها به. والهاء دخلت في نعت الرجل للمبالغة في صفته، كما قالوا: رجل غلامة ونساية.

(٢) قال ابن حجر: ما علمت ما أراد بحديث فذك.

متواترة إليّ، وآكل من الطير أسمونها، وألبس من الثياب ألينها وأنا صابرٌ حتى يأتي الله بالفرج. قيل: بل الفرج ما أنت فيه. قال: بل أحبُّ أن أليّ الخِلافة، ويختلف إليّ محمد بن عبد الملك - يعني الوزير - وهو القائل:

سَقَامُ الْحَرَصِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ وَذَاءُ الْجَهْلِ لَيْسَ لَهُ طَيِّبٌ

وقد روى عنه ابن أبي داود حديثاً واحداً.

قلت: كفانا الجاحظ المؤونة، فما روى من الحديث إلا التزُّر اليسير، ولا هو بمُتهم في الحديث، بلَى في النفس من حكاياته ولهجته فريماً جازفاً، وتلطُّخه بغير بدعة أتمرّ واضح، ولكنه أخباري علامة صاحب فنون وأدب باهر، وذكاء بيبن، عفا الله عنه.

٤٩٥- ذو النون المِصْرِيُّ^(١)

[١] الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: يُكنى أبا الفيض. ولد في أواخر أيام المنصور.

وقلّ ما روى من الحديث، ولا كان يتقنه.

[٢] وقال يوسف بن أحمد البغدادي: كان أهل ناحيته يُسمونه الزنديق فلما مات، أظلت الطير جنازته، فاحترموا بعد قبره.

[٣] قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرتُ ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سببُ تَوَيْتِكَ؟ قال: نمتُ في الصحراء، ففتحتُ عيني فإذا قُبيرة^(٢) عمياء سقطت من وكر، فانشقت الأرض، فخرج سُكْرُجَتَانِ ذهب وفضة في إحداهما سُمِسِم، وفي الأخرى ماء، فأكلتُ وشربتُ. فقلتُ: حسبي، فثَبْتُ ولزمتُ الباب إلى أن قَبِلَنِي.

(١) انظر السير: ١١ / ٥٣٦-٥٣٢.

(٢) القُبيرة والقُبيرة والقُبيرة والقُبيرة: عصفورة من فصيلة القُبريات، ورنبة الجوائم المخروطية المنافع، سُمِر في أعلاها ضاربة إلى بياض في أسفلها، وعلى صدرها بقعة سوداء، دائمة التغيريد.

[١] قال السلمي في «محن الصوفية»: ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فانكر عليه عبدالله بن عبدالحكم، وهجره علماء مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف وهجره حتى رموه بالزندقة. فقال أخوه: إنهم يقولون: إنك زنديق فقال:

وَمَالِي سِوَى الإِطْرَاقِ وَالصَّمْتِ جِيْلَةً وَوَضِعِي كَفِّي تَحْتِ خَدِّي وَتَذْكَارِي [٢] قال: وقال محمد بن الفرخي: كنت مع ذي النون في زورق، فمر بنا زورق آخر، فقبل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان، يشهدون عليك بالكفر. فقال: اللهم إن كانوا كاذبين، فغرقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلت له: فما بال الملاح؟ قال: لم حملهم وهو يعلم قصدهم؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهوداً زور، ثم انتفض وتغير، وقال: وعزتك لا أدعو على أحد بعدها. ثم دعاه أمير مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلم، فرضي أمره. وطلبه المتوكل، فلما سمع كلامه ولع به وأحبه. وكان يقول: إذا ذكر الصالحون، فحي هلا بذي النون.

[٣] وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون، يقول: مهما تصوّر في وهمك، فالله بخلاف ذلك.

[٤] وسمعه يقول: الاستغفار جامع لمعان: أولها الندم على ما مضى، والثاني: العزم على الترك، الثالث: أداء ما ضيقت من فرض الله، الرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها، الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام، السادس: إذابة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية.

[٥] وعن عمرو بن السرح: قلت لذي النون: كيف خلصت من المتوكل وقد أمر بقتلك؟ قال: لما أوصلني الغلام، قلت في نفسي: يا مَنْ ليس في البحار قطرات، ولا في ديلج الرياح ديلجات، ولا في الأرض خبيئات، ولا في القلوب خضرات، إلا وهي عليك دليات، ولك شاهدات، وبربوبيتك مُعترفات، وفي قدرتك متحيرات. فبالقدرة التي تُجبر بها من في الأرضين والسموات إلا صليت

على محمد وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني، فقام المُتوكل يخطو حتى
اعتنفتني، ثم قال: أُنْعِمْنَاكَ يَا أَبَا الْفَيْضِ.
[١] ومن كلامه: العارفُ لا يلتزم حالةً واحدة، بل يلتزمُ أمرَ رَبِّهِ في الحالات
كُلِّهَا.

وفاته في سنة خمس وأربعين ومِئتين، وكان من أبناء التسعين.

٤٩٦ - ابنُ زياد^(١)

[٢] متولِّي اليمن الأمير محمد بن عبدالله بن زياد.
غلب على اليمن، وحارب وتمكَّن في أيام المأمون، واختط مدينة زبيد في
سنة أربع ومِئتين. ونقذ إلى المأمون بئحاف، فأمدَّه بجيش وعظَّم أمره، ودامت
دولته إلى أن مات سنة خمس وأربعين ومِئتين.
فقام بعده ابنه إبراهيم، فولِّي اليمن مدةً أربع وأربعين سنة ثم مات. وتملك
بعده ولداه زياد ثم إسحاق. ودامت دولتهم إلى بعد الأربع مئة، ثم صارت في
مواليهم مدةً إلى أن ظهر الصُّلَّيحيُّ.

٤٩٧ - الرواجنيُّ (خ، ت، ق)^(٢)

[٣] الشيخُ العالم الصدوق، محدِّثُ الشيعة، أبو سعيد عبَّاد بن يعقوب الأسدي
الرواجني الكوفي المبتدع.
وقال الحاكم: كان ابنُ خزيمة يقول: حدثنا الثقة في روايته المُتَّهَمُ في دينه،
عبَّاد بن يعقوب.

وقال ابنُ عدي: فيه غُلُوٌّ في التَّشْيِيعِ.

(١) انظر السير: ١١ / ٥٣٦.

(٢) انظر السير: ١١ / ٥٣٦ - ٥٣٨.

[١] عن صالح جَزْرَةَ، قال: كان عبّاد يشتم عثمان، رضي الله عنه، وسمعتُه، يقول: الله أعدُّ من أن يدخل طلحةَ والزبيرَ الجنةَ، قاتلاً علياً بعد أن باعاه.
[٢] وقال ابنُ جرير: سمعتُه يقول: من لم يبرأ في صلاته كلَّ يوم من أعداء آل محمد، حُشِرَ مَعَهُمْ.

قلت: هذا الكلامُ مبدأُ الرِّفْضِ، بل نَكْفُفُ، ونستغفرُ للأمةَ، فإنَّ آلَ محمدٍ في إياهم قد عادى بعضهم بعضاً واقتتلوا على الملك وتمتَّ عظامهم، فَمِنَ أَيُّهِمْ نبرأ؟!؟

[٣] قال محمدُ بنُ المظفر الحافظ، حدثنا القاسم المطرُز، قال: دخلتُ على عبّاد بالكوفة، وكان يمتحنُ الطلبةَ، فقال: مَنْ حَفَرَ البحرَ؟ قلتُ: الله. قال: هو كذلك، ولكن من حفره؟ قلتُ: يذكُرُ الشيخُ، قال: حفره علي، فمن أجراه؟ قلتُ: الله. قال: هو كذلك؟ ولكن من أجراه؟ قلتُ: يُفيدني الشيخُ: قال: أجراه الحسين، وكان ضريراً، فرأيتُ سيفاً وحَجَفَةً^(١). فقلتُ: لمن هذا؟ قال: أعددته لأقاتل به مع المهدي فلما فرغتُ من سماع ما أردتُ، دخلتُ عليه، فقال: مَنْ حفر البحرَ؟ قلتُ: حَفَرَهُ مُعَاوِيَةُ، رضي الله عنه، وأجراه عمرو بن العاص، ثم وثبتُ وعدوتُ فجعل يصيح: أدركوا الفاسقَ عدوَّ الله، فاقتلوه. إسنادها صحيح وما أدري كيف نَسَمَحُوا في الأخذِ عن هذا حاله؟ وإنما وثقوا بصدقه.

قال البخاري: مات عبّاد بن يعقوب في سنة خمسين ومئتين.
ورأيتُ له جزءاً من كتاب «المناقب»، جمع فيها أشياء ساقطة قد أغنى الله أهل البيت عنها، وما أعتقده يتعمد الكذب أبداً.

(١) الحجفة: هي الترس.

[١] الإمام العالم الكبير، شيخ المقرئين، أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز. ولد سنة بضع وخمسين ومئة في دولة المنصور. وتلا على الكسائي بحرفه، وعلى يحيى اليزيدي بحرف أبي عمرو، وعلى سليم بحرف حمزة، وجمع القراءات وصنّفها. روى عنه: الإمام أحمد، وهو من أقرانه، ونصر بن علي الجهضمي وروى هو عنهما.

قال أبو علي الأهوازي: رحل أبو عمر في طلب القراءات، وقرأ سائر حروف السبعة، وبالشواذ، وسمع من ذلك الكثير، وصنّف في القراءات، وهو ثقة، وعاش دهرًا. وفي آخر عمره ذهب بصره، وكان ذا دين.

[٢] وقال الحاكم: قال الدارقطني: أبو عمر الدوري، يقال له: الضري، وهو ضعيف. وقيل: هو من الدور - محلة بالجانب الشرقي من بغداد. توفي سنة ست وأربعين ومئتين.

[٣] وقول الدارقطني: ضعيف: يريد في ضبط الآثار. أما في القراءات فثبت إمام. وكذلك جماعة من القراء أثبت في القراءة دون الحديث كنافع، والكسائي، وحفص، فإنهم نهضوا بأغبياء الحروف وحرروها، ولم يصنعوا ذلك في الحديث، كما أن طائفة من الحفاظ أتقنوا الحديث، ولم يحكموا القراءة. وكذا شأن كل من برز في فن، ولم يعتن بما عداه والله أعلم.

(١) انظر السير، ١١/٥٤١-٥٤٣.

الجزء الثاني عشر

٤٩٩ ابنُ السَّكِّيتِ (١)

[١] شيخُ العربية، أبو يوسف، يعقوبُ بن إسحاق بن السَّكِّيتِ (٢)، البغداديُّ النحويُّ المؤدَّب، مؤلفُ كتابِ «إصلاح المنطق»، دِينٌ خَيْرٌ، حُجَّةٌ في العربية. وله مِنَ التصانيف نحو من عشرين كتاباً.

[٢] وقال أحمدُ بن عبيد: شاورني يعقوبُ في مُنادمة المتوكل، فنهَيْتُهُ فحمل قولِي على الحسد، ولم يَنْتِه.

[٣] ويروى أَنَّ المتوكلَ نظر إلى ابنه المُعْتز والمؤيد، فقال لابن السَّكِّيتِ: مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ: هُمَا، أو الحسن والحسين (٣)؟ فقال: بل قُتَيْر، فأمر الأتراك فداَسُوا بطنه فمات بعد يوم. وقيل: حُجِلَ ميتاً في بساط، وكان في المتوكل نُصَب (٤)، نسأل الله العفو. مات سنة أربع وأربعين ومئتين.

قال ثعلب: أجمعوا أنه لم يكن أحدٌ بعد ابن الأعرابي أعلمَ باللغة من ابن السَّكِّيتِ، وكان المتوكلُ قد ألزَمَهُ تَأْدِيبَ وَلَدِهِ المُعْتز، فلما حضر، قال له ابن السَّكِّيتِ: بِمِ تَحِبُّ أَنْ تَبْدَأَ؟ قال: بالانصراف. قال: فأقوم. قال المُعْتز: فإنا أخفُّ منك، وبادر، فعثر، فسقط وخجل فقال يعقوب:

[٤] يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَليْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ بِالْقَوْلِ تَذْهِبُ رَأْسَهُ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

(١) انظر السير. ١٢/١٦-١٩.

(٢) قال ابن خلكان: عرف بذلك لأنه كان كثير السكوت، وطويل الصمت، وكل ما كان على وزن «فعليل» أو «فعليل» فإنه مكسور الأول.

(٣) الخبر بالفاظ مختلفة في «وفيات الأعيان» ٦/٣٩٧، ٣٩٨، وفي «النجوم الزاهرة» ٢/٣١٨، واللفظ فيه: مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ: أنا وولداي المؤيد والمُعْتز أم علي والحسن والحسين؟ فقال: والله إن شِعْرَةَ مَنْ قَتَيْرٍ خَادِمٍ عَلِيٍّ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ وَذَيْتِكَ.

(٤) أهل النَّصَب: هم المتدينون بغضه علي رضي الله عنه، لأنهم نَصَبُوا له: أي عادوه.

قال أبو سهل بن زياد: سمعت ثعلباً يقول: عدني بن زيد العبّادي أمير المؤمنين في اللغة. وكان يقول قريباً من ذلك في ابن السكيت.
قلت: «إصلاح المنطق» كتاب نفيس مشكور في اللغة.

٥٠٠ الحسن بن عيسى بن ماسرجس (م، د، س) (١)

[١] الإمام المحدث الثقة الجليل، أبو علي النيسابوري.

كان من كبار النصارى فأسلم.

[٢] قال الحاكم: سمعت الحسين بن أحمد الماسرجسي، يحكي عن جدّه وغيره، قال: كان الحسن والحسين ابنا عيسى يركبان معاً، فيتخير الناس من حُسْنِهِمَا ويزُوْنَهُمَا، فاتفقا على أن يُسَلِّمَا، فقصدا حفص بن عبد الرحمن، فقال: أنما من أجل النصارى، وابن المبارك قادم ليخج فإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين، وأرفع لكم، فإنه شيخ المشرق. فانصرفا عنه فمرض الحسين، فمات نصرانياً، فلما قدم ابن المبارك، أسلم الحسن على يده.

قلت: يتعد أن يأمرهما حفص بتأخير الإسلام، فإنه رجل عالم. فإن صح ذلك فموت الحسين مريداً للإسلام، منتظراً قدوم ابن المبارك ليسلم نافع له.

[٣] قال الحاكم: حدثنا الحافظ أبو علي النيسابوري عن شيوخه أن ابن المبارك نزل مرة برأس سبكة عيسى، وكان الحسن بن عيسى يركب فيجتاز به وهو في المجلس، وكان من أحسن الشباب وجهاً، فسأل ابن المبارك عنه فقيل: هو نصراني. فقال: اللهم ارزقه الإسلام، فاستجيب له.

قال أبو العباس السراج: حدثنا الحسن بن عيسى مولى عبد الله بن المبارك، وكان عاقلاً. عد في مجلسه بباب الطاق (٢) اثنا عشر ألف محبرة.

مات مُنْصَرَفَهُ من مكة سنة تسع وثلاثين ومئتين.

(١) انظر السير: ٢٧/١٢-٣٠.

(٢) محلة كبيرة يتعداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ونهر المملّى وتعرف أيضاً بطاق أسماء، نسبة إلى أسماء بنت المنصور.

[١] وقال الحاكم: سمعت ابني المؤمل بن الحسن، يقولان: أنفق جدنا في الحجّة التي توفي فيها ثلاث مئة ألف.

[٢] وقال محمد بن المؤمل بن الحسن: سمعت أبا يحيى البرزّاز يقول لأبي رجاء القاضي: كنتُ فيمن حجّ مع الحسن بن عيسى وقت موته، فاشتغلتُ بحفظِ جَمَلِي عن شهوده، فأريته في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولكل من صلّى عليّ. قلت: فإني فاتتني الصلاة عليك لغيبه عديلي، فقال: لا تجزع، وغفر لكل من يترحم عليّ. رحمه الله. قلت: وفي ذريته وأقاربه محدّثون وفضلاء.

٥٠١ المتوكّل على الله^(١)

[٣] الخليفة، أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد القرشي العباسي البغدادي.

وُلد سنة خمس ومئتين. وتُوبع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجّة سنة اثنين وثلاثين.

وكان قاضي البصرة إبراهيم بن محمد التيمي يقول: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر يوم الرّدة، وعُمَر بن عبد العزيز في رد المظالم من بني أمية، والمتوكّل في محو البدع، وإظهار السُّنة.

[٤] وفي سنة ٢٣٤ أظهر المتوكّل السُّنة، وجرّ عن القولِ بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار، واستقدم المُحدّثين إلى سافراء، وأجزل صلاتهم ورووا أحاديث الرُّؤية والصفات.

وفي سنة ستٍ أحضرَ القضاة من البلدان ليُعقد بولاية العهد لبنيه: المنتصر محمد، ثم للمُعترز، ثم للمؤيد إبراهيم. وكانت الوقعة بين المسلمين والروم، ونصر الله.

(١) انظر السير: ١٢ / ٣٠-٤١

[١] وفي سنة ست وثلاثين هَدَمَ المتوكلُ قَبْرَ الحُسينِ رضي اللهُ عنه فقال البَسَامِيُّ
أبياتاً منها:

أَسِفُوا عَلَيَّ أَنْ لَا يَكُونُوا شَارِكُوا فِي قَتْلِهِ فَتَتَّبِعُوهُ رَمِيمًا
وكان المتوكلُ فيه نَصَبٌ وانحرافٌ، فَهَدَمَ هذا المكانَ وما حوله من الدُورِ، وأمر
أن يُزرعَ، وَمَنَعَ النَّاسَ من اتنبايه. فكتب النَّاسُ شَتَمَ المتوكلِ على الحَيِّطَانِ،
وهجته الشعراءُ كَدَعْبِلٍ وغيره.

[٢] وبعث المتوكلُ إلى نائبه بمصر، فحلقَ لحيَةَ قاضي القضاة محمد بن أبي
الليث، وضربه، وطَوَّفَ به على حمارٍ في رمضان، وسُجِنَ، وكان ظلوماً جهمياً،
ثم وَلِيَ القضاةَ الحَارِثُ بن مسكين، فكان يضربه كلَّ حينٍ عشرين سوطاً ليؤدِّيَ ما
وجب عليه، فإنا لله.

[٣] وغضب المتوكلُ على أحمد بن أبي دُوَادٍ، وصادره، وسجن أصحابه وحُمِلَ ستة
عشر ألفَ درهم، وانقر هو وآله. ووَلَّى يحيى بن أكثم القضاةَ، وأطلق من
تبَقَّى في الاعتقال مَن امتنع من القول بخلق القرآن وأُنزلت عِظَامُ أحمدَ بن نصرِ
الشهيد، ودفنها أقاربه، وبنى قصر العروسِ بامرأءَ، وأنفقَ عليه ثلاثون ألفَ ألفِ
درهم. والتمس المتوكلُ من أحمدَ بن حنبلٍ أن يأتيه، فذهب إلى سامرأءَ ولم
يجتمع به. استعفى، فأعفاه ودخل على ولده المعتز، فدعاه له.

[٤] وفي سنة أربعين فيها سمع أهل خِلاط^(١) صَيْحَةً من السماء، مات منها جماعةٌ
كثيرة.

[٥] وفي سنة ٢٤١ ماجت النجومُ، وتناثرت شِبَّةُ الجِزَارِ أكثرَ الليلِ فكان ذلك آيةً
مرعبةً.

[٦] وفي سنة ٢٤٢ هـ الزلزلة بِقُوسِ والدَّمَغَانَ، والرِّيِّ وطَبْرِسْتَانَ ونيسابور،
وأصبهان، وهلك منها بِضْعَةٌ وأربعون ألفاً، وانهتْ نِصْفُ مَدِينَةِ الدَّمَغَانَ.

[٧] وفي سنة ٢٤٥ عَمَّتْ الزلزلةُ الدُّنْيَا، ومات منها خلائق. وبنى المتوكلُ
(١) هي قصة أرمينية الوسطى.

الماحوزة، وسمّاها الجَعْفَرِيّ، وأنفق عليها بعد معاونة الجيش له ألف دينار،
وتحوّل إليها، وفيها وقع بناحية بلخ مطرٌ كالدم العبيط .

[١] وكان المتوكل جواداً ممدحاً لعاباً، وأراد أن يعزل من العهد المنتصر، ويُقدّم عليه
المُعترز لحبه أُمّه قبيحة، فأبى المنتصر، فغضب أبوه وتهدّده، وأغرى به، وانحرفت
الأتراك على المتوكل لمصادرتِه وصيفاً ونُعا حتى اغتالوه .

وبويح المنتصر من الغد بالقصر الجَعْفَرِيّ سنة سبع وأربعين ومثتين .

٥٠٢ المُنْتَصِر بالله^(١)

[٢] الخليفة، أبو جعفر، وأبو عبدالله، محمد بن المتوكل على الله جعفر بن
المعتصم محمد بن هارون الرشيد الهاشمي العباسي، وأُمّه أم ولد روميّة، اسمها
خَيْشِيَّة .

[٣] وكان المنتصر وإفّر العقل، راغباً في الخير، قليل الظلم بارأ بالعلويين، وتُسبُّ
الأتراك ويقول: هؤلاء قتلَةُ الخلفاء، فقال بُعا الصغير للذين قتلوا المتوكل: ما لَكُمْ
عندَ هذا رِزقٍ . فعملوا عليه وهموا، فعجزوا عنه، لأنّه كان شجاعاً مهيباً يَقْطَأُ
متحرزاً لا كَأبيه فَتَحَيَّلُوا إلى أن دَسَوْا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند
مرضه فأشار بفصده، ثم فصده بريشة مسمومة، فمات منها .

[٤] ويقال: إن طيفور نسي ومرض، وافتصد بتلك الريشة، فهلك .

[٥] ووردَ عنه أنه قال في مرضه: دُعِبْتُ يا أمّاه مني الدُّنيا والآخرة عاجلتُ أبي
فموجلتُ . وكان يُتهم بأنه واطأ على قتل أبيه، فما أمهل، ووَزَّذَ له أحمد بن
الخصيب، أحد الظلمة .

[٦] ومن كلام المنتصر إذ عفا عن أبي العمرد الشاري: لذة العفو أهدب من لذة
التشفي، وأقبح فعال المُقتدر الانتقام .

قال المسعودي: كان المنتصر أظهر الإنصاف في الرعية، فمالوا إليه مع شدة

هيئته .

(١) انظر السير: ١٢/١٢-١٦ .

قلت: قل ما وقع في دولته من الحوادث لقصر المدة، وعاش ستاً وعشرين سنة، سامحه الله. ومات سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين. فكانت خلافته ستة أشهر وأياماً.

[١] وكان قد أبعده وصيفاً في عسكرٍ إلى ثغر الروم، وكان قد ألح عليه هو وبنو ابن الخصب في خلع إخوته خوفاً من أن يلي المعتز فيستأصلهم، فاعتقلاً، وتمنع أولاً المعتز، ثم خاف، وأشهدا على أنفسهما أنهما يعجزان عن الإمامة، فقال المنتصر: أترياني خلعتكما طمعاً في أن أعيش بعدكما حتى يكبر ابني عبد الوهاب، وأعهد إليه؟! والله ما طمعت في ذلك ولكن هؤلاء الحواري، وخفت عليكما من القتل. فقبلاً به، وضهما إليه.

٥٠٣ المُستعين بالله^(١)

[٢] الخليفة، أبو العباس، أحمد بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، أخو الواثق والمتوكل.

وُلد سنة إحدى وعشرين ومئتين. وبويع سنة ثمانٍ وأربعين، عند موت أخيه المنتصر.

[٣] وكان متلافياً للمال، مُبذراً، فَرَّقَ الجواهرَ وفاخِرَ الثياب، اختلَّت الخلافة بولايته، واضطربت الأمور.

وسجن المعتز والمؤيد، وضيق عليهما، واشترى أملاكهما كرهاً. وقرر لهما في العام ثيفاً وعشرين ألف دينار ليس إلا.

[٤] وهاجت الفتنة الكبرى بالعراق، فتنكر الترك للمستعين، فخاف وتحول إلى بغداد، فنزل بالجانب الغربي على نائبه ابن طاهر، فاتفق الأتراك بسامراء، وبعثوا يعتذرون، ويسألونه الرجوع، فأبى عليهم ففضبوا، وقصدوا السجن، وأخرجوا المعتز بالله، وباعوا له، وخلعوا المستعين، وبنوا أمرهم على شبهة، وهي أن المتوكل عقد للمعتز بعد المنتصر، فجهز المعتز أخاه أبا أحمد لمحاربة المستعين،

(١) انظر السير: ٤٦/١٢ - ٥٠.

وتهياً المستعين وابن طاهر للحصار، وإصلاح السور، وتجرد أهل بغداد للقتل ونُصبت المَجَانِقُ، ووقع الجدُّ، ودام البلاء أشهراً، وكثُرَتِ القتلى، واشتد القحط، وتمت بينهما عدة وقعات، بحيث إنه قتل في نوبة من جند المعتز ألفان، إلى أن ضَعَفَ أهل بغداد وذُلُّوا وجاعوا.

[١] فكاتب ابن طاهر في السر المعتز، وانحل نظام المستعين، وإنما كان قوام أمره بابن طاهر، وكاشفه الناس، فتحوّل إلى الرُصافة، ثم سعى الناس في الصلح، وخلع المُستعين فأقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط وثيقة، فأذعن بخلع نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين وأشهد عليه، ثم حوّل إلى سامراء فقتل بقادسية سامراء في ثالث شوال من السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[٢] وقال الصولي: بعث المعتز أحمد بن طولون إلى واسط لقتل المستعين فقال: والله لا أقتل أولاد الخلفاء. فبعث سعيداً الحاجب، فما تمع الله المعتز، بل عُوجِلَ بالخلع والقتل جزاءً وفاقاً.

٥٠٤ البُوَيْطِيُّ^(١)

[٣] الإمام العلامة، سيّد الفقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيى، المصري البُوَيْطِيُّ، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وفاق الأقران. وكان إماماً في العلم، قدوة في العمل، زاهداً ربانياً، متهجداً دائم الذكر والعكوف على الفقه. بلغنا أن الشافعي قال: ليس في أصحابي أحدٌ أعلم من البويطي.

[٤] الربيع بن سليمان قال: كان البُوَيْطِيُّ حين مرض الشافعي بمصر هو وابن عبدالحكم والمُزني، فتنازعوا الحلقة، فبلغ ذلك الشافعي، فقال: الحلقة للبُوَيْطِيِّ. فلهذا اعتزل ابن عبدالحكم الشافعي وأصحابه، وكانت أعظم حلقة في المسجد. فكان البُوَيْطِيُّ يصوم، ويتلو غالباً في اليوم والليلة خَتَمَةً مع صنائع

(١) انظر السير: ٦١-٥٨/١٢.

المعروف إلى الناس .

[١] نُسِعِي بِالْبُيُوطِي حَتَّى كَتَبَ فِيهِ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ إِلَى وَالِي مِصْرَ، فَامْتَحَنَهُ فَلَمْ يَجِبْ، وَكَانَ الْوَالِي حَسَنَ الرَّأْيِ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، قَالَ: إِنَّهُ يَفْتَنِي بِي مِثَّةَ أَلْفٍ، وَلَا يَدْرُونَ الْمَعْنَى، قَالَ: وَقَدْ كَانَ أَمِيرًا أَنْ يُحْمَلَ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَرْبَعِينَ رِطْلَ حَدِيدٍ.

[٢] قَالَ الرَّبِيعُ: وَكَانَ الْمِزْنِيُّ مِمَّنْ سَعَى بِهِ، وَحَرْمَلَةٌ.

[٣] عَنِ الْبُيُوطِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَرِيءُ النَّاسِ مِنْ دَمِي إِلَّا ثَلَاثَةٌ: حَرْمَلَةٌ، وَالْمِزْنِيُّ، وَآخَرُ.

[٤] قُلْتُ: اسْتَفَقَ، وَيَخُكُّ، وَسَلَّ رِبَكَ الْعَافِيَةَ، فَكَلَامُ الْأَقْرَانِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ أَمْرٌ عَجِيبٌ، وَقَعَ فِيهِ سَادَةٌ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ.

مَاتَ الْإِمَامُ الْبُيُوطِيُّ فِي قَيْدِهِ مَسْجُونًا بِالْعِرَاقِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِثْنِينَ.

٥٠٥ سُحُنُونٌ (١)

[٥] الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، فقيه المغرب، أَبُو سَعِيدٍ، عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ حَسَانَ التَّنُوحِيِّ، الْحَمَصِيُّ الْأَصْلُ، الْمَغْرِبِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ الْمَالِكِيُّ، قَاضِي الْقَيْرَوَانِ، وَصَاحِبُ «الْمُدَوَّنَةِ» وَيَلْتَقِبُ بِسُحُنُونٍ.

ارْتَحَلَ وَحَجَّ . وَلَمْ يَتَوَسَّعْ فِي الْحَدِيثِ كَمَا تَوَسَّعَ فِي الْفُرُوعِ .

[٦] وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَجَلَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ قَالَ: مَا بَوْرُكٌ لِأَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ مَا بَوْرُكٌ لِسُحُنُونٍ فِي أَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِي كُلِّ بَلَدٍ أُمَّةً.

[٧] وَرَوَى عَنْ سُحُنُونٍ قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، لَمْ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، بَلْ يَضُرُّهُ.

[٨] وَسُئِلَ سُحُنُونٌ: أَيْسَعُ الْعَالِمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي فِيمَا يَدْرِي؟ قَالَ: أَمَا مَا فِيهِ كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ ثَابِتَةٌ فَلَا، وَأَمَا مَا كَانَ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ، فَإِنَّهُ يَسَعُهُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَمْصِيبٌ هُوَ أَمْ مُخْطِئٌ.

[٩] وَعَنْ سُحُنُونٍ قَالَ: مُحِبُّ الدُّنْيَا أَعْمَى، لَمْ يُنَوِّرْهُ الْعِلْمُ.

(١) انظر السير: ١٢/٦٣-٦٩

[١] ما أقبِحَ بالعالمِ أن يأتيَ الأمراءَ، والله ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجتُ حاسبتُ نفسي، فوجدت عليها الذرَّك (١)، وأنتم ترون مخالفتي لهواه، وما ألقاهُ به من الغِلظة، والله ما أخذتُ، ولا لبستُ لهم ثوباً.

[٢] وعن سُحنون قال: كان بعضُ من مضى يُريد أن يتكلَّم بالكلمة ولو تكلمَ بها لانتفع بها خلقٌ كثير، فيحبسُها، ولا يتكلَّم بها مخافةً المباهاة.

[٣] وكان إذا أعجبه الصمتُ تكلم، ويقول: أجرأ الناس على الفُتيا أقلُّهم علماً.

[٤] وعنه قال: ما وجدتُ من باع آخرته بدنياه غيره إلا المُفتي.

[٥] وعن يحيى بن عَون: قال: دخلتُ مع سُحنون على ابنِ القصار وهو مريض،

فقال: ما هذا القلقُ؟ قال له: الموت والقُدوم على الله. قال له سُحنون: ألسنت

مصدقاً بالرسول والبعث والحساب، والجنة والنار وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر، ثم

عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله يُرى يومَ القيامة، وأنه على العرش

استوى، ولا تخرجُ على الأئمة بالسيف، وإن جازوا. قال: إي والله، فقال: مُت

إذا شئت، مُت إذا شئت.

[٦] وعن سُحنون قال: كبرنا وساءت أخلاقنا، ويعلم الله ما أصبحَ عليكم إلا

لأوَدِّبكم.

[٧] وأصلُ «المدونة» أسئلةُ سألتها أسدُ بنُ الفرات لابنِ القاسم، فلما ارتحل سُحنون

بها عرضها على ابنِ القاسم، فاصلَحَ فيها كثيراً، وأسقطَ ثم رتبها سُحنون، وتوَّبها،

واحتجَّ لكثير من مسائلها بالأثار من مروياته مع أن فيها أشياء لا ينهضُ دليلها، بل

رأي محض، وحكوا أن سُحنون في أواخر الأمرِ علِمَ عليها، وهَمَّ بإسقاطها وتهذيب

«المدونة»، فأدركته المنية رحمه الله. فكُتِبَ المالكية، يعرفون تلك المسائل،

ويُقرِّرون منها ما قدرُوا عليه، ويؤهَّنون ما ضَعُفَ دليله. فهي لها أسوةٌ بغيرها من

دواوين الفقه. وكلُّ أحدٍ فَيُؤخَذُ من قوله ويُتركُ إلا صاحبُ ذلك القبرِ عليه السلام. فالعلمُ

بحر بلا ساحل، وهو مُفَرَّقٌ في الأمة موجودٌ لمن التمسهُ.

(١) بفتح الزاء وإسكانها: الضئفة.

وتفسير سحنون بأنه اسم طائر بالمغرب، يوصف بالفطنة والتحرُّز، وهو يفتح
السَّين ويضمُّها.
توفي الإمامُ سُحنون في سنة أربعين ومئتين. وله ثمانون سنة.

٥٠٦ الجُوعِيُّ^(١)

[١] الإمامُ القدوةُ الولِيُّ، المُحدِّثُ، أبو عبد الملك، القاسم بن عثمان العبديُّ
الدمشقيُّ، شيخُ الصوفيَّة، ورفيقُ أحمد بن أبي الخوارِي، عُرف بالجُوعِي.
قال أبو حاتم: صدوق.

قال سعيدُ بن أوس: سمعتُ قاسماً الجوعِي، وكان صوفياً نسب إلى الجُوع.
[٢] قال محمدُ بن الفيض: قدم ابنُ أُنثَمَ دمشقيٌّ مع المأمون، فبعثَ إلى أحمد بن
أبي الخوارِي، فجاء إليه، وجالسه، فخلع يحيى عليه طويلاً وملبوساً، وأعطاه
خمسةَ آلاف درهم، وقال: فَرَّقْهَا يَا أبا الحسن حيث ترى، فدخل بها المسجد،
وصلَّى صلواتٍ بالخلعة، فقال قاسم الجوعِي: أخذَ دراهم اللصوص، وليس
ثيابهم، ثم أتى الجامع ومر به وهو في التحيَّات، فلما حذاه لطم القلنسوة، فسلم
أحمد، وأعطى القلنسوة ابنه إبراهيم، فذهب بها، فقال له من رآه: ما رأيتَ ما فعل
[٣] بك هذا؟ فقال: رحمه الله. ومن كلام القاسم: رأسُ الأعمال الرضى عن الله،
والورع عماد الدين والجوع مخ العبادة، والحِصْنُ الحِصِينُ الصَّمْتُ.

[٤] وقال قاسم الجوعِي: سمعتُ مسلم بن زياد يقول: مكتوب في التوراة: من
سألمَ سَلِمَ، ومن سَأَمَ سُمِمَ، ومن طلب الفضل من غير أهله نَدِمَ.
وقال: الشهواتُ نَفَسُ الدنيا، فمن ترك الشهوات فقد ترك الدنيا.
[٥] إذا رأيت الرجل يخاصم فهو يحبُّ الرئاسة.

توفي قاسم الجوعِي سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين.

[٦] قلتُ: كان زاهدًا الوقت هذا الجوعِي بدمشق، والسَّرِي السَّقَطِي ببغداد، وأحمدُ

(١) انظر السير: ٧٧/١٢ - ٧٩.

ابن حرب بنيسابور، وذو النون بمصر، ومحمد بن أسلم بطوس. وأين مثل هؤلاء السادة؟ ما يملأ عيني إلا التراب، أو من تحت التراب.

٥٠٧ أحمد بن أبي الحواري (د، ق)^(١)

[١] واسم أبيه عبد الله بن ميمون الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن، الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد، أخذ الأعلام أصله من الكوفة.

قال: سألتني أحمد بن حنبل: متى مولدك؟ قلت: في سنة أربع وستين ومئة.

[٢] عن يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحواري، فقال: أهل الشام به يُمطرون.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يُحسبُ الثناء عليه، ويُطَنَّبُ فيه.

[٣] قال محمد بن عوف الحمصي: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا

بأنطرسوس^(٢)، فلما صلى العتمة^(٣) قام يُصلي، فاستفتح بـ ﴿الحمد لله﴾ إلى

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فطقت الحائظ كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها

ثم نمت، ومررت في السحر، وهو يقرأ: ﴿إياك نعبد﴾ فلم يزل يرددُها إلى

الصبح.

[٤] قال سعيد بن عبدالعزيز: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من عمل بلا

اتباع سنة فعمله باطل.

[٥] وقال: من نظر إلى الدنيا نظر إرادةٍ وحبٍ، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.

[٦] أحمد بن أبي الحواري قال: قلت لراهبٍ في دير حرملة، وأشرف من صومعته:

ما اسمك؟ قال: جرجج. قلت: ما يحبسك؟ قال: حبست نفسي عن الشهوات.

قلت: أما كان يستقيم لك أن تذهب معنا هنا ونجى وتمنعها الشهوات؟ قال:

(١) انظر السير: ١٢/٨٥-٩٤.

(٢) في مجمع البلدان أنطرسوس: بلد من سواحل بحر الشام.

(٣) أي صلاة العشاء لأنها تصلى في العتمة أي الظلمة.

هيهات!! هذا الذي نصفه قوة وأنا في ضعف، قلتُ: ولم تفعل هذا؟ قال: نجدُ في كتبنا أن بَدَنَ ابنِ آدَمَ خُلِقَ من الأرض، وروحه خُلِقَ من ملكوتِ السماء، فإذا أجاج بدنه وأعراه وأسهره وأقمه نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه، وإذا أطعمه وأراحه أدخل البدنُ إلى الموضع الذي منه خُلِقَ، فأحبُّ الدنيا. قلتُ: فإذا فعل هذا يعجل له في الدنيا الثواب؟ قال: نعم نُوزَّ يوازيه. قال: فحدثت بهذا أبا سليمان الدارني، فقال: قاتله الله، إنهم يَصِفُون.

[١] قلتُ: الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون ٥١].

وقد قال النبي ﷺ: «لِكِنِّي أَصُومُ وَأَفِطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَا مِ وَأَتِي النِّسَاءَ، وَأَكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَعِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، فلم يشرع لنا الرهبانية، ولا التمرُّق ولا الوصال بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يُسرُّ وحنيفة سَمَحَةٌ، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق ٧].

وقد كان النساء أحبَّ شيء إلى نبينا ﷺ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمِسْك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

[٢] ثم العابد العربي من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر لا وجود لذلك الخطاب - والله - في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوَّطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الإزدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه وليٌّ، صاحب كراماتٍ وتمكُن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه فالخلوة والجوع أبو جاد الترهيب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء، بلى السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة،

والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومَقَّتْ النفس وذمُّها في ذاتِ الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدّة، والأمر بالمعروف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالشعر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحيان، وكثرة الاستغفار في السفر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين، أماننا الله على محبتهم.

[١] عمر بن بحر، سمعتُ أحمد بن أبي الحواري يقول: بينا أنا في قبة بالمقابر بلا باب إلا كساء أسبلته، فإذا أنا بامرأة تدقُّ على الحائط فقلت: من هذا؟ قالت: ضالّة، فدُلّني على الطريق. فقلت: رحمتك الله، أي الطريق تسلكين، فبكت، ثم قالت: على طريق النجاة، يا أحمد. قلت: هيهات! إن بيننا وبينها عقاباً، وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسّير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة، فبكت، ثم قالت: سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تتقطع، وفؤادك فلم يتصدع. ثم خرّت معشياً عليها. فقلت لبعض النساء: أي شيء حالها؟ فممن، ففتشناها، فإذا وصيتها في جيبها: كفتوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي، قلت: ما هي؟ فحرّكها، فإذا هي ميتة. فقلت: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جارية قرشية مصابة، وكان قرينها يمنعها من الطعام، وكانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها، فكنا نصيفها للأطباء، فتقول: خلوا بيني وبين الطبيب الراهب، تعني: أحمد بن أبي الحواري، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي، لعله أن يكون عنده شفائي.

[٢] أحمد بن أبي الحواري قال: كنتُ أسمعُ وكيعاً يتديء قبل أن يُحدّث فيقول: ما هنالك إلا عفوّه، ولا نعيش إلا في ستره، ولو كُشِفَ الغطاء لكُشِفَ عن أمرٍ عظيم.

[٣] أبو الدرداء الدمشقي: حدثنا الحسين بن حامد أن كتاب المأمون ورد على إسحاق بن يحيى بن معاذ أمير دمشق: أن أحضر المحدثين بدمشق فامتحنهم.

قال: فأحضَرَ هشامَ بنَ عَمَّارٍ، وسليمانَ بنَ عبدِالرَّحْمَنِ، وابنَ ذَكْوَانَ، وابنَ أَبِي الحَوَارِيِّ، فامْتَحَنَهُم امتحاناً ليسَ بالشَّدِيدِ فأجابوا خِلاَ أحمدَ بنِ أَبِي الحَوَارِيِّ، فجعلَ يَرْفُقُ بِهِ، ويقولُ: أليسَ السَّمَاوَاتُ مَخْلُوقَةٌ؟ أليسَ الأَرْضُ مَخْلُوقَةٌ، وأحمدُ يَأْبَى أن يُطْبِعَهُ، فسَجَنَهُ فِي دارِ الحِجَارَةِ، ثمَ أَجابَ بَعْدَ فِاطِمَتِهِ.

[١] قالَ أحمدُ السُّلَمِيُّ فِي (مَحَنِ الصُّوفِيَّةِ): أحمدُ بنُ أَبِي الحَوَارِيِّ شَهِدَ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَنَّهُ يُفْضَلُ الأَوْلِيَاءِ عَلَى الأنبياءِ وَيَذَلُّوا الخُطُوطَ عَلَيْهِ، فَهَرَبَ مِنْ دِمَشقَ إِلَى مَكَّةَ، وَجَاوَرَ حَتَّى كَتَبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ، يَسْأَلُهُ أَن يَرْجِعَ فَرَجَعَ.

قلتُ: إنَّ صَحْبَ الحِكَايَةِ هَذَا مِنْ كَذِبِهِمْ عَلَى أحمدَ، وَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ أَن يَقُولَ ذَلِكَ. تَوَفَّى أحمدَ سَنَةٌ سِتٌّ وَأَرْبَعِينَ وَمِثْتَيْنِ.

٥٠٨ المَحَاسِبِيُّ (١)

[٢] الزَّاهِدُ العَارِفُ، شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ، أَبُو عَبْدِاللهِ، الحَارِثُ بنُ أَسَدِ البِقَادِيِّ المَحَاسِبِيِّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الزَّهْدِيَّةِ.

قالَ الخَطِيبُ: لَهُ كَتَبٌ كَثِيرَةٌ فِي الزَّهْدِ، وَأَصُولِ الدِّيَانَةِ، وَالرَّدِّ عَلَى المَعْتَرِزَةِ وَالرَّافِضَةِ.

[٣] وَعَنْ حَارِثٍ: قَالَ: جَوْهَرُ الإِنْسَانِ الفَضْلُ، وَجَوْهَرُ العَقْلِ التَّوْفِيقُ.

[٤] وَعَنْهُ: قَالَ: تَرَكْتُ الدُّنْيَا مَعَ ذِكْرِهَا صِفَةَ الزَّاهِدِينَ، وَتَرَكَهَا مَعَ نَسْيَانِهَا صِفَةَ العَارِفِينَ.

[٥] قلتُ: المَحَاسِبِيُّ كَبِيرُ القَدْرِ، وَقَدْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الكَلَامِ فَنُقِمَ عَلَيْهِ، وَوَرَدَ أَنَّ الإِمَامَ أحمدَ أَتَى عَلَى حَالِ الحَارِثِ مِنْ وَجْهِ، وَحَذَّرَ مِنْهُ.

[٦] قالَ سَعِيدُ بنُ عَمْرٍو البَرْدَعِيُّ: شَهِدْتُ أبا زُرْعَةَ الرَّازِي، وَسُئِلَ عَنِ المَحَاسِبِيِّ وَكُتِبَ، فَقَالَ: إِيَّاكَ وَهَذِهِ الكُتُبُ، هَذِهِ كَتَبَ بِدَعْوِ وَضَلالَاتٍ، عَلَيْكَ بِالأَثَرِ تَجِدُ غُنْيَةً، هَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ مالِكاَ وَالثَّوْرِيَّ وَالأَوْزَاعِيَّ صَنَفُوا فِي الخَطَرَاتِ وَالوَساوسِ؟ مَا

(١) انظر السير: ١١٢/١٢-١١٣.

أسرع الناس إلى البدع .
مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين .

٥٠٩ بُنْدَارُ (ع) (١)

[١] محمد بن بشار بن عثمان ، الإمام الحافظ راوية الإسلام ، أبو بكر العبدِيُّ البصريُّ بُنْدَارُ ، لُقِّبَ بذلك ، لأنه كان بُنْدَارَ الحديث في عصره ببلده ، والبُنْدَارُ : الحافظ .

وُلِدَ سنة سبعٍ ومئتين ومئة .

[٢] وجمع حديث البصرة ، ولم يرحل ، بَرَأً بِأَمِّه ، ثم رحل بعدها .

[٣] قال عبدُ الله بن جعفر بن خاقان المروزي : سمعتُ بُنْدَاراً يقول : أردتُ الخروجَ - يعني : الرحلة - فمَنَعَتْنِي أُمِّي ، فاطَعْتُهَا ، فَبُورِكَ لِي فِيهِ .

[٤] وقال ابنُ خُزَيْمَةَ : سمعتُ بُنْدَاراً يقولُ : ما جَلَسْتُ مجلسي هذا حتى حفظتُ جميع ما خَرَّجْتَهُ .

[٥] قال اسحاق بن إبراهيم القَرَازِي : كنا عند بُنْدَارِ ، فقال في حديثٍ عن عائشة : قال : قالت رسولُ الله ﷺ . فقال له رجلٌ يَسْخَرُ منه : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ ، ما أَفْصَحَكَ !! فقال : كُنَّا إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَوْحٍ دَخَلْنَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ، فقال : قد بان ذلك عليك .
مات سنة ثنتين وخمسين ومئتين .

٥١٠ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ (خ ، د) (٢)

[٦] الإمامُ الكبيرُ ، حَافِظُ زَمَانِهِ بِالْديَارِ المِصْرِيَّةِ ، أبو جعفر المِصْرِيُّ المعروف بابن الطبري . وُلِدَ بِمِصْرَ سنة سبعين ومئة .

[٧] ذكره النسائيُّ يوماً ، فرماه ، وأسَاءَ الثناءَ عليه .

(١) انظر السير: ١٢/١٤٤-١٤٩ .

(٢) انظر السير: ١٢/١٦٠-١٧٧ .

[١] قال ابن يونس : لم يكن عندنا بحمدِ الله كما قال النسائي ولم يكن له آفةٌ غير الكِبَرِ.

[٢] وقال عبدالكريم بن النسائي عن أبيه : أحمدُ بن صالح ليس بثقةٍ ولا مأمونٍ، تركه محمدُ بن يحيى، ورماه يحيى بن معين بالكذب.

[٣] قال ابن عدي : أحمدُ بن صالح من حُفَاطِ الحديث، وخاصةً لحديثِ الحجاز، ومن المشهورينَ بمعرفته، وحَدَّثَ عنه البخاريُّ مع شِدَّةِ استقصائه ومحمدُ بن يحيى، واعتمادهما عليه في كثيرٍ من حديثِ الحجاز، وحَدَّثَ عنه مَنْ حَدَّثَ من الثقات، واعتمده حَفَظًا وإتقانًا. وكلام ابن مَعِين فيه تحاملٌ. وأما سُوهُ ثناء النسائي عليه، فسمعتُ محمدَ بن هارون بن حسان البَرقي يقولُ : هذا الخراسانيُّ يتكلمُ في أحمدَ بن صالح. وحضرتُ مجلسَ أحمدَ بن صالح، وطردهُ من مجلسه، فحمَلهُ ذلك على أن تكلمَ فيه قال: وهذا أحمدُ بن حنبلٍ قد أثنى عليه، فالقولُ ما قاله أحمدُ لا ما قاله غيره. ولولا أني شرطتُ في كتابي هذا أن أذكر فيه كُلَّ من تكلمَ فيه متكلمٌ لكننتُ أجلُ أحمدَ بن صالح أن أذكره.

[٤] قال الخطيب: بلغني أن أحمدَ بن صالح كان لا يُحَدِّثُ إلا ذا لحيَةٍ ولا يتركُ أمرَدَ يحضُرُ مجلسه. فلما حمل أبو داود السجستاني إليه ابنه ليسمع منه - وكان إذ ذاك أمرَدٌ أنكر أحمدُ بنُ صالح على أبي داود إحضاره. فقال له أبو داود: هو - وإن كان أمرَدٌ - أحفظُ من أصحاب اللُحى، فامتحنه بما أردت. فسأله عن أشياء أجابه ابنُ أبي داود عن جميعها، فحدّثه حينئذٍ ولم يُحدِّثْ أمرَدَ غيره.

[٥] وقال ابن عدي: سمعتُ عبدالله بن محمد بن سلَمَ المقدسي يقولُ: قدمتُ مصر فبدأت بحرملة، فكتبت عنه كتابَ عمرو بن الحارث، ويونس ابن يزيد والفوائد، ثم ذهبتُ إلى أحمدَ بن صالح فلم يُحدِّثني، فحملتُ كتابَ يونس، فخرقته بين يديه، - أرضيه بذلك وليتني لم أخرقه - فلم يرض، ولم يُحدِّثني.

قلتُ: نعوذ بالله من هذه الأخلاق. صدق أبو سعيد بن يونس حيث يقولُ: لم يكن له آفةٌ غير الكِبَرِ، فلو قُدِّح في عدالته بذلك، فإنه إنمٌ كبير.

[١] مات أحمد بن صالح سنة ثمان وأربعين ومئتين وقد كان أحمد بن صالح من جلة المقرئين .

قال أبو عمرو الداني : أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن ورش ، وقالون وروى حروف عاصم عن حرمي بن عمارة .

[٢] قال أبو داود : سألت أحمد بن صالح عن قال : القرآن كلام الله ، ولا يقول : مخلوق ، ولا غير مخلوق . فقال : هذا شك والشاك كافر .

قلت : بل هذا ساكت . ومن سكت تورعاً لا يسب إليه قول ، ومن سكت شاكاً مزيئاً على السلف ، فهذا مبتدع .

[٣] وقال محمد بن موسى المصري : سألت أحمد بن صالح ، فقلت : إن قولاً يقولون : إن لفظنا بالقرآن غير المملووظ ، فقال : لفظنا بالقرآن هو المملووظ ، والحكاية

هي المحكي ، وهو كلام الله غير مخلوق ، من قال : لفظي به مخلوق فهو كافر .

قلت : إن قال لفظي ، وعنى به القرآن ، فنعم ، وإن قال لفظي وقصد به تلفظي وصوتي وفعلي أنه مخلوق ، فهذا مصيب ، فأنه تعالى خالقنا ، وخالق أفعالنا وأدواتنا ، ولكن الكف عن هذا هو السنة ، ويكفي المرء أن يؤمن بأن القرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله على قلب نبيه وأنه غير مخلوق ، ومعلوم عند كل ذي ذهن سليم أن الجماعة إذا قرؤوا السورة ، أنهم جميعهم قرؤوا شيئاً واحداً ، وأن أصواتهم وقراءاتهم وحاجرتهم أشياء مختلفة ، فالمقروء كلام ربهم ، وقراءتهم وتلفظهم ونغماتهم متباينة ، ومن لم يتصور الفرق بين التلفظ وبين المملووظ ، فدعه وأعرض عنه .

٥١١ محمد بن أسلم^(١)

[٤] ابن سالم ، الإمام الحافظ الرباني ، شيخ الإسلام ، أبو الحسن الكندي

الخراساني الطوسي .

(١) انظر السير : ١٢ / ١٩٥ - ٢٠٧ .

مولده في حدود الثمانين ومئة .

[١] قال أبو عبد الله الحاكم : كان من الأبدالِ المُتَّبِعِينَ للأثر .
[٢] قال فيه محمد بن رافع : دخلتُ على محمد بن أسلم ، فما شَبَّهْتُهُ إلا بأصحاب رسول الله ﷺ .

[٣] قال الحاكم : قام محمد بن أسلم مقامَ وكيع ، وأفضل من مقامه لزهده وورعه وتبَّعِهِ للأثر .

[٤] قال محمد بن القاسم : وسمعتُ أبا يعقوب المَرُوزِي ببغداد ، وقلتُ له : قد صَحِّبْتُ محمد بنَ أسلم ، وأحمد بن حنبل ، أيهما كان أرجحَ وأكبرَ وأبصرَ بالدين ؟ فقال يا أبا عبد الله : لِمَ تقولُ هذا؟ إذا ذكرتُ محمدًا في أربعة أشياء ، فلا تَقْرُنْ معه أحدًا : البصر بالدين ، وأتباع الأثر ، والزُّهد في الدنيا ، وفصاحته بالقرآن والنحو ، ثم قال لي : نظر أحمد في كتاب «الرد على الجهمية» لابن أسلم ، فتعجب منه .

[٥] قال محمد بن القاسم : ودخلتُ على ابن أسلم قبل موته بأربعة أيامٍ بنيسابور ، فقال : يا أبا عبد الله ، تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير ، قد نزل بي الموت ، وقد منَّ الله عليَّ أنه مالي درهمٌ يُحاسبني الله عليه ، ثم قال : أغلق الباب ولا تأذن لأحدٍ حتى أموتَ وتدفنون كُتبي . واعلم أني أخرجُ من الدنيا وليس أدعُ ميراثًا غير كسائي ولبيدي وإثائي الذي أتوضأ فيه وكتبي هذه ، فلا تُكَلِّفُوا الناس مؤنة . وكان معه صرةٌ فيها نحو ثلاثين درهماً ، فقال : هذا لابني أهداه قريبٌ له ، ولا أعلم شيئاً أحلُّ لي منه ، لأنَّ النبي ﷺ ، قال : «أنتَ ومالكُ لأبيك» . وقال : «أطيب ما أكلَ الرَّجُلُ من كسبه ، وإنَّ ولدهُ من كسبه» . فكفونوني منها . فإن أصبتم لي بعشرة ما يستر عورتِي فلا تشتروا بخمسة عشرَ وأبسطوا على جنازتي لبيدي ، وغطوا عليها كسائي وأعطوا إثائي مسكيناً .

[٦] صحَّبتُ محمد بنَ أسلم أكثر من عشرين سنةً لم أره يُصَلِّي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة . وسمعتُهُ كذا وكذا مرةً يحلف : لو قدرتُ أن أتطوع حيث لا يراني ملكائي لفعلتُ خروفاً من الرياء . وكان يدخل بيتاً له ، ويُغلقُ بابه ، ولم

أخر ما يصنع حتى سمعتُ ابناً له صغيراً يحكي بكاءه، فنهته أمه، فقلتُ لها: ما هذا؟ قالت: إنَّ أبا الحسن يدخُلُ هذا البيت، فيقرأ ويبكي، فيسمعه الصبي، فيحكىه، وكان إذا أراد أن يخرج، غسل وجهه، واكتحل، فلا يرى عليه أثر البكاء، وكان يصلُّ قوماً ويكسوهم، ويقولُ للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه.

[١] ولا أعلم منذ صحبته وصلَّ أحداً بأقل من مئة درهم إلا أن لا يُمكنه ذلك. وكان يقولُ لي: اشتري لي شعيراً أسود، فإنه بصيرٌ إلى الكنيف، ولا تشتري لي إلا ما يكفيني يوماً بيوم، واشتريتُ له مرةً شعيراً أبيض، ونقيته، وطحنته فرأه، فتغير لونه، وقال: إن كنتِ تتوفت فيهِ، فأطعمه نفسك، لعل لك عند الله أعمالاً تحتمل أن تطعمَ نفسك النقي، وأما أنا، فقد سيرتُ في الأرض، ودرتُ فيها، فبالله ما رأيتُ نفساً تُصلي أشراً عندي من نفسي فبِمَ أحتجُّ عند الله إن أطعمتها النقي؟! خذ هذا الطعام، واشتر لي كل يوم بقطعة شعير رديئاً، واشتر لي زحى فجثني به حتى أطحن بيدي وأكله، لعلني أبلغ ما كان فيه عليُّ وفاطمة رضي الله عنهما.

[٢] محمد بن العباس السلطي: سمعتُ ابن أسلم يُشيد:

إِنَّ الطَّيِّبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَقْدُورِ أَنِّي
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِي مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى
هَلَكَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي جَلَبَ الذَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَى

مات محمد بن أسلم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بينسابور.

[٣] الحاكم: سمعتُ أبا النضر الفقيه، سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الغنبري يقول: كنتُ بمصر، وأنا أكتبُ بالليل كُتُبَ ابنِ وهبٍ، وذلك لخمسة بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين، فهتف بي هاتف، يا إبراهيم مات العبدُ الصالح محمد بن أسلم، فتعجبت من ذلك، وكتبته على ظهر كتابي، فإذا به قد مات في تلك الساعة.

[١] ابن داود الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام، أبو جعفر الطوسي ثم البغدادي العابد.

[٢] قال أبو حفص بن شاهين: حدثنا أحمد بن محمد المؤذن، سمعت محمد بن منصور الطوسي، وحواليه قوم، فقالوا: يا أبا جعفر، أيش اليوم عندك، قد شك الناس فيه؟ أيوم عرفة هو أو غيره؟ فقال: اصبروا، فدخل البيت ثم خرج، فقال: هو يوم عرفة، فاستحيوا أن يقولوا له: من أين ذلك فعُدوا الأيام فكان كما قال. فسمعت أبا بكر بن سلام الوراق يقول له: من أين علمت؟ قال: دخلت، فسألت ربي فأراني الناس في الموقف!

قلت: لا أعرف هذا المؤذن، ولم يبعد وقوع هذا لمثل هذا الولي ولكن الشأن في ثبوت ذلك.

[٣] قال الحافظ أبو سعيد النقاش في كتاب «طبقات الصوفية»: محمد بن منصور الطوسي أستاذ أبي سعيد الخزاز، وأبي العباس بن مسروق كتب الحديث الكثير، ورواه.

قلت: متى رأيت الصوفي مكباً على الحديث فثق به، ومتى رأيت نائياً عن الحديث، فلا تفرح به، لا سيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث عكوف على ترهات الصوفية، ورموز الباطنية، نسأل الله السلامة، كما قال ابن المبارك: وهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمَلُوكُ وَأَحْبَارُ سَوَاءٍ وَرُهْبَانُهَا [٤] وعن محمد بن منصور، أنه سُئِلَ: إِذَا أَكَلْتُ وَشَبِعْتُ فَمَا شَكَرْتُ تِلْكَ النِّعْمَةَ؟ قَالَ: أَنْ تُصَلِّيَ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي جَوْفِكَ مِنْهُ شَيْءٌ.

[٥] قال الحسين بن مُصْعَب: حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: مُرني بشيء حتى أَلْزَمَهُ قَالَ: عَلَيْكَ بِالْيَقِينِ.

[٦] وعنه قال: يُعْرِفُ الْجَاهِلُ بِالْغَضَبِ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، وَإِفْشَاءَ السُّرِّ وَالثَّقَةَ بِكُلِّ

(١) انظر السير: ١٢/٢١٢-٢١٤.

أحد، والعظة في غير موضعها.

مات رحمه الله سنة أربع وخمسين ومئتين، وعاش ثمانياً وثمانين سنة.

٥١٣ محمد بن رافع (خ، م، د، س، ت)^(١)

[١] ابن أبي زيد، واسمه سابور، الإمام الحافظ الحجّة القدوة، بقية الأعلام، أبو عبدالله القشيري مولا هم النيسابوري.

وُلِدَ سنة ثَيف وسبعين ومئة في أيام مالك الإمام. وسمع مالا يُوصف كثرةً، وجمع، وصنّف.

[٢] قال الحاكم: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب، سمعتُ أبا عمرو المستملي، سمعتُ محمد بن رافع يقول: كنتُ مع أحمد بن حنبل وإسحاق عند عبد الرزاق، فجاءنا يوم الفطر، فخرجنا مع عبد الرزاق إلى المصلّى، ومعنا ناسٌ كثير فلما رجعنا من المصلّى، دعانا عبد الرزاق إلى الغداء، فجعلنا نتغذى معه، فقال لأحمد وإسحاق: رأيتُ اليوم منكما شيئاً عجبياً، لم تُكَبِّر!! قالوا: يا أبا بكر، نحنُ ننظر إليك هل تُكَبِّر، فلما رأيناك لم تكبر أمسكنا. قال: وأنا كنتُ أنظر إليكما هل تكبران فأكَبِّر.

[٣] قال جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ: ما رأيتُ من المُحدّثين أهيبَ من محمد ابن رافع، كان يستندُ إلى الشجرة الصنوبر في داره، فيجلسُ العلماءُ بين يديه على مراتبهم، وأولادُ الطاهرية ومعهم الخدم، كأنَّ على رؤوسهم الطير. فيأخذُ الكتابَ ويقرأ بنفسه ولا يتعلّقُ أحد، ولا يتبسّمُ إجلالاً له، وإذا تبسّمَ واحدٌ أو راطنٌ صاحبه، قال: وصلى الله على محمد ويأخذُ الكتابَ، فلا يقدرُ أحدٌ يُراجِعُه أو يشيرُ بيده. ولقد تبسّمَ خادمٌ من خدم الطاهرية يوماً، فقطع ابنُ رافعٍ مجلسه، فانتهى الخبرُ بذلك إلى طاهر بن عبدالله، فأمر بقتل الخادم، حتى احتلنا لخلاصه.

[٤] قال زكريا بن ذُؤويه: بعثَ طاهر بن عبدالله إلى ابنِ رافعٍ بخمسةِ آلاف درهم

(١) انظر السير: ١٢/٢١٤-٢٢١.

مع رسول، فدخل عليه بعد العصر، وهو يأكل الخبز مع الفجل فوضع الكيس، فقال: بعث الأمير إليك بهذا المال. فقال: خذْ خذْ لا احتاجُ إليه، فإنَّ الشمس قد بلغت رأسَ الحيطان إنما تغربُ بعد ساعة وقد جاوزتُ الثمانين إلى متى أعيش؟ فردَّ (١).

قال: فدخل ابنه، وقال: يا أبة، ليس لنا الليلة خيرٌ. قال: فبعث ببعض أصحابه خلف الرسول ليردَّ المالَ إلى طاهر فرعاً من ابنه أن يذهب خلفه، فيأخذ المال.

[١] محمد بن رافع، سمعتُ عبد الرزاق، سمعتُ معمرًا يقول: رأيتُ باليمن عنقودَ عنبٍ وقُرَّ (٢) بغلٍ تام.

مات محمد بن رافع سنة خمسٍ وأربعين ومئتين.

[٢] محمد بن نعيم يقول: رأيتُ محمد بن رافع في المنام بعد موته بثلاثٍ في حجره مُصْحَفٌ يقرأ، فقلتُ له: أليس قد مُتَّ؟ فنظر إلي نظرةً منكراً. فقلتُ: سألتُك بالله إلا ما حدثتني، ما فعل بك ربك؟ قال: بشرني بالروح والراحة.

٥١٤ الدارمي (م، د، ت) (٣)

[٣] عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، الحافظ الإمام، أحد الأعلام.

وقال إسحاق بن داود السمرقندي: قدِمَ قريبٌ لي من الشام، فقال: أتيتُ أحمد ابن حنبل، فجعلتُ أصِفُّ له أبا المنذر، وجعلتُ أمدِّحُه، فقال: لا أعرفُ هذا، فقد طالَت غيبةُ إخواننا عنا، لكن أين أنت عن عبد الله بن عبد الرحمن؟ عليك بذاك السيد.

وقال أبو بكر الخطيب: كان أحدَ الرِّحَالين في الحديث، والموصوفين بحفظه وجمعه والإتقان له، مع الثقة والصدق، والورع والزهد، واستقضي على سمرقند،

(١) أي رجع.

(٢) بكسر الواو، وسكون القاف: الجنبُ الثقيل.

(٣) انظر السير: ٢٢٤/١٢-٢٣٢.

فأبى، فألح السلطان عليه حتى يُقَلِّدَه، وقضى قضية واحدة ثم استعفى، فأعفى، وكان على غاية العقل، ونهاية الفضل، يُضرب به المثل في الدَيَانَةِ والجِلمِ والرزانة، والاجتهاد، والعبادة، والزهادة والتقلُّل. وصنَّف «المُسند» و«التفسير» و«الجامع».

قال إسحاقُ بن إبراهيم الورَّاق: سمعتُ عبدَ الله بن عبد الرحمن يقول: ولدتُ في سنة ماتَ ابنُ المبارك، سنة إحدى وثمانين ومئة.

مات في سنة خمس وخمسين ومئتين. وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة.

[١] قال إسحاقُ بن أحمد بن خلف: كنا عند محمد بن اسماعيل البخاري فورد عليه كتابُ فيه نَبِيُّ عبدِ الله بن عبد الرحمن، فَنكَّس رأسه، ثم رفع واسترجع، وجعل نسيلاً دموعه على خَدَّيه، ثم أنشأ يقول:

إِنْ تَبَّقَ نَفَجَجَ بِالْأَجْبَةِ كُلُّهُمْ وَفَنَاءَ نَفْسِكَ لَا أَبَا لَكَ أَفْجَعُ

[٢] ومن حديثه: عبدُ الله الدارمي، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال: «نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ».

هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ فردٌّ على شرط الشيخين، وانفرد مسلم به ورواه أيضاً أبو عيسى في «جامعه» كلاهما عن أبي محمد الدارمي.

وقد كان الدارميُّ يُقصد في رواية هذا الحديث لتفردَه به، قال: فكان يُدقُّ عليَّ البابُ وأنا يبغداد، فأقول: مَنْ ذا؟ فيقال: يحيى بن حسان: «نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ».

٥١٥ المازني^(١)

[٣] إمامُ العربية، أبو عثمان، بكرُ بن محمد بن عدي، البصريُّ، صاحبُ «التصريف» والتصانيف.

[٤] قال المُبرِّد: لم يكن أحدٌ بعد سيبويه أعلمَ بالنحو من المازني، قال: وذكر لنا

(١) انظر السير: ٢٧٠/١٢-٢٧٢.

المازنيُّ أن رجلاً قرأ عليه «كتاب» سيويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال: أما إنني ما فهمتُ منه حرفاً، وأما أنت فجزاك الله خيراً.

وقال المازنيُّ: قرأتُ القرآن على يعقوب، فلما ختمتُ رمى إليَّ بخاتمه، وقال: خذْه، ليس لك مثْل.

[١] وقيل: كان المازنيُّ ذا ورع ودين، وبلغنا أن يهودياً حصل النحو فجاء ليقرا على المازني «كتاب» سيويه، فبذل له مئة دينار، فامتنع وقال: هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مئة آية ونيف، فلا أمكن منهما ذمياً.

قال القاضي بكار بن قتيبة: ما رأيتُ نحويًّا يشبه الفقهاء، إلا حبان بن هلال والمازني.

[٢] وعن المازنيِّ قال: قلتُ لابن السُّكَيْتِ: ما وزن «نُكْتَل» قال: «نفعل». قلتُ: أتتد، ففكر، وقال: «نفتعل» قلتُ: فهذه خمسة أحرف - فسكت فقال المُتَوَكِّلُ: ما وزنها؟ قلتُ: وزنها في الأصل «نفتعل»، لأنها «نكتيل» فتحرك حرفُ العلة، وانفتح ما قبله فقلب ألفاً، فصار نكتال، فحذفت ألفه للحزم، فبقي «نكتل».

مات المازنيُّ سنة سبع أو ثمان وأربعين ومئتين.

٥١٦ الذُّهْلِيُّ وابْنُهُ (خ، ٤) (١)

[١] محمد بن يحيى بن عبدالله، الإمام العلامة الحافظ البارِع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبدالله الذُّهْلِيُّ مولا هم، النيسابوري.

مولده سنة بضع وسبعين ومئة.

جَمَعَ عِلْمَ الزُّهْرِيِّ، وصنّفه، وجوّدَه، من أجل ذلك يُقال له: الزُّهْرِيُّ ويقال له: الذُّهْلِيُّ. وانتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسُّؤدّد ببلده، كانت له جلالَةٌ عجيبةٌ بنيسابور، من نوع جلالَةِ الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة.

[٢] روى عنه خلائق، منهم محمد بن إسماعيل البخاري، وتُدلّسه كثيراً، لا يقول: محمد بن يحيى، بل يقول: محمد فقط، أو محمد بن خالد أو محمد بن عبدالله ينسبه إلى الجدِّ، ويُعمّي اسمه لمكانِ الواقع بينهما، غفر الله لهما.

وأكثر عنه مسلم، ثم فسد ما بينهما، فامتنع من الرواية عنه فما ضَرَّهُ ذلك عند الله.

قال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبي البرقي، وقال: ثقة. ثم قال عبد الرحمن: هو إمامٌ من أئمة المسلمين.

وكان أحمد بن حنبل يُثني عليه، وينشُرُ فضله.

[٣] وقال محمد بن صالح بن هانيء: سمعتُ محمد بن النضر الجارودي يقول: بلغني أن محمد بن يحيى كان يكتب في مجلس يحيى بن يحيى، فنظر علي بن سلمة اللُّبَيْيُّ إلى حُسنِ حَظِّه وتَقْييده، فقال: يا بُني، ألا أنصحُك؟ إن أبا زكريا يُحدثك عن سُفيان بن عُيينَةَ وهو حيٌّ، وعن وكيع وهو حيٌّ بالكوفة وعن يحيى بن سعيد وجماعةٍ أحياء بالبصرة، وعن عبد الرحمن بن مهدي وهو حيٌّ بأصبهان،

(١) انظر السير: ٢٧٣/١٢-٢٨٥.

فاخرج في طلب العلم، ولا تَضَيِّعْ أَيْمَانَكَ . فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان فسمع من عبدالرحمن بن مهدي، والحسين بن حفص ثم دخل البصرة وقد مات يحيى، فكتب عن أبي داود وأقرانه، وأكثر بها المقام، حتى مات سفيان بن عيينة . قلت: ما كان يُمَكِّنُهُ لِقَائِهِ، فَإِنَّ سَفِيَانَ مَاتَ فِي وَسْطِ السَّنَةِ وَلَا كَانَ يُمَكِّنُهُ الْمَسِيرُ إِلَى مَكَّةَ إِلَّا مَعَ الْوَفْدِ، وَأَمَّا وَكَيْعَ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ الذَّهْلِيُّ مِنْ بَلَدِهِ .

قال: فخرج إلى اليمن، وأكثر عن عبدالرزاق وأقرانه، ثم رجع وحج، وذهب إلى مصر ثم الشام . وبارك الله له في علمه حتى صار إمام عصره .

[١] قال أبو عمرو أحمد بن نصر الحَقْفَافُ: رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَّرَ لِي، قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ بِحَدِيثِكَ؟ قَالَ: كُتِبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ، وَرَفَعَ فِي عِلِّيِّينَ .

[٢] قال أبو العباس الأزهري: سمعت خادمة محمد بن يحيى، وهو على السرير يُغَسَّلُ، تقول: خَدَمْتَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكُنْتُ أَضْعُ لَه الْمَاءَ، فَمَا رَأَيْتُ سَاقَهُ قَطُّ، وَأَنَا مَلِكٌ لَهُ .

[٣] قال الحاكم: سمعت أبا علي محمد بن أحمد بن زيد المَعْدِلُ يقول: سمعت يحيى بن الذهلي يقول: دخلتُ على أبي في الصَّيْفِ الصَّائِفِ وَقَتَ الْفَائِئِلَةِ وَهُوَ فِي بَيْتِ كَتَبِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ السَّرَاجُ، وَهُوَ يُصَنِّفُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَةَ هَذَا وَقَتَ الصَّلَاةِ، وَدُخَانَ هَذَا السَّرَاجِ بِالنَّهَارِ، فَلَوْ نَفَسْتِ عَنْ نَفْسِكَ قَالَ: يَا بُنَيَّ، تَقُولُ لِي هَذَا، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ!!

[٤] وقال الحسين بن محمد الفقيه: سمعت محمد بن يحيى يقول: تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى عَالِمٍ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ، قَالَ: لِأَوْجِزَنَّ لَكَ، أَمَّا لِأَخِرَتِكَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: قُلْ لِقَوْمِكَ: لَوْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ فِي بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ السَّائِسَةِ لَأَوْصَلْتُ إِلَيْهِ الْخَرَابَ، وَأَمَّا لَدُنْيَاكَ: فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ:

[٥] مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا وَكَيْفَ مَا انْقَلَبْتَ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا يُعْظَمُونَ أَمَّا الدُّنْيَا فَإِنَّ وَثَبَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي إمام عصره، أسكنه الله جنّته مع محبوبه.

مات في سنة ثمان وخمسين ومئتين، عاش ستاً وثمانين سنة.

وخلّفه في مشيخة البلد ولده حيكان، واسمه:

٥١٧ يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي (ق)^(١)

[١] الحافظ المجود الشهيد، أبو زكريا.

قال الحاكم: هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابن إمامها، أمير المطوعة بخراسان بلا مدافعة، يعني: الغزاة. قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكل منهما صومعة وأثار لعبادتهما، والسكّة والمسجد منسوبان إلى حيكان.

[٢] قتله أحمد بن عبدالله الخجستاني ظملاً سنة سبع وستين ومئتين، لكونه قام عليه، وحاربه لاعتدائه وعسفه.

قال الحاكم: سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق، سمعت نوح بن أحمد سمعت أحمد بن عبدالله الخجستاني يقول: دخلت على حيكان في محبسه الذي كنت حبسته فيه على أن أضربه خشبان، وأخلي سبيله، وما كنت عازماً على قتله، فلما قربت منه، مددت يدي إلى لحيته، فقبضت عليها فقبض على خصيي، حتى لم أشك أنه قاتلي، فذكرت سكيناً في خفي، فجرّدت السكين، وشققت بطنه.

[٣] سمعت أبا الفضل الحسن بن يعقوب العدل، سمعت أبا عمر المستملي يقول: رأيت يحيى بن محمد رضي الله عنه في المنام، فقلت: ما فعل الله بك، قال: غفر لي. قلت: فما فعل الخجستاني؟ قال: هو في تابوت من نار، والمفتاح بيدي.

[٤] وقال أبو إسحاق المرّكي: حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمد ابن يحيى الذهلي وابنه يحيى اختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر: اجعل بيننا

(١) انظر السير: ١٢/٢٨٥-٢٩٤.

حكماً، فرضياً بآبِنِ حُزَيْمَةَ، ففُضِيَ لِيَحْيَى عَلَى أَبِيهِ.

[١] وقال أبو العباس السَّراج: كان يحيى بن محمد أخرجه الغزاة وجماعة من أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، وأركبوه دابة، وألبسوه سيفاً. قال المُرزُقي: بلغني أنه كان سيفَ خشبٍ. وقاتلوا سلطان نيسابور، يقال له أحمد بن عبد الله، خارجي، غلب على البلد، وكان ظالماً غاشماً وكان الناس أو أكثرهم مجتمعين عليه مع يحيى، فكانت الدُّبيرة على العامة وهرب يحيى إلى رُستاق، يقال له: بُست فذل عليه أحمد بن عبد الله وجيء به، فقال: إن عامة من كان مع يحيى من الرؤساء، انقلبوا عليه لَمَّا واقفه أحمد، وقال: ألم أحسن إليك؟ ألم أفعل، ألم أفعل؟ وكان يحيى فوقَ جميع أهل البلد. فقال: أكرهتُ على ذلك واجتمعوا علي، قال: فردُّ عليه الجماعة، أو من حضر منهم، وقالوا: ليس كما قال. فأخذه أحمد فقتله، يقال: إنه بنى عليه. قال: وقال إنه أمر بجرِّ خُصِيَّته حتى مات.

قال الحاكم: سمعتُ أبا عبد الله بن الأخرم يقول: ما رأيتُ مثل حَيَّكان، لارحم الله قاتله.

٥١٨ حجاج بن يوسف (م، د) (١)

[٢] ابن حجاج، أبو محمد بن الشاعر أبي يعقوب الثقفي البغدادي الحافظ فأما أبوه فَلَقَّبَهُ لِقُوَّة، من تلامذة أبي نُوَاس وأصحابه.

نشأ حجاج ببغداد، وطلب العلم.

قال ابن أبي حاتم: ثقة حافظ.

[٣] قال صالح جَزْزَةَ: سمعتُ حجاج بن الشاعر يقول: جَمَعْتُ لِي أُمَّي مِئَةَ رَغِيفٍ، فجعلتها في جِرَابٍ، وانحدرتُ إلى شِبابَةٍ بالمَدائن، فأقمتُ ببابه مِئَةَ يَوْمٍ، أغمِسُ الرغيف في دِجْلَةٍ وأكُلُهُ، فلما نفذت خرجتُ.

توفي سنة تسع وخمسين.

(١) انظر السير: ٣٠١/١٢-٣٠٢.

٥١٩ المَرَارُ بْنُ حَمَوَةَ (ق) (١)

[١] ابن منصور، الإمام الفقيه الحافظ، شيخ هَمْدَانَ، أبو أحمد الثقفي الهَمْدَانِي. ولِدٌ بعد التسعين ومئة.

فضلان بن صالح قال: قلت لأبي زُرْعَةَ الرازي: أنت أحفظ أم المرار؟ فقال: أنا أحفظ، وهو أفقه.

[٢] وقال عبدالله أحمد بن الذَّحِيمِي: سمعت المرار يقول: اللهم ارزقني الشهادة، وأمرٌ يده على خلقه. وقيل: لما وقعت فتنة المعتز والمعتز كان على هَمْدَانَ الأميران جَبَّاحٌ وَجُفْلَانٌ من قِبَلِ المعتز، فاستشار أهل هَمْدَانَ المرار والجرجاني في محاربتهم، فأمرهم بلزوم منازلهم، فلما أغار أصحابهما على دار سلمة بن سهل وغيرها، ورموا رجلاً بهم، أفتياهم في الحرب، وتقلد المرار سيفاً، فخرج معهم، فقتل عددٌ كثيرٌ من الفريقين، ثم طلب مُفْلِحُ المرار، فاعتصم بأهل قَمَ، وهرب معه إبراهيم بن مسعود المحدث. فأما إبراهيم فهازلهم وقاربهم فسليم، وأما المرار، فأظهر مخالفتهم في التشيع، وكاشفهم، فأوقعوا به وقتلوه، رحمه الله.

وروى الحسين بن صالح أن عمه المرار قُتِلَ في سنة أربع وخمسين ومئتين. وله أربع وخمسون سنة. قال صالح بن أحمد التميمي قُتِلَ المرار في السنة شهيداً. قلت: كان من أئمة الإسلام.

٥٢٠ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ (ق) (١)

[٣] العلامة الحافظ النَّسَّابِي، قاضي مكة وعالمها، أبو عبدالله بن أبي بكر بَكَّارُ بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري المدني المكي.

مولده في سنة اثنتين وسبعين ومئة.

(١) انظر السير: ٣١١/١٢-٣١١.

(٢) انظر السير: ٣١١/١٢-٣١٥.

وهو مُصنَّف كتاب «نسب قریش»، وهو كتابٌ كبيرٌ نفيسٌ .
وقال الدارقطني : ثقةٌ .

روى محمدُ بن عبد الملك التاريخي ، قال : أنشدني ابنُ أبي طاهر لنفسه في الزبير بن بكار :

[١] ما قال «لاه» إلا في تشهده ولا جرى لفظه إلا على «نعم»

بين الخواري والصدّيقِ نسبه وقد جرى ورسول الله في رحم

[٢] الزبير بن بكار، قال : قالت بنتُ أخي لاهلنا : خالي خيرُ رجلٍ لأهله ، لا يتخذُ

ضرةً وسرّةً ، قال : تقول المرأة : والله هذه الكتبُ أشدُّ عليّ من ثلاثِ ضرائر .

[٣] قال محمدُ بن إسحاق الصيرفي : سألتُ الزبير : منذ كم زوجتكَ معك؟ قال :

لا تسألني ، ليس ترد القيامةُ أكثرَ كِباشاً منها ، ضحيّت عنها سبعين كِباشاً .

[٤] وقال أحمدُ بن علي السليمانى الحافظ : منكر الحديث . كذا قال ولا يدري ما

ينطق به .

توفي الزبيرُ سنة ست وخمسين ومئتين بمكة . وقد بلغ أربعاً وثمانين سنة .

[٥] وكان سبُّ وفاته أنه وقع من فوق سطحه ، فمكث يومين لا يتكلّم ومات ،

انكسرت ترقوتهُ ووركهُ .

٥٢١ عبدُ الله بن منير (خ ، ت ، س) (١)

[٦] لإمام القدوة الوليُّ الحافظُ الحجّة ، أبو عبد الرحمن المروزي .

وقال الفرّيزي : سمعت بعض أصحابنا يقول : سمعتُ البخاري يقول : لم أر مثل

عبدِ الله بن منير .

قال الفرّيزي : كان يسكنُ فرّير ، وبها توفي سنة إحدى وأربعين ومئتين .

[٧] قال يعقوب بن إسحاق بن محمود : سمعتُ يحيى بن بدر القرشي يقول : كان

عبدُ الله بن منير قبل الصلاة ، يكون بفرّير ، فإذا كان وقتُ الصلاة يرونه في مسجد

(١) انظر السير : ٣١٦/١٢ - ٣١٧ .

أمل، فكانوا يقولون: إنه يمشي على الماء. فقبل له في ذلك، فقال: أما المشي على الماء فلا أدري، ولكن إذا أراد الله جمع حافتي النهر، حتى يعبر الإنسان. [١] قال: وكان إذا قام من المجلس خرج إلى البرية مع قوم من أصحابه، يجمع شيئاً مثل الأشنان وغيره، يبيعه في السوق، ويعيش منه. فخرج يوماً مع أصحابه، فإذا هو بالأسد رابض فقال لأصحابه: قفوا. وتقدم هو إلى الأسد، فلا ندري ما قال له فقام الأسد، فذهب.

[٢] وسئل ابن راهويه: أيدخل الرجل المفازة بغير زاد؟ قال: إن كان مثل عبد الله بن منير، فنعم.

وقيل: كان ابن منير يعد من الأبدال.

٥٢٢ أحمد بن إسرائيل^(١)

[٣] ابن الحسين الأنباري الكاتب، وزير المعتز.

كان ذا مكانة عند المعتز، فاستوزره سنة اثنين وخمسين، فنهض بأعباء الأمر، وكان يضرب بذكائه المثل، لا يسمع شيئاً إلا حفظه. وكان إليه المنتهى في حساب الديوان.

[٤] وعنه قال: كنت أنسخ الكتاب، فلا أفرغه حتى أحفظه حرفاً حرفاً، فعلت ذلك مرات كثيرة.

وقد أحدث رسوماً وقواعد في الكتابة بقيت بعده، وترك ما قبلها.

[٥] قال الصولي: كانت وزارته دون ثلاث سنين، وقتله وصيف بالضرب في رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين.

٥٢٣ يعقوب بن إسحاق^(٢)

[٦] ابن الصباح، الكندي الأشعني الفيلسوف، صاحب الكتب، من ولد الأشعث ابن قيس، أمير العرب.

(٢) انظر السير: ١٢/٣٣٧.

(١) انظر السير: ١٢/٣٣٢-٣٣٣.

[١] كان رأساً في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك، لا يلحق شأوه في ذلك العلم المتروك، وله باع أطول في الهندسة والموسيقى .
 كان يُقال له: فيلسوف العرب، وكان مُتَهَمًا في دينه، بخيلاً ساقط المروءة، وله نظمٌ جيّدٌ وبلاغةٌ وتلامذة . همّ بأن يعمل شيئاً مثل القرآن، فبعد أيامٍ أذعن بالعجز .
 [٢] قال عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان: رأيتُه في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: ما هو إلا أن رأني، فقال ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكذَّبُونَ﴾ [المرسلات ٢٩].

٥٢٤ عبد الرحمن بن بشر (خ، م، د، ق) (١)

[٣] ابن الحكم المحدث الحافظ الجواد الثقة الإمام، أبو محمد بن الإمام أبي عبدالرحمن العبديّ النيسابوريّ . مولده بعد الثمانين ومئة .

[٤] واعتنى به أبوه، وارتحل به، ولقي الكبار، وطال عمره، وتفرّد .

[٥] وكان ابنُ بشرٍ موصوفاً بطيب الصوت . قال مكّي بن عبدان: كان عبدُ الله بنُ طاهر الأمير يحضّرُ بالليلِ منكرًا إلى مسجد عبدالرحمن ليسمع قراءته .

قال عبدالرحمن بن بشر: أقامني يحيى القطان في مجلسه، فقال: ما حدّثكم عني هذا الصبي فصّدّقوه، فإنه كَيِّسٌ .

قال أبو حامد بن الشَّرقي: سمعتُ عبدالرحمن يقول: احتلمتُ فدعا أبي عبد الرزاق وأصحاب الحديث الغرّاء فلما فرغوا من الطعام قال: اشهدوا أن ابني قد احتلم وهو ذا يسمع من عبدالرزاق، وقد سمع من سُفيان بن عُيينة .

قلت: هذا الإعلام إيلام للصبي، وتخجيلٌ له .

[٦] الحاكم: حدثنا محمد بن صالح بن هاني، سمعتُ أحمد بن سلمة يقول: بكَرت يوماً على عبدالرحمن بن بشر في تزويج أختِ امرأة مسلم بن الحجاج، فرأيتُه في المسجد، فقال: ما بكَرك اليوم؟ قلتُ: عبد الواحد الصفّار سألني أن

(١) انظر السير: ١٢/٣٤٠-٣٤٤ .

أجيبك لتزويج ابنته . فقال : ما حضرت تزويجاً قط إذا كان في وقت قولهم
للخاطب : قبلت هذا النكاح ولها من المهر عليك كذا وكذا . فإذا قال : نعم ، قلتُ
في نفسي : شقيت شقاء لا تسعد بعده أبداً .

(١) قال محمود بن والان : سمعتُ عبدالرحمن بن بشر ، سمعتُ ابن عيينة يقول :
غَضِبُ اللهُ دَاءً لا دَوَاءَ لَهُ .

قلت : دواؤه كثرة الاستغفار بالأسحار ، والتوبة النصوح .

مات عبدُ الرحمن بن بشر سنة ستين وميتين .

٥٢٥ زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَمِيرٍ (ق) (١)

[٢] الإمامُ الرِّبَانِيُّ المحدثُ الثَّيْبِيُّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، المروزي ، نزيل بغداد .

[٣] وقال الخطيبُ : كان ثقةً صادقاً ورعاً زاهداً ، انتقل في آخر عمره من بغداد إلى
طرُسُوس ، فربطَ بها إلى أن مات .

[٤] قال البغويُّ : ما رأيتُ بعدَ أحمدَ بنِ حنبلٍ أفضلَ منه ، سمعته يقولُ : أشتهي
لحمًا من أربعين سنةً ، ولا أكله حتى أدخل الرومَ ، فأكلُ من مغنم الروم .

[٥] وحدثني ولده محمد بن زهير ، قال : كان أبي يجمعنا في وقت ختمه للقرآن في
شهر رمضان في كلِّ يومٍ وليلة ثلاث مراتٍ يَحْتَمُّ تسعين ختمةً في رمضان .

مات رحمه الله في آخر سنة سبعٍ وخمسين وميتين .

قلتُ : ماتَ عن بضعٍ وسبعين سنةً .

يا حَبِذاً مَرُوماً أخرجتُ . من سادةِ في العِلْمِ والدينِ

٥٢٦ أحمدُ بنُ الأزهرِ (س ، ق) (٢)

[٦] ابنُ متيِّعِ الإمامِ الحافظِ الثَّيْبِيُّ ، أبو الأزهرِ ، العنيدِيُّ النيسابوريُّ ، محدثُ
خراسان في زمانه .

(٢) انظر السير : ١٢ / ٣٦٣ - ٣٦٩ .

(١) انظر السير : ١٢ / ٣٦٠ - ٣٦٢ .

وُلد بعد السبعين ومئة .

[١١] قال الحاكم : حدثنا أبو علي محمد بن علي بن عمر المُدَكَّر ، حدثنا أحمد بن الأزهر ، حدثنا عبدالرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال «نظر رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب ، فقال : أنت سيّد في الدنيا ، سيّد في الآخرة ، حبيبك حبيبي ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله . فالويل لمن أبغضك بقدي .»

قال الحاكم : حدّث به ابن الأزهر ببغداد في حياة أحمد وابن المديني وابن معين ، فإنكره من أنكره ، حتى تبيّن للجماعة أن أبا الأزهر بريء الساحة منه ، فإنّ محلّه محلّ الصادقين .

لما حدّث أبو الأزهر بحديثه عن عبدالرزاق في الفضائل ، أخبر يحيى بن معين بذلك ، فيينا هو عند يحيى في جماعة أهل الحديث ، إذ قال يحيى : من هذا الكذاب النيسابوري الذي حدّث بهذا عن عبدالرزاق؟ فقام أبو الأزهر ، فقال : هو ذا أنا . فتبسّم يحيى بن معين ، وقال : أما إنك لست بكذاب ، وتعجب من سلامته ، وقال : الذنب لغيرك فيه .

وسمعتُ أبا أحمد الحافظ يقول : سمعتُ أبا حامد بن الشرفي ، وسُئِلَ عن حديث أبي الأزهر عن عبدالرزاق في فضل عليّ ، فقال : هذا حديث باطل ثم قال : والسبب فيه أن معمرًا كان له ابن أخ رافضي ، وكان معمرٌ يُمكنه من كتبه ، فأدخل هذا عليه . وكان معمرٌ رجلاً مهيباً لا يقدر عليه أحدٌ في السؤال والمراجعة ، فسمعه عبدُ الرزاق في كتاب ابن أخي معمر .

قلت : ولتُشيع عبدُ الرزاق سرّاً بالحديث ، وكتبه ، وما راجع معمرًا فيه ، ولكنه ما جسّر أن يُحدّث به لمثل أحمد وابن معين وعليّ ، بل ولا خرجه في تصانيفه . وحدّث به وهو خائفٌ يترقب .

قال الحاكم : سمعتُ محمد بن حامد البزاز ، سمعتُ مكّي بن عبدان سمعتُ أبا الأزهر يقول : خرج عبدُ الرزاق إلى قريته ، فبكرتُ إليه يوماً حتى خَشِيتُ على

نفسى من البكور. قال: فوصلت إليه قبل أن يخرج لصلاة الصبح، فلما خرج رأني، فقال: كنت البارحة ها هنا؟ قلت: لا، ولكني خرجت في الليل، فأعجبه ذلك، فلما فرغ من صلاة الصبح دعاني، وقرأ عليّ هذا الحديث، وخصني به دون أصحابي.

مات أبو الأزهر سنة ثلاث وستين ومئتين.

٥٢٧ الرياشي (د) (١)

[١] عباس بن الفرج، العلامة الحافظ شيخ الأدب، أبو الفضل، الرياشي البصري النحوي، مولى محمد بن سليمان بن علي العباسي الأمير. وُلد بعد الثمانين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: قدم الرياشي بغداد، وحدث بها، وكان ثقة، وكان من الأدب وعلم النحو بمنحَل عال. كان يحفظ كتب أبي زيد وكتب الأصمعي كلها. وقرأ على أبي عثمان المازني وكتاب «سبويه فكان المازني يقول: قرأ عليّ الرياشي والكتاب» وهو أعلم به مني.

[٢] قال ابن دُرَيْد: قتلته الزنج بالبصرة سنة سبع وخمسين ومئتين.

[٣] وقال علي بن أبي أمية: لما كان من دخول الزنج البصرة ما كان وقتلهم بها من قتلوا، وذلك في شوال سنة سبع، بلغنا أنهم دخلوا على الرياشي المسجد بأسياهم، والرياشي قائم يُصلي الضحى، فصرّوه بالأسياف: وقالوا: هات المال، فجعل يقول: أي مال، أي مال؟ حتى مات. فلما خرجت الزنج عن البصرة، دخلناها، فمرونا ببني مازن الطحّانين - وهناك كان ينزل الرياشي - فدخلنا مسجده، فإذا به ملقى وهو مُستقبل القبلة كأنما وُجّه إليها، وإذا بِشَمْلَةٍ تحركها الريح وقد تمزقت، وإذا جميع خلفه صحيح سوي لم ينشق له بطن، ولم يتغير له حال، إلا أن جلده قد لصق بعظمه ويس، وذلك بعد مقتله بستين رحمه الله.

(١) انظر السير: ٣٧٢/١٢-٣٧٦.

[١] قلت: فتنة الزنج كانت عظيمة، وذلك أن بعض الشياطين الذميمة كان طرقياً أو مؤدباً، له نظرٌ في الشعر والأخبار، ويظهر من حاله الزندقة والمروق، ادعى أنه علوي، ودعا إلى نفسه، فالتفت عليه قطاع طريق، والغبيد السود من غلمان أهل البصرة، حتى صار في عدة وتحيلوا وحصلوا سيوفاً وعصيماً، ثم ثاروا على أطراف البلد. فبدعوا وقتلوا وقووا، وانضم إليهم كل مجرم، واستفحل الشرُّ بهم، فسار جيش من العراق لحربهم، فكسروا الجيش، وأخذوا البصرة، واستباحوها، واشتد الخطب، وصار قاتلهم الخبيث في جيش وأهبة كاملة، وعزم على أخذ بغداد، وبنى لنفسه مدينة عظيمة، وحرار الخليفة المعتمد في نفسه، ودام البلاء بهذا الخبيث المارق ثلاث عشرة سنة، وهابته الجيوش، وجرت معه ملاحم ووقعات يطول شرحها، قد ذكرها المؤرخون إلى أن قتل. فالزنج هم عبارة عن عبيد البصرة الذين ثاروا معه، لا بارك الله فيهم.

٥٢٨ أبو عبد الله البخاري (ت، س) (١)

[٢] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وهي لفظه بخارية، معناها الزراع.

أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسياً وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم.

[٣] محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك، شك البلخي، فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره.

[٤] محمد بن أبي حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشرين،

(١) انظر السير: ١٢/٣٩١، ٤٧١.

أو أقل، ثم خرجتُ من الكتاب بعد العشر فجعلتُ أختلفُ إلى الداخلِ وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيانُ، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلتُ له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتَهزني، فقلتُ له: أرجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلتُ: هو الزبير بن عدي: عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكَمَ كتابه، وقال: صدقتُ. فقبل للبخاري: ابنُ كم كنتُ حين رددتُ عليه؟ قال: ابنُ إحدى عشرة سنة.

[١] قال وراقه محمد بن أبي حاتم: سمعته قبل موته بشهرٍ يقول: كتبتُ عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص.

ذَكَرُ رِحْلَتِهِ وَطَلَبِهِ وَتَصَانِيفِهِ

[٢] قال محمد بن أبي حاتم البخاري: سمعتُ أبا عبدالله محمد بن إسماعيل يقول: حَجَجْتُ، وَرَجَعْتُ أَخِي بَأْمِي، وَتَخَلَّفْتُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ فَلَمَّا طَعَنْتُ فِي ثَمَانِ عَشْرَةَ، جَعَلْتُ أَصْنَفُ قِضَايَا الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَقَاوِيلَهُمْ.

[٣] وَصَنَّفْتُ كِتَابَ «التَّارِيخِ» إِذْ ذَاكَ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي اللَّيَالِي الْمُقَمَّرَةِ. وَقُلْتُ اسْمٌ فِي التَّارِيخِ إِلَّا وَهْ قِصَّةٌ، إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ تَطْوِيلَ الْكِتَابِ.

[٤] وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى الْفُقَهَاءِ، بِمَرُورِي وَأَنَا صَبِيٌّ، فَإِذَا جِئْتُ اسْتَحْيَا أَنِ اسْلَمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي مُؤَدَّبٌ مِنْ أَهْلِهَا: كَمْ كَتَبْتَ الْيَوْمَ؟ فَقُلْتُ: اثْنَيْنِ وَأَرَدْتُ بِذَلِكَ حَدِيثَيْنِ، فَضَحِكَ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ. فَقَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ: لَا تَضْحَكُوا فَلَعَلَّهُ يَضْحَكُ مِنْكُمْ يَوْمًا!!

[٥] قال محمد بن إسماعيل: ما وضعتُ في كتابي «الصحيح» حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك، وصلَّيتُ ركعتين.

[٦] إبراهيم بن معقل، سمعتُ البخاري يقول: ما أدخلتُ في هذا الكتاب إلا ما صحَّ، وتركتُ من الصحاح كي لا يطول الكتاب.

- [١] محمد بن يوسف البخاري: قال: كنت مع محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يُعلّقها في ليلة ثمان عشرة مرة.
- [٢] وقال محمد: سمعت النّجم بن الفضيل يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم، كأنه يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه فكلما رفع النبي ﷺ قدمه، وضع محمد ابن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي ﷺ قدمه.
- [٣] وقال: سمعت إبراهيم الخواص، مُستلمي صدّقه، يقول رأيت أبا زُرعة كالصبي جالساً بين يدي محمد بن إسماعيل، يسأله عن علل الحديث.

ذَكَرَ حِفْظَهُ وَسَعَةَ عِلْمِهِ وَذَكَاتِهِ

- [٤] وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبدالله البخاري يَخْتَلِفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكُنّا نقول له: إنك تَخْتَلِفُ معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما عليّ وألححتما، فأعرضا عليّ ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد عليّ خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نُحَكِّمُ كُتُبَنَا من حفظه. ثم قال: أترون أنّي أختلِفُ هُدراً وأصنِّعُ أيامي؟! فعرّفنا أنه لا يتقدّمه أحد.
- [٥] قال: وسمعتهما يقولان: كان أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلّبوه على نفسه، ويُجلّسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه الوف، أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان شاباً لم يخرُج وجهه.
- [٦] وقال أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد ابن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث، فقلّبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا، وإسناد هذا لمتن هذا، ودفعوا إلى كلّ واحد عشرة أحاديث ليُلْقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته،

فقال: لا أعرفه. وسأله عن آخر فقال: لا أعرفه. وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضي على البخاري بالعجز، ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على: لا أعرفه فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فرد كل متين إلى إسناده. وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر له الناس بالحفظ، فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكيش النطاح.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: وسمعتُه يقول: ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

وقال الفريزي: سمعتُ أبا عبد الله يقول: ما استصغرتُ نفسي عند أحدٍ إلا عند علي بن المديني.

[١] وقال محمد بن أبي حاتم: وسمعتُه يقول: ما كتبتُ حكايةً قط، كنتُ أتَحفظُها.
[٢] محمد ابن خميرويه، سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول: أحفظُ مئة ألفِ حديثٍ صحيح، وأحفظُ مئتي ألفِ حديثٍ غير صحيح.

ذِكْرُ ثَنَاءِ الْأَثَمَةِ عَلَيْهِ

قال أبو جعفر: سمعتُ يحيى بن جعفر يقول: لو قدرتُ أن أزيد في عُمرِ محمد ابن إسماعيل من عمري لفعلتُ، فإن موتي يكون موت رجلٍ واحدٍ وموته ذهابُ العلم.

وقال محمد: حدثني محمد بن إسماعيل، قال: كنتُ إذا دخلتُ على سليمان ابن حرب يقول: بَيْنَ لَنَا غَلَطٌ شُعْبَةٌ.

قال وسمعتُه يقول: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلتُ، فدعا إسماعيل الجارية، وأمرها أن تُخرج

صرة دنانير، وقال: يا أبا عبدالله، فرقها عليهم. قلت: إنما أرادوا الحديث. قال: قد أحببتك إلى ما طلبت من الزيادة، غير أنني أحب أن يضم هذا إلى ذلك ليظهر أثرك فيهم.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن عبدالله يقول: قال لي أبو مصعب الزهري: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل. فقيل له: جاوزت الحد. فقال للرجل: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد ابن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث.

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل يقول: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: اكتبوا عن هذا الشاب - يعني: البخاري - فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفة الحديث وفقهه.

عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

قال ابن الأشعث: فحكيت هذا لمحمد بن عقيل البلخي، فأطرى ذكر ابن شجاع، فقلت له: لم لم يشتهر؟ قال: لأنه لم يمتع بالعمر.

وقال محمد: حدثني جعفر بن محمد الفريزي قال: خرج رجل من أصحاب عبدالله بن منير، رحمه الله إلى بخارى في حاجة له. فلما رجع قال له ابن منير: لقيت أبا عبدالله؟ قال: لا. فطرده، وقال: ما فيك بعد هذا خير، إذ قدمت بخارى ولم تصر إلى أبي عبدالله محمد بن إسماعيل.

عن قتيبة بن سعيد أنه قال: رجل إلي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق. أنا رأيته مع يحيى بن معين، وهما يختلفان جميعاً إلى محمد بن إسماعيل، فرأيت يحيى ينقاد له في المعرفة.

وعن قتيبة قال: لو كان محمد في الصحابة لكان آية.

وقال محمد بن يوسف الهمداني: كنا عند قتيبة بن سعيد، فجاء رجل شعراني

يقال له: أبو يعقوب، فسأله عن محمد بن إسماعيل، فنكس رأسه، ثم رفعه إلى السماء، فقال: يا هؤلاء، نظرتُ في الحديث ونظرتُ في الرأي، وجالستُ الفقهاء والزهاد والعُباد، ما رأيتُ منذ عقلتُ مثلَ محمد بن إسماعيل.

قال الحاكم: سمعتُ محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعتُ أبي يقول: رأيتُ مُسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الضبي.

[١] ثم قال: سمعتُ الحسن بن أحمد الشيباني المعدل، سمعتُ أحمد بن حمدون يقول: رأيتُ محمد بن إسماعيل في جنازة سعيد بن مروان ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسامي والكنى والعلل، ومحمد بن إسماعيل يمر فيه مثل السهم، كأنه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

[٢] وقال محمد بن حمدون بن رستم: سمعتُ مسلم بن الحجاج، وجاء إلى البخاري فقال: دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المُحدثين، وطبيب الحديث في عِلِّه.

وقال أبو علي صالح بن محمد جزرة: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنتُ أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً.

[٣] خالد بن عبدالله المروزي، سمعتُ أبا سهل محمد بن أحمد المروزي سمعتُ أبا زيد المروزي الفقيه يقول: كنتُ نائماً بين الركن والمقام فرأيتُ النبي ﷺ، فقال لي: يا أبا زيد، إلى متى تدرُس كتاب الشافعي، ولا تدرُس كتابي؟ فقلتُ: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: «جامع» محمد بن إسماعيل.

ذَكَرُ عِبَادَتِهِ وَفَضْلَهُ وَوَرَعَهُ وَصَلَاحَهُ

[٤] مُسَبِّح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة.

[٥] وقال بكر بن منير: سمعتُ أبا عبدالله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنني اغتبتُ أحداً.

قلت: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم وزعه في الكلام في الناس، وانصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر، فهو متهم وإي، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً. وهذا هو والله غاية الورع.

[١] قال محمد بن أبي حاتم الوراق: وسمعتَه يقول: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها. قال: وكان أبو عبد الله يُصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يُوقظني في كل ما يقوم. فقلت: أراك تحمِلُ على نفسك، ولم توقظني. قال أنت شاب، ولا أحب أن أفسد عليك نومك.

[٢] وقال محمد بن أبي حاتم: دُعِيَ محمد بن إسماعيل إلى بستانٍ بعض أصحابه، فلما صلى بالقوم الظهر، قام يتطوَّع، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً، وقد تورم من ذلك جسده فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟ قال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمها!!

[٣] عن الفِرَيرِيِّ، قال: رأيتُ النبي ﷺ في النوم، فقال لي: أين تُريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: اقرأه مني السلام.

[٤] وقال محمد بن أبي حاتم: وسمعتَه يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ قال: رويت يوماً حديثاً فنظرتُ إليك، وقد أعجبتُ به، وأنت تحرك رأسك ويدك، فتبتمت من ذلك. قال: أنت في حل، رحمك الله يا أبا عبد الله.

[٥] قال: وكان يركبُ إلى الرمي كثيراً، فما أعلمني رأيتَه في طولٍ ما صحبتُه أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك، وكان لا يُسبِقُ.

[٦] قال محمد بن أبي حاتم: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار فلا يأكل رُقافةً، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً.

[١] وقال محمدُ الورَّاقُ: دخل أبو عبد الله بِفَرَّيرِ الحمامِ، وكنت أنا في مَشْلَحِ الحمامِ، أتعاهدُ عليه ثيابه، فلما خرج ناولته ثيابه، فلبسها ثم ناولته الخُفَّ، فقال: مَسَبَتْ شيئاً فيه شعرُ النبي ﷺ فقلتُ: في أيِّ موضعٍ هو من الخفِّ؟ فلم يُخبرني، فتوهَّمتُ أنه في ساقه بين الظَّهارة والبطانة.

ذَكَرُ قِصَّتِهِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذَّهَلِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ

[٢] قال الحاكم أبو عبد الله: سمعتُ محمد بن حامد البرزَّازَ قال: سمعتُ الحسن ابن محمد بن جابر يقولُ: سمعتُ محمد بن يحيى قال لنا: لَمَّا ورد محمد بن إسماعيل البخاريُّ نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجلِ الصالحِ فاسمعُوا منه، فذهب الناسُ إليه، وأقبلوا على السماعِ منه، حتى ظهر الخَلُّ في مجلسِ محمد بن يحيى، فَحَسَدَهُ بعد ذلك وتكلَّم فيه.

[٣] وقال الحاكم: حدثنا ظاهرُ بن محمد الورَّاق، سمعتُ محمد بن شاذل يقولُ: لما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري، دخلتُ على البخاري فقلتُ: يا أبا عبد الله أيشِ الحيلةُ لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى كُلِّ من يَخْتَلِفُ إليك يُطْرَدُ؟ فقال: كم يعترني محمد بن يحيى الحسدُ في العلم. والعلمُ رِزْقُ الله يُعْطِيهِ من يشاء. فقلتُ: هذه المسألة التي تُحكى عنك؟ قال: يا بني، هذه مسألة مشرومة، رأيتُ أحمد بن حنبل وما ناله في هذه المسألة، وجعلتُ على نفسي أن لا أتكلَّم فيها.

[٤] قلتُ: المسألة هي أن اللفظَ مخلوقٌ، سُئِلَ عنها البخاري، فوقفَ فيها، فلما وقفت واحتجُّ بأن أفعالنا مخلوقة، واستدلَّ لذلك، فهم من الدهلي أنه يُوَجِّه مسألة اللفظ، فتكلَّم فيه، وأخذهُ بلازمِ قوله هو وغيره^(١).

(١) ولازم المذهب ليس بلازم كما هو مذهب جمهور المحققين من العلماء، ونقل ابن ناصر الدين في مقدمة كتابه الرد الوافر ٢٠ عن الإمام الذهبي - ووصفه بإمام التعديل والجرح، والمعتمد عليه في المنح والفتح - كلمة جاء فيها: ونعوذ بالله من الهوى والمراء في الدين، وأن نكفر مسلماً موحداً بلازم قوله، وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب.

[١] قال الحاكم: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب بن الأخرم سمعتُ ابنَ علي المَخَلدِي، سمعتُ محمد بن يحيى يقول: قد أظهر هذا البخاريُّ قولَ اللفظية واللفظية عندي شرٌّ من الجهمية.

قال محمد بن نصر المروزي: سمعته يقول: من زعم أنني قلتُ: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله، فقلتُ له: يا أبا عبدالله، قد خاض النَّاسُ في هذا وأكثروا فيه، فقال: ليس إلا ما أقول.

[٢] وقال سمعت محمد بن صالح بن هانيء: سمعت أحمد بن سلمة يقول: دخلتُ على البخاريُّ، فقلت: يا أبا عبدالله، هذا رجلٌ مقبولٌ بخراسان خصوصاً في هذه المدينة، وقد لَجَّ في هذا الحديث حتى لا يقدر أحدٌ منا أن يكلمه فيه، فما ترى؟ فقبضَ عليَّ لحيته، ثم قال: ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر ٤٤]. اللهم إنك تعلمُ أنني لم أَرِدِ المقامَ بنيسابور أشراً ولا بطراً، ولا طلباً للرئاسة، وإنما أبت عليَّ نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين وقد قُصدني هذا الرجلُ حسداً لما أتاني الله لا غير، ثم قال لي: يا أحمدُ إني خارجٌ غداً لتتخلصوا من حديثه لأجلي.

قال: فأخبرت جماعة أصحابنا، فوالله ما شبعهُ غيري. كنتُ معه حين خرج من البلد، وأقام عليَّ باب البلد ثلاثة أيامٍ لإصلاح أمره.

[٣] قال: وسمعتُ محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخاريُّ نيسابور أكثر مسلمٌ بن الحجاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الدهليُّ والبخاريُّ ما وقع في مسألة اللفظ، ونادى عليه، ومنع الناسَ عنه، انقطع عنه أكثرُ الناسِ غيرَ مسلمٍ. فقال الدهليُّ يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحلُّ له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلمٌ رداءً فوق عمامته وقام على رؤوس الناسِ وبعث إلى الدهليُّ ما كتب عنه على ظهر جَمال. وكان مسلمٌ يُظهر القولَ باللفظ ولا يكتمه.

[٤] وقال محمد بن أبي حاتم: أتى رجلٌ أبا عبدالله البخاريُّ، فقال: يا أبا عبدالله، إن فلاناً يكفرك! فقال: قال النبي ﷺ «إذا قال الرجلُ لأخيه: يا كافر، فقد باءَ به

أَحَدُهُمَا .

[١] وكان كثيرٌ من أصحابه يقولون له : إِنَّ بعضَ الناسِ يَقَعُ فيكَ ، فيقولُ : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء ٧٦] ويتلوا أيضاً ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السُّيْءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : ٤٣] .

[٢] فقال له عبدُ المجيد بنُ إبراهيم : كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويهتئونك؟ فقال : قال النبي ﷺ « اصبروا حتى تلقوني على الخوض » .
[٣] قال محمد بن أبي حاتم : وسمعتُه يقولُ : لم يكن يتعرض لنا قط أحدٌ من أفتاءِ الناسِ إلا رُمي بقارعةٍ ، ولم يَسَلَمْ ، وكلما حدثَ الجُهالُ أنفسهم أن يَمَكُروا بنا رأيتُ من ليلتي في المنامِ ناراً توفدُ ثم تُطفأُ من غير أن يُنتفعَ بها ، فاتأَوَّلَ قوله تعالى : ﴿ كُلُّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة ٦٤] .

[٤] وكان هَجِيرَاهُ (١) من الليل إذا أتيتَه في آخرِ مَقَدَمِهِ من العراقِ : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [آل عمران ١٦٠] الآية .

[٥] وقال عبدُ الرحمن بن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » قَدِمَ محمدٌ بن إسماعيلَ الرُّبِّيَّ سنةَ خمسَين ومِثْنين ، وسمعَ منه أبي وأبو ذُرْعَةَ وتركَا حديثَه عندما كَتَبَ إليهما محمدٌ بن يحيى أنه أظهرَ عندهم بنيسابور أن لفظَه بالقرآن مخلوق .
[٦] قلت : إن تركَا حديثَه ، أولم يتركاه ، البخاريُّ ثقةٌ مأمونٌ محتجٌ به في العالم .

ذِكْرُ مُحِبَّتِهِ مَعَ أَمِيرِ بُخَارِي

[٧] وقال الحاكم : سمعتُ محمد بن العباسِ الضَّبِّيَّ يقول : سمعتُ أبا بكر بن أبي تَمَرٍ والحافظَ البخاريَّ يقول : كان سببُ مُنَافَرَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنْ خَالِدَ بْنَ أَحْمَدَ الدَّهْلِيِّ الأَمِيرِ خَلِيفَةَ الطَّاهِرِيَّةِ بِبُخَارِي سَأَلَ أَنْ يَحْضُرَ مَنْزِلَهُ ، فَيَقْرَأَ «الجامع» و «التاريخ» على أولاده ، فامتنعَ عن الحضورِ عنده ، فراسله بأن يعقدَ مجلساً لأولاده ،
(١) أي : كلامه ودأبه وشأنه . وفي حديثِ عمر رضي الله عنه : ماله مجيزي غيرها ، أي : الذاب والعادة والذيقان .

لا يحضره غيرهم، فامتنع، وقال: لا أخص أحدًا. فاستعان الأمير بحريث بن أبي الوراق وغيره حتى تكلموا في مذهبه. ونفاه عن البلد، فدعا عليهم، فلم يأت إلا شهر حتى ورد أمر الطاهرية، بأن يُنادى على خالد في البلد، فتودي عليه على أتان. وأما حريث، فإنه ابتلي بأهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف. وأما فلان، فابتلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا.

وقال الحاكم: حدثنا خلف بن محمد، حدثنا سهل بن شاذويه قال كان محمد ابن إسماعيل يسكن سكة الدهقان، وكان جماعة يختلفون إليه يُظهرون شعار أهل الحديث من أفراد الإقامة، ورفق الأيدي في الصلاة وغير ذلك. فقال حريث بن أبي الوراق وغيره: هذا رجل مُشغب، وهو يُفسد علينا هذه المدينة، وقد أخرجه محمد ابن يحيى من نيسابور، وهو إمام أهل الحديث، فاحتجوا عليه بابن يحيى، واستعانوا عليه بالسلطان في تقيته من البلد، فأخرج، وكان محمد بن إسماعيل ورعاً، يتجنب السلطان ولا يدخل عليهم.

[١٩] قلت: خالد بن أحمد الأمير، قال الحاكم: له ببخارى آثارٌ محمودة كلها، إلا موجدته على البخاري، فإنها زلة، وسب لزوال ملكه.

ذِكْرُ وِفَاتِهِ

[٢] قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد ابن إسماعيل إلى خرتك - قرية - على فرسخين من سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعت ليلة يدعو، وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك فما تم الشهر حتى مات. وقبره بخرتك.

[٣] وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياماً، فمرض واشتد به المرض حتى وجّه رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهباً للركوب، فليس خفيه، ونعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوةً أو نحوها، وأنا آخذ بعصده، ورجل آخر معي

يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال رحمه الله: أرسلوني، فقد ضعفت، فدعا بدعوات، ثم اضطجع ففضي رحمه الله. فسأل منه العرق شيء لا يوصف. فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك، فلما دفنناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أياماً ثم علت سواربي بيض في السماء مستطيلةً بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتمجبون. وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر، حتى ظهر القبر ولم تكن تقدر على حفظ القبر بالحراس. وغلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشباً مشبكاً لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلصون إلى القبر. وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة، حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

[١] وقال محمد بن محمد بن مكّي الجرجاني: سمعتُ عبد الواحد بن آدم الطواوسي يقول: رأيتُ النبي ﷺ في النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقفٌ في موضع، فسلمتُ عليه، فردّ عليّ السلام فقلتُ: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرتُ فإذا قد مات في الساعة التي رأيتُ النبي ﷺ فيها.

[٢] وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ أبا ذر يقول: رأيتُ محمد بن حاتم المخلقاني في المنام، وكان من أصحاب محمد بن حفص، فسألته - وأنا أعرف أنه ميت - عن شيخني رحمه الله، هل رأيتَه؟ قال: نعم رأيتُه وهو ذاك، يُشير إلى ناحية سطح من سطوح المنزل. ثم سألتُه عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فقال: رأيتُه، وأشار إلى السماء إشارةً كاد أن يسقط منها لعلو ما يُشير.

[٣] وقال أبو علي الغساني: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكتي السمرقندي، قال: قحط المطرُ عندنا بِسَمَرْقَنْدِ في بعض الأعوام، فاستسقى الناسُ مراراً، فلم

يُسْقُوا، فَأَتَى رَجُلٌ صَالِحٌ مَعْرُوفٌ بِالصَّلَاحِ إِلَى قَاضِي سَمَرْقَنْدَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُ رَأْيًا أَعْرَضُهُ عَلَيْكَ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ تَخْرُجَ وَتُخْرِجَ النَّاسَ مَعَكَ إِلَى قَبْرِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، وَقَبْرِهِ بِخَرْتَنكُ وَتَسْتَسْقِي عَنْدهُ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْقِينَا. قَالَ: فَقَالَ الْقَاضِي: نَعَمْ مَا رَأَيْتُ. فَخَرَجَ الْقَاضِي وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَاسْتَسْقَى الْقَاضِي بِالنَّاسِ، وَبَكَى النَّاسُ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَتَشَفَّعُوا بِصَاحِبِهِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاءَ بِمَاءٍ عَظِيمٍ غَزِيرٍ، أَقَامَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِهِ بِخَرْتَنكُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوَهَا، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الْوُصُولَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ مِنْ كَثْرَةِ الْمَطَرِ وَغَزَارَتِهِ، وَبَيْنَ خَرْتَنكُ وَسَمَرْقَنْدَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ.

٥٢٩ البيروتي (د، ص) (١)

(١) الإمام الحجة المقرئ الحافظ، أبو الفضل، العباس بن الوليد بن مزيد، العُدري البيروتي.

[٢] وبيروت مدينة على البحر من ساحل دمشق، ما زالت بلاد إسلام منذ الفتح إلى أن استولى عليها الفرنج، فدامت داراً لهم إلى أن افتتحها السلطان الملك الأشرف خليل في سنة تسعين وست مئة عند أخذ عكا، وبها توفي الأوزاعي، وتلميذه الوليد بن مزيد، وأبنته هذا.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَةَ، فَكَانَ مِمَّنْ عُمِّرَ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ عَامٍ بَيِّقِينَ.

وَكَانَ مُقَرَّبًا حَادِقًا بِحَرْفِ ابْنِ عَامِرٍ، تَلَا عَلَى أَبِيهِ.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. وَكَانَ صَاحِبَ لَيْلٍ.

مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِثْنِينَ، وَكَانَ مُمْتَعًا بِقَوَاهِ.

[٣] قَالَ خَيْشَمَةُ بْنُ سَلِيمَانَ: مَازَحَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ يَوْمًا جَارِيَةً لَهُ فَدَفَعَتْهُ فَوْقَهُ،

فَانكسرت رِجْلُهُ، فَلَمْ يُحْدِثْنَا عَشْرِينَ يَوْمًا. فَكُنَّا نَلْقَى الْجَارِيَةَ، وَنَقُولُ: حَسْبُكَ اللَّهُ

كَمَا كَسَرَتْ رِجْلَ الشَّيْخِ، وَحَبَسْتِنَا عَنِ الْحَدِيثِ.

(١) انظر السير: ٤٧١/١٢-٤٧٥.

٥٣٠ إسحاق بن بهلول^(١)

[١] ابن حسان، الحافظ الثقة العلامة، أبو يعقوب، الثنوخى الأنباري. مولده بالأنبار في سنة أربع وستين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: صنّف كتاباً في القراءات، وصنّف «المُسْنَد» وصنّف كتاباً في الفقه. وله مذاهبٌ اختارها، يعني: أنه يجتهد، ولا يُقلد أحداً، إلى أن قال: وكان ثقة.

[٢] قال ولده بهلول بن إسحاق: استدعى المتوكلُ أبي إلى سُرْمَنْ رأى حتى سمع منه، ثم أمر، فنُصِبَ له منبرٌ، وحُدِّث في الجامع، وأقطعهُ إقطاعاً مغلّةً في العام اثنا عشر ألفاً، ووصله بخمسة آلاف في السنة فكان يأخذها، وأقام إلى أن قدم المستعينُ بغداد، فخاف أبي من الأتراك أن يكبسوا الأنبار، فأنحدر إلى بغداد ولم يحمل معه كتبه، فطالبه محمد بن عبدالله بن طاهر أن يُحدِّث، فحدِّث ببغداد من حفظه بخمسين ألف حديث، لم يُخطيء في شيء منها.

[٣] قلت: كذا فليكن الحفظُ وإلا فلا، قنعنا اليوم بالاسم بلا جسم فلورأى الناس في وقتنا من يروي ألف حديث بأسانيدها حفظاً لا يهرؤوا له. مات بالأنبار سنة اثنتين وخمسين ومئتين، وقد قارب التسعين.

٥٣١ المُرَنيّ^(٢)

[٤] الإمام العلامة، فقيه الجبلية، علّم الزهاد، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى ابن إسماعيل المُرَنيّ المصري، تلميذ الشافعي.

مولده في سنة موت الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومئة.

وهو قليل الرواية، ولكنه كان رأساً في الفقه.

[٥] وامتلات البلاد بـ «مختصره» في الفقه، شرحه عدّة من الكبار بحيث يُقال: كانت

(١) انظر السير: ٤٨٩/١٢ - ٤٩١.

(٢) انظر السير: ٤٩٢/١٢ - ٤٩٧.

البكر يكون في جهازها نسخة بـ ومختصره المزي .

قال الشافعي : المُرْنِي ناصراً مذهبي .

[١] قلت : بلغنا أن المُرْنِي كان إذا قرع من تبيض مسألة ، وأودعها مختصره ، صلى لله ركعتين .

[٢] ودوي أن القاضي بكار بن قتيبة قدم على قضاء مصر ، وكان حنيفياً فاجتمع بالمُرْنِي مرة ، فسأله رجل من أصحاب بكار ، فقال : قد جاء في الأحاديث تحريم النيذ ، وجاء تحليله ، فلم قدمتم التحريم ؟ فقال المُرْنِي : لم يذهب أحد إلى تحريم النيذ في الجاهلية ثم حلل لنا ، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالاً ، فحرم ، فهذا يعضد أحاديث التحريم ، فاستحسن بكار ذلك منه .

قلت : وأيضاً فأحاديث التحريم كثيرة صحاح ، وليس كذلك أحاديث الإباحة . محمد بن علي الكتاني ، سمعت عمرو بن عثمان المكي ، يقول : ما رأيت أحداً من المتعبدين في كثرة من أقيمت منهم أشد اجتهاداً من المُرْنِي ولا أدوم على العبادة منه . وما رأيت أحداً أشد تعظيماً للعلم وأهله منه . وكان من أشد الناس تضييقاً [٣] وكان من أشد الناس تضييقاً على نفسه في الورع ، وأوسع في ذلك على الناس ، وكان يقول : أنا خلقت من أخلاق الشافعي .

قلت : وبلغنا أن المُرْنِي رحمه الله كان مجاب الدعوة ، ذا زهد وتألُّه ، أخذ عنه خلق من العلماء وبه انتشر مذهب الإمام الشافعي في الأفاق .

[٤] يقال : كان إذا فاتته صلاة الجماعة صلى تلك الصلاة خمساً وعشرين مرة .

[٥] وكان يُغسل الموتى تعبدًا واحتساباً . وهو القائل : تَعَانِيْتُ غَسْلَ الْمَوْتَى لِيَبْرِقَ قَلْبِي ، فصار لي عادة ، وهو الذي غَسَلَ الشافعي رحمه الله .

[٦] وقال أبو سعيد بن يونس : ثقة ، كان يلزم الرباط .

توفي سنة أربع وستين ومئتين ، وله تسع وثمانون سنة .

٥٣٢ أبو حفص النيسابوري^(١)

[١] الإمام القدوة الرباني، شيخ خراسان، أبو حفص، عمرو بن سلم النيسابوري الزاهد.

[٢] قال الأستاذ أبو حفص: المعاصي يزيد الكفر، كما أن الحمى تزيد الموت.

[٣] أبو عمرو بن حمدان قال: كان أبو حفص حداداً، فكان غلامه ينفخ عليه الكير مرة، فادخل أبو حفص يده، فأخرج الحديد من النار، فغشي على القلام، فترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره.

[٤] وقيل: إن أبا حفص دخل على مريض، فقال المريض: آه، فقال أبو حفص: ممن؟ فسكت. فقال أبو حفص: مع من؟ قال: فكيف أقول؟ قال: لا يكن أبتك شكوى، ولا سكوتك تجلداً، ولكن بين ذلك.

[٥] وعن أبي حفص قال: حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرستني عشرين سنة ثم وردت علي وعليه حالة صرنا محروسين جميعاً.

[٦] وبلغني أنه أنفذ في يوم واحد بضعة عشر ألف دينار يفتك بها أسرى، فلما أمسى لم يكن له عشاء.

[٧] قال المرتعش: دخلت مع أبي حفص على مريض، فقال: ما تشتهي؟ قال: أن أبرأ. فقال لأصحابه: احملوا عنه. فقام معنا. وأصبحنا نعاد في القرش.

[٨] قال السلمى: أبو حفص كان حداداً، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور.

[٩] قال أبو علي الثقفى: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده.

[١٠] وعن أبي حفص: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء، ولا لمحبه بقلبه.

[١١] وعنه: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله بحاجتك إليه.

(١) انظر السير: ١٢/٥١٠-٥١٣.

[١] أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه الافتقار إليه وملازمة السنة، وطلب القوت من جلّه.

توفي الأستاذ أبو حفص سنة أربع وستين ومئتين. رحمة الله عليه.

٥٣٣ الصَّفَّار (١)

[٢] الملك، أبو يوسف، يعقوب بن الليث، السجستاني، المستولي على خراسان.

[٣] قيل: كان هو وأخوه عمرو بن الليث يعملان في النحاس، فترهدا وجاهدا مع صالح المطوعي المحارب للخوارج.

قال ابن الأثير: غلب صالح على سجستان، ثم استنقذها منه طاهر بن عبد الله ابن طاهر، فظهر بها درهم بن حسين المطوعي، فاستولي أيضاً عليها، وجعل يعقوب بن الليث قائد عسكره، ثم رأى أصحاب درهم عجزه، فملكوا يعقوب لحسن سياسته، فاذعن لهم درهم. واشتهرت صولة يعقوب وغلبه على هراة ووشنج، وحارب الترك، وظفر برتبيل، فقتله وقتل ثلاثة ملوك ورجع معه الوف من الرؤوس، فهابته الملوك، وكان بوجهه ضربة سيف مخططة.

وكان يحمل إلى المعتمد في العام خمسة آلاف ألف درهم، وقنع المعتمد بمداراته.

ثم أخذ بلخ ونيسابور، وأسر متوليها ابن طاهر في سنين نفساً من آله، وقصد جرجان، فهزم المتغلب عليها الحسن بن زيد العلوي، وغنم منه ثلاث مئة حمل مال، ثم دخل جرجان، فظلم وعسف، فجاءت زلزلة قتلت من جنده ألفين.

واستغاث جماعة جرجانيون ببغداد من يعقوب، فعزم المعتمد على حربه ونقذ كتباً إلى أعيان خراسان بدم يعقوب، وبأن يهتموا لاستصاله فكاتب المعتمد بخضع ويراوغ، وطلب التقليد بتوليته المشرق، ففعل المعتمد ذلك وأخوه موفق

(١) انظر السير: ١٢/٥١٣-٥١٥.

لاشتغالهم بحرب الزنج .

وأقبل يعقوبُ ليملكَ العراقَ، وبرزَ المعتمدُ، فالتقى الجمعانَ بديرِ العاقول^(١)، وكثرت القتلى، فانهزم يعقوبُ، وجرحَ أمراؤه، وذَهبت خزائنه، وغرقَ منهم خلقٌ في نهرٍ.

وكان المصافُ في رجبِ سنة ٢٦٢ فذهب يعقوبُ إلى واسط، ثم إلى تُسترَ فأخذها، وتراجعَ جيشُه، وعظمت وطائمه، وكاد أن يملكَ الدنيا، ثم كان موتهُ بالقولنج، ووصفت له حُقنة، فأبى، وتَلَفَ بعد أسبوعين .

وقُلَّ أن رُئي متبسماً، مات بجُنْدِسابور في سنة خمس وستين ومئتين .
أخوه صاحب خراسان :

٥٣٤ عمرو بن الليثِ الصُّفَّار^(٢)

[١] قيل: كان ضراباً في الصُّفَّر، وقيل: بل مكارِي حمير، قال به الحالُ إلى السلطنة .

تملكَ بعد أخيه، وأحسن السياسةَ، وعدلَ، وعظمت دُولُه، وأطاع الخليفة .
وقيل: كان في خدمة زوجته ألف وسبع مئة جارية .

ثم بغى عمروُ على والي سمرقند إسماعيل بن أحمد بن أسد .
وأقبل إسماعيل، فأخذ أصحابَ عمرو بن الليثِ في الهزيمة، فركبت عساكرُ إسماعيل ظهورَهم، وتَوَحَّلت بعمرو دابته، فأسر، فأتي به إسماعيل، فاعتنقه وخدمه، وقال: ما أحببتُ أن يجري هذا، ثم بالغَ في احترامه، فقال: احلف لي ولا تُسلمني، فحلف له، لكن جاء رسولُ المعتضدِ بالخلع والتقليد لإسماعيل، ويطلبُ عمراً . فأدخل بغدادَ على بُخْتِي عليه جُبَّةُ ديباج، وورُئس السُّخَطِ . ثم قال له المعتضدُ: هذا يبعثُك يا عمرو! ثم اعتقله، فقتله القاسمُ بن عبيد الله الوزير يوم موتِ المعتضدِ سنة تسعِ وثمانين ومئتين . وكان دولته نيفاً وعشرين سنة .

(١) وهو بين مدائن كسرى والتممانية، على شاطئ دجلة . (٢) انظر السير: ٥١٦/١٢-٥١٧ .

[١] حكى القشيري أن عمرو بن الليث رُمي، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: أشرفت يوماً من جبل على جيوشي، فأعجبني كثرتهم، فتمنيت أنني كنت حضرت مع رسول الله ﷺ فنصرته وأعتته، فشكر الله لي، وغفر لي.

٥٣٥ المعتز بالله^(١)

[٢] لخليفة أبو عبدالله، محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم.

وُلد سنة اثنتين وثلاثين ومثين، واستُخلف وهو ابنُ عشرين سنة أو دونها.

وبويح وقت خلع المستعين، فلما كان بعد أشهر من ولايته، خلع أخاه المؤيد بالله إبراهيم من العهد، فما بقي إبراهيم حتى مات، وخاف المعتز من أن يتحدث الناس أنه سمه، فأحضر القضاة، حتى شاهدوه، وما به أثر، فإله أعلم.

[٣] وكانت دولة المعتز مستضعفة مع الأتراك، فاتفق القواد، وقالوا: أعطنا أرزاقنا، ويُقبل صالح بن وصيف، وكان المعتز يخافه، فطلب من أمه مالا لِيَتَفَقَهَ فيهم، فَشَحَّتْ عليه، فتجمع الأتراك لخلعه، واتفق معهم صالح وبايباك، ومحمد بن بَغَا، فتسلحوا، وأتوا الدار، وبعثوا إلى المعتز ليخرج إليهم. فقال: قد شربت دواء، وأنا ضعيف فهجم جماعة، جروهم وضربوه، وأقاموه في الحر، فبقي المسكين يتضور وهم يلطمونه، ويقولون: اخلع نفسك، ثم أحضروا القاضي والعدول، وخلعوه وأقدموا من بغداد محمد بن الواثق، وكان المعتز قد أبعد، فسلم المعتز إليه الخلافة، وبايعوه، ولُقّب المهتدي بالله.

[٤] ثم إن رؤوس الأتراك، أخذوا المعتز بعد خمسة أيام فادخلوه حَمَاماً وأكربوه حتى عطش، ومنعوه الماء حتى كاد، ثم سقوه ماء نلج، فسقط ميتاً، رحمه الله. وذلك في سنة خمس وخمسين ومثين. وعاش ثلاثاً وعشرين سنة.

[٥] ووهي منصب الخلافة، فلله الأمر.

(١) انظر السير: ١٢/٥٣٢-٥٣٥.

٥٣٦ المَهْتَدِي بالله (١)

[١] أمير المؤمنين، المَهْتَدِي بالله، أبو إسحاق، وأبو عبدالله محمد بن الواثق هارون بن المعتصم محمد بن الرشيد العباسي.

بويغ ابن بضع وثلاثين سنة سنة خمس وخمسين وما قبل مبايعة أحد حتى أحضر المعتز بالله. فلما رآه قام له وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وجلس بين يديه، فجيء بشهود، فشهدوا على المعتز أنه عاجز عن أعباء الإمامة، وأقر بذلك، ومد يده، فبايع ابن عمه المهتدي بالله، فارتفع حينئذ المهتدي، إلى صدر المجلس، وقال: لا يجتمع سيفان في غمد، وأنشد قول ابن أبي ذؤيب.

تُرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانِ، وَتُحَكِّ فِي غِمْدٍ؟!

وكان المهتدي أسمر رقيقاً، مليح الوجه، ورعاً عادلاً صالحاً متعبداً بطلاً شجاعاً، قوياً في أمر الله، خليقاً للإمامة، لكنه لم يجد معيناً ولا ناصرًا، والوقت قابل للإدبار.

نقل الخطيب عن أبي موسى العباسي: أنه ما زال صائماً منذ استخلف إلى أن قُتل.

وقال أبو العباس هاشم بن القاسم: كنت عند المهتدي عشية في رمضان، فقمنا لأنصرف، قال: اجلس. فجلست، فصلى بنا، ودعا بالطعام، فأحضر طبق خِلاَفٍ (٢) عليه أرغفة وأنية فيها ملح وزيت وخل، فدعاني إلى الأكل، فأكلت أكل من ينتظر الطبخ، فقال: ألم تكن صائماً؟ قلت: بلى. قال: فكُل واستوف، فليس هنا غير ماترى؟! فعميت ثم قلت: ولم يا أمير المؤمنين، وقد أنعم الله عليك؟ قال: إني فكرت أنه كان في بني أمية عمر بن عبدالعزيز، فغرت على بني هاشم وأخذت نفسي بما رأيت.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو النضر المروزي، قال لي جعفر بن عبد الواحد:

(١) انظر السير: ٥٣٥/١٢-٥٤٠.

(٢) صنف من الصنفان، ومن عيدانه تصنع الأطباق.

[١] ذاکرت المهتدي بشيء، فقلت له: كان أحمد بن حنبل يقول به، ولكنه كان يُخالف، كأني أشرتُ إلى آياته - فقال: رحم الله أحمد بن حنبل، لو جاز لي لتبرأت من أبي، نكلم بالحق وقل به فإن الرجل ليتكلم بالحق فينبئ في عيني.

[٢] قال نبطويه: أخبرنا بعض الهاشميين أنه وجد للمهتدي صفتاً فيه جبة صوف، وكساء كان يلبسه في الليل، ويصلي فيه، وكان قد أطرح الملاهي، وحرم الغناء، وختم أصحاب السلطان عن الظلم، وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين، يجلس بنفسه، ويجلس بين يديه الكتاب يعملون الحساب، وتلزم الجلوس يومي الخميس والإثنين، وقد ضرب جماعة من الكبار، ونفى جعفر بن محمود إلى بغداد لرفض فيه.

[٣] وعاشت الزنج بالبصرة، ويعقوب الصقار بخراسان، وقتل المهتدي الأمير باكيال، فثار أصحابه، وأحاطوا بدار الجوسق، فألقي الرأس إليهم، وركب أعوان الخليفة، فتحت ملحمة كبرى، قتل فيها من الأتراك ألوف وقيل بل ألف في رجب سنة ست، ثم أصبحوا على الحرب، فركب المهتدي وصالح بن علي في عنقه المصحف يصيح: أيها الناس: انصروا إمامكم فحمل عليه أخو باكيال في خمس مئة، وخامر الأتراك الذين مع الخليفة إليه، وحمي الوطيس، وتفلل جمع المهتدي واستحرم بهم القتل. فولى والسيف في يده يقول: أيها الناس: قاتلوا عن خليفتم، ثم دخل دار صالح بن محمد بن يزداد، ورمى السلاح، ولبس البياض ليهرب من السطح وجاء حاجب باكيال، فأعلم به فهرب، فرماه واحد بسهم، ونفخه بالسيف ثم حمل إلى الحاجب، فأركبوه بغلاً وخلفه سائس، وضربوه وهم يقولون: أين الذهب؟ فأقر لهم بست مئة ألف دينار مودعة ببغداد، فأخذوا خطه بها، وغصرتري على أنثيه فمات، وقيل: أرادوا منه أن يخلع نفسه فأبى فقتلوه رحمه الله ويايعوا المعتمد على الله.

وفي ذريته علماء وخطباء.

[١] الخليفة، أبو العباس، وقيل: أبو جعفر، أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم. وُلد سنة تسع وعشرين ومئتين.

قلت: استُخلف بعد قتل المهتدي بالله سنة ست وخمسين ومئتين.

[٢] وانهمك في اللهو واللعب، واشتغل عن الرعية، فكرهوه، وأحبوا أخاه الموفق.

[٣] وفي رجب أيضاً استولت الزنج على البصرة والأبلة والأهواز، وقتلوا وسبوا، وهم عبيد الغوام، وغوغاء الأندال الملتفين على الخبيث وقام بالكوفة علي بن زيد العلوي، واستفحل أمره، وهزم جيش الخليفة وظهر أخوه حسن بن زيد بالرزي. وقتلت الزنج بالأبلة نحو ثلاثين ألفاً فحاربهم سعيد الحاجب ثم قوا عليه، وقتلوا خلقاً من جنده، وتمت بينهم وبين العسكر وقعت.

وفي سنة ٢٥٨ جرت وقعة بين الزنج وبين العسكر، فانهزم العسكر وقتل قائدهم منصور، ثم نهض أبو أحمد الموفق ومُفلح في عسكر عظيم إلى الغاية لحرب الخبيث، فانهزم جيشه، ثم تهيأ وجمع الجيوش وأقبل فتمت ملحمة لم يُسمع بمثلها، وظهر المسلمون، ثم قتل مُقدمهم مُفلح فانهزم الناس، واستباحهم الزنج، وفر الموفق إلى الأبلة، وتراجعت إليه العساكر، ثم التقى الزنج فانتصر، وأسر طاغيتهم يحيى، وبعث به إلى سامراء فذبح، ووقع الوباء، فمات خلائق، ثم التقى الموفق الزنج فانكسر، وقتل خلق من جيشه، وتحيز هو في طائفة، وعظم البلاء وكاد الخبيث أن يملك الدنيا، وكان كذاباً مخرباً ماكرأ شجاعاً داهية ادعى أنه بعث إلى الخلق، فرد الرسالة، وكان يدعى علم الغيب، لعنه الله.

ودخلت سنة تسع، فعرض الموفق جيشه بواسط، وأما الخبيث فدخل البطائح، وثق حوله الأنهار وتحصن، فهجم عليه الموفق، وأحرق وقتل فيهم، واستنقذ من السببايا، ورد إلى بغداد، فسار خبيث الزنج إلى الأهواز، فوضع السيف، وقتل نحواً من خمسين ألفاً، وسي أربعين ألفاً فسار لحربه موسى بن بعا فحاربا بضعة عشر

(١) انظر السير: ١٢/٥٤٠-٥٥٣.

شهرأ، . . . وذهب تحت السيف خلائق من الفريقين، فإننا لله، وأنا إليه راجعون .
وفي سنة ٦٦ أقبلت الروم إلى ديار ريعة، وقتلوا وسبوا، وهرب أهل الجزيرة،
واستباح الزنج وأمهزم.

وفي سنة سبع كروا على واسط، وغثروا أهلها، فجهز الموفق ولده أبا العباس
الذي صار خليفة، فقتل وأسر، وغرق سفنهم . ثم تجمع جيش الخبيث، والتقوا
بالعباس فهزمهم، ثم التقوا ثالثاً فهزمهم، ودام القتال شهرين، ورغبوا في أبي
العباس، واستأمن إليه خلق منهم، ثم حاربهم حتى ذوخ فيهم، وردّ سالمًا غانمًا،
وبقي له وقع في النفوس وسار إليهم الموفق في جيش كثيف في الماء والبر، ولقيه
ولده، والتقوا الزنج فهزموهم أيضاً، وخارت قوى الخبيث، وألح الموفق في حربهم
ونازل طهيبًا، وكان عليها خمسة أسوار، فأخذها، واستخلص من أسر الخبيث عشرة
آلاف مسلمة، وهدمها، وكان المهلب القائد مقيمًا بالأهواز في ثلاثين ألفاً من
الزنج، فسار الموفق لحربه، فانهزم، ونفّرق عسكره، وطلب خلق منهم الأمان،
فأتمهم، ورفق بهم، وخلع عليهم، ونزل الموفق بستره، وانفق في الجيش، وهُد
البلاد، وجهز ابنه المعتضد أبا العباس لحرب الخبيث، فجهز له سفناً فاقتتلوا،
وانتصر أبو العباس وكتب كتاباً إلى الخبيث يهدده، ويدعوه إلى التوبة مما فعل،
فعتا وتمرد وقتل الرسول، فسار الموفق إلى مدينة الخبيث بنهر أبي الخصيب،
ونصب السلالم ودخلوها، وملكوا السور، فانهزم الزنج، ولما رأى الموفق خصانتها
اندهش، واسمها المختارة، وهاله كثرة المقاتلة بها، لكن استأمن إليه عدة
فأكرمهم .

ونقلت تفاصيل حروب الزنج في «تاريخ الإسلام» فمن ذلك لما كان في شعبان
سنة سبع برز الخبيث وعسكره فيما قيل في ثلاث مئة ألف ما بين فارس وراجل،
فركب الموفق في خمسين ألفاً، وحجز بينهم النهر، ونادى الموفق بالأمان، فاستأمن
إليه خلق، ثم إن الموفق بنى بإزاء المختارة مدينة على دجلة سماها الموقية، وبنى
بها الجامع والأسواق، وسكنها الخلق واستأمن إليه في شهر خمسة آلاف، وتمت

ملحمة في شوال، ونصر الموفق.

وفي ذي الحجة عبر الموفق بجيشه إلى ناحية المختارة، وهرب الخبيث، لكنه رجع، وأزال الموفق عنها.

وفي ثمانين وستين تتابع أجناد الخبيث في الخروج إلى الموفق، وهو يحسن إليهم، وأناه جعفر السجان صاحب سر الخبيث، فأعطاه ذهباً كثيراً فركب في سفينة حتى حاذى قصر الخبيث. فصاح إلى متى تصبرون على الخبيث الكذاب؟ وحدثهم بما أطلع عليه من كذبه وكفره، فاستأمن خلق. ثم زحف الموفق على البلد، وهذ من السور أماكن، ودخل العسكر من أقطارها واغترأوا، فكر عليهم الزنج، فأصابوا منهم، وغرق خلق، وردد الموفق إلى بلده حتى رم شعثه، وقطع الجلب عن الخبيث، حتى أكل أصحابه الكلاب والميتة، وهرب خلق، فسألهم الموفق، فقالوا: لنا سنة لم نر الخبز وقتل يهود أكبر أمراء الخبيث، وقتل الخبيث ولده لكونه هم أن يخرج إلى الموفق.

وفي سنة تسع دخل الموفق المختارة عنوة، ونادى الأمان، وقاتل حاشية الخبيث دونه أشد قتال، وحاز الموفق خزائن الخبيث، وألقى النار في جوانب المدينة، وجرح الموفق بسهم فأصبح على الحرب، وآلمه جرحه، وخافوا، فخرجوا حتى عوفي، ورم الخبيث بلده.

وفي شوال كانت الملحمة الكبرى بين الخبيث والموفق، ثم وقعت الهزيمة على الزنج، وكانوا في جوع شديد وبلاء، لا يخفف الله عنهم، التقى الخبيث والموفق، فانهزمت الزنج أيضاً، وأحاط الجيش، فحاصروا الخبيث في دار الإمارة، فانملس منها إلى دار المهلب أحد قواده، وأبرت حرمه، فكان النساء نحو مئة، فأحسن إليهن الموفق، وأحرق الدار، ثم جرت ملحمة بين الموفق والخبيث في أول سنة سبعين، ثم وقعة أخرى قتل فيها الخبيث، لا رحمه الله. وكان قد اجتمع من الجند، ومن المطوعة مع الموفق نحو ثلاث مئة ألف، وفي آخر الأمر شد الخبيث وفرسانه فأزالوا الناس عن موافقهم فحمل الموفق فهزمهم، وساق وراءهم إلى آخر

النهر، فبينما الحرب تستعزُّ إذ أتى فارسٌ إلى المَوْقِ وبيده رأسُ الخبيث فما صدَّق .
وعرضه على جماعة، فقالوا: هو هو فترجَّل المَوْقُ والأمراءُ وخَرُّوا ساجدين لله
وضَجُّوا بالتكبير، ويادر أبو العباس بن المَوْقِ في خواصه، ومعه رأس الخبيث على
قناة إلى بغداد، وعمَّلت قبابُ الزينة وكان يوماً مشهوداً، وشرع الناسُ يتراجعون إلى
المدائن التي أخذها الخبيث، وكانت أيامه خمس عشرة سنة .
قال الصُّولي: قد قتل من المسلمين ألفَ ألفٍ وخمسة مئة .
قلت: وكذا عددُ قتلى بابك .

قال: وكان يصعدُ على منبره بمدينةته، ويسُبُّ عثمانَ وعلياً وطلحةَ وعائشة
كمذهب الأزارقة، وكان يُنادي على المَسِيَّةِ العلويةِ في عسكره بدرهمين . وكان
عند الزُّنْجِيِّ الواحدٍ نحو عشرِ علويات، يفترشهنَّ ويخدمنَّ امرأته .

[١] وفيها نازلت الرومُ في مئة ألفٍ طرسوسَ، فبيَّتهم يازمان الخادمُ فقتل منهم
سبعون ألفاً، وقتل ملكهم، وأخذ منهم صليبَ الصُّليوت . فالحمدُ لله على هذا
النصرِ العزيز الذي لم يُسمع بمثله، مع تمامِ المَبْنَةِ على الإسلامِ بمصرِ الخبيث .
وعاد المَوْقُ إلى بغداد مريضاً من نقرسٍ، ثم صار داءَ الفيل وقاسى بلاءً، فكان
يقول: في ديواني مئة ألفٍ مُرتزقٍ، ما أصبحَ فيهم أسوأُ حالاً مني، ثم مات .

وفي سنة ٧٩ خُلع المَقْوُضُ بن المعتمد من ولاية العهد، وقُدِّمَ عليه أبو العباس
المُعْتَضِدُ بن المَوْقِ . نهض بذلك الأمراءُ .

وفيها منع أبو العباس القُصَّاصَ والمنجمين، وألزم الكُتَّابَ أن لا يبيعوا كُتُبَ
الفلسفةِ والجدلِ، وضَعُفَ أمرُ عمه المعتمد معه، ثم مات فجأةً لإحدى عشرة ليلةً
بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين ببغداد ونُقِلَ فدُفِنَ بسامراءَ . فكانت خلافته
ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيام .

[٢] مات بالقصرِ الحَسَنِيِّ مع النُدَماءِ والمطربين، أكل في ذلك اليومِ رؤوس
الجداءِ، فيقال: سُمِّ، ومات معه من أكل منها، وقيل: نام فَعَمَّوه ببساط . وقيل:
سُمِّ في كأس، وأدخلوا إليه إسماعيلَ القاضي والشهودَ، فلم يروا به أثراً،

واستخلف أبو العباس المعتضد . وكانت عُرَيْبٌ جاريةً المعتمد ذات أموالٍ جزيلةٍ ،
ولها في المعتمد مداخلٌ ، وكان يَشْكُرُ ويُعْرِيدُ على الندماء ، سامحه الله . وكانت
دولته بهمةً أخيه الموفق لا بأس بها .

٥٣٨ مُسْلِمٌ (ت) (١)

هو الإمامُ الكبيرُ الحافظُ المجوّدُ الحجةُ الصادقُ ، أبو الحسين ، مُسْلِمٌ بن
الحجاج بن مسلم بن وَرْدِ بن كوشاذ القُشَيْرِيُّ (٢) النيسابوريُّ ، صاحبُ «الصحیح»
فلعلهُ من موالِي قُشَيْرٍ .

لم يَرِ الترمذِيُّ في «جامعه» عن مسلمٍ سوى حديثٍ واحدٍ .
قال أحمدُ بن سلمة : رأيتُ أبا زُرْعَةَ وأبا حاتمٍ يُقدِّمان مسلماً في معرفة الصحیح
على مشايخ عصرهما .

قال أبو عمرو بن حمدان : سألتُ الحافظَ ابنَ عُقْدَةَ عن البخاري ومسلم : أيهما
أعلمُ؟ فقال : كان محمدٌ عالماً ، ومسلمٌ عالمٌ ، فكُرِّرْتُ عليه مراراً ، فقال : يا أبا
عمرو ، قد يقع لمحمد الغلطُ في أهل الشام وذلك أنه أخذ كتبهم ، فنظرَ فيها ،
فربما ذكر الواحدَ منهم بكنيته ويذكره في موضع آخرَ باسمه ، يتوهم أنهما اثنان ،
وأما مسلمٌ فقلماً يقع له من الغلط في العِللِ ، لأنه كتب المسانيدَ ، ولم يكتب
المقاطيعَ ولا المراسيلَ .

قلتُ : عني بالمقاطيع أقوالُ الصحابةِ والتابعين في الفقه والتفسير .
قال أبو عبدالله محمدُ بن يعقوب بن الأخرم الحافظ : إنما أخرجت نيسابور ثلاثة
رجال : محمد بن يحيى ، ومسلم بن الحجاج ، وإبراهيم بن أبي طالب .
وقال الحسين بن محمد الماسرجسيُّ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ مسلماً
يقولُ : صنفتُ هذا «المُسندَ الصحیح» من ثلاثة مئة ألف حديث مسموعة .

(١) انظر السير : ٥٥٧/١٢ - ٥٨٠ .

(٢) القشيري ، من بني قشير قبيلة من العرب معروفة .

قال الحاكم: سمعتُ أبا عبد الرحمن السُّلَمِيَّ يَقُولُ: رَأَيْتُ شَيْخاً حَسَنَ الْوَجْهِ
وَالثِّيَابِ، عَلَيْهِ رِذَاءٌ حَسَنٌ، وَعِمَامَةٌ قَدْ أَرْخَاهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ فَقِيلَ: هَذَا مُسْلِمٌ. فَتَقَدَّمَ
أَصْحَابُ السُّلْطَانِ، فَقَالُوا: قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمٌ بِنِ الْحَجَّاجِ إِمَامِ
الْمُسْلِمِينَ، فَقَدَّمُوهُ فِي الْجَامِعِ فَكَبَّرَ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ.

قال الحافظ ابنُ مَنْدَةَ: سمعتُ أبا علي النيسابوريَّ الحافظ يَقُولُ: ما تحت أديم
السَّمَاءِ كِتَابٌ أَصَحُّ مِنْ كِتَابِ مُسْلِمٍ.

وقال مكِّي بنُ عَبْدِان: سمعتُ مسلماً يَقُولُ: عرضتُ كتابي هذا «المسند» على
أبي زُرْعَةَ، فَكُلُّ مَا أَشَارَ عَلِيٌّ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ لَهُ عَلَةٌ وَسَبَبٌ تَرَكْتُهُ، وَكُلُّ مَا قَالَ:
إِنَّهُ صَحِيحٌ لَيْسَ لَهُ عَلَةٌ، فَهُوَ الَّذِي أَخْرَجْتُهُ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ
مِثِّي سَنَةَ فَمَدَارُهُمْ عَلَى هَذَا «المسند».

قال الدارقطني: لولا البخاري ما راح مسلمٌ ولا جاء.

قلت: ثم إنَّ مسلماً، لِحِدَّةٍ فِي خُلُقِهِ، انْحَرَفَ عَنِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ حَدِيثاً،
وَلَا سَمَّاهُ فِي «صحيحه»، بل افتتح الكتاب بِالْحَطِّ عَلَى مَنْ اشْتَرَطَ اللَّقْبَ لِمَنْ رَوَى
عنه بصيغة «عن»، وأدعى الإجماعَ فِي أَنَّ الْمُعَاصِرَةَ كَافِيَةٌ، وَلَا يَتَوَقَّفُ فِي ذَلِكَ
عَلَى الْعِلْمِ بِالتَّقَاتِيهِمَا، وَوَسَّخَ مَنْ اشْتَرَطَ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
الْبُخَارِيُّ، وَشَيْخُهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَهُوَ الْأَصُوبُ الْأَقْوَى.

توفي مُسْلِمٌ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ بَنِيْسَابُورَ، عَنْ بَضْعِ خَمْسِينَ سَنَةً، وَقَبْرُهُ
يُزَارُ.

٥٣٩ الربيع بن سليمان (د، ق، س، ت) (١)

[١] ابن عبد الجبار، الإمام المحدث الفقيه الكبير، بقية الأعلام، أبو محمد،
المرادي، مولاهم المصري المؤذن، صاحب الإمام الشافعي، وناقل علمه، وشيخ
المؤذنين بجامع القسطنطينية ومستلمي مشايخ وقته.

(١) انظر السير: ٥٨٧/١٢ - ٥٩١.

مُولده في سنة أربعٍ وسبعين ومئة أو قبلها بعام .
 وطال عُمره ، واشتهر اسمه ، وازدحم عليه أصحاب الحديث ، ونعم الشيخ كان ،
 أفنى عُمره في العلم ونشره ، ولكن ما هو بمعذور في الحُفاظ وإنما كتبه في
 «التذكرة» وهنا لإمامته وشهرته بالفقه والحديث .

وزوا عن الربيع أنه قال : كُلُّ مُحَدِّثٍ حَدَّثَ بِمَصْرَ بعد ابن وهب كنت
 مُسْتَمْلِيه .

وزوي عن الشافعي أنه قال للربيع : لو أمكنتني أن أطعمك العلم لأطعمتك . وقال
 أيضاً : الربيع راوية كتيبي .

وقال أبو عمر بن عبد البر : ذكر محمد بن إسماعيل الترمذي أسماء من أخذ عن
 الربيع كُتِبَ الشافعي ، ورحل إليه فيها من الآفاق ، فسُمِّي نحومتي رجل .
 قال أبو عمر : وكان الربيع لا يُؤذَن في منارة جامع مصرَ أحدَ قبله ، وكانت الرحلة
 إليه في كُتِبَ الشافعي ، وكانت فيه سلامةٌ وعَفَلَةٌ . ولم يكن قائماً بالفقه .

[١] قلتُ : قد كان من كبار العلماء ، ولكن ما بلغ رتبة المُزَنِّي ، كما أن المُزَنِّي لا
 يبلغ رتبة الربيع في الحديث ، وقد روى أبو عيسى في «جامعه» عن الربيع
 بالإجازة ، وقد سمعنا من طريقه «المسند» للشافعي انتقاءً أبو العباس الأصم من
 كتاب «الأم» لينشط لروايته للرحالة وإلا فالشافعي رحمه الله لم يُؤلف مسنداً .

[٢] وقيل : إن هذا الشعر للربيع :

ضَبْرًا جَمِيلًا ما أَسْرَعَ الفَرْجَا مَنْ صَدَقَ اللهُ في الأُمُورِ نَجَا
 مَنْ خَشِيَ اللهُ لَمْ يَنْلُ أَذَى وَمَنْ زَجَا اللهُ كَانَ حَيْثُ رَجَا
 مات الربيع سنة سبعين ومئتين .

٥٤٠ أحمد بن مهدي^(١)

[٣] ابن رستم ، الإمام القدوة العابد الحافظ المتقن ، أبو جعفر الأصبهاني .

(١) انظر السير : ٥٩٧/١٢ . ٥٩٨ .

[١] قال محمد بن يحيى بن منددة: لم يُحدِّث ببلدنا منذ أربعين سنة أو ثلث منه، صنف المسند ولم يُعرف له فراش منذ أربعين سنة، صاحب عبادة رحمه الله.

[٢] وقال أبو نعيم الحافظ: كان صاحب ضياع وثروة، أنفق على أهل العلم ثلاث مئة ألف درهم.

وقال ابن النجار: كان من الأئمة الثقات، وذوي المروءات، رحل إلى الشام ومصر والعراق.

[٣] قال أحمد بن مهدي: جاءني امرأة ببغداد ليلة، فذكرت أنها من بنات الناس، وأنها امتحنت بمحنة، وأسألك بالله أن تسترني، فقد أكرهت على نفسي، وأنا حُبلى، وقلت: إنك زوجي فلا تفضحني، فنكبت عنها، ومضيت. فلم أشعر حتى جاء إمام المحلة والجيران يهتفون بالولد الميمون، فأظهرت التهليل، ووزنت في اليوم الثاني للإمام دينارين، وقلت: اعطها نفقة، فقد فارتها، وكنت أعطيها في كل شهر دينارين، حتى أتى على ذلك ستان، فمات الطفل، وجاءني الناس يُعزوني فكتُّ أظهر لهم التسليم والرخص، فجاءني بعد أيام بالدنانير فردتها ودعت لي، فقلت: هذا الذهب كان صلة للولد، وقد ورثته، وهولك.

توفي في سنة اثنين وسبعين ومئتين.

٥٤١ بكار بن قتيبة^(١)

[٤] ابن أسد بن عبيد الله بن بشير بن صاحب رسول الله ﷺ أبي بكره نفع بن الحارث، الثقفى البكرائى البصرى القاضى الكبير، العلامة المحدث، أبو بكره، الفقيه الحنفى، قاضى القضاة بمصر.

مولده في سنة اثنين وثمانين ومئة بالبصرة.

وعنى بالحديث، وكتب الكثير، ورع في الفروع، وصنف واشتغل.

[٥] أحمد بن سهل الهروي قال: كنت ساكناً في جوار بكار بن قتيبة فانصرف بعد

(١) انظر السير: ١٢/٥٩٩-٦٠٥.

العشاء، فإذا هو يقرأ ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص ٢٦] قال: ثم نزلت في السحر، فإذا هو يقرؤها، ويكي، فعلمت أنه كان يتلوها من أول الليل.

[٦] قلت: كان عظيم الحرمة، وافر الجلالة، من العلماء العاملين كان السلطان ينزل إليه، ويحضر مجلسه.

[٧] قلت: كان ولي العهد الموفق قد استبد بالأمور، وصيق على أخيه الخليفة المعتمد. قال الصولي: نخيل المعتمد من أخيه، فكتاب أحمد بن طولون، واتفقا، وقال المعتمد:

[٣] أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتعاً عليه وتوكل باسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه فبلغنا أن ابن طولون جمع العلماء والأعيان، وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه، إلا بكار بن قتيبة. وقال: أنت أوردت علي كتاب المعتمد بتولية العهد، فهات كتاباً آخر منه بخلعه. قال: إنه محجور عليه ومقهور؟ قال: لا أدري. فقال له: غررك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت قد خرفت، وقبده وخبسه، وأخذ منه جميع عظامه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنها وجدت بختومها وحالها، وبلغ ذلك الموفق، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر.

[٤] قال ابن خلكان: وكان بكار تالياً للقرآن، بكاء صالحاً ديناً وقبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده.

[٥] توفي سنة سبعين ومئتين. وقيل: شيعه خلق عظيم أكثر ممن يشهد صلاة العيد، رحمه الله تعالى. قلت: عاش تسعاً وثمانين سنة.

٥٤٢ محمدُ بنُ عوفٍ (د) (١)

[١] ابنُ سفيان، الإمامُ الحافظُ المَجُودُ، محدِّثُ حمص، أبو جعفر الطائفي الحمصي.

[٢] قال عبدُ الصمد بن سعيد القاضي: سمعتُ محمدَ بنَ عوفٍ يقول: كنتُ أَلعبُ في الكَنيسةِ بالكُرةِ وأنا خَدْتُ، فدخلتُ الكُرةَ، فوَقعتُ قُرْبَ المُعافى بنِ عمرانِ الحمصيِّ، فدخلتُ لأخذها، فقال: ابنُ مَنْ أنت؟ قلت: ابنُ عوفِ بنِ سفيان، أَمَا إِنَّ أَبَاكَ كانَ من إخواننا. فكان ممن يكتُبُ معنا الحديثَ والعلم، والذي كان يُشبهُك أن تَتَّبِعَ ما كان عليه والدك. فصرتُ إلى أُمِّي فَأخبرتُها، فقالت: صدق، هو صديقٌ لأبيك، فألبستني ثوباً وإزاراً، ثم جئتُ إلى المُعافى، ومعِي محبِرَةٌ وورق، فقال لي: اكتب: حدثنا إسماعيلُ بنُ عَياش، عن عبدِ رَبِّهِ بنِ سليمان، قال: [٣] كتبتُ لي أُمُّ الدرداءِ في لُوحِي: اطلبوا العِلْمَ صِغاراً، تَعْمَلُوا به كباراً، فإنَّ لكلَّ حاصِدٍ ما رَزَع.

[٤] وعن أحمد بن حنبل، قال: ما كان بالشامِ منذُ أربعينَ سنةً مثلُ محمدِ بنِ عوفٍ.

مات ابنُ عوفٍ في سنةِ الثنتينِ وسبعينِ ومِئتينِ رحمه اللهُ.

٥٤٣ الأثرَمُ (س) (٢)

[٥] الإمامُ الحافظُ العلامةُ، أبو بكر، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ هانيء، الإسكافي الأثرَمُ الطائفي، أحدُ الأعلام، ومُصنِّفُ «السُّنَنِ» وتلميذُ الإمامِ أحمد.

[٦] قال الأثرَمُ: سألتُ أبا عبد الله عن التعريفِ في الأمصار، يجتمعون في المساجدِ يومَ عَرَفة، فقال: أرجو أن لا يكونَ به بأس، فعَله غير واحدٍ: الحسنُ، وبكرُ بنِ عبد الله، وثابتُ، ومحمدُ بنُ واسع، كانوا يشهدونَ المسجدَ يومَ عَرَفة، وسألته عن

(١) النظر السير: ١٢/٦١٣-٦١٦.

(٢) النظر السير: ١٢/٦٢٣-٦٢٨.

القراءة بالألحان، فقال: كل شيء مُحدَثُ فإنه لا يُعجبني، إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه.

[١] قال أبو بكر الخلال: سمعتُ أبا بكرٍ المروزي يقول: قال الأثرم: كنت أحفظ - يعني الفقه والاختلاف - فلما صحبت أحمد بن حنبل تركت ذلك كله. وكان معه تَبْقُظٌ عجيبٌ، حتى نسبته يحيى بن معين، ويحيى بن أيوب المقابري، فقال: كان أحد أبوي الأثرم جينياً.

[٢] ثم قال الخلال: قام رجلٌ فقال: أريدُ من يكتبُ لي من كتاب الصلاة ما ليس في كُتُبِ أبي بكر بن أبي شيبة، فقلنا له: ليس لك إلا أبو بكر الأثرم. قال: فوجهوا إليه ورقاً، فكتب ست مئة ورقة من كتاب الصلاة، قال: فنظرنا فإذا ليس في كتاب ابن أبي شيبة منه شيء.

قلت: كان عالماً بتواليف ابن أبي شيبة، لأزمه مدّة.

[٣] قال الخلال أبو بكر: وسمعتُ الحسن بن علي بن عمر الفقيه يقول: قدم شيخان من خراسان الحج، فحدثنا فلما خرجا طلب قومٌ من أصحاب الحديث أحدهما، قال: فخرجنا: يعني إلى الصحراء - فقعد هذا الشيخ ناحيةً معه خلقتُ ومُستملٍ، وقعد الآخر ناحيةً كذلك، وقعد أبو بكر الأثرم بينهما، وكتب ما أملئ هذا وما أملئ هذا.

قلت: لم أظفر بوفاة الأثرم، ومات في حدود الستين وميتين قبلها أو بعدها.

الجزء الثالث عشر

٥٤٤ الحسن بن مَخْلَد^(١)

ابن الجراح، الوزير الأكمل، أبو محمد البغدادي، الكاتب، أحد رجال العصر سُودْدًا، ورأيا، وشهامة، وكتابة، وبلاغة، وفصاحة، ونبلا.

مولده: في تسع ومئتين. فاتفق أنه ولد فيها أربعة وزراء: هو، وعبدالله بن يحيى بن خاقان، ومحمد بن عبدالله بن طاهر، وأحمد بن إسرائيل.

وَرَزَّ الحسن للمعتمد نوبتين، فصادره ثم وزر له ثالثا، فاستمر خمسة أعوام، فَسَخِطَ عليه، فتسلل إلى مصر، فأقبل عليه ابن طولون وجعل إليه نظر الإقليم، والتزم له بنمو ألف ألف دينار في السنة مع العدل، فخافه العمال، وتفرغوا له، وقالوا: هذا عين عليك للموفق ولي العهد فتخيل وسجنه. فقالوا: ما الرأي في حبسه في جوارك، فربما حدث به موت، فينسب إليك. فأرسل به إلى نائبه بأَنْطَاكِيَّةَ، وأمره أن يعذبَه، فتلف تحت العذاب.

وكان - مع ظلمه - شاعرا جوادا ممدحا، امتدحه البُحْتَرِيُّ وغيره.

قال ابن النجار: عمل الوزارة مع كتابة الموفق، وكان آية في حساب الديوان، حتى قيل: مالا يعرفه ابن مَخْلَد، فليس من الدنيا.

وكان تام الشكل، مهيبا، فاخر البرة، يركب غلمانه في الديباج، ونسيج الذهب، وعدة جنائب وإذا جلس في داره تقع العين على الفرش والستور، والأنية التي قيمتها مئة ألف دينار. كان في هيئة سلطان كبير.

مات في سنة إحدى وسبعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٣ / ٨٧.

٥٤٥ ابن خاقان^(١)

[١] الوزير الكبير، أبو الحسن، عُيِّدَ اللهُ بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزير للمتوكل، وللمُعتمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى بَرْقَةَ، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزير سنة ست وخمسين.

[٢] ذكر محرز الكاتب أن عُيِّدَ اللهُ مريض، فعاده عُمُه الفتح، وقال: إن أمير المؤمنين يسأل عن علتك. فقال:

عليل من مكانين من الأسقام والدين
وفي هذين لي شغل وحسي شغل هذين
فوصله المتوكل بألف ألف.

[٣] وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأُيدَ بأعوان وكُفِّة. وكان واسع الحيلة. ونفاه المُعتمد، فلما ولي المُعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدبته النُكْبَةُ، وتهذَّب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رَشِيْق في لعب الصُّوَالِجَة،^(٢) فسقط، ثم مات ليومه، سنة ثلاث وستين ومئتين.

٥٤٦ يحيى بن مُعَاذ^(٣)

[٤] الرَّازِي، الواعظ: من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة.

[٥] وعنه قال: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن

(١) انظر السير: ١٣ / ١٠٠٩.

(٢) الصُّوَالِجَة: جمع الصُّوَالِج، وهو عصا يعطف طرفها، يضرب بها الكرة على الدواب.

(٣) انظر السير: ١٣ / ١٦٠٥.

فانت.

[١] لا يُفْلِحُ من شَمَمَتْ رائحة الرياسة منه.

[٢] مسكين ابن آدم، قَلَعُ الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

[٣] لا نَسْتَبْطِيءُ الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب.

[٤] الدنيا لا تعدل عند الله جَنَاحَ بعوضة، وهو يسألك عن جَنَاح بعوضة.

[٥] وعنه قال: الدرجات سبع: التوبة، ثم الزهد، ثم الرضى، ثم الخوف، ثم

الشوق، ثم المحبة، ثم المعرفة.

٥٤٧ ابن وَاَرَة (س) (١)

[٦] محمد بن مُسلم بن عثمان: الحافظ، الإمام المجتهد، أبو عبد الله بن وَاَرَة الرازي، أحد الأعلام.

ارتحل إلى الأناق. وكان يضرب به المثل في الحفظ، على حُصْنٍ فيه وَرِيه.

وكان مولده في حدود عام تسعين ومئة.

قال النسائي: هو ثقة، صاحب حديث.

وقال عبد المؤمن بن أحمد: كان أبو زُرْعَة لا يقوم لأحد، ولا يُجْلِسُ أحداً في

مكانه، إلا ابن وَاَرَة.

قال أبو جعفر الطحاوي: ثلاثة من علماء الزمان بالحديث، انفقوا بالرأي، لم

يكن في الأرض مثلهم في وقتهم، فذكر ابن وَاَرَة، وأبا حاتم، وأبا زُرْعَة.

[٧] وعن عبد الرحمن بن خراش، قال: كان ابن وَاَرَة من أهل هذا الشأن المقننين

الأمناء، كنت ليلة عنده، فذكر أبا إسحاق السبيعي، فذكر شيوخه، فذكر في

طَلَقَ واحد سبعين ومئتين من شيوخه، ثم قال: كان غايةً، شيئاً عجيباً.

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٨-٣٢.

[١] وقال عثمان بن خُرَزَاد: سمعت الشاذكُونِيَّ يقول: جاءني محمدُ بنُ مسلم، فقمعد يتَّقَعْرُ (١) في كلامه، فقلت له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الرِّي، ألم يأتك خبري؟ ألم تسمع بنبيي؟ أنا ذو الرُّحلتين. قلت: من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم -: (إن من الشُّعرِ حكمةً) فقال: حدثني بعض أصحابنا. قلت: من؟ قال: أبو نعيمٍ وقِيصَة. قلت: يا غلام! اتنبي بالدُّرَّة، فأتاني بها، فأمرته، فضربه بها خمسين، وقلت: أنت تخرج من عندي، ما آمن أن نقول: حدثني بعضُ غلماننا.

[٢] قال زكريا السَّاجِي: جاء ابن وَاوَةَ إلى أبي كُرَيْب، وكان في ابن وَاوَةَ بَأْوُ (٢) فقال لأبي كُرَيْب: ألم يبلغك خبري؟ ألم يأتك نبئي، أنا ذو الرُّحلتين، أنا محمد بن مسلم بن وَاوَةَ. فقال: وَاوَةَ؟ وما وَاوَةَ؟ وما أدراك ما وَاوَةَ؟ قم، فوالله لا حدُّثُكَ، ولا حدُّثُ قوما أنت فيهم.

[٣] قال أبو العباس بن عُقْدَةَ: دَقَّ ابن وَاوَةَ على ابن كُرَيْب، فقال: من؟ قال: ابن وَاوَةَ، أبو الحديثِ وأمه.

الصواب في وفاته إنها في سنة سبعين ومئتين.

٥٤٨ أحمد بن إسحاق (خ) (٣)

[٤] الإمام، الزاهد، العابد المجاهد، فارس الإسلام، أبو إسحاق، من أهل سُرمارى، من قرى بخارى. وكان أحد الثقات. وبشجاعته يُضرب المثل.

(١) التفعير: أن يتكلم بأقصى نعر فمه.

(٢) البأو: الكبر والتهب.

(٣) انظر السيرة: ٤٠-٣٧/١٣.

[١] قال إبراهيم بن عفان البزاز: كنت عند أبي عبدالله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السُّرماري، فقال: ما نعلمُ في الإسلام مثله. فخرجت فإذا أحميد رئيس المطَّوِّعة، فأخبرته، فغضب ودخل على البخاري، وسأله، فقال: ما كذا قلت، بل: ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا الجاهلية مثله.

قال أبو صفوان: دخلت على أبي يوما، وهو يأكل وحده، فرأيت في مائدته عصفورا يأكل معه، فلما رأيته طار.

[٢] وعن أحمد بن إسحاق، قال: ينبغي لقائد الغزاة أن يكونَ فيه عشرُ خصال: أن يكون في قلب الأسد: لا يجبن، وفي كبر الثَّير: لا يتواضع، وفي شجاعة الدُّب: يقتل بجوارحه كلها، وفي حَمَلَة الخنزير: لا يُولِّي ذُبْرَه، وفي غارة الدُّب: إذا أيس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنملة: تحمل أكثر من وزنها، وفي الثبات كالصخر، وفي الصبر كالحمار، وفي الوفاة كالكلب: لو دخل صيده النار لدخل خلفه، وفي التماس الفرصة كالديك.

إبراهيم بن شماس يقول: كنت أكتب أحمد بن إسحاق السُّرماري، فكتب إلي: إذا أردت الخروج إلى بلاد الغزاة في شراء الأسرى، فاكتب إلي. فكتبُ إليه، فقدم سمرقند، فخرجنا، فلما علم جعبوته، استقبلنا في عِدَّة من جيوشه، فأقمنا عنده، فعرض يوماً جيشه، فمرَّ رجل، فعظمه، وخلع عليه، فسألني عنه السُّرماري، فقلت: هذا رجل مبارز، يُعدُّ بالف فارس. قال: أنا أبارزه. فسكتُ، فقال جعبوته: ما يقول هذا؟ قلت: يقول كذا وكذا. قال: لعله سكران لا يشعر، ولكن غدا نركب. فلما كان الغد ركبوا، فركب السُّرماريُّ معه عموداً في كَمِّه، فقام بإزاء المبارز، فقصدته، فهرب أحمد حتى باعده من الجيش، ثم كرَّ وضربه بالعمود فقتله، وتبع إبراهيم بن شماس، لأنه كان سبقه، فلحقه، وعلم جعبوته، فجهز في طلبه خمسين فارساً نقاوة، فأدركوه، فثبت تحت تل مختفياً، حتى مروا كلهم، واحداً بعد واحد، وجعل يضربُ بعموده من ورائهم،

إلى أن قتل تسعة وأربعين، وأمسك واحدا، قطع أنفه وأذنيه، وأطلقه ليخبر، ثم بعد عامين توفي أحمد، وذهب ابن شماس في الفداء، فقال له جعبويه: من ذاك الذي قتل فرساننا؟ قال: ذاك أحمد السرماري. قال: فلم لم تحمله معك؟ قلت: توفي، فصك في وجهي، وقال: لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيه خمسن مئة برذون، (١) وعشرة آلاف شاة.

عن عمران بن محمد المطوعي: سمعت أبي يقول: كان عمود المطوعي السرماري وزنه ثمانية عشرة مئتا، (٢) فلما شاخ جعله اثني عشر مئتا، وكان به يقاتل.

[١] عن عبيد الله بن واصل، سمعت أحمد السرماري يقول، وأخرج سيفه، فقال: أعلم يقينا أنني قتلت به ألف تركي، وإن عشت قتلت به ألفا أخرى، ولولا خوفاً أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي.

وعن محمود بن سهل الكاتب، قال: كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكانا، ورئيس العدو قاعد على صفة، (٣) فرمى السرماري سهما، فغرز في الصفة، فأوما الرئيس لينزعه، فرماه بسهم آخر خاط يده، فتناول الكافر لينزعه من يده، فرماه بسهم ثالث في نحره، فانهزم العدو، وكان الفتح. قلت: أخبار هذا الغازي تسر قلب المسلم.

توفي في سنة الثنتين وأربعين ومئتين، رحمه الله تعالى، فإنه كان مع فرط شجاعته من العلماء العاملين العباد.

[٢] قال ولده أبو صفوان: وهب المأمون لأبي ثلاثين ألفا، وعشرة أفراس وجارية، فلم يقبلها.

(١) البرذون: ضرب من الدواب، يخالف الخيل المراب، عظيم الخلفة، غليظ الأعضاء.

(٢) المن: زنة رطلين.

(٣) الصفة: الظلة، والبهو الواسع العالي السقف.

[١] فقيه المغرب، أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم بن عبدوس.
قال أبو العرب: كان ثقة، إماماً في الفقه، ذا ورعٍ وتواضع، بَدُّ الهيئة، كان
أشبهَ شيءٍ بأحوال شيخه سُخُون، في فقهه وزهادته وملبسه ومطعمه، وكان
حسناً الكتاب، مات ابن ثمان وخمسين سنة.
قال لقمان بن يوسف: أقام ابن عبدوس سبع سنين يدرس، لا يخرج إلا
لجمعة.

[٢] وعن عبدالله بن إسحاق بن الثَّبان، أن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة يصلي
الصبح بوضوء العشاء، وكان على غاية من التواضع.
وقد فرق مئة دينار من غَلَّةِ ضيعته في القَحَط.
[٣] وقيل: أنه رجل، فقال: ما تقول في الإيمان؟ قال: أنا مؤمن. فقال: عند
الله؟ قال: أما عند الله فلا أقطع لنفسي بذلك، لأنني لا أدري بمَ يختم لي.
فبصق الرجل في وجهه، فعمي من وقته الرجلُ.
توفي قريباً من ستة سنين ومئتين.

٥٥٠ أبو زُرْعَةَ الرَّازِي (م، ت، س، ق)^(٢)

[٤] الإمام، سَيِّدُ الحفاظ، عُبيدُ الله بن عبدالكريم بن يزيد، مُحدِّثُ الرِّي.
ودخول «الزَّاي» في نسبه غيرُ مَقْبُول، كالمروزي.
[٥] مولده بعد ثَيْفٍ ومئتين. وطلب هذا الشأن وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز
والشام، ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب مالا يوصف كثرة.

(١) انظر السير: ١٣ / ٦٤-٦٣.

(٢) انظر السير: ١٣ / ٨٥-٦٥.

فذكر سعيد بن عمرو البرذعي، أن أبا زُرْعَةَ قال: لا أعلم صفائي رباط يوم قَطُ، أما بيروت: فأردنا العباس بن الوليد بن مَزْنِد، وأما عَسْقَلان، فأردنا محمد ابن أبي السري، وأما قَزَوِين: فمحمد بن سعيد بن سابق.

وقال صالح بن محمد جَزْرَةَ: سمعت أبا زُرْعَةَ يقول: كتبت عن إبراهيم بن موسى الرّازي مئة ألف حديث، وعن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ مئة ألف. فقلت له: بلغني أنك تحفظ مئة ألف حديث، تَقْدِرُ أن تُعَلِّي علي ألف حديث من حفظ؟ قال: لا، ولكن إذا ألقى علي عَرَفْتُ.

[١] قال الحافظ أبو أحمد بن عدي: سمعت أبي يقول كنت بالرّي، وأنا غلام في البرّازين، فَحَلَفَ رجل بطلاق امرأته: أن أبا زُرْعَةَ يحفظ مئة ألف حديث. فذهب قوم - أنا فيهم - إلى أبي زُرْعَةَ، فسألناه، فقال: ما حَمَلَهُ علي الحلف بالطلاق؟ قيل: قد جرى الآن منه ذلك. فقال أبو زُرْعَةَ: لِيُمْسِكُ امرأته، فإنها لم تطلق عليه. أو كما قال.

ابن عدي: سمعت أبا يعلى الموصلي يقول: ما سمعنا بذكر أحد في الحفظ، إلا كان اسمه أكبر من رويته، إلا أبا زُرْعَةَ الرّازي، فإن مشاهدته كانت أعظم من اسمه.

[٢] محمد بن إبراهيم المقرئ، سمعت فَضْلَكَ الصّائغ يقول: دخلت علي الربيع بمصر، فقال: من أين؟ قلت: من الرّي. قال: تركت أبا زُرْعَةَ وجئت؟ إن أبا زُرْعَةَ آيَةٌ، وإن الله إذا جعل إنساناً آيَةً، أبانه من شكّله، حتى لا يكون له ثان.

[٣] قال أبو جعفر محمد بن علي، وراق أبي زُرْعَةَ: حضرنا أبا زُرْعَةَ بماشهران، وهو في السُّوق، وعنده أبو حاتم، وابن وَاَرَةَ، والمنذر بن شاذان، وغيرهم،

فذكروا حديث الثلقين: «لَقَنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَحْيُوا مِنْ أَبِي زُرْعَةَ أَنْ يُلْقَنُوهُ، فَقَالُوا: تَعَالَوْا نَذْكُرِ الْحَدِيثَ. فَقَالَ ابْنُ وَاةَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا بِنْدَارٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ صَالِحٍ، وَلَمْ يَجَاوِزْ، وَالْبَاقُونَ سَكَتُوا، فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السُّوقِ: حَدَّثَنَا بِنْدَارٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي عَرِيبٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَتُوفِيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

[١] توفي أبو زُرْعَةَ الرَّازِي، فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ، وَمَوْلَدُهُ كَانَ فِي سَنَةِ مِئَتَيْنِ. وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَرِّبِ الْعَسْكَرِيِّ أَنَّهُ رَأَى أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِي، وَهُوَ يَوْمَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَقَلَّتْ: بِمَ نَلَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ؟ قَالَ: بَرَفِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ الرُّكُوعِ، وَعِنْدَ الرَّفْعِ مِنْهُ.

[٢] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: إِذَا مَرَضْتَ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ، تَبَيَّنَ عَلَيَّ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ، فَإِذَا تَرَكْتُ أَيَّامًا تَبَيَّنَ عَلَيَّ، فَهَذَا الشَّأْنُ يَحْتَاجُ أَنْ تَعَاهِدَهُ أَبَدًا.

قُلْتُ: يَعْجِبُنِي كَثِيرًا كَلَامُ أَبِي زُرْعَةَ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، يَبِينُ عَلَيْهِ الْوَرَعُ وَالمُخْبَرَةُ، بِخِلَافِ رَفِيقِهِ أَبِي حَاتِمٍ، فَإِنَّهُ جَرَّاحٌ.

[٣] مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْهَيْثَمِ الْفَسَوِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ حَمْدُونَ الْبَرْدَعِيَّ عَلَى أَبِي زُرْعَةَ، لِكِتَابَةِ الْحَدِيثِ، دَخَلَ، فَرَأَى فِي دَارِهِ أَوَانِيَّ وَفُرْشًا كَثِيرَةً، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَخِيهِ، قَالَ: فَهَمُّ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا يَكْتَسِبَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، رَأَى كَأَنَّهُ عَلَى شَطِّ بَرَكَةٍ، وَرَأَى ظِلَّ شَخْصٍ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي زَهَدْتَ فِي أَبِي زُرْعَةَ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ كَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ، فَلَمَّا مَاتَ أَبَدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ أَبَا زُرْعَةَ.

[١] محمد بن إسحاق السَّرَّاج، سمعت محمد بن مسلم بن وَازَةَ يقول: رأيت أبا زُرْعَةَ في المنام، فقلت له: ما حالك يا أبا زُرْعَةَ؟ قال: أحمد الله على أحواله كلها، إني خَصَرْتُ، فوفقت بين يدي الله تعالى، فقال: يا عُبَيْدُ الله! لم تَدْرَعْتَ القول في عبادي؟ قلت: يا رب! إنهم حاولوا دينك. قال: صدقت. ثم أتني بظاهر الخُلُقاني، فاستَعَدَّيْتُ عليه إلى ربي تعالى، فَضْرِبَ الحَدَّ مئةً، ثم أمر به إلى الحبس، ثم قال: ألحقوا عُبَيْدَ الله بأصحابه: أبي عبدالله، وأبي عبدالله، وأبي عبدالله: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل. قلت: إسنادهما كالشمس.

٥٥١ أبو يزيد البسطامي (١)

[٢] سُلْطَانُ العارفين، أبو يزيد، طَيْفُور بن عيسى بن شُرُوسَانَ البِسطَامِي، أحد الزُّهاد، أخو الزَّاهِدَيْنِ: آدم وعلي، وكان جدهم شُرُوسَانَ مجوسِيًّا، فأسلم. وَقُلُّ ما روى، وله كلام نافع.

[٣] عنه، قال: ما وجدتُ شيئاً أشدُّ علي من العِلْمِ ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائراً. (٢)

[٤] وعنه قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمنتك؟ ليس العَجَبُ من حيي لك، وأنا عبدٌ فقير، إنما العَجَبُ من حُبِّك لي، وأنت بملكٍ قدير.

[٥] وعنه - وقيل: إنك تَمُرُّ في الهواء - فقال: وأيّ أعجوبة في هذا؟ وهذا طير يأكل الميتة، يَمُرُّ في الهواء. (٣)

(١) انظر السير: ١٣ / ٨٩-٨٦.

(٢) حلية الأولياء: ٣٦/٦٥. وتتمة الخير: «اختلاف العلماء رحمة إلا في تعريد التوحيد».

(٣) انظر حلية الأولياء: ٣٥/١٠. وتتمة الخير فيه: (والمؤمن أشرف من الطين).

[١] وعنه: ما دام العبدُ يظن أن في الناس من هو شرُّ منه، فهو متكبر.

[٢] وقال: ما ذكروا مولاهم إلا بالغفلة، ولا خدموه إلا بالفترة.

[٣] وقال: لله خلقٌ كثيرٌ يمشون على الماء، لا قيمة لهم عند الله، ولو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تفتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود والشرع. وله هكذا نكتٌ مليحة.

[٤] وجاء عنه أشياء مشككة لا مسأغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر^(١) والغيبية والمخو، فيطوى، ولا يُحتجُّ بها، إذ ظاهرها إلحاد، مثل: سبحاني، وما في الجبة إلا الله. ما النار؟ لاستندن إليها غداً، وأقول: اجعلني فداءً لأهلها، وإلا بلعنها. ما الجنة؟ لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا. ما المحذون؟ إن خاطبهم رجلٌ عن رجلٍ، فقد خاطبنا القلب عن الرب.

وقال في اليهود: ما هؤلاء؟ هبهم لي، أي شيء هؤلاء حتى تُعذبهم؟

قال السلمي في «تاريخ الصوفية»: توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله

كلام حسن في المعاملات.

[٥] ثم قال: ويحكى عنه في الشطح أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولاً عليه، وكان يرجع إلى أحوال سنيّة، ثم ساق بإسناد له، عن أبي يزيد، قال: من نظر إلى شاهدي بعين الاضطراب، وإلى أوقاتي بعين الاغتراب، وإلى أحوالي بعين الاستدراج، وإلى كلامي بعين الافتراء، وإلى عباراتي بعين الاجتراء، وإلى نفسي بعين الازدراء، فقد أخطأ النظرُ في.

[٦] وعنه قال: لو صفنا لي تهليلاً ما باليت بعدها.

توفي أبو يزيد ببسطام، سنة إحدى وستين ومئتين.

(١) المقصود بالسكر هنا: الشوق والرثه بالله تعالى.

الطبقة الخامسة عشرة

٥٥٢ أحمد بن طولون^(١)

التركي، صاحب مصر، أبو العباس.

ولد بسامراء، وقيل: بل تبناه الأمير طولون. وطولون قدمه صاحب ما وراء النهر إلى المأمون، في عدة ممالك، سنة مئتين، فعاش طولون إلى سنة أربعين ومئتين. فأجاد ابنه أحمد حفظ القرآن، وطلب العلم، وتنقلت به الأحوال، وتأثر، وولّي نُغور الشام، ثم إمرة دمشق، ثم وُلّي الديار المصرية في سنة أربع وخمسين، وله إذ ذاك أربعون سنة.

وكان بطلا شجاعا، مقداما مهيبا، سائسا، جوادا، مُمدحا، من دهاة الملوك.

[١] قيل: كانت مؤنته في اليوم ألف دينار، وكان يرجع إلى عدل وبذل، لكنه جبار، سفك للدماء.

[٢] قال القضاعي: أحصي من قتله صبورا، أو مات في سجنه، فبلغوا ثمانية عشر ألفا.

وأنشأ بظاهر مصر جامعا، غرم عليه مئة ألف دينار، وكان جيّد الإسلام، معظما للشعائر.

[٣] عن محمد بن علي المادرائي قال: كنت أجتاز بقبر ابن طولون، فأرى شيخا ملازما له، ثم لم أره مدة، ثم رأيته، فسألته، فقال: كان له عليّ أيا، فأحببت أن أصلّه بالتلاوة. قال: فرأيته في النوم يقول: أحب أن لا تقرأ عندي، فما تمرّ

(١) انظر السير: ١٣ / ٩٤-٩٦.

بِي آيَةٌ إِلَّا قُرَعْتُ بِهَا، وَيُقَالُ لِي: أَمَا سَمِعْتَ هَذِهِ؟.

توفي أحمد بمصر سنة سبعين ومئتين.

وقام بعده ابنه حُمازويه، ثم جيش بن حُمازويه، ثم أخوه هارون.

٥٥٣ داود بن علي^(١)

[١] ابن خلف، الإمام، البحر، الحافظ، عالم الوقت، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر. مولده سنة مئتين.

قال أبو بكر الخطيب: صنّف الكتب، وكان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً، وفي كتبه حديثٌ كثيرٌ، لكنّ الرواية عنه عزيزةٌ جداً.

قال عمر بن محمد بن بجير الحافظ: سمعت داود بن علي يقول: دخلت على إسحاق وهو يحتجم، فجلستُ، فرأيت كتب الشافعي، فأخذت أنظر، فصاح بي إسحاق: أَيَسُّ تَنْظُرٌ؟ فقلت: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: ٧٩]. قال: فجعل يضحك، أو يتسم.^(٢)

[٢] قال أحمد بن كامل القاضي: أخبرني أبو عبد الله الزُّرَّاق: أنه كان يُورِقُ على داود بن علي، وأنه سمعه يُسأل عن القرآن، فقال: أما الذي في اللوح المحفوظ: فغير مخلوق، وأما الذي هو بين الناس: فمخلوق.

[٣] والمخوضُ في هذا حَظْر. نسأل الله السلامة في الدين. وفي المسألة بحوث طويلة، الكف عنها أولى، ولا سيما في هذه الأزمنة المُرْمَنَة.

(١) انظر السير: ١٣ / ١٠٨٩٧.

(٢) طبقات السبكي: ٢٨٥/٢. وقد قال هذا لأن داود كان في أول أمره من المتعصبين للشافعي، الأعديين بأقواله.

[١] قلت: للعلماء قولان في الاعتداد بخلاف داود وأتباعه: فمن اعتدَّ بخلافهم، قال: ما اعتدادنا بخلافهم لأن مفرداتهم حُجَّة، بل لثُحْكِي في الجملة، وبعضها سائغ، وبعضها قويٌّ وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظنِّي، وتندر مخالفتهم لإجماع قطعي. ومن أهدرهم، ولم يعتد بهم، لم يعدَّهم في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفرهم بها، بل يقول: هؤلاء في حَيْزِ العَوَامِّ، أو هم كالشَّيعة في الفروع، ولا نلتفتُ إلى أقوالهم، ولا نُنصِبُ معهم الخلاف، ولا يُعنى بتحصيل كتبهم، ولا ندلُّ مستفتيا من العامة عليهم. وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمسح الرجلين، أدبناهم، وعزَّزناهم، والزمناهم بالغسل جزما.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني: قال الجمهور: إنهم - يعني نفاة القياس - لا يبلغون رتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدُهم القضاء.

وقال إمام الحرمين أبو المعالي: الذي ذهب إليه أهل التحقيق: أن منكري القياس لا يُعدُّون من علماء الأمة، ولا من حملة الشريعة، لأنهم معاندون، مباحثون فيما ثبت استفاضة وتواتر، لأن مُعظَمَ الشريعة صادرٌ عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء مُلتحقون بالعوام.

قلت: هذا القول من أبي المعالي آذاه إليه اجتهاده، وهم فأذاهم اجتهادهم إلى نفي القول بالقياس، فكيف يُردُّ الاجتهادُ بمثله، ونُدري بالضرورة أن داود كان يُقربى مذهب، وينظر عليه، ويفتي به في مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويه ولا تدريسه، ولا سعوا في منعه من بثِّه، وبالضرورة مثل إسماعيل القاضي، شيخ المالكية، وعثمان بن بشر الأنماطي، شيخ الشافعية، والمرؤذي شيخ الحنبلية، وابني الإمام أحمد، وأبي العباس أحمد بن محمد البسرتي، شيخ الحنفية، وأحمد بن أبي عمران القاضي، ومثل عالم بغداد إبراهيم الحربي. بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم

ابن أصبغ : ذكرت الطبري - يعني ابن جرير - وابن سُرَيْج ، فقلت لهما : كتاب ابن قُتَيْبَةَ في الفقه أين هو عندكما؟ قالوا : ليس بشيء ، ولا كتاب أبي عبيد ، فإذا أردت الفقه فكتب الشافعي ، وداود ونظرائهما .

ثم كان بعده ابنه أبو بكر ، وابن المُعَلِّس ، وعدة من تلامذة داود ، وعلى أكتافهم مثل : ابن سُرَيْج ، شيخ الشافعية ، وأبي بكر الخلال ، شيخ الحنبلية ، وأبي الحسن الكرخي شيخ الحنفية ، وكان أبو جعفر الطَّحَاوِيُّ بمصر . بل كانوا يتجالسون ويتناظرون ، ويترز كل منهم بحججه ، ولا يسعون بالذَّاودية إلى السلطان . بل أبلغ من ذلك ، ينصبون معهم الخلاف ، في تصانيفهم قديما وحديثا ، وبكل حال ، فلهم أشياء أحسنوا فيها ، ولهم مسائل مستهجنة ، يُشَغَبُ عليهم بها ، وإلى ذلك يشير الإمام أبو عمرو بن الصلاح ، حيث يقول : الذي اختاره الأستاذ أبو منصور ، وذكر أنه الصحيح من المذهب ، أنه يُعْتَبَرُ خلاف داود . ثم قال ابن الصلاح : وهذا الذي استقر عليه الأمر آخرًا ، كما هو الأغلب الأعراف من صفو الأئمة المتأخرين ، الذين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم المشهورة ، كالشيخ أبي حامد الإسفراييني ، والماوردي ، والقاضي أبي الطيب ، فلولا اعتدادهم به لما ذكروا مذهبه في مُصَنَّفَاتِهِم المشهورة .

قال : وأرى أن يُعْتَبَرَ قوله إلا فيما خالف فيه القياس الحلي ، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه ، أو بناء على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها ، فاتفق من سواه إجماع منعقد ، كقوله في التَّغَوُّطِ في الماء الرَّاكد^(١) وتلك المسائل الشنيعة ، وقوله : لا ربا إلا في السَّنة المنصوص عليها ، فخلافه في هذا أو نحوه غير معتد به ، لأنه مبني على ما يقطعُ بطلانه .

(١) وهو قول ابن حزم ، ونص كلامه في (المحلى) : ١٣٥/١ : (إلا أن البائل في الماء الراكد الذي لا يجري حرام عليه الوضوء بذلك الماء والاعتسال به لغرض أو لغيره ، وحكمه التيمم إن لم يجد غيره . . . فلو أحدث في الماء أو ياك خارجا منه ثم جرى البول فيه فهو طاهر يجوز الوضوء منه والغسل له ولغيره إلا أن يغير ذلك البول أو الحدث شيئا من أوصاف الماء فلا يجزيه حينئذ استعماله أصلا لا له ولا لغيره .

قلت: لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وَقَطَعَ ببطلان قوله فيها، فإنها هَدْرٌ، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عَضْدُهَا نَصٌّ، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تُهْدَرُ.

وفي الجملة، فداود بن علي بصيرٌ بالفقه، عالمٌ بالقرآن، حافظٌ للأثر، رأسٌ في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاءٌ خارقٌ، وفيه دينٌ متين. وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعةٌ لهم عِلْمٌ باهر، وذكاءٌ قوي، فالكمال عزيز، والله الموفق.

ونحن: فتحكي قولَ ابنِ عباسٍ في المُتعة، وفي الصُّرف،^(١) وفي إنكار العَوْل، وقول طائفة من الصحابة في ترك الغسل من الإيلاج^(٢)، وأشباه ذلك، ولا نجوز لأحد تقليدهم في ذلك.

فأمَّا ابنُه: مات داود في شهر رمضان سنة سبعين ومئتين.

٥٥٤ محمد بن داود^(٣)

[١] ابنِ عليِّ الظَّاهري: العلامة، البارع، ذو الفنون، أبو بكر. فكان أحدَ من يضرب المثلُ بذكائه، وهو مصنف كتاب: «الزهرة» في الآداب والشعر. وله كتاب في الفرائض، وغير ذلك. وله بَصْرٌ تامٌّ بالحديث، وبأقوال الصحابة، وكان يجتهد ولا يُقلِّدُ أحداً.

ومات قبل الكهولة، وقَلَّ ما روى.

تصدَّر للفتيا بعد والده، وكان يناظر أبا العباسِ بنِ سُريج، ولا يكاد يَنْقَطِعُ

معه.

[٢] قال القاضي أبو الحسن الداودي: لما جلس أبو بكر بن داود للفتوى بعد

(١) انظر صحيح مسلم: رقم (٥٩٦) (١٠٢)، وشرح السنة: ٦٠-٦١ / ٨.

(٢) انظر شرح السنة: ٧٥ / ٢.

(٣) انظر السير: ١١٦-١١٩ / ١٣.

والده استصغروه، فدنسوا عليه من سأله عن حدِّ السكر، ومتى يُعدُّ الإنسان سكران؟ فقال: إذا عزبت^(١) عنه الهموم، وباح بسره المكتوم. فاستحسن ذلك منه.

[١] قال أبو محمد بن حزم: كان ابنُ داود من أجملِ الناس، وأكرمهم خلقاً، وأبلغهم لساناً، وأنظفهم هيئة، مع الدِّين والوَرع، وكلُّ خَلَّةٍ محمودة، مُحِبِّياً إلى الناس، حفظ القرآن وله سبع سنين، وذاكر الرجال بالأدب والشعر وله عشر سنين، وكان يُشاهد في مجلسه أربع مئة صاحبِ مخبِرة. عاش ثلاثاً وأربعين سنة. قال: ومات سنة سبع وتسعين ومئتين.

[٢] وقيل كان ابن داود خصماً لابن سُرَيْج في المناظرة، كانا يتراذان في الكتب، فلما بلغ ابن سُرَيْج موت محمد بن داود، حزن له، ونَحَى مَخَادَهُ، وجلس للتُعْزِيَةِ، وقال: ما آسى إلا على تراب يأكل لسان محمد بن داود.

قال أبو إسحاق - رحمه الله -: وأما داود: فقام بنقل فقهه جماعة من أصحابه، منهم: ابنه أبو بكر محمد، وكان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً، وكان يناظر إمام أصحابنا، أبا العباس بن سُرَيْج، وخَلَفَ أباه في خَلْقَتِهِ . . . وسمعت شيخنا القاضي أبا الطيب الطبري يقول: سمعت أبا العباس الخُضْري قال:

[٣] كنت جالساً عند أبي بكر محمد بن داود، فجاءته امرأة، فقالت: ما تقول في رجل له زوجة، لا هو يمسكها، ولا هو يطلقها؟ فقال أبو بكر: اختلف في ذلك أهل العلم، فقال قائلون: تؤمر بالصبر والاحتساب، وتُبَعَثُ على الطَّلَبِ والاكْتِسَابِ. وقال قائلون: يُؤمَرُ بالإنفاق، وإلا حُبِلَ على الطلاق. فلم تفهم المرأة قوله، فأعادت سؤالها عليه، فقال: يا هذه قد أجبتك . . . ولستُ بِسُلْطَانِ فَأْمُضِي، ولا قاضٍ فَأَقْضِي، ولا زَوْجٍ فَرُضِيدٍ فأنصُرني.

(١) عزب: بَعَدَ وَغَاب.

[١] الشَّريف، أبو القاسم، محمد بن الحَسَنِ العسْكَرِيِّ بن عَلِيِّ الهادي بن محمد الجواد بن علي الرُّضِيِّ بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زَيْنِ العابدين بن عَلِيِّ بن الحسين الشهيد بن الإمام عَلِيِّ بن أَبِي طالب، العَلَوِيِّ الحُسَيْنِيِّ.

[٢] خاتمة الاثني عشر سَيِّدا، الذين تَدَّعِي الإمامية عَصَمَتَهُمْ - ولا عِصْمَةَ إِلَّا لِنبِيِّ - ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخَلْفُ الحِجَّةُ، وأنه صاحبُ الزَّمانِ، وأنه صاحبُ السُّرْدَابِ بِسَامَرَاءَ، وأنه خِيٌّ لا يَمُوتُ، حَتَّى يَخْرُجَ، فيمَلَأُ الأرضَ عَدَلا وقِسْطا، كما مُلِئتَ ظُلْما وجورا. فودِدْنَا ذلك - والله - وهم في انتظاره من أربعِ مئةٍ وسبعين سنة، ومن أحالكَ على غائبٍ لم يُنصِفْكَ، فكيف بمن أحال على مُستحيلٍ؟! والإنصافُ عَزِيزٌ. فنَعُوذُ بالله من الجَهْلِ والهوى.

[٣] فمولانا الإمام عليّ: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنة - رضي الله عنه - نُجِبَهُ أشدَّ الحُبِّ، ولا نَدَّعِي عِصْمَتَهُ، ولا عِصْمَةَ أَبِي بكر الصُّدِّيقِ.

وابنائه الحسن والحسين: فسيبَطا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ ولو استخلفا لكانا أهلا لذلك. وزين العابدين: كبيرُ القَدْرِ، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة، وله نُظراء، وغيره أكثر فتوى منه، وأكثر رواية. وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيِّدٌ، إمام، فقيه، يصلح للخلافة. وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور. وكان ولده موسى: كبير القدر، جيِّد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نُظراء في الشرف والفضل. وابنه عليّ بن موسى الرُّضا: كبير الشأن، له علمٌ وبيانٌ، ووقع في النفوس، صيره المأمونَ وليَّ عَهْدِهِ لجلالته، فتوفي سنة ثلاثٍ ومئتين. وابنه محمد الجواد: من سادة قومه، لم يبلغ رتبةَ آباءه

(١) انظر السير: ١٣ / ١١٩-١٢٢.

في العلم والفقہ . وكذلك ولده الملقب بالهادي : شريف جليل . وكذلك ابنة
الحسن بن علي العسكري . رحمهم الله تعالى .
فأما محمد بن الحسن هذا : فنقل أبو محمد بن حزم : أن الحسن مات من
غير عقب . قال : وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابناً أخفاه .
ومن قال : إن الحسن العسكري لم يعقب : محمد بن جرير الطبري ،
ويحيى بن صاعد ، وناهيك بهما معرفة وثقة .

٥٥٦ الخبيث^(١)

[١] هو طاغية الزنج ، علي بن محمد بن عبدالرحمن العبدي ، من عبد القيس .
افتري ، وزعم أنه ولد زيد بن علي العلوي ، وكان منجماً طرقياً ذكياً ،
خزورياً^(٢) ، مكرراً ، داهية منحلاً ، على رأي فجرة الخوارج ، يتستر بالانتماء إليهم ،
وإلا فالرجل ذهري فيلسوف زنديق . ظهر بالبصرة ، واستغوى عبيد الناس
وأوباشهم ، فتجمع له كل لص ومريب ، وكثروا ، فشد بهم على أهل البصرة ،
وتم له ذلك ، واستباحوا البلد ، واسترقوا الدرية ، وملكوا ، فانتدب لحربهم عسكر
المعتمد ، فالتقى الفريقان ، وانتصر الخبيث ، واستفحل بلاؤه ، وطوى البلاد ،
وأباد العباد ، وكاد أن يملك بغداد ، وجرت بينه وبين الجيش عدة مصافات ،
وأشأ مدينة سماها : المختارة ، في غاية الحصانة ، وزاد جيشه على مئة ألف ،
ولولا زندقته ومروقه لاستولى على الممالك .

قال نَقَطَوِيَّةُ : كان أولاً بواسط ، وربما كتب العوذ ، فأخذه محمد بن أبي
عون ، فحبسه ، ثم أطلقه ، فما لبث أن خرج واستغوى الزنج - يعني : عبيد

(١) انظر السير : ١٣ / ١٣٩-١٣٦ .

(٢) نسبة إلى الحرورية : وهم الخوارج الذين حانقوا علياً رضي الله عنه - بعد رجوعه من صفين إلى الكوفة .
إذ انحازوا إلى «حرورية» موضع بظاهر الكوفة ، وكان أول اجتماعهم به ، فسماوا «الحرورية» .

الناس والذين يَكْسَحُونَ وَيَزْبِلُونَ^(١) - فصار من أمره ما صار، وخافته الخلفاء، ثم أظفروهم الله به بعد حروب تشيب النواصي.

وقتل والله الحمد في سنة سبعين وميتين، وله ثمان وأربعون سنة. ولو أفردت أخباره ووقائعہ لبلغت مجلدا. وكان مُفْرِطَ الشجاعة، جريًا داهية. [١] رُئي أبوه أنه بال في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بولة أحرقت نصف الدنيا.

وكانت أم الخبيث تقول: لم يدع ابني أحدا عنده علم بالرئى حتى خالطهم، ثم خرج إلى خراسان، فغاب عني ستين، وجاء، ثم غاب عني غيبته التي خرج فيها، فورد عليّ كتابه من البصرة، وبعث إليّ بمال، فلم أقبله، لما صح عندي من سَفَكه للدماء، وخراجه للمدن.

قلت: وكان أبوه داهية شيطانا كَوَلَّدَه. فقال عليّ: مرضت وأنا غلام، فجلس أبي يعودني، وقال لامي: ما خبره؟ قالت: يموت. قال: فإذا مات، من يَحْرِبُ البصرة؟ قال: فبقي ذلك في قلبي.

[٢] قلت: بعد مصرع المتوكل وابنه، وأولئك الخلفاء المستضعفين المقتولين، نقص أمر الخلافة جدا، وطمع كل شيطان في التوثب، وخرج الصُّفَّار بخراسان، واتسعت ممالكه، وخرج هذا الخبيث بالبصرة، وفعل ما فعل. وهاجت الروم، وعَظَّمَ الخُطْبُ.

[٣] ثم بعد سنوات ثارت القرامطة والأعراب، وظهر بالمنغرب عُبيدُ الله، الملقب بالمهدي، وتملك. ثم دامت الدولة في ذرية الباطنية إلى نور الدين، رحمه الله.

[٤] فأدعى بعد الخمسين هذا الخبيث بِهَجْر^(٢) أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسين بن عبد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب. ودعا إلى نفسه، فمال إليه

(١) الكسح: الكس. والكساحة: الكناسة. ويزبلون: أي: يصلحون الأرض بالزبل.

(٢) هجر: مدينة في البحرين.

رئيس هَجْر، ونابذَه قوم، فاقتتلوا، فتحول إلى الأحساء، واعتصم ببني
 الشَّمْس، وإنما قصد البحرين لغباوة أهلها، ورواج المخاريق عليهم، فحل
 منهم محل نبي، وصدقوه بِمِرَّة، ثم تنكروا له لدبره، فَشَخَّصَ إلى البادية
 يستغوى الأعراب بنفوذ حيله، وشَعَوَذته، واعتقدوا فيه أنه يعلم منطق الطير،
 وجعل يُغَيِّر على النواحي، ثم نَمَت له وقعة كبيرة، هُزِمَ فيها وقتل كُبراء أتباعه،
 وكرهته العرب.

[١] وذهب إلى بغداد فأقام سنة يستغوى الناس ويضلُّهم، فاستمال عبدة من
 الحاكمة بمخاريقه، والجهلة أسبق شيء إلى أرباب الأحوال الشيطانية، ومات
 مُتولِّي البصرة، وهاجت الأعراب بها، وفتحوا السجون، فتخلص قومه فبادر إلى
 البصرة في رمضان سنة خمس، وحوله جماعة، واستجاب له عبيد زُجج للناس،
 فأفسدهم وجسَّهم، عمد إلى جريدة، فكتب على خرقة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]. وكتب اسمه،
 وخرج بهم في السحر لليلتين بقيت من رمضان في ألف نفس، فخطبهم، وقال:
 أنتم الأمراء وستملكون.. ووعدهم، ومناهم.

ثم لم يزل يذهب ويغير، ويكثر جمعه من كل مائت^(١) وقاطع طريق، حتى
 استفحل أمره، وعظمت فنتته، وغنم الخيول والسلاح، والأمتعة والأموال
 والمواشي. وصار من الملوك... وصار كلما حاربه عسكر وانهموا، فرَّ إليه
 غلمان العسكر. فحشد له أهل البصرة في ذي القعدة من العام، والتقوا،
 فهزموهم، وقتل منهم مقتلة، ووقع رعبه في النفوس، فوجه الخليفة جيشاً، فما
 نفعا.

ثم أخذ الأهواز، فخافه أهل البصرة، وأنجفوا، فأخذها بالسيف في شوال،
 سنة سبع وخمسين، وقت صلاة الجمعة، وهرب جندُها فأحرق الجامع بمن
 حوى، ولم تزل الحرب بينه وبين الموفق سجّالاً.

(١) مائت: حائد، والساقية: الحقد.

واستباح واسط في سنة أربع وستين، وحصل للخبيث جواهر وأموال، فاستأثر بها، فأنكر عليه المتقشفون من أصحابه، وذكروا له سيرة أبي بكر وعمر، فقال: ليس فيهما قُدوة.

وآدعى أنه هو عبدالله المذكور في: ﴿قل أوحى﴾ [الجن: ١] وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما يمتاز عليه إلا بالنبوة.

وزعم أنه تكلم في المهدي، صيح به: يا علي! فقال: يا لبيك. وكان يجمع اليهود والنصارى، يسألهم عما في التوراة والإنجيل من ذكره، وهم يسخرون منه، ويقرؤون له فصولاً، فيدعي أنها فيه. وزاد من الإفك، فنفرت منه قلوب خلق من أتباعه ومقتوه. وبقي الموفق يكرم كل من فر إليه، ويخلع عليهم. وكتب إلى الخبيث يدعوه إلى التوبة من ادعاء مخاطبة الملائكة، ومن تحريفه القرآن وصلواته، فما أجاب بشيء، وحصن مدينته (المختارة) التي بنهر أبي الخصيب، حتى بقيت يضرب بها المثل، ونصب فيها المجانيق والأسلحة بما بهر العقول، وبها نحو مئتي ألف مقاتل، فما قدر عليها الجيش إلا بالمطاوله، وأنشأ تلقاءها الموفق مدينة وسكنها، ولم يزل إلى أن أخذ (المختارة) فهرب الخبيث إلى مضائق في نهر أبي الخصيب، لا تصل إليها سفينة ولا فارس، ثم برز في أبطاله، وقاتل أشد قتال، وهو يقول:

وعزيمتي مثل الحسام، وهمتي نفس أصول بها كنفس القسور
وإذا تنازعني أقول لها اسكتي قتل يربحك أو صعوذ المنبر

٥٥٧ أبو حمزة البغدادي (١)

[١] شيخ الشيوخ، أبو حمزة، محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي. جالس بشراً الحافي، والإمام أحمد.

(١) انظر السير: ١٣ / ١٦٥-١٦٨.

[١] كان بصيرا بالقراءات. وكان كثير الرباط والغزو.

[٢] قال إبراهيم بن علي المرّيدي: سمعت أبا حمزة يقول: من المُحال أن تحبّه ثم لا تذكره، وأن تذكره ثم لا يوجدك طعام ذكره، ويشغلك بغيره.

[٣] قلت: ولأبي حمزة انحرافٌ وشطْحٌ له تأويل.

[٤] قال أبو نصر السُّراج، صاحب (اللمع): بلغني إنه دخل على الحارث المحاسبي، فصاحت شاة: ماع. فشَهَقَ، وقال: لَيْلِكَ لَيْلِكَ يا سيدي. فغضب الحارث، وأخذ السُّكين، وقال: إن لم تُتَبَّ أذبحك.

نقل الخطيب وفاته في سنة تسع وستين ومئتين.

وكذا ورّخه ابن الأعرابي، وقال: جاء من طُرُسُوس، فاجتمعوا عليه ببغداد، وما زال مقبولا، حضر جنازته أهل العلم والنسك، وغسله جماعة من بني هاشم، وقُدِّمَ الجُنَيْدُ في الصلاة عليه، فامتنع، فتقدّم ولده، وكنت باثنا في مسجده ليلة موته، فأخبرت أنه كان يتلو حزبه، حتى ختم تلك الليلة. وكان صاحب ليل، مقدما في علم القرآن، وخاصة في قراءة أبي عمرو، وحملها عنه جماعة. وكان سبب علته أن الناس كثروا، فأُتِيَ بكرسي، فجلس، ومر في كلامه شيء أعجبه، فردده وأغمي عليه، فسَقَطَ، وقد كان هذا يصيبه كثيرا، فانصرف بين اثنين يوم الجمعة، فَنَعَلُ ودفن في الجمعة الثانية بعد الصلاة، [٥] وهو أول من تكلم في صفاء الذكر، وجمع الهمّ والمحبة، والشوق، والقرب والانس على رؤوس الناس، وهو مولى لعيسى بن أبان القاضي، وقد سمعته غير مرة يقول: قال لي أحمد بن حنبل: يا صوفي! ما تقول في هذه المسألة.

٥٥٨ الفَسَوِي (ت، س) (١)

[٦] الإمام، المحافظ، الحجة، الرَّحَال، محدث إقليم فارس، أبو يوسف، يعقوب ابن سفيان بن جُوَان الفارسي، من أهل مدينة فَسَا. مولده في حدود عام تسعين

(١) انظر السير: ١٣ / ١٨٠ - ١٨٤.

ومئة.

[١] ورؤي عن الحافظ أبي عبدالرحمن النُّهَاقِ نَدِي، أنه سمع الفَسَوِيَّ يقول: كتبت عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات.

قلت: ليس في مشيخته إلا نحو من ثلاث مئة شيخ، فأين الباقي؟ ثم في المذكورين جماعة قد ضُغِفُوا.

[٢] قال الحافظ أبو إسحاق بن حمزة: سمعت أبي يقول: كنت رحلت إلى يعقوب ابن سفيان، فبقيت عنده ستة أشهر، فقلت له: طال مقامي عندك، ولي الودة. فقال: رددت الباب على والدتي ثلاثين سنة.

[٣] وعن محمد بن القاسم بن بشر: سمعت محمد بن يزيد الفَسَوِيَّ العَطَّار، سمعت يعقوب بن سفيان يقول: كنت في رحلتي في طلب الحديث، فدخلت إلى بعض المدن، فصادفت بها شيخا، احتجت إلى الإقامة عليه للاستكثار عنه، وقلت نفقتي، وتعدت عن بلدي، فكنت أدمن الكتابة ليلا، وأقرأ عليه نهارا، فلما كان ذات ليلة، كنت جالسا أنسخ، وقد تصرم الليل، فنزل الماء في عيني، فلم أبصر السراج ولا البيت، فبكيْتُ على انقطاعي، وعلى ما يفوتني من العلم، فاشتد بكائي حتى اتكأت على جنبي، فقيمتُ، فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فناداني: يا يعقوب بن سفيان! لِمَ أنت بكيت؟ فقلت: يارسول الله! ذهب بصري، فتحسرت على ما فاتني من كتب سننك، وعلى الانقطاع عن بلدي. فقال: أذن مني. فدنوت منه، فأمرُ يده على عيني، كأنه يقرأ عليهما. قال: ثم استيقظت فأبصرت، وأخذت نسختي وقعدت في السراج أكتب.

مات يعقوب بن سفيان بفسا سنة سبع وسبعين ومئتين.

[١] سليمان بن الأشعث. الإمام، شيخ السنة، مُقدّم الحفاظ، أبوداود، الأزديّ السجستاني، محدث البصرة.

ولد سنة اثنتين ومئتين، ورحل، وجمع، وصنف، وترع في هذا الشأن. وسكن البصرة بعد هلاك الخبيث طاغية الزنج، فنشر بها العلم، وكان يتردد إلى بغداد.

[٢] وقال أبو بكر بن ذاسة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمته هذا الكتاب - يعني كتاب «السنن» - جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمان مئة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، وكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها: قوله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالنيات» والثاني: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه». والرابع: «الحلال بين».

الحديث. قوله: يكفي الإنسان لدينه، ممنوع، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن.

قال أبو بكر الخلال: أبوداود الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعه أحد في زمانه، رجل ورع مقدّم، سمع منه أحمد بن حنبل حديثا واحدا.

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الضعائقي، وإبراهيم الحربي لما صنف أبوداود كتاب «السنن»: «السنن لأبي داود الحديث، كما ألين لداود، عليه السلام، الحديث».

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٢١-٢٠٣.

(١) وقال الحافظ موسى بن هارون: سُلِقَ أبوداود في الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنة.

(٢) قال القاضي الخليل بن أحمد السُّجَري: سمعت أحمد بن محمد بن الليث قاضي بلدنا يقول: جاء سهل بن عبد الله التُّستَري إلى أبي داود السُّجِسْتَانِي، فقيل: يا أبا داود: هذا سهل بن عبد الله جاءك زائراً فرحّب به، وأجلسه، فقال سهل: يا أباداود! لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: حتى تقول: قد قضيتها مع الإمكان. قال: نعم. قال: أخرج إليّ لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله. فأخرج إليه لسانه فقبله.

قال ابن دَاسَةَ: سمعت أباداود يقول: ذكرت في السنن الصحيح وما يقاربه، فإن كان فيه وهن شديد بيّته.

قلت: فقد وفي - رحمه الله - بذلك بحسب اجتهاده، وبين ما ضَعَفَهُ شديد، ووهنه غير محتمل وكاسر^(١) عن ما ضَعَفَهُ خفيفٌ مُحتمل، فلا يلزم من سُكوتِه - والحالة هذه - عن الحديث أن يكونَ حَسَناً عنده، ولا سَيِّئاً إذا حَكَمْنَا على حدِّ الحسنِ باصطلاحنا المولد الحادث، الذي هو في عرف السلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح، الذي يجب العملُ به عند جمهور العلماء، أو الذي يرغبُ عنه أبو عبد الله البخاري، ويمشيه مسلم، وبالعكس، فهو داخل في أداني مراتب الصُّحَّة، فإنه لو انْحَطَّ عن ذلك لخرج عن الاحتجاج، ولبقي متجاذباً بين الضعف والحسن، فكتاب أبي داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلك نحو من شَطْر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين، ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رَغِبَا عنه، وكان إسناده جيداً، سالماً من عِلَّةٍ وشُدُوذٍ، ثم يليه ما كان إسناده صالحاً، وقبَلَهُ العلماءُ لمجيئه من وجهين لَيِّنِينَ فصاعداً، يَعْتَصِدُ كُلُّ إسنَادٍ منهما الآخر، ثم يليه ما ضَعَفَ إسنادهُ لِنَقْصِ حِفْظِ راويه، فمثل هذا يمشيه أبوداود، ويسكت عنه غالباً، ثم يليه ما كان بين الضَّعْفِ من جهة راويه،

(١) كسر من حرفه: غَضٌّ.

فهذا لا يسكت عنه، بل يُوهنه غالباً، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكازته،
والله أعلم.

قال الحافظ زكريا الساجي: كتاب الله أصل الإسلام، وكتاب أبي داود عهد
الإسلام.

قلت: كان أبوداود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل
على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن
دقائق المسائل في الفروع والأصول.

وكان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها، وترك الخوض في
مضائق الكلام.

[١] عن عَلْقَمَةَ، قال: كان عبدالله بن مسعود يُشَبَّه بالنبي صلى الله عليه وسلم
في هُدْيِهِ ودلِّهِ. وكان عَلْقَمَةُ يُشَبَّه بعبدالله في ذلك.

قال جرير بن عبد الحميد: وكان إبراهيم النخعي يُشَبَّه بعلقمة في ذلك، وكان
منصور يُشَبَّه بإبراهيم.

وقيل: كان سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يُشَبَّه بمنصور، وكان وَكِيعٌ يُشَبَّه بسفيان، وكان
أحمد يُشَبَّه بوكيع، وكان أبوداود يُشَبَّه بأحمد.

[٢] أبوبكر بن جابر خادم أبي داود - رحمه الله - قال: كنت مع أبي داود ببغداد،
فصلَّينا المغرب، فجاءه الأمير أبو أحمد المَوْفَّق - يعني ولي العهد - فدخل، ثم
أقبل عليه أبوداود، فقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خِلالَ
ثلاث. قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتحذها وطناً، ليرحل إليك طلباً
العلم، فتعمر بك، فإنها قد خربت، وانقطع عنها الناس، لِمَا جرى عليها من
محنة الرِّزْق. فقال: هذه واحدة. قال: وتروى لأولادي «السنن». قال: نعم،
هاتِ الثالثة. قال: وتفرد لهم مجلساً، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة.
قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون ويعقدون في كمِّ جيري، عليه ستر،

ويسمعون مع العامة.

[١] قال أبو داود في «سننه»: شَبَرْتُ قِثَاءَةً بِمِصْرَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شِبْرًا، وَرَأَيْتُ التَّرِجَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَقَدْ قَطَعْتَ قَطْعَتَيْنِ، وَعَمِلْتَ مِثْلَ عِدْلَيْنِ.
توفي أبو داود سنة خمس وسبعين ومثين.

٥٦٠ أبوبكر (١)

[٢] عبدالله بن سليمان بن الأشعث: الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، أبوبكر السجستاني، صاحب التصانيف. ولد بسجستان في سنة ثلاثين ومثين.
وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضّله على أبيه.

[٣] وكان يقول: دخلت الكوفة ومعى درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مَدًّا بِاقْلًا (٢)، فكنت آكل منه، واكتب عن أبي سعيد الأشج، فما فرغ الباقلا حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مَقْطُوعٍ وَمُرْسَلٍ.

[٤] قال أبوبكر بن شاذان: قدم أبوبكر بن أبي داود سجستان، فسأله أن يحدثهم، فقال: ما معي أصل. فقالوا: ابن أبي داود وأصل؟! قال: فأناروني، فأملت عليهم من حفظي ثلاثين ألف حديث، فلما قدمت بغداد، قال البغداديون: مضى إلى سجستان ولعب بهم، ثم فَبَجُوا فَبَجًا (٣) أكثره بستة دنانير إلى سجستان، ليكتب لهم النسخة، فكَتَبْتُ، وجرى بها، وعرضت على الحافظ، فخطّووني في ستة أحاديث، منها ثلاثة أحاديث حَدَّثْتُ بها كما حَدَّثْتُ، وثلاثة أخطأت فيها.

قال الحافظ أبو محمد الخلال: كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن

(١) انظر السير ١٣ / ٢٢١-٢٣٧.

(٢) الباقلا: باللهجة العراقية: القول.

(٣) الفبج: الجملة من الناس.

نصب له السلطان المنير، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو.

[١] أبو حفص بن شاهين، قال: أملى علينا ابن أبي داود سنين، وما رأيت بيده كتاباً، إنما كان يملي حفظاً، فكان يقعد على المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر - بيده كتاب - فيقول له: حديث كذا، فيسرده من حفظه، حتى يأتي على المجلس.

[٢] علي بن الحسين بن الجعيد، سمعت أبا داود يقول: ابني عبد الله كذاب. قال ابن صاعد: كفانا ما قال فيه أبوه.

قال الحافظ ابن عدي: كان في الابتداء ينسب إلى شيء من النُّصب،^(١) فنقاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، فردّه ابن عيسى، فحدّث، وأظهر فضائل عليّ ثم تَحَنَّلَ، فصار شيخاً فيهم.

قلت: كان شهماً، قويّ النفس، وقع بينه وبين ابن جرير، وبين ابن صاعد.

[٣] قلت: لعسل قول أبيه فيه - إن ضحّ - أراد الكذب في لهجته، لا في الحديث، فإنه حُجّة فيما ينقله، أو كان يكذب ويورّي في كلامه، ومن زعم أنه لا يكذب أبداً، فهو أرغن، نسأل الله السلامة من عثرة الشُّباب، ثم إنه شاخ وارغوى، ولزم الصدق والتقى.

[٤] قال محمد بن عبد الله بن الشُّخَيْر: كان ابن أبي داود زاهداً ناسكاً، صلّى عليه يوم مات نحو من ثلاثة مئة ألف إنسان، وأكثر.

قال: ومات سنة ست عشرة وثلاث مئة، وخلف ثلاثة بنين، وخمس بنات، وعاش سبعا وثمانين سنة، وصلّى عليه ثمانين مرة.

[٥] قال أبو أحمد بن عدي: سمعت عليّ بن عبد الله الدَاهِرِيّ يقول: سألت ابن

(١) النُّصب: أي بغضة علي رضي الله عنه، من نصب فلان لفلان نصباً، إذا قصد له، وعاداه، وتجرده له.

أبي داود عن حديث الطير^(١)، فقال: إن صح حديث الطير فنبوة النبي صلى الله عليه وسلم باطل، لأنه حكى عن حاحب النبي صلى الله عليه وسلم خيانه - يعني أنسا - وحاحب النبي لا يكون خائنا.

قلت: هذه عبارة رديئة، وكلام نحس، بل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حق قطعي، إن صح خبر الطير، وإن لم يصح، وما وجه الارتباط؟ هذا أنس قد خذم النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحتلم، وقبل جريان القلم، فيجوز أن تكون قصة الطائر في تلك المدة. فرضنا أنه كان محتلماً، ما هو بمعصوم من الخيانة، بل فعل هذه الجناية الخفيفة متأولاً، ثم إنه حبس علياً من الدخول كما قيل، فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نفذت واستجيت، فلو حبسه، أو رده مراتب، ما بقي يتصور أن يدخل ويأكل مع المصطفى سواء، اللهم إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قصد بقوله: وإيتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي، عدداً من الخيار، يصدق على مجموعهم أنهم أحب الناس إلى الله، كما يصح قولنا: أحب الخلق إلى الله الصالحون، فيقال: فمن أحبهم إلى الله؟ فنقول: الصديقون والأنبياء. فيقال: فمن أحب الأنبياء كلهم إلى الله؟ فنقول: محمد وإبراهيم وموسى، والخطب في ذلك يسير. وأبو ثابة - مع جلالته - بدت منه خيانه، حيث أشار لبني قريظة إلى حلقه، وتاب الله عليه. وحاطب بدت منه خيانه، فكاتب قريشا بأمر تخفى به نبي الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم، وغفر الله لحاطب مع عظم فعله رضي الله عنه. وحديث الطير - على ضعفه

(١) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم له فرخ مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فقلت: اجعله رجلاً من أهلي الأَنْصار، فجاء علي، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حاجة، ثم جاء، فقلت ذلك، فقال: اللهم ائتني كذلك، فقلت ذلك، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتح، فدخل فقال: ما حبسك يا علي؟ فقال: إنه هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال: إن الرجل محب قومه، وانظر أجوبة الحافظ ابن حجر على أحاديث وقعت في المصابيح ٣/٤١٤، ٣١٤ (والقوائد المجموعة) ص ٣٨٤. وسيلذكر المصنف رأيه بعد قليل.

- فله طرق جَمَّة، وقد أفردتها في جُزء، ولم يَثْبُت، ولا أنا بالمعتقدِ بطلَّانَه، وقد [١]أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله على خَطِّه أجر واحد، وليس من شرط الثقة أن لا يُخطيء ولا يغلط ولا يسهو. والرجل فمن كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ - رحمه الله تعالى - .

٥٦١ أبو حاتم الرّازي (د، س، ت) (١)

[٢] محمد بن إدريس بن المنذر: الإمام، الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، الحنظلي العنطاتي، من تميم بن حنظلة بن يربوع.

كان من بحور العلم، طُوف البلاد، ويرع في المتن والإسناد، وجمع وصنّف، وجرّح وعدّل، وصحّح وعلّل. مولده سنة خمس وتسعين ومئة.

[٣] قال ابن أبي حاتم: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: أبو زُرعة وأبو حاتم إماما خراسان، ودعا لهما، وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين.

[٤] وقال ابن أبي حاتم في أول كتاب «الجرّح والتعديل» له: سمعت أبي يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث، أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قَدَمي زيادةً على ألف فرسخ.

قلت: مسافة ذلك نحو أربعة أشهر، سير الجادة.

قال: ثم تركت العدد بعد ذلك، وخرجت من البَحْرين إلى بَصْرَ ماشيا، ثم إلى الرَّمْلَة ماشيا، ثم إلى دمشق، ثم أنطاكية وطَرْمُوس، ثم رجعت إلى حِمص، ثم إلى الرُّقّة، ثم ركبت إلى العراق، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة.

[٥] سمعت أبي يقول: بقيت في سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانتقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي حتى نفذت، وبقيت

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٤٧-٢٦٣.

بلا نَفَقَة، ومضيت أطوفُ مع صديق لي إلى المَشِيخَة، وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقي، ورجعت إلى بيتي، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت، فعدا علي رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، وانصرفت جائعا، فلما كان من الغد، عَدا عليّ، فقال: مُرُّ بنا إلى المشايخ .

قلت: أنا ضعيف لا يمكنني . قال: ما ضَعْفُكَ؟ قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طَعَمْتُ فيهما شيئا، فقال: قد بقي معي دينار، فنصفه لك، ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وأخذت منه النُصْفَ دينار.

[١] وسمعت أبي يقول: خرجنا من المدينة، من عند داود الجَعْفَرِي، وصِرنا إلى الجَار وركبنا البحر، فكانت الرِّيحُ في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وضائق صدورنا، وفني ما كان معنا، وخرجنا إلى البر نمشي أياما، حتى فني ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يوما لم نأكلْ ولم نشرب، ويوم الثاني، ويوم الثالث، فلما كان يكونُ المساء صلينا، وكنا نلقي بأنفسنا حيث كنا، فلما أصبحنا في اليوم الثالث، جعلنا نمشي على قَدَرِ طاقتنا، وكنا ثلاثة أنفس: شَيْخ نَيْسَابُورِي، وأبوزهير المرزُورُودِي، فسقط الشيخ مَغْشِيًا عليه، فجتنا نحركه وهو لا يعقل، فتركناه، ومشينا قَدَرِ فرسخ، فضَعُفْتُ، وسقطت مغشِيًا عليّ، ومضى صاحبي يمشي فبصر من بُعْد قوما، قربوا سَفِينَتَهُم من البر، ونزلوا على بئر موسى، فلما عاينهم، لوح بثوبه إليهم، فجاؤوه معهم ماء في إداوة^(١) فسَقَوْه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي، فما شعرتُ إلا برجل يصب الماء على وجهي، ففتحت عيني، فقلت: اسقني، فصب من الماء في مشربة قليلا، فشربت، ورجعت إليّ نَفْسِي، ثم سقاني قليلا، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي

(١) الإداوة: المطهرة: وهي إناء صغير يحمل فيه الماء.

شيخ ملقى، فذهب جماعة إليه، وأخذ بيدي، وأنا أمشي وأجرُّ رجلِي، حتى إذا بلغتُ إلى عند سفينتهم، وأتوا بالشيخ، وأحسنوا إلينا، فبقينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها: راية،^(١) إلى واليهم، وزودونا من الكعك والسويق والماء. فلم نزل نمشي حتى نَقَدَ ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعا على شط البحر، حتى دفعنا إلى سلحفاة مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها، فانقلق، فإذا فيها مثل صُفْرَةِ البيض، فَتَحَسُّبْنَاهُ حتى سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الرأية، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها، فأنزلنا في داره، فكان يقدم لنا كل يوم القرع، ويقول لخادمه: هاتي لهم اليقطين المبارك. فيقدمه مع الخبز أياما، فقال واحد منا: ألا ندعو باللحم المشؤوم؟! فسمع صاحب الدار، وأنانا بعد ذلك باللحم، ثم زودنا إلى مصر.

[١] وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي: وجدت في كتاب أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، مما سمع منه، يقول: مذهبنا واختيارنا أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذاهب أهل الأثر، مثل الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، ولزوم الكتاب والسنة، ونعتقد أن الله - عز وجل - على عرشه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير [الشورى: ١١]. وأن الإيمان يزيد وينقص، ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وبالمسألة في القبر، وبالشفاعة، ونترحم على جميع الصحابة. . وذكر أشياء.

[٢] إذا وثق أبوحاتم رجلا فتمسك بقوله، فإنه لا يوثق إلا رجلا صحيح الحديث، وإذا لئى رجلا، أو قال فيه: لا يحتج به. فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد، فلا تبين على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنت في الرجال، قد قال في طائفة من رجال (الصُّحاح): ليس بحجة، ليس بقوي، أو نحو ذلك.

(١) راية: محلة عظيمة بسطاط مصر وهي المحلة التي في وسطها جامع عمرو بن العاص.

مات الحافظ أبو حاتم سنة سبع وسبعين ومئتين . وقيل : عاش ثلاثاً
وثمانين سنة .

(١) [أبي محمد الإباضي الشاعر مرثية طويلة في أبي حاتم، رواها عنه ابن أبي
حاتم، أولها:

أَنْفِي مَالِكٍ لَا تَجْزِعِينَا وَعَيْنِي مَالِكٍ لَا تَذَمِّعِينَا
أَلَمْ تَسْمَعِي بِكُشُوفِ الْعُلُوِّ مَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ مُحَقًّا، مَدِينَا
أَلَمْ تَسْمَعِي خَيْرَ الْمُرْتَضَى أَبِي حَاتِمٍ أَعْلَمَ الْعَالَمِينَ

٥٦٢ ابنه عبد الرحمن^(١)

[٢] العلامة، الحافظ، يكنى: أبا محمد. ولد سنة أربعين ومئتين، أو إحدى
وأربعين

[٣] قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرّازي الخطيب في ترجمة عملها لابن أبي
حاتم: كان - رحمه الله - قد كساه الله نورا وبهاء، يُسَرُّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ . سمعته
يقول: رحل بي أبي سنة خمس وخمسين ومئتين، وما احتلمتُ بعد، فلما بلغنا
ذا الحليفة احتلمتُ، فسَرَّ أبي، حيث أدركت حجة الإسلام .
[٤] وكان بحرا لا تكذره الدلاء .

قال أبو يعلي الخليلي: أخذ أبو محمد علم أبيه، وأبي زُرعة، وكان بحرا في
العلوم ومعرفة الرجال . صنف في الفقه، وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماء
الأمصار . قال: وكان زاهدا، يعد من الأبدال .

قلت: له كتاب نفيس في «الجرح والتعديل»، أربع مجلدات، وكتاب «الرد
على الجهمية»، مجلد ضخيم، انتخبت منه، وله «تفسير» كبير في عدة
مجلدات، عامته آثار بأسانيده، من أحسن التفاسير، وله كتاب «العلل»، مجلد
كبير .

(١) انظر السير: ٢٦٣/١٣-٢٦٩ .

[١] وقال الرازي: سمعت علي بن محمد المصري - ونحن في جنازة ابن أبي حاتم - يقول: قَلَنْسُوءُ عبد الرحمن من السماء، وما هو بعجب، رجل منذ ثمانين سنة على وتيرة واحدة، لم ينحرف عن الطريق، وسمعتُ علي بن أحمد القُرَظِي يقول: ما رأيت أحداً ممن عَرَفَ عبد الرحمن ذكر عنه جهالة قط. وسمعت أحمد ابن محمد بن الحسين الحافظ يحكي عن علي بن الحسين الدرستيني، أن أبا حاتم كان يعرف الاسم الأعظم، فَمَرَضَ ابنه، فاجتهد أن لا يدعوه، فإنه لا ينال به الدنيا، فلما اشتدت العلة، حَزِنَ ودعا به، فَعُوْفِي، فرأى أبوحاتم في نومه: استجبت لك ولكن لا يُعَقَّبُ ابنك. فكان عبد الرحمن مع زوجته سبعين سنة، فلم يَرِزُقْ ولداً.

[٢] وقال الرازي: وسمعت علي بن أحمد الخوارزمي يقول: سمعت عبد الرحمن ابن أبي حاتم يقول: كنا بمصرَ سَبْعَةَ أشهر، لم نأكل فيها مرققة، كُلُّ نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل: النسخ والمقابلة. قال: فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقت مجلس، فلم يمكننا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيتاً، لم يكن لنا فراغ أن نُعْطِيَهُ من يشويه. ثم قال: لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ براحَةِ الجسد.

[٣] سمعت الواعظ أبا عبدالله القزويني يقول: إذا صليت مع عبد الرحمن فسلم إليه نفسك، يعمل بها ما شاء. دخلنا يوماً بعلس علي عبد الرحمن في مرض موته، فكان على الفراش قائماً يصلي، وركع فأطال الركوع.

[٤] ومن كلامه: قال: وجدت ألفاظ التعديل والجرح مراتب: فإذا قيل: ثقة: أو: مضمّن. احتجج به، وإن قيل: صدوق، أو: محله الصدق، أو: لا بأس به، فهو ممن يُكْتَبُ حديثه، ويُنظر فيه وهي المنزلة الثانية، وإذا قيل: شيخ، فيكتب حديثه، وهو دون ما قبله، وإذا قيل: صالح الحديث، فيكتب حديثه وهو دون ذلك يكتب للاعتبار، وإذا قيل: لئین، فدون ذلك، وإذا قالوا: ضعيف

الحديث، فلا يُطرح حديثه، بل يُعتَبَر به، فإذا قالوا: متروك الحديث، أو: ذاهب الحديث، أو: كذاب، فلا يكتب حديثه.

[١] الحسين بن أحمد الصَّفَّار، سمعت عبدالرحمن بن أبي حاتم يقول: وقع عندنا الغلاء، فأنفذ بعض أصدقائي حبوبا من أصبهان، فبعتهُ بعشرين ألفا، وسألني أن أشتري له دارا عندنا، فإذا جاء ينزل فيها، فأنفقتُها في الفقراء، وكتبتُ إليه: اشتريت لك بها قَصْرًا في الجنة، فبعث يقول: رَضِيتُ، فاكتب على نفسك صَكًا، ففعلتُ، فأريتُ في المنام: قد وقَّينا بما ضَمِنْتَ، ولا تُعد لمثل هذا.

[٢] علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لَنُظَعُنُّ على أقوام، لعلهم قد حَطُّوا رحالهم في الجنة، مِن أَكْثَر من مِثِي سنة. قلت: لعلها من مئة سنة، فإن ذلك لا يبلغ في أيام يحيى هذا القدر.

[٣] قال ابن مَهْرَوَيْه: فدخلت على عبدالرحمن بن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب: «الجرح والتعديل»، فحدثته بهذا فبكي، وارتعدت يَدَاهُ، حتى سقط الكتاب، وجعل يبكي، ويستعِينِي الحكاية.

قلت: أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة، وإلا فكَلَامِ النَّاقِدِ الورع في الضعفاء من النصح لدين الله والذب عن السنة. توفي ابن أبي حاتم سنة سبعٍ وعشرين وثلاث مئة بالرِّي، وله بضعُ وثمانون سنة.

٥٦٣ التَّرْمِذِي^(١)

[٤] محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ، الحافظ، العَلَم، الإمام، البارع، ابن عيسى السُّلَمِي التَّرْمِذِي الضَّرِير، مصنف «الجامع»، وكتاب «العلل»، وغير ذلك. اختلف فيه، فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كِبَرِهِ، بعد رحلته

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٧٧-٢٧٠.

وكتابه العلم . ولد في حدود سنة عشرين ومئتين .

[١] وقال الحاكم : سمعت عمر بن علك يقول : مات البخاري ، فلم يُخلف بخراسان مثل أبي عيسى ، في العلم والحفظ ، والورع والزهد . بكى حتى عمي ، وبقي ضريرا سنين .

[٢] ونقل أبو سعد الإدريسي بإسناد له ، أن أبا عيسى قال : كنت في طريق مكة ، فكتبت جزأين من حديث شيخ ، فوجدته فسألته ، وأنا اظن أن الجزأين معي ، فسألته ، فأجابني ، فإذا معي جزآن بياض ، فبقي يقرأ علي من لفظه ، فنظر ، فرأى في يدي ورقا بياضا ، فقال : أما تستحي مني ؟ فأعلمته بأمري ، وقلت : أحفظه كله . قال : اقرأ . فقرأه عليه ، فلم يصدقني ، وقال : استظهرت قبل أن تجيء ؟ فقلت : حدثني بغيره . قال : فحدثني بأربعين حديثا ، ثم قال : هات . فأعدتها عليه ، ما أخطأت في حرف .

قال شيخنا أبو الفتح القشيري الحافظ^(٢) : برّمد ، بالكسر ، وهو المستفيض على الألسنة حتى يكون كالمتواتر .

[٣] قال أبو عيسى : صنفت هذا الكتاب ، وعرضته على علماء الحجاز ، والعراق وخراسان ، فرضوا به ، ومن كان هذا الكتاب - يعني «الجامع» - في بيته ، فكأنما في بيته نبي يتكلم .

[٤] قلت : في «الجامع» علم نافع ، وفوائده غزيرة ، ورؤوس المسائل ، وهو أحد أصول الإسلام ، لولا ما كذره بأحاديث واهية ، بعضها موضوع ، وكثير منها في الفضائل .

[٥] قلت : «جامعه» قاضٍ له بإمامته وحفظه وفقهه ، ولكن يترخص في قبول الأحاديث ، ولا يشدد ، ونفسه في التضعيف رخو .

(٢) هو شيخ الإسلام ، تقي الدين ، أبو الفتح ، محمد بن علي بن وهب القشيري المصري المعروف بابن دقيق العيد .

[١١] وفي «المشور» لابن طاهر: سمعت أبا إسماعيل شيخ الإسلام يقول: «جامع» الترمذي أنفع من كتاب البخاري ومسلم، لأنهما لا يقف منهما إلا المتبحر العالم، و«الجامع» يصل إلى فائدته كل أحد. مات أبو عيسى في سنة تسع وسبعين ومئتين بترمد.

٥٦٤ ابن ماجه^(١)

محمد بن يزيد: الحافظ، الكبير، الحجّة، المُفسّر، أبو عبدالله ابن ماجه، القزويني، مصنف «السُنن»، و«التاريخ» و«التفسير»، وحافظ قزوين في عصره.

ولد سنة تسع ومئتين.

عن ابن ماجه، قال: عرضت هذه «السُنن» على أبي زُرعة الرّازي، فنظر فيه، وقال: أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع، أو أكثرها. ثم قال: لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً، مما في إسناده ضَعْفٌ، أو نحوذا.

قلت: قد كان ابن ماجه حافظاً ناقدًا صادقًا، واسع العلم، وإنما غَضَّ من رتبة «سننه» ما في الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات، وقول أبي زُرعة - إن ضَحَّ - فإنما عني بثلاثين حديثاً، الأحاديث المطرحة السّاقطة، وأما الأحاديث التي لا تقوم بها حجة، فكثيرة، لعلها نحو الألف.

قال أبو يعلى الخليلي: هو ثقة كبير، متفق عليه، محتج به، له معرفة بالحديث وحفظ، ارتحل إلى العراقين، ومكة والشام، ومصر والرّي لكتب الحديث.

قلت: مات سنة ثلاث وسبعين ومئتين. وعاش أربعاً وستين سنة.

وقال أبو الحسن القطان: في «السُنن» ألف وخمسة مئة باب، وجملة ما فيه أربعة آلاف حديث.

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٧٧-٢٨١.

(١) الشيخ، العالم، الزاهد، الواعظ، شيخ بغداد، أبو عبدالله، أحمد بن محمد ابن غالب الباهلي البصري، غُلام خَلِيل.

(٢) سَكَنَ بغداد. وكان له جلالَةٌ عجيبةٌ، وصورَةٌ مَهِيبةٌ، وأمرٌ بالمعروف، واتباعٌ كثير، وصِحَّةٌ مُعْتَقَدٌ، إلا أنه يروي الكذب الفاحش، ويرى وَضَعَ الحديث. نسأل الله العافية.

وخَفِيَ حاله على الكبار أولاً.

قال ابن أبي حاتم: سئل أبي عنه، فقال: رجل صالح، لم يكن عندي ممن يُفْتَعَل الحديث.

وروي عن أبي داود السجستاني أنه قال: ذاك دَجَالٌ بغداد، نظرت في أربع مئة حديث له، عُرِضَتْ عَلَيَّ، كلها كَذِبٌ، متونها وأسانيدها.

وقال ابن عدي: سمعت أبا عبدالله النُّهَاقَ يُقُولُ: كَلَّمْتُ غُلامَ خَلِيلٍ في هذه الأحاديث، فقال: وضعناها لِتُرْفِقَ القلوب.

وفي «تاريخ بغداد»: أن أبا جعفر الشَّعْبَرِي قال: قلت لغلام خليل لما روى عن بَكْرِ بن عيسى، عن أبي عوانة: يا أبا عبدالله! هذا شيخ قديم الوفاة، لم تَلْحَقْه، فَفَكَّرَ، وَخَفَّتْ أنا، فقلت: كأنك سمعت من رجل باسمه؟ فسكت، فلما كان من الغد، قال لي: إني نظرت البارحة فيمن سمعت منه بالبصرة، ممن يقال له: بَكْر بن عيسى، فوجدتهم ستين رجلاً.

(٣) قال ابن الأعرابي: قدم من واسط غلام خليل، فذُكِرَتْ له هذه الشناعات - يعني خوض الصوفية - ودقائق الأحوال التي يَدُومُ أهل الأثر، وذُكِرَ له قولهم بالمحبة، ويبلغه قول بعضهم: نحن نُحِبُّ رُسُلًا وَنُحِبُّنَا، فأسقط عنا خوفه بغلبة

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٨٥-٢٨٢.

حُبّه - فكان يُنكِرُ هذا الخطأ بخطأ أغلظ منه، حتى جعل محبة الله بدعة، وكان يقول: الخوف أولى بنا. قال: وليس كما توهم، بل المحبة والخوف أصلان، لا يخلو المؤمن منهما، فلم يزل يقصُّ بهم، ويحذّر منهم، ويقري بهم السلطان والعمامة، ويقول: كان عندنا بالبصرة قوم يقولون بالحلول، وقوم يقولون بالإباحة، وقوم يقولون كذا. فانتشر في الأفواه أن يبعثوا قوماً يقولون بالزندقة.

وكانت تميل إليه والدة الموفق، وكذلك الدولة والعوام، لرهده وتقصفه، فأمرت المحتسب أن يطبع غلام خليل، فطلب القوم، وبث الأعداء في طلبهم، وكتبوا، فكانوا نيفا وسبعين نفساً، فاختفى عامتهم، وبعضهم خلصته العامة، وحبس منهم جماعة مدة.

[١] قال ابن كامل: مات غلام خليل سنة خمس وسبعين ومئتين، وغلقت الأسواق، وخرج الرجال والنساء للصلاة عليه، ثم حمل في تابوت إلى البصرة، وبنيت عليه قبة. قال: وكان فصيحاً مغرباً، يحفظ علماً كثيراً، ويخصب بالحجاء، ويقفات بالباقيلاً صرفاً.

٥٦٦ بقي بن مخلد^(١)

[٢] ابن يزيد: الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، الحافظ، صاحب «التفسير» و«المسند» اللذين لا نظير لهما.

ولد في حدود سنة مئتين، أو قبلها بقليل.

وعني بهذا الشأن عناية لا مزيد عليها، وأدخل جزيرة الأندلس علماً جما، وبه، وبمحمد بن وصّاح صارت تلك الناحية دار حديث، وعدة مشيخته الذين حمل عنهم مئتان وأربعة وثمانون رجلاً.

(١) انظر السير: ١٤ / ٢٨٥-٢٩٦.

وكان إماما مجتهدا صالحا، ريانيا صادقا مُخلصا، رأسا في العلم والعمل،
عديم المثل، مُتفطع القربين، يفتي بالأثر، ولا يُقلد أحدا.

ذكره أحمد بن أبي خيثمة، فقال: ما كنا نسميه إلا المكنسة، وهل احتاج
بلد فيه بقي إلى أن يرحل إلى ها هنا منه أحد؟!!

وقال أبو الوليد بن الفرّضي في «تاريخه»: ملا بقي بن مخلد الأندلس حديثا،
فأنكر عليه أصحابه الأندلسيون: أحمد بن خالد، ومحمد بن الحارث، وأبو زيد،
ما أدخله من كتب الاختلاف، وغرائب الحديث، فأغروا به السلطان وأخافوه به،
ثم إن الله أظهره عليهم، وعصمه منهم، فنشر حديثه وقرأ للناس روايته. ثم تلاه
ابن وضّاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد. ومما انفرد به ولم يدخله
سواه «مصنف» أبي بكر بن أبي شيبة بتمامه، و«كتاب الفقه» للشافعي بكماله
- يعني «الأم» - و«تاريخ» خليفة، و«طبقات» خليفة، وكتاب «سيرة عمر بن
عبد العزيز»، لأحمد بن إبراهيم الدؤوبي... وليس لأحد مثل «مُسنده». وكان
ورعا فاضلا زاهدا.. قد ظهرت له إجابات الدعوة في غير ما شيء.

قال الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري: أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل
«تفسير» بقي، لا «تفسير» محمد بن جرير، ولا غيره.

11 أقال: وكان محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس مُجبا للعلوم
عارفا، فلما دخل بقي الأندلس «بمصنف» أبي بكر بن أبي شيبة، وقرأ عليه،
أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه، ونشطوا العامة عليه،
ومنعوه من قراءته، فاستحضره صاحب الأندلس محمد وإياهم، وتصفح الكتاب
كله جزءا جزءا حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن الكتب: هذا كتاب لا
تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسجه لنا، ثم قال لبقي: انشر علمك، وارو ما
عندك. ونهاهم أن يتعرضوا له.

22 وذكر عبد الرحمن بن أحمد، عن أبيه: أن امرأة جاءت إلى بقي، فقالت:
إن ابني في الأسر، ولا حيلة لي، فلو أشرت إلى من يُفديهِ، فإني والهة. قال:

نعم، انصرف في حتى أنظر في أمره. ثم أطرق، وحرّك شفّتيه، ثم بعد مُدَّةٍ جاءت المرأة بابنها، فقال: كنت في يد ملك، فبينما أنا في العمل، سقط قيدي. قال: فذكر اليوم والساعة، فوافق وقت دعاء الشيخ. قال: فصاح عليّ المرثم بنا، ثم نظر ونحير، ثم أحضر الحداد وقيّدي، فلما فرغه ومشيت سقط القيّد، فهتوا، ودعوا رهبانهم، فقالوا: ألك والدة؟ قلت: نعم، قالوا: وافق دعاءها الإجابة.

١١ | وكان بقيّ أول من كثّر الحديث بالأندلس ونشره، وهاجم به شیوخ الأندلس، فتاروا عليه، لأنهم كان علمهم بالمسائل ومذهب مالك، وكان بقيّ يقني بالأثر، فشذ عنهم شذوذا عظيما، فعقدوا عليه الشهادات، وبدعوه، ونسبوا إليه الزندقة، وأشياء تزهه الله منها. وكان بقيّ يقول: لقد غرست لهم بالأندلس غرسا لا يقلع إلا بخروج الدجال.

[٢] قال ابن حزم: و«مُسْنَد» بقيّ روى فيه عن ألف وثلاث مئة صاحب وبيّ، ورثب حديث كل صاحب على أبواب الفقه، فهو مُسْنَدٌ ومُصَنَّفٌ، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه، وإتقانه واحتفاله في الحديث. وله مُصَنَّفٌ في فتاوى الصحابة والتابعين فمن دونهم، الذي قد أُرِيبَ فيه على «مُصَنَّف» ابن أبي شيبة، وعلى «مُصَنَّف» عبدالرزاق، وعلى «مُصَنَّف» سعيد بن منصور. . . ثم إنه نوه بذكر «تفسيره»، وقال: فصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها، وكان متخيرا لا يقلد أحدا، وكان ذا خاصّة من أحمد بن حنبل، وجاريا في مضممار البخاري ومسلم والنسائي.

[٣] قال ابن البادية الحافظ: كان بقيّ من عقلاء الناس وأفاضلهم، وكان أسلم ابن عبدالعزيز يُقدِّمه على جميع من لقيه بالمشرق، ويصف زهده، ويقول: ربّما كنت أمشي معه في أزقة قرطبة، فإذا نظر في موضع خال إلى ضعيف محتاج أعطاه أحد ثوبيه.

[١] وذكر أبو عبيدة، قال: كان بقيُّ يختم القرآن كل ليلة، في ثلاث عشرة ركعة، وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر. وكان كثير الجهاد، فاضلاً، يذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة.

[٢] ونقل بعض العلماء من كتابٍ لحفيد بقيِّ عبد الرحمن بن أحمد: كان جدِّي قد قَسَمَ أيامه على أعمال البر: فكان إذا صَلَّى الصُّبْحَ قرأ حزبه من القرآن في المصحف، سُدَسَ القرآن، وكان أيضاً يَخْتِمُ القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة، وَيَخْرُجُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي الثَّلَاثِ الْأَخِيرِ إِلَى مَسْجِدِهِ، فَيَخْتِمُ قُرْبَ انْتِصَادَاعِ الْفَجْرِ، وَكَانَ يُصَلِّي بَعْدَ حَزْبِهِ مِنَ الْمَصْحَفِ صَلَاةً طَوِيلَةً جَدًّا، ثُمَّ يَنْقَلِبُ إِلَى دَارِهِ - وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي مَسْجِدِهِ الطُّلَبَةُ - فَيَجِدُّدُ الْوُضُوءَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا انْقَضَتِ الدُّوَلُ، صَارَ إِلَى صَوْمَعَةِ الْمَسْجِدِ، فَيَصَلِّي إِلَى الظَّهْرِ، ثُمَّ يَكُونُ هُوَ الْمَبْتَدِئُ بِالْأَذَانِ، ثُمَّ يَهْطُ ثُمَّ يُسْمِعُ إِلَى الْعَصْرِ، وَيَصَلِّي وَيُسْمِعُ، وَرَبَّمَا خَرَجَ فِي بَقِيَّةِ النَّهَارِ، فَيَقْعُدُ بَيْنَ الْقُبُورِ يَبْكِي وَيَتَّبِرُ، فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ أَتَى مَسْجِدَهُ، ثُمَّ يَصَلِّي، وَيَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ فَيَقْطُرُ، وَكَانَ يَسْرُدُ الصَّوْمَ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ جِيرَانُهُ، فَيَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، ثُمَّ يَصَلِّي الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَيَحَدِّثُ أَهْلَهُ، ثُمَّ يَنَامُ نَوْمَةً قَدْ أَخَذَتْهَا نَفْسُهُ، ثُمَّ يَقُومُ. هَذَا ذَا بَعْضِ مَا كَانَ يَفْعَلُ. وَكَانَ جَلْدًا، قَوِيًّا عَلَى الْمَشْيِ، وَمَعَ [٣] قَدْ مَشَى مَعَ ضَعِيفٍ فِي مَظْلَمَةٍ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ، وَمَشَى مَعَ آخَرَ إِلَى الْبَيْرَةِ، وَمَعَ امْرَأَةً ضَعِيفَةً إِلَى جَبَّانٍ.

تُوفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

٥٦٧ ابن قتيبة^(١)

[٤] العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب، صاحب التصانيف.

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٩٦-٣٠٢.

نزل بغداد، وَصُنِّفَ وَجَمَعَ، وَبُعِدَ صِيَّتُهُ. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقةً دينا فاضلا.

وقد وُلِّيَ قضاءَ الدُّيُونِ، وكان رأسا في علم اللسان العربي، والأخبارِ وأيامِ الناس.

[١] وقال مسعود السُّجَري: سمعت أبا عبدالله الحاكم يقول: أجمعت الأمة على أن القُتَيْبِيَّ كَذَّابٌ.

قلت: هذه مُجَازِفَةٌ وَقِلَّةٌ وَرَعٌ، فما علمتُ أحدا اتَّهَمَهُ بالكذب قبل هذه القولة، بل قال الخطيب: إنه ثقة.

[٢] عن حماد الحراني أنه سمع السُّلَفيَّ ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قُتَيْبَةَ. ويقول: ابن قتيبة من الثقات، وأهل السنة. ثم قال: لكن الحاكم قصده لأجل المذهب.

قلت: عهدي بالحاكم يميل إلى الكرامة، ثم ما رأيت لأبي محمد في كتاب «مُشْكل الحديث» ما يخالف طريقة المُثَبِّتَةِ والحنابلة، ومن أن أخبار الصفات تُمرُّ ولا تُتَأَوَّلُ، فالله أعلم.

[٣] قال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي: مات أبو محمد بن قُتَيْبَةَ فجاءه، صاح صيحة سمعت من بعد، ثم أغمي عليه، وكان أكل هَرَبْسَةَ، فأصاب حَرَارَةً، فبقي إلى الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هَذَا، فما زال يتشهد إلى السَّحَرِ، ومات - سامحه الله - وذلك سنة سِتِّ وسبعين ومئتين.

والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فُؤُونٌ جَمَّةٌ، معلوم مُهِمَّةٌ.

[٤] قال قاسم بن أصبغ: كنا عند ابن قتيبة، فأَتَوْهُ بأيديهم المحابر، فقال: اللهم سَلِّمْنَا مِنْهُمْ. فَفَعَدُوا، ثم قالوا: حَدِّثْنَا - رحمك الله - قال: ليس أنا ممن يُحدِّث، إنما هذه الأوضاع، فَمَنْ أَحَبَّ؟ قالوا له: ما يَجِلُّ لك هذا، فحدِّثنا بما عندك عن إسحاق بن رَاهُوَيْه، فإننا لا نجد فيه إلا طَيِّفَتَكَ، وأنت عندنا أوثق.

قال: لَسْتُ أَحَدٌ. ثم قال لهم: تَسْأَلُونِي أَنْ أَحَدْتُ، وَبِعْدَادِ ثَمَانِ مِثَّةٍ مَحَدُّتٍ، كُلُّهُمْ مِثْلُ مِشَايخِي!، لَسْتُ أَفْعَلُ. فَلَمْ يَحَدِّثْهُمْ بِشَيْءٍ.

٥٦٨ أَبُو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيَّ (د) (١)

[١] الشيخ، الإمام، الصادق، مُحَدِّثُ الشَّامِ، أَبُو زُرْعَةَ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَمْرُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيِّ الدَّمَشْقِيِّ.

وُلِدَ قَبْلَ الْمَتِينِ.

وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَذَكَرَ الْحِفَاظَ، وَتَمَيَّزَ، وَتَقَدَّمَ عَلَى أَقْرَانِهِ، لِمَعْرِفَتِهِ وَعُلُوِّ

سِنْدِهِ.

ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ أَبُو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيَّ، فَقَالَ: هُوَ شَيْخُ الشُّبَابِ.

وَلَمَّا قَدِمَ أَهْلُ الرُّيِّ إِلَى دِمَشْقَ، أَعْجَبَهُمْ عِلْمُ أَبِي زُرْعَةَ، فَكُنُوا صَاحِبَهُمْ

الْحَافِظَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بِكُنْيَتِهِ.

[٢] قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الْحُسَيْنِ الرَّازِيِّ - يَعْنِي وَالِدِ

تَمَّامَ - قَالَ: سَمِعْتُ جَمَاعَةَ قَالُوا: لَمَّا اتَّصَلَ الْخَيْرُ بِأَبِي أَحْمَدَ الْوَاتِقَ، أَنَّ أَحْمَدَ

بِابْنِ طُولُونَ قَدْ خَلَعَهُ بِدِمَشْقَ، أَمَرَ بِلْعَنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ، فَلَمَّا بَلَغَ

أَحْمَدَ، أَمَرَ بِلْعَنِ الْمُؤَفَّقِ عَلَى الْمَنَابِرِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، كَانَ أَبُو زُرْعَةَ مُحَمَّدَ بْنَ

عِثْمَانَ الْقَاضِي مِمَّنْ خَلَعَ الْمُؤَفَّقَ - يَعْنِي مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ - وَلَعَنَهُ، وَوَقَفَ عِنْدَ

الْمَنَابِرِ بِدِمَشْقَ، وَلَعَنَهُ، وَقَالَ: نَحْنُ أَهْلُ الشَّامِ، نَحْنُ أَهْلُ صِغِيِّنَ، وَقَدْ كَانَ فِينَا

مَنْ خَضَرَ الْجَمَلِ، وَنَحْنُ الْقَائِمُونَ بِمَنْ عَانَدَ أَهْلَ الشَّامِ، وَأَنَا أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ

خَلَعْتُ أَبَا أَحْمَقَ - يَعْنِي أَبَا أَحْمَدَ - كَمَا يُخْلَعُ الْخَائِمَ مِنَ الْإِصْبَعِ، فَالْعَنُوهُ،

لَعَنَهُ اللَّهُ.

[٣] قَالَ الرَّازِيُّ: وَحَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ أَحْمَدُ بْنُ

(١) انظر السير: ١٣ / ٣١٦-٣١١.

الموفق من موقعة الطّواحين إلى دمشق، من محاربة حُمارويه بن أحمد بن طولون - يعني بعد موت أبيه أحمد، وذلك في سنة إحدى وسبعين - قال لأبي عبدالله الواسطي: انظر ما انتهى إليك ممن كان يبغضنا فليُحْمَل. فحَمِلَ يزيد ابن عبد الصّمد، وأبو زُرْعَةَ الدمشقي، والقاضي أبو زُرْعَةَ بن عثمان، حتى صاروا بهم مُقَيَّدِينَ إلى أنطاكيّة، فيينا أحمد بن أبي الموفق - وهو المعتضد - يسير يوماً، إذ بَصُرَ بِمَحَامِلِ هؤُلاءِ، فقال للواسطي: من هؤُلاءِ؟ قال: أهل دمشق. قال: وفي الأحياء هم؟ إذا نزلت فاذكرني بهم.

قال ابن صالح: فحدثنا أبو زُرْعَةَ الدمشقي، قال: فلما نزل، أحضرنا بعد أن فُكَّتِ القيود، وأوقفنا مذعورين، فقال: أيكم القائل: قد نَزَعْتُ أبا أحمد؟ قال: فَرَبَّتِ السِّبْتُنَا حَتَّى خَيْلَ إِلَيْنَا أَنَا مَقْتُولُونَ، فأما أنا: فأبْلَسْتُ، (١) وأما ابن عبد الصّمد: فَخَرَسَ، وكان تمناماً، وكان أبو زُرْعَةَ القاضي أحدثنا سناً، فقال: أصلح الله الأمير. فالتفت إليه الواسطي، فقال: أُمِسِّكَ حَتَّى يَتَكَلَّمَ أَكْبَرَ مِنْكَ. ثم غَطَفَ علينا، وقال: ماذا عندهم؟ فقلنا: أصلحك الله! هذا رجلٌ مُتَكَلِّمٌ يَتَكَلَّمُ عَنَّا، قال: تكلم. فقال: والله ما فينا هاشمي، ولا قرشي صحيح، ولا عربي فصيح، ولكننا قومٌ مُلْكُنَا حَتَّى قَهَرْنَا. وروى أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في السَّمْعِ والطَّاعَةِ، في المَنَشَطِ والمَكْرَهِ، وأحاديث في العَفْوِ والإحسان، وكان هو الذي تكلم بالكلمة التي نُطَالِبُ بِخَزْيِهَا، ثم قال: أصلح الله الأمير، وأشهدك أن نسواني طوالق، وعبيدي أحرار، ومالي حرام إن كان في هؤُلاءِ القوم أحدٌ قال هذه الكلمة، ووراءنا عيال وحرم، وقد تسامع الناسُ بهلاكنا، وقد قَدَّرَتْ، وإنما العَفْوُ بعدَ المَقْدِرَةِ. فقال للواسطي: يا أبا عبدالله! أَطْلِقْهُمْ، لا كثر الله في الناسِ مِثْلَهُمْ. فأطلقنا، فاشتغلتُ أنا ويزيد بن عبد الصّمد عند عثمان بن خُرَّاذٍ في نَزْهِ أَنْطَاكِيَّةِ وَطَيْبِهَا وَحَمَامَاتِهَا، وسبق أبو زُرْعَةَ القاضي إلى حِمصَ.

مات أبو زُرْعَةَ النَّصْرِي سنة إحدى وثمانين ومئتين.

(١) الإِبْلَاسُ: الإنكسار والحزن. والبَلَسُ: اليأس المنقطع رجاءه ولذلك قيل الذي بسكت عن إنقطاع حجه ولا يكون عنده جواب: قد أبلس.

[١] عثمان بن سعيد بن خالد: الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، أبو سعيد التميمي، الدارمي، البجستاني، صاحب «المسند» الكبير والتصانيف.

ولد قبل العشرين بيسير، وطُوفَ الأقاليمَ في طلب الحديث. وأخذ عِلْمَ الحديث وعِلْمَهُ عن عليٍّ ونحْيَى وأحمد، وفاق أهل زمانه، وكان لهجةً بالسُّنَّة، بصيرا بالمُناظرة.

[٢] قال ابن عبدُوس الطَّرائفي: لما أردت الخروج إلى عُثْمَانَ بنِ سَعِيدٍ - يعني إلى هَرَاةَ - أتيت ابن خُزَيْمَةَ، فسألته أن يكتب لي إليه، فَكَتَبَ إليه، فدخلت هَرَاةَ في ربيع الأول، سنة ثمانين ومئتين، فأوصلته الكتاب، فقرأه، ورَحَّبَ بي، وسأل عن ابن خزيمة، ثم قال: يا فتى! متى قَدِمْتَ؟ قلتُ: غداً. قال: يا بُني! فارجع اليوم، فإنك لم تَقْدَمْ بعدُ، حتى تَقْدَمْ غداً.

[٣] قال عثمان بن سعيد: من لم يجمع حديث شُعْبَةَ وسُفْيَانَ ومالك، وحمَّاد بن زيد، وسُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ، فهو مُفْلِسٌ في الحديث - يريد أنه ما بلغ درجة الحُفَاطِ

وبلا ريب، أن من جَمَعَ علم هؤلاء الخَمْسَةِ، وأحاط بسائر حَدِيثِهِمْ، وَكَتَبَهُ عَالِيًا وَنَازِلًا، وَفَهِمَ عِلْمَهُ، فَقَدْ أَحَاطَ بِشَطْرِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، بَلْ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ عَدِمَ فِي زَمَانِنَا مَنْ يَنْهَضُ بِهَذَا، وَبِبَعْضِهِ، فَتَسْأَلُ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ. وَأَيْضًا فَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَتَّبِعَ حَدِيثَ الثَّوْرِيِّ وَحْدَهُ، وَيَكْتُبَهُ بِأَسَانِيدِ نَفْسِهِ عَلَى طَوْلِهَا، وَيَبَيِّنَ صَحِيحَتَهُ مِنْ سَقِيمَتِهِ، لَكَانَ يَجِيءُ «مُسْنَدُهُ» فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ، وَإِنَّمَا شَأْنُ الْمَحْدَثِ الْيَوْمِ الْإِعْتِنَاءُ بِالذَّوَابِنِ السِّتَةِ، وَ«مُسْنَدُ» أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَ«سُنَنِ» النَّيْهَقِيِّ، وَضَبْطُ مُتُونِهَا وَأَسَانِيدِهَا، ثُمَّ لَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حَتَّى يَتَّقِيَ رَبَّهُ، وَيَدِينُ

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٢٦٣١٩.

بالحديث، فعَلَى علم الحديث وعلمائه لِيُنْكَرَ من كان باكياً، فقد عاد الإسلام المحضُ غريباً، كما بدأ، فَلْيَسَعْ امرؤ في فكاك رَقَبَتِهِ من النار، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[١] ثم العِلْمُ ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع. وَفَقْنَا الله وَإِيَّاكُمْ لطاعته.

[٢] قال المحدث يحيى بن أحمد بن زياد الهروي، صاحب ابن معين: رأيت في النوم كأنَّ قائلًا يقول: إن عُثْمَانَ - يعني الدارمي - لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

[٣] وقال أبو الفضل الجارودي: كان عثمان بن سعيد إماماً يقتدى به في حياته وبعد مماته.

[٤] قال محمد بن إبراهيم الصَّرام: سمعت عثمان بن سعيد يقول: لا نُكَيِّفُ هذه الصِّفَاتِ، ولا نُكذِّبُ بها، ولا نُفسِّرُها.

توفي عثمان الدارمي سنة ثمانين ومئتين.

٥٧٠ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١)

[٥] ابن يونس: شيخُ العارفين، أبو محمد التُّسْتَرِي، الصُّوفي الرَّاهِد.

له كلماتٌ نافعةٌ، ومواعظٌ حَسَنَةٌ، وَقَدَّمَ راسخ في الطَّرِيقِ.

[٦] عن ابن دُرُسْتُوَيْه، صاحب سهل، قال: قال سهل: ورأى أصحاب الحديث، فقال: اجهدوا أن لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر.

[٧] سُبُل سهل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت، ويصَبَّ باقر جَبْرِهِ في قبره.

علي بن الحسين الدَّقِيق، سمعت سهل بن عبدالله يقول: من أراد الدُّنْيَا والأخرة فليكتب الحديث، فإن فيه منفعة الدُّنْيَا والأخرة.

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٣٠-٣٣١.

[١] ومن كلام سهل: لا مُعِين إلا الله، ولا دَلِيل إلا رَسُولُ الله، ولا زَادَ إلا التَّقْوَى، ولا عَمَلٌ إلا الصَّبْرُ عليه.

[٢] وعنه قال: الجاهل مَيِّتٌ، والنَّاسِي نائمٌ، والمعاصي سَكْرانٌ، والمُصِرُّ هالكٌ.

[٣] وعنه قال: الجوع سرُّ الله في أرضه، لا يُودِعُهُ عِنْدَ من يُذِيعُهُ.

[٤] أبو بكر الجَوْرِي، سمعت سهل بن عبدالله يقول: أصولنا سِتَّةٌ: التمسُّكُ بالقرآن، والافتدَاءُ بالسنة، وأكلُ الحلال، وكفُّ الأذى، واجتنابُ الأثام، والتوبةُ، وأداءُ الحُقُوقِ.

[٥] عن سهل: من تكلم فيما لا يَعْنِيهِ حُرْمِ الصَّدَقِ، ومن اشتغلَ بالفُضُولِ حُرْمِ الوَرَعِ، ومن ظنَّ السَّوءَ حُرْمِ اليَقِينِ، ومن حُرِمَ هذه الثلاثة هَلَكَ.

[٦] قال ابنُ سالم الزَّاهد، شيخُ البصرة: قال عبدالرحمن لسَهل بن عبدالله: إني أتوضأُ فيسيل الماءُ من يدي، فيصيرُ قُضِيانَ ذهبٍ، فقال: الصَّيِّانُ يَنَاولُونَ خَشْخَاشَةً.

موته سنة ثلاث وثمانين ومئتين، ويقال: عاش ثمانين سنةً أو أكثر.
سَمِيَّةُ: الزَّاهد المحدث:

٥٧١ أبو ظاهر (١)

[٧] سَهل بن عبدالله بن القَرُحَانِ الأصبهاني، أحد الثقات.

وكان من حَمَلَةِ الحُجَّةِ، كبيرَ القدر. ويقال: كان من الأبدال - رحمة الله عليه.

قال أبو نعيم: لَقِيْتُ أصحابه، وكان مُجابِّبَ الدَّعوة. . . كان أهل بلدنا مفزعهم إلى دعائه عند النوائب والمحن. . . له آثار مشهورة في إجابة الدعاء. وأما رفيع حاله من إيمان الذَّكر، والمشاهدة، والحُضور، والتَّعَرُّي من حُطُوطِ النَّفْسِ. . . فَشائع ذائعٌ، إلى أن قال: ومات في سنة ست وسبعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٣٤-٣٣٤.

[١] هو: الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق، إبراهيم ابن إسحاق بن إبراهيم، البغدادي، الحَرَبِيُّ، صاحب التصانيف. مولده في سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مُمَيِّزاً لعلله، قَيِّماً بالأدب، جَمَاعَةً لِلغَةِ، صَنَّفَ غريب الحديث، وكتبها كثيرة، وأصله من مَرُو.

[٢] ويروى أن أبا إسحاق الحَرَبِيَّ لما دخل على إسماعيل القاضي، بأذربابج، فمد يده إلى يده، فآخذاها، فمسحها من العَبَار، فدعا له، وقال: أعزك الله في الدنيا والآخرة، فلما توفي أبو عمر، رؤي في النوم، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: أعزني في الدنيا والآخرة بدعوة الرجل الصالح.

[٣] قال محمد بن مخلد العطار: سمعت إبراهيم الحَرَبِيَّ يقول: لا أعلم عصابة خيراً من أصحاب الحديث، إنما يقدو أحدهم، ومعه محبرة، فيقول: كيف فعل النبي صلى الله عليه وسلم وكيف صلى، إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع، فإن الرجل إذا أقبل ببذعة ليس يُفْلِح.

[٤] أحمد بن محمد بن الصُّقْر، سمعت أبا الحسن بن قُرَيْش يقول: حضرت إبراهيم الحَرَبِيَّ - وجاءه يوسف القاضي، ومعه ابنه أبو عمر - فقال له: يا أبا إسحاق! لو جئناك على مقدار واجب حقك، لكنت أوقاتنا كلها عندك. فقال: ليس كلُّ غَيِّبَةٍ جَفْوَةٌ، ولا كلُّ لقاءٍ مودةً، وإنما هو تقارب القلوب.

[٥] قال أبو العباس ثعلب: ما فقدت إبراهيم الحَرَبِيَّ من مجلس لغة ولا نحو، من خمسين سنة.

[٦] أبو الحسين العتكي، قال: سمعت إبراهيم الحَرَبِيَّ يقول لجماعة عنده: من

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٥٩-٣٧٢، والحَرَبِيُّ: نسبة إلى محلة غربي بغداد، بها جامع وسوق. (اللباب).

تَعُدُّونَ الْغَرِيبَ فِي زَمَانِكُمْ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: الْغَرِيبُ: مَنْ نَأَى عَنِ وَطْنِهِ. وَقَالَ آخَرُ:
الْغَرِيبُ: مَنْ فَارَقَ أَحِبَّاءَهُ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: الْغَرِيبُ فِي زَمَانِنَا: رَجُلٌ صَالِحٌ،
عَاشَ بَيْنَ قَوْمٍ صَالِحِينَ، إِنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَرَزَّوهُ، وَإِنْ نَهَى عَنِ مَنكَرٍ عَانُوهُ،
وَإِنْ أَحْتَاجَ إِلَى سَبَبٍ مِنَ الدُّنْيَا مَاتُوهُ، ثُمَّ مَاتُوا وَتَرَكَوهُ.

قال المسعودي: كانت وفاة الحربي المحدث الفقيه في الجانب الغربي، وله
نَيْفٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً... وَكَانَ صَدُوقًا، عَالِمًا، فَصِيحًا، جَوَادًا، عَفِيفًا، زَاهِدًا،
عَابِدًا، نَاسِكًا، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ ضَاحِكُ السِّنِّ، ظَرِيفَ الطَّبِيعِ... وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ
تَكَبُّرٌ وَلَا تَجَبُّرٌ، وَرَبِمَا مَزَّحَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ بِمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْهُ، وَيُسْتَفْحِجُ مِنْ غَيْرِهِ،
وَكَانَ شَيْخَ الْبَغْدَادِيِّينَ فِي وَقْتِهِ، وَظَرِيفَهُمْ، وَزَاهِدَهُمْ، وَنَاسِكَهُمْ، وَمُسْنِدَهُمْ فِي
الْحَدِيثِ.

[١] وَكَانَ يَقُولُ: فَرَدَّ عَقْبِي (١) صَاحِبُ الْآخِرِ مَقْطُوعٌ، وَلَا أَحَدٌ نَفْسِي أَنِّي
أُصْلِحُهُمَا، وَلَا شَكْوَتُْ إِلَى أَهْلِي وَأَقَارِبِي حُمَى أَجْدَاهَا، لَا يَغْمُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ
وَعِيَالَهُ، وَلِي عَشْرُ سِنِينَ أُبْصِرُ بِفَرْدٍ عَيْنٍ، مَا أَخْبِرْتُ بِهِ أَحَدًا، وَأَفْنَيْتُ مِنْ عُمْرِي
ثَلَاثِينَ سَنَةً بِرَغِيفِينَ، إِنْ جَاءَتْنِي بِهِمَا أُمِّي أَوْ أُخْتِي، وَإِلَّا بَقِيَتْ جَائِعًا إِلَى اللَّيْلَةِ
الثَّانِيَةِ، وَأَفْنَيْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً بِرَغِيفٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، إِنْ جَاءَتْنِي امْرَأَتِي أَوْ بَنَاتِي
بِهِ، وَإِلَّا بَقِيْتُ جَائِعًا، وَالآنَ أَكَلْتُ نِصْفَ رَغِيفٍ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ تَمْرَةً، وَقَامَ إِفْطَارِي
فِي رَمَضَانَ هَذَا بِدَرَاهِمٍ وَدَانِيْقِينَ وَنِصْفٍ.

[٢] وَقِيلَ: إِنْ الْمَعْتَصِدُ لَمَّا نَفَّذَ إِلَى الْحَرْبِيِّ بِالْعَشْرَةِ آلَافَ فَرْدَهَا، فَقِيلَ لَهُ:
فَقَرُّهَا، فَأَبَى، ثُمَّ لَمَّا مَرَضَ، سَئِرَ إِلَيْهِ الْمَعْتَصِدُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا،
فحَاصِمَتُهُ بَنَتْهُ، فَقَالَ: أَتَحْشِينَ إِذَا مِتُّ الْفَقْرَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فِي تِلْكَ
الزَّوَايَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ جُزْءٍ حَدِيثِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَتَبْتُهَا بِخَطِّي، فَبِيعِي مِنْهَا
كُلَّ يَوْمٍ جُزْءًا بِدَرَاهِمٍ وَأَنْفَقِيهِ.

توفي سنة خمس وثمانين ومئتين، وكانت جنازته مشهودة، وقبره يُزارُ ببغداد.

(١) العقب هنا: النمل، على سبيل المجاز.

[١] ابن عُمَيْر: العلامة، المفسر، الإمام، الثَّقَوِيُّ، المحدث، ابوعلِيّ البَجَلِي الكوفي، ثم النِّسَابُورِي عالم عصره.
ولد قبل الثمانين ومئة.

قال الحاكم: الحسين بن الفضل، المفسر: إمام عصره في معاني القرآن، أقدّمه ابن طاهر معه نيسابور، وابتاع له دار عَزْرَةَ، فسكنها، وهذا في سنة سبع عشرة ومئتين، فبقي يعلم الناس، ويفتي في تلك الدارِ إلى أن توفي، ودفن في مقبرة الحسين بن معاذ، في سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وهو ابن مئة وأربع سنين، وقبره مشهورٌ يزار، وشيخه خلقٌ عظيم. وسمعت محمد بن أبي القاسم المذكَر يقول: سمعت أبي يقول: لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان ممن يُذكر في عجائبهم.

[٢] إبراهيم بن مضارب، سمعت أبي يقول: كان علم الحسين بن الفضل بالمعاني إلهاما من الله، فإنه كان قد تجاوز حدَّ التعليم.

[٣] قال: وكان يركع في اليوم والليلة ستّ مئة ركعة، ويقول: لولا الضعف والسُنُّ لم أطعم بالنهار.

وسمعت أبا زكريا العنبري: سمعت أبي يقول: لما قلَّد المأمون عبداً لله بن طاهر خراسان، قال: يا أمير المؤمنين! حاجة. قال: مَقْضِيَّة. قال: تُعْضِي بثلاثة: الحسين بن الفضل، وأبوسعيدِ الضَّرِير، وأبو إسحاقِ القَرَشِي، قال: أسمعناك، وقد أخليت العراق من الأفراد.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤١٤-٤١٦.

- [١] شيخ الصُّوفية، القُدوة، أبو سعيد، أحمد بن عيسى البغداديُّ الخَرَّازُ. وقد صحب سريّاً السَّقَطِي، وذا التُّون المِصري.
- [٢] ويقال: إنه أول من تكلم في علم الفَنَاء والبَقَاء^(٢) فأَيُّ سَكَنَةٍ فاتته، قصد خيراً، فولّد أمراً كبيراً، تشبّث به كلُّ اتّحاديِّ ضالٍّ. وتوفي سنة ست وثمانين ومئتين.
- قال السُّلمي: هو إمامُ القوم في كلِّ فنٍّ من علومهم، له في مبادئ أمره عجائب وكرامات، وهو أحسن القوم كلاماً، خلا الجنيد، فإنه الإمام.
- [٣] ومن كلامه: كلُّ باطنٍ يخالفه ظاهره، فهو باطل.
- [٤] وقال الكَتَّاني: سمعت أبا سعيد يقول: من ظنَّ أنه يصلُّ بغير بَدَل المجهود فهو مُتَمَنِّي، ومن ظنَّ أنه يصلُّ ببَدَل المجهود فهو مُتَعَنِّي.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤١٩-٤٢٢.

(٢) انظر ما كتبه ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين ١/١٤٨-١٧٣ عن الفناء وانسائه ومرتبه وما هو مذموم وما هو محمود.

الطبقة السادسة عشرة

٥٧٥ ابن أبي عاصم^(١)

[١] حافظ كبير، إمام بارع متبع للأثر، كثير التصانيف. قدم أصبهان على قضائها، ونشر بها علمه.

قال أبو الشيخ: كان من الصيانة والعفة بمنحلاً عجيب.

[٢] وقال أبو العباس السَّوَيُّ: أبو بكر بن أبي عاصم، وهو أحمد بن عمرو بن الضَّحَّاك بن مَخْلَد الشَّيبَانِي، من أهل البصرة، من صُوفِيَةِ الْمَسْجِدِ، من أهل السُّنَّةِ والحديث والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صَحِبَ النَّسَّاكَ. وكان ثقةً نبيلاً مُعَمَّراً، ولد في شَوال سنة ستٍّ ومِئتين.

[٣] قال ابن عِبْدِ كَوَيْهِ: سمعت عائكة بنت أحمد تقول: سمعت أبي يقول: جاء أخي عثمان عهداً بالقضاء على سَامِرَاءَ، فقال: أَقْعُدْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى قاضياً؟! فانشقت مرآته، فمات.

[٤] قال ابن عِبْدِ كَوَيْهِ: أخبرتنا عائكة، سمعت أبي يقول: خرجتُ إلى مَكَّةَ من الكوفة، فأكلت أكلَةً بالكوفة، والثانية بمكة. قلت: إسنادهما صحيح.

وكان ابن أبي عاصم مُجَوِّداً للقراءة، وكان يقول: أنا أَقْدَمُ نافعاً في القِراءة، وكان يقول ما بقي أحدٌ قرأ على رُوْحِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ غَيْرِي - يعني صاحب يعقوب -.

[٥] أبو الشيخ: سمعت ابني عبد الرزاق يحكي عن أحمد بن محمد بن عاصم: سمعت ابن أبي عاصم يقول: وصل إلي منذ دخلتُ إلى أصبهان من دراهم القضاء زيادة على أربع مئة ألف درهم، لا يُحاسبني الله يوم القيامة أني شربتُ منها شربة ماء، أو أكلتُ منها، أو لبست.

(١) انظر السير: ١٣/٤٣٠-٤٣٩

[١] محمد بن خفيف يقول: سمعت الحَكِيمِي يقول: ذكروا عند ليلى الدَّيْلَمِي أَنَّ أَبَابَكْرَ بْنَ أَبِي عَاصِمٍ نَاصِبِي، (١) فَبَعَثَ غُلَامًا لَهُ وَمَخْلَافَةً وَسَيْفًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِرَأْسِهِ، فَجَاءَ الْغُلَامُ، وَأَبُوبَكْرٌ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ، وَالْكِتَابُ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: أَمْرُنِي أَنْ أَحْمَلَ إِلَيْهِ رَأْسَكَ. فَتَمَّ عَلَى قَفَاهُ، وَوَضَعَ الْكِتَابَ الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ: أَفْعَلْ مَا شِئْتَ. فَلَحِقَهُ إِنْسَانٌ، وَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ نَهَاكَ. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخَذَ الْجُزْءَ، وَرَجَعَ إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي قَطَعَهُ، فَتَمَجَّجَبَ النَّاسُ.

مات أحمد بن عمرو سنة سبع وثمانين.

[٢] وذكر عن أبي الشيخ، قال: حضرت جنازة أبي بكر، وشهدتها مئتا ألف من بين راکب وراجل، ما عدا رجلا كان يتولى القضاء، فحرم شهود جنازته، وكان يرى رأي جهنم.

[٣] قال أبو الشيخ: سمعت ابني عبد الرزاق يحكي عن أبي عبد الله الكِسَانِي، قال: رأيت ابن أبي عاصم فيما يرى النائم كأنه كان جالساً في مسجد الجامع، وهو يُصَلِّي من قعود، فَسَأَلْتُ عَلَيْهِ، فَرَدُّ عَلَيَّ، وَقَلْتُ لَهُ: أَنْتَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: يُؤَنِّسُنِي رَبِّي. قُلْتُ: يُونُكُ رُبُّكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَشَهِقْتُ شَهْقَةً، وَانْتَبَهْتُ.

٥٧٦ الحكيم (٢)

[٤] الإمام، الحافظ، العارف، الزاهد، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن، الحكيم الترمذي.

وكان ذا رحمة ومعرفة، وله مصنفات وفضائل.

(١) ناصبي: أي مخلص لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه.

(٢) انظر السير: ١٣ / ٤٣٩-٤٤٢.

وله حِكْمٌ وَمَوَاعِظٌ وَجَلَالَةٌ، لَوْلَا هَفْوَةٌ بَدَّتْ مِنْهُ.

[١] ومن كلامه: ليس في الدنيا حِمْلٌ أَثْقَلُ مِنَ الْبُرِّ، فَمَنْ بَرَّكَ، فَقَدْ أَوْثَقَكَ، وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدْ أَطْلَقَكَ.

[٢] وقال: كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره.

[٣] وقال: من جهل أوصاف العبودية، فهو ينعت أوصاف الربانية أجهل.

[٤] وقال: صلاح خمسة في خمسة: صلاح الصبي في المكتب، وصلاح الفتى في العلم، وصلاح الكهل في المسجد، وصلاح المرأة في البيت، وصلاح المؤذي في السجن.

[٥] وسئل عن الخلق: فقال: ضَعُفَ ظَاهِرٌ، وَدَعْوَى عَرِيضَةٌ.

[٦] قال أبو عبد الرحمن السلمي: أخرجوا الحكيم من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب: «ختم الولاية»، وكتاب: «علل الشريعة»، وقالوا: إنه يقول: إن للأولياء خاتماً كالأنبياء لهم خاتم. وإنه يفضل الولاية على النبوة، واحتج بحديث: «يَنْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ». فَقَدِمَ بَلْخَ، فَقَبِلُوهُ لِمَوَافَقَتِهِ لَهُمْ فِي الْمَذْهَبِ.

[٧] وقال السلمي: هجر لتصنيفه كتاب: «ختم الولاية»، و«علل الشريعة»، وليس فيه ما يوجب ذلك، ولكن لبعده فهمهم عنه.

[٨] قلت: كذا تكلم في السلمي من أجل تأليفه كتاب: «حقائق التفسير»، فياليت له لم يؤلفه، فنعود بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، ونصوف الاتحادية، فواحرزناه على غربة الإسلام والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ [الأنعام: ١٥٣].

[١] الحافظ، المتقن، الإمام، الرّبّاني، أبو العباس، أحمد بن علي بن مُسلم الأَبَار، من علماء الأئمة ببغداد.

وجَمَعَ وصنَّف وأرَخ.

قال الخطيب: كان ثقة حافظاً متقناً، حسن المذهب.

[٢] وقال جعفر الخُلدي: كان الأَبَار من أزهد الناس، استأذن أمه في الرحلة إلى قُنِّيَّة، فلم تأذَن له، ثم ماتت، فخرج إلى خراسان، ثم وصل إلى بلخ وقد مات قُنِّيَّة، فكانوا يُعزّونه على هذا، فقال: هذا ثمرة العلم، إني اخترت رِضى الوالدة.

[٣] وقال أبوسهل بن زياد: سمعت أحمد الأَبَار يقول: بايعتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم على إقامِ الصَّلَاة، وإيتاءِ الزَّكَاة، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر.

[٤] وقال أحمد بن جعفر بن سلَم: سمعت الأَبَار يقول: كنت بالأهواز، فرأيت رجلاً قد حَفَّ شاربه - وأظنه قال: قد اشترى كُتُباً وتعيَّن للفتيا - فذُكر له أصحاب الحديث، فقال: ليسوا بشيء، وليس يَسوون شيئاً. فقلتُ: أنت لا تُحسن تُصَلِّي. قال: أنا؟ قلت: نعم، أئش تحفظُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتحتَ ورفعتَ يدك؟ فسكت، قلت: فما تحفظُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجدت؟ فسكت، فقلتُ: ألم أقل: إنك لا تُحسن تُصَلِّي؟ فلا تذكر أصحاب الحديث.

توفي الأَبَار تسعين ومِئتين.

قلت: عاش نيفاً وثمانين سنَّة.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤٤٣-٤٤٤.

٥٧٨ السَّرْحَسِي (١)

الفيلسوف، البارع، ذو التصانيف، أبو العباس، أحمد بن الطَّيِّب السَّرْحَسِي، من بحور العلم الذي لا ينفع.

وكان مؤدب المعتضد، ثم صار نديمه وصاحب سره ومشورته، وله رئاسة وجمالة كبيرة. وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف.

ثم إن المعتضد انتخى لله، وقتل السَّرْحَسِي لفلسفته وخُبت معتقده. فقيل: إنه تنصّل إليه، وقال: قد بعث كتب الفسلفة والنجوم والكلام، وما عندي سوى كتب الفقه والحديث. فلما خرج قال المعتضد: والله إنني لأعلم أنه زنديق، فعل ما زعم رياءً.

ويقال: إنه قال له: لك مالف خدم، فكيف تختار أن تقتلك. فاختار أن يُطعم كباب اللحم، وأن يُسقى خمرا كثيرا حتى يسكر، ويُقصد في يديه، ففعل به ذلك، فصفي من الدّم، وبقيت فيه حياة، وغلبت عليه الصفراء، وجنّ، وصاح، وبقي ينطع الحائط لفرط الآلام، ويعدو كثيرا حتى مات، وذلك سنة ست وثمانين ومئتين.

٥٧٩ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ (٢)

الخليفة، أبو العباس، أحمد بن الموفق بالله، ولي العهد، أبي أحمد، طلحة ابن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي.

ولد في أيام جدّه سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

واستخلف بعد عمّه المُعْتَمِدِ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ.

(١) انظر السير: ٤٤٨-٤٤٩ / ١٣.

(٢) انظر السير: ٤٦٣-٤٧٩ / ١٣.

وكان ملكا مهيبا، شجاعا، جبارا، شديد الوطأة، من رجال العالم، يُقَدِّم على الأسد وحده. وكان أسمر نحيفا، معتدل الخلق، كامل العقل.

[١] قال المسعودي: كان قليل الرحمة، إذا غضب على أمير حفر له حفيرة، وألقاه حيا، وطم عليه. وكان ذا سياسة عظيمة، قيل: إنه تصيد، فنزل إلى جانب مقشاة، فصاح الناطور، فطلبه، فقال: إن ثلاثة غلمان دخلوا المقشاة، وأخذوا، فجيء بهم، فاعتقلوا، ومن الغد ضربت أعناقهم، فقال لابن حمدون: اصدقني عني، فذكرت الثلاثة، فقال: والله ما سفكت دما حراما منذ وليت الخلافة، وإنما قتلت حرامية قد قتلوا، أوهمت أنهم الثلاثة. قلت: فاحمد بن الطيب؟ قال: دعاني إلى الإلحاد.

[٢] عن إسماعيل القاضي، قال: دخلت على المعتضد، وعلى رأسه أحداث روم ملاح، فنظرت إليهم، فرآني المعتضد أتاملهم، فلما أردت الانصراف، أشار إلي، ثم قال: أيها القاضي! والله ما خللت سراويلي على حرام قط.

[٣] ودخلت مرة، فدفع إلي كتابا، فنظرت فيه، فإذا قد جمع له فيه المرخص من زلل العلماء، فقلت: مُصنّف هذا زنديق. قال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: بلى، ولكن من أباح المُسكر لم يُح المُتعة، ومن أباح المُتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه. فأمر بالكتاب فأحرق.

[٤] قال أبو علي المحسن التتويحي: بلغني عن المعتضد أنه كان جالسا في بيت يبنى له، فرأى فيهم أسود منكر الخلفة يصعد السلالم درجتين درجتين، ويحمل ضعفت ما يحمله غيره، فأنكر ذلك، وطلبه، وسأله عن سبب ذلك، فتلجج فكلّمه ابن حمدون فيه، وقال: من هذا حتى صرفت فكرك إليه؟ قال: قد وقع في خلدي أمر ما أحبه باطلا، ثم أمر به، فضرب مئة، وتهدده بالقتل، ودعا

بالتقطع^(١) والسيف، فقال: الأمان، أنا أعمل في أتون الأجر، فدخل من شهرور رجل في وسطه هميان^(٢) فأخرج دنائير فوثبت عليه، وسددت فاه، وكثفته، وألقيته في الأتون، والذهب معي يقوى به قلبي، فاستحضرها، فإذا على الهميان اسم صاحبه، فنودي في البلد، فجاءت امرأة، فقالت: هو زوجي ولي منه طفل، فسلم الذهب إليها، وقتله.

[١] وأن خادما أتاه، فأخبره أن صيادا أخرج شبكته، فنقلت، فجذبها، فإذا فيها جراب، فظنه مالا، فإذا فيه أجر بينه كف مخصوبة، فهال ذاك المعتضد، وأمر الصياد، فعاود الشبكة، فخرج جراب آخر فيه رجل، فقال: معي في بلدي من يفعل هذا؟ ما هذا بملك! فلم يفطر يومه، ثم أحضر ثقة له، وأعطاه الجراب، وقال: طُف به على من يعمل الجرب: لمن باعه؟ فغاب الرجل، وجاء وقد عرف بائعه، وأنه اشترى منه عطاراً جراباً، فذهب إليه، فقال: نعم، اشترى مني فلان الهاشمي عشرة جرب، وهو ظالم... إلى أن قال: يكفيك أنه كان يعشق مَغْنِيَةً، فاكتراها من مولاها، وأدعى أنها هربت! فلما سمع المعتضد ذلك سجد، وأحضر الهاشمي، فأخرج له اليد والرجل، فاصفر واعترف، فدفع إلى صاحب الجارية ثمنها، وسجن الهاشمي، فيقال: قتله.

[٢] وعن خفيف السمرقندي: قال: خرجت مع المعتضد للصيد، وانقطع عنه العسكر فخرج علينا الأسد، فقال: يا خفيف! أمسك فرسي. ونزل، فتحزمت، وسل سيفه، وقصد الأسد، فقصده الأسد، فتلقاه، المعتضد، فقطع يده، فتشاعل بها الأسد. فضربه فلق هامته، ومسح سيفه في صوفه، وربب، وص. ب. إلى أن مات، فما سمعته يذكر الأسد، لقلته احتفاله به.

قلت: وكان في المعتضد حرص، وجمع للمال، حارب الزنج، وله مواقف

(١) التقطع، بفتح النون وكسرهما، وفتح الطاء وكسرهما وسكونها. بساط من الجلد. كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

(٢) الهميان: كيس للنفقة يُشد في الوسط.

مشهودة، وفي دولته سكنت الفتن، وكان فتاه بدر على شريطته، وعُبيد الله بن سليمان على وزيرته، ومحمد بن شاه على حرسه، وأسقط المكس، ونشر العدل، وقُلل من الظلم، وكان يُسمى السَّفاح الثاني، أحيا زعيم الخلافة التي ضَعُفَتْ من مقتل المتوكل، وأنشأ قصراً غَرِمَ عليه أربع مئة ألف دينار، وكان مزاجه قد تغير من فَرط الجَماع وعدم الحمية.

وكان أبو العباس شهماً، جلدأ، رجلاً بازلاً، موصوفا بالرجلة والمجزالة، قد لقي الحروب، وعُرف فضله، فقام بالأمر أحسن قيام، وهابه الناس ورهبوه، ثم عقد له المُعْتَمِد مكان الموفق، وجعل أولاده تحت يده، ثم إن المعتمد جلس مجلساً عاماً، أشهد فيه على نفسه بخلع ولده المفروض إلى الله جعفر من ولاية عهده، وإفراد أبي العباس بالعهد في المحرم.

[١] وفي سنة ثمان وسبعين: كان أول شأن القرامطة.

[٢] ولا ريب أن أول وهن على الأمة قُتِلَ خليفتهما عثماناً صبها، فهاجت الفتنة، وجرت وقعة الجمل بسببها، ثم وقعة صفين، وجرت سُيُول الدماء في ذلك. ثم خَرَجَت الخوارج، وكفرت عثماناً وعلياً، وحاربوا، ودامت حروب الخوارج سنين عدّة.

ثم هاجت المُسَوِّدَة بخراسان، وما زالوا حتى قلعوا دولة بني أمية، وقامت الدولة الهاشمية بعد قتل أمم لا يحصيه إلا الله.

ثم اقتتل المنصور وعمه عبدالله. ثم خُذِلَ عبدالله، وقُتِلَ أبو مُسْلِم صاحب الدعوة.

[٣] ثم خرج ابننا حسن^(١)، وكاد أن يتملكا، فُقْتِلَا.

(١) هما: محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأخوه إبراهيم، وكان خروجهما على المنصور، ذلك أنهما تخلقا عن المنصور عنده عندما حج في ذلك العام، فطلبهما، وبالق في ذلك، وقبض على أبيهما مع عدد من أهل البيت، وسجنهم، وماتوا في سجنه. قتار محمد في المدينة، وسجن متوليها، وصار له شأن وعمال على المدن، إلى أن أرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة ابن عمه عيسى بن موسى قضى عليه سنة (١٤٥هـ).

ثم كان حربٌ كبيرٌ بين الأمين والمأمون، إلى أن قتل الأمين.

وفي أثناء ذلك قام غير واحد يطلب الإمامة:

[١] فظهر بعد المئتين بابك الخرمي زنديق بأذربيجان، وكان يُضرب بِفَرْطِ شجاعته الأمثال، فأخذ عِدَّةَ مدائن، وهزم الجيوش إلى أن أسير بحيلة، وقُتل.

[٢] ولما قتل المتوكل غيلة، ثم قتل المعتز، ثم المستعين والمهتدي، وضعف شأن الخلافة نوَّبَ ابنا الصَّفَّارِ إلى أن أخذوا خراسان، بعد أن كانا يَعْمَلانِ في النحاس، وأقبلا لأخذِ العراقِ وقَلَعِ المَعْتَمِدِ.

ونوَّبَ طَرْقِيٌّ داهية بالزُّنْجِ على البصرة، وأباد العباد ومزَّقَ الجيوش، وحاربوه بضِعَّ عشرةِ سنةٍ إلى أن قُتل. وكان مارقاً، بلغ جُنْدُه مئة ألف.

[٣] فبقي يشبه بهؤلاء كلُّ من في رأسه رئاسة، ويتحجَّلُ على الأمة ليرديهم في دينهم ودُنياهم، فتحرك بِقُرَى الكوفة رجل أظهر التَّعَبِدَ والتَّزَهُدَ، وكان يسف الخوص ويؤثر، ويدعو إلى إمام أهل البيت، فتلقَّ له خلقٌ وتألَّهوا إلى سنة ستٍ وثمانين، فظهر بالبحرين أبو سعيد الجنابي، وكان قَمَّاحاً، فصار معه عسكر كبير، ونهبوا، وفعلوا القبائح، وتزندقوا، وذهب الأخوان يدعون إلى المهدي بالمغرب، فثار معهما البربر، إلى أن ملكَ عبدالله الملقب بالمهدي غالبَ المغرب، وأظهر الرِّفْضَ، وأبطنَ الرُّندقة، وقام بعده ابنه، ثم ابنُ ابنه، ثم تملك المَعِزُّ وأولاده مصر والمغربَ واليمنَ والشامَ، دمرها طويلاً فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي سنة ثمانين عاثت بنو شيبان، فسار المَعْتَصِدُ، فلحقهم بالسُّن، فقتل وغرَّقَ ومزَّقَهم، وغنم العسكُرُ من مواشيهم مالا يُوصف، حتى أبيعَ الجمالَ بخمسة دراهم، وصان نساءهم وذرايهم، ودخل الموصل، فجاءته بنو شيبان، ودلوا، فأخذ منهم رهائن، وأعطاهم نساءهم، ومات في السجن المفوض إلى الله، وقيل: كان المعتضد يُنادمه في السرِّ.

[٤] قيل: كان لتاجر على أمير مأل، فمطله، ثم جحدته، فقال له صاحب له:

قم معي، فأتى بي خياطاً في مسجد. فقام معنا إلى الأمير، فلما رآه، هابه، ووفاني المال، فقلت للخياط: خذ مني ما تريد، فغضب، فقلت له: فحدّثني عن سبب خوفه منك، قال: خرجت ليلة، فإذا بتركي قد صاد امرأة مليحة وهي تتمنع منه وتستغيث، فأنكرت عليه، فضربني، فلما صلّيت العشاء جمعت أصحابي، وجئت بابه، فخرج في غلمانه، وعرفني، فصرّيتي وشجّني، وحملت إلى بيتي، فلما تنصّف الليل، قمت فأذنت في المنارة، لكي يظن أن الفجر طلع فيخلي المرأة، لأنها قالت: زوجي حالف علي بالطلاق أنني لا آبيت عن بيتي، فما نزلت حتى أحاط بي بدرّ وأعوانه، فأدخلت على المعتضد، فقال: ما هذا الأذان؟ فحدّثته بالقصة، فطلب التركي، وجّهز المرأة إلى بيتها، وضرب التركي في جوالق حتى مات، ثم قال لي: أنكر المنكر، وما جرى عليك فأذن كما أذنت، فدعوت له، وشاع الخبر، فما خاطبت أحداً في خصمه إلا أطاعني وخاف.

[١] وفيها: غزا صاحب ما وراء النهر إسماعيل بن أحمد بن أسد بلاد الترك، وأسر ملكهم في نحو من عشرة آلاف نفس، وقتل مثلهم.

[٢] وغزا المسلمون أرض الروم، فافتتحوا مملوكيه.

[٣] وفي سنة إحدى وثمانين ومئتين: غارت مياه طبرستان، حتى لا بيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم، وجاعوا، وأكلوا الميتة.

[٤] وفي سنة اثنتين وثمانين قتل خمارويه صاحب مصر والشام غلمانه، لأنه راودهم، ثم أخذوا، وصلبوا، وتملك ابنه جيش، فقتلوه بعد سير، وملكوا أخاه هارون، وفرر على نفسه أن يحمل إلى المعتضد في العام ألف دينار، وخمس مئة ألف دينار.

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين: سار المعتضد إلى الموصل، لأجل هارون الشاري، وكان قد عاث وأفسد، وامتدت أيامه، فقال الحسين بن حمدان

للمعتضد: إن جيتك به فلي ثلاث حوائج. قال: سمها. قال: تطلق أبي،
والحاجتان: أذكرهما إذا أتيت به. قال: لك ذلك، قال: وأريد أن أنتقي ثلاث
مئة بطل. قال: نعم. ثم خرج الحسين في طلب هارون، فضايقه في مخاضة،
والتقوا، فانهزم أصحاب هارون، واختفى هو، ثم دل عليه أعراب، فأسره
الحسين وقدم به، وخلع المعتضد على الحسين، وطوفه وسوره، وعملت
الزينة، وأركب هارون فيلا، وازدحم الخلق، حتى سقط كرسي جسر بغداد،
وغرق خلق.

[١] قال ابن جرير: وفي سنة (٢٨٤): عزم المعتضد على نعمة معاوية على
المنابر فخوفه الوزير، فلم يلتفت، وحسم مادة اجتماع الشيعة وأهل البيت،
ومنع القصاص من الكلام جملة، وتجمع الخلق يوم الجمعة لقراءة ما كتب في
ذلك، وكان من إنشاء الوزير، فقال يوسف القاضي: راجع أمير المؤمنين.
فقال: يا أمير المؤمنين! تخاف الفتنة؟ فقال: إن تحركت العامة وضعت السيف
فيهم. قال: فما تصنع بأهلوية الذين هم في كل قطر قد خرجوا عليك؟ فإذا
سمع الناس هذا من مناقبهم كانوا إليهم أميل وأبسط السنة. فأعرض المعتضد
عن ذلك.

[٢] وفي سنة ست ظهر بالبحرين رأس القرامطة أبو سعيد الجنابي، وكثرت
جموعه، وانضاف إليه بقايا الزنج، وكان كتيلا بالبصرة، فقيراً يرفو الأعدال، وهم
يستخفون به، ويسخرون منه. قال أمره إلى ما آل، وهزم عساكر المعتضد
مرات، وفعل العظائم، ثم ذبح في حمام قصره. فخلفه ابنه سليمان الذي أخذ
الحجر الأسود، وقتل الحجيج حول الكعبة، وهو جد أبي علي الذي غلب على
الشام، وهلك بالرملة في سنة خمس وستين وثلاث مئة.

[٣] وفي سنة سبع: استفحل شأن القرامطة، وأسرفوا في القتل والنسي، والتقى
الجنابي وعباس الأمير، فأسره الجنابي، وأسر عامة عسكره، ثم قتل الجميع

سوى عباس، فجاء إلى المعتضد وحده في أسوأ حال.
 ووقع الفناء بأذربيجان، حتى عُدِمَت الأكَفان جملةً، فكفَنُوا في اللُؤد.
 واعتل المعتضد في ربيع الآخر، ثم تماثل، وانتكس، فمات في الشهر،
 وقام المكتفي لثمانٍ بقين من الشهر، وكان غائباً بالرُقَّة، فنَهَض بالبيعة له الوزير
 القاسم بن عبيدالله.

وكانت خلافة المعتضد تسع سنين، وتسعة أشهر وأياماً.
 وقد وُلِّيَ الخِلافةَ من بنيهِ: المكتفي علي، والمقتدر جعفر، والقاهر محمد،
 وله عِدَّة بنات، وهارون.

٥٨٠ المكتفي بالله^(١)

[١] الخليفة، أبو محمد، عليُّ بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق
 طلحة بن المتوكل العباسي.

مولده في سنة أربع وستين وميتين.

بويع بالخِلافة عند موت والده يعهد منه، في جمادى الأولى، سنة تسع
 وثمانين، فاستُخِلف سنة أعوام ونصفاً.

وهدم المظالم التي عملها أبوه، وصيّرَها مساجد، وردَّ أملاك الناس إليهم،
 وكان أبوه قد أخذها لعمل قصر، وأحسن السيرة، فأحبه الناس.

[٢] وفي سنة إحدى وتسعين وميتين: أقبلت جُموع التُرك، فبيتهم والي خُراسان
 إسماعيل، وقتلوا منهم مَقْتلة عظيمةً، وأقبلت الروم في مئة ألف، وأنوا إلى
 الحَدَث^(٢) فأحرقوه، وقتلوا وسبوا.

[٣] وفيها: سار عسكر طرسوس، فافتتحوا أنطاكية، وحصل سهمُ الفارس ألف

(١) انظر السير: ١٣ / ٤٨٥-٤٧٩

(٢) الحَدَث: قلعة حصينة من التفور الشامية.

دينار.

[١] وفي سنة أربع وتسعين ومئتين: أخذ زُكْرُوته القرمطي ركب العراق، وكنّ نساء العرب يُجهزون على الجرحى، فيقال: قتلوا عشرين ألفاً، وأخذوا ما قيمته ألفا ألف دينار، ووقع النوح في المدن، وجهاز المكتفي جيشاً لحربه، فلا تسأل ما فعل هذا الكلب بالوفد! ثم التقوا فقتل عامة أصحاب زُكْرُوته، وأسر هو وعدة، ثم مات من جراحه، وأحرق هو وجماعته.

وفي سنة خمس وتسعين: كان الفداء بين المسلمين والرُوم، فافتك نحو ثلاثة آلاف نفر. ومات المكتفي شاباً، في سابع ذي القعدة من السنة. وعاش إحدى وثلاثين سنة وأشهرًا.

٥٨١ ابن الأغلب^(١)

[٢] صاحب المغرب، أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن الأغلب التميمي الأغلب القيرواني، ابن أمراء القيروان. وُلِّي سنة إحدى وستين ومئتين.

[٣] وكان ملكاً حازماً صارماً مهيباً، كانت التجار تسير في الأمن من مصر إلى سبته، لا تعارض، ولا تُرُوع.

ابنتي المحضون والمحارس، بحيث كانت توقد النار، فتتصل في ليلة إذا حدث أمرٌ من سبته إلى الإسكندرية، بحيث إنه يُقال: قد أنشئ في البلاد من بنائه وبناء آبائه ثلاثون ألف مقل، وهو الذي مضر مدينة سوسة.

[٤] وقد دونت أيامه وعدله وجوده، وكان سديد السيرة، شهماً، ظفر بامرأة متعبدة قادت قوتة، فدفنها حية، وشنق سبعة أجناد أخذوا لتاجر ثلاثة آلاف دينار، بعد أن قرَّهم، وأخذ الذهب لم ينقص سوى سبعة دنانير، فوزَّنها من عنده.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤٨٧-٤٨٩.

[١] وقيل: جاءه رجل، فقال: قد عشقتُ جاريةً، وثمنها خمسون ديناراً، وما معي إلا ثلاثون. فوهبه مئة دينار، فسَمِعَ به آخر، فجاءه، وقال: إني عاشق. قال: فما تجد؟ قال: لهيباً. قال: اغمسوه في الماء، فغمسوه مراتٍ، وهو يصيح: ذَهَبَ العِشْقُ. فضحك، وأمر له بثلاثين ديناراً.

ثم إنه تسوّدن، وقتل إخوته، ثم عوفي، وتاب، وتصدّق. ثم ظهر عليه الشيعي داعي عبيدالله المهدي، وحاربه، وجرت أمورٌ طويلة، بعضها في «تاريخ الإسلام».

[٢] توفي غازياً بصِقلية سنة تسع وثمانين ومئتين. وتملك ابنه عبدالله، فكان دينياً، عالماً، بطلاً، شجاعاً، شاعراً، فقتله غلمانُه غيلةً بعد عام.

٥٨٢ ابن الرومي^(١)

[٣] شاعر زمانه مع البُخترى، أبو الحسن، عليّ بن العباس بن جُريح، مولى آل المنصور.

له النظم العجيب، والتوليد الغريب. رثب شعره الصولي. وكان رأساً في الهجاء، وفي المديح، وهو القائل:

[٤] آراؤكم، ووُجوهكم، وسُيوفكم في الحادثات إذا ذجون نُجوم
منها معالمٌ للهدى ومصابحٌ نجلو الدجى والأخربات رُجوم

مولده سنة إحدى عشرة ومئتين، ومات سنة ثلاث وثمانين.

[٥] قيل: إن القاسم بن عبيدالله الوزير كان يخاف من هجو ابن الرومي، فدنس عليه من أطعمه خُشكناثة^(٢) مَسْمومة، فأحس بالسُّم، فوثب، فقال الوزير: إني

(١) انظر السير: ٤٩٥-٤٩٦.

(٢) في (الوفيات): - (خشكناجة) والخشكان: خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملا بالسكر واللوز أو الفستق وتغلى. (فارسي).

أين؟ قال: إلى موضع بعثني إليه.
قال: سلم على أبي. قال: ما طريقي على النار. فبقي أياماً، ومات.

٥٨٣ ابن خراش^(١)

[١] الحافظ، الناقد، البارغ، أبو محمد، عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش، المرزبي ثم البغدادي.

[٢] قال بكر بن محمد: سمعته يقول: شربت بولي في هذا الشأن - يعني الحديث - خمس مرات.

قال أبو نعيم بن عدي: ما رأيت أحداً أحفظ من ابن خراش.
وقال ابن عدي: قد ذكر بشيء من التشيع، وأرجو أنه لا يتعمد الكذب.
سمعت ابن عقدة يقول: كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئاً في التشيع يقول: هذا لا ينفق إلا عندي وعندك. وسمعت عبدان يقول: حمل ابن خراش إلى بئدار عندنا جزءين صنفتهما في مثالب الشيخين، فأجازه بألفي درهم، بنى له بها حجرة ببغداد ليحدث فيها، فمات حين فرغ منها.
وقال أبو زرعة محمد بن يوسف الحافظ: خرج ابن خراش مثالب الشيخين، وكان رافضياً.

وقال ابن عدي: سمعت عبدان يقول: قلت لابن خراش: حديث: «ما تركنا صدقة» فقال: باطل.
قلت: هذا معتر مخلول، كان علمه وبالأ، وسعيه ضلالاً، نعوذ بالله من الشقاء.

مات سنة ثلاث وثمانين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٣ / ٥٠٨-٥١٠.

[١] ابن حنبل: الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن بن شيخ العصر أبي عبدالله الذُهَلِيّ الشَّيبَانِيّ المَرْوَزِيّ، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومثتين.

[٢] وقال أبو الحسين أحمد بن جَعْفَر بن المُنَادِي: لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه من عبدالله بن أحمد، لأنه سَمِعَ منه «المسند»، وهو ثلاثون ألفاً، و«التفسير»، وهو مئة ألف وعشرون ألفاً، وغير ذلك من التصانيف.

قلت: ما زلنا نسمع بهذا «التفسير» الكبير لأحمد على ألسنة الطُّلَبَةِ، وعُمَدَتُهُمْ حكاية ابن المُنَادِي هذه، ولكن ما رأينا أحداً أخبرنا عن وجود هذا «التفسير»، ولا بعضه ولا كُرَاسَةَ منه، ولو كان له وجود، أو شيء منه لَنَسَخُوهُ، ولا عتني بذلك طلبُ العِلْمِ، ولحصلوا ذلك، ولنقل إلينا، ولا شتَهْر، ولتَنَافَسَ أعيانُ البغداديين في تحصيله، ولنقل منه ابن جرير فمن بعده في تفاسيرهم، وهذا «التفسير» لا وجود له، وأنا اعتقد أنه لم يكن، ببغداد لم تزل دَارُ الخُلَفَاءِ، وِقْبَةُ الإسلام، ودار الحديث، ومحلَّةُ السُّنَنِ، ولم يزل أحمد فيها مُعْظَمًا في سائر الأعصار، وله تلامذة كبار، وأصحاب أصحاب، وهَلُمَّ جراً إلى بالأمس، حين استباحها جيش المغول، وجرت بها من الدماء سُيُول، وقد اشتهر ببغداد «تفسير» ابن جرير، وتزاحم على تحصيله العلماء، وسارت به الرُكبان، ولم نعرف مثله في مَنَاهِ، ولا أَلْفَ قبله أكبر منه، وهو في عشرين مجلدة، وما يحتمل أن يكون عشرين ألف حديث، بل لعله خمسة عشر ألف إسناد، فحذُّهُ، فَعَدُّهُ إن شئت.

قلت: عاش في عمر أبيه سبعاً وسبعين سنة.

مات ودُفِنَ في مقابر باب التُّبْنِ (٢)، وكان الجمع كثيراً فوق المقدار.

(١) انظر السير: ١٣ / ٥١٦-٥٢٦

(٢) باب التبن: محلة كبيرة كانت ببغداد على الخنلق بإزاء قطعة أم جعفر.

[١] وقيل: إن عبدالله أمرهم أن يدفنوه هناك، وقال: بلغني أن هناك قبر نبي،
ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي أن أكون في جوار أبي.

[٢] وكان صيِّنا ديننا صادقاً، صاحب حديثٍ وأتباعٍ وبصرٍ بالرجال، لم يدخل في
غير الحديث، وله زيادات كثيرة في «مسند» والده واضحة عن عوالي شيوخه،
ولم يحرر ترتيب «المسند» ولا سهَّله، فهو محتاج إلى عمل وترتيب.
فلعل الله يقبض لهذا الديوان العظيم من يرتبه ويهذبه، ويحذف ما كرر فيه،
ويصلح ما نصحف، ويوضح حال كثير من رجاله، وينبه على مرسله، ويوهن ما
ينبغي من مناكيره، ويرتب الصحابة على المعجم، وكذلك أصحابهم على
المعجم، ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب السنَّة، وإن رتبته على
الأبواب فحسن جميل، ولولا إني قد عجزت عن ذلك لضعف البصر، وعدم
النية، وقرب الرحيل، لعملت في ذلك.

٥٨٥ القاضي أبو خازم^(١)

[٣] الفقيه، العلامة، قاضي القضاة، أبو خازم، عبد الحميد بن عبدالعزيز
السُّكُونِيُّ البَصْرِيُّ، ثم البغدادي الحنفي.
وكان ثقة، ديناً، ورعاً، عالماً، أحقَّ الناس بعمل المحاضر والسجلات،
بصيراً بالجبر والمقابلة، فارضاً، ذكياً، كامل العقل.
وبرع في المذهب حتى فُضِّلَ على مشايخه.

[٤] مُكْرَمُ بن بكر، قال: كنت في مجلس أبي خازم القاضي، فتقدَّم شيخٌ معه
غلام، فادعى عليه بألف دينار، فأقرَّ الحدَّ، فقال القاضي للشيخ: ما تشاء؟
قال: حبسه. فقال للحدِّث: قد سمعت فهل توفيه البعض؟ قال: لا. ففكر

(١) انظر السير: ١٣/٥٤١-٥٣٩.

ساعة، ثم قال: تلازما حتى انظر. فقلت: لم أحرر القاضي الحبس؟ قال: ويحك! إني أعرف في أكثر الأحوال وجه المبحق من المبتطل، وقد وقع لي أن سماحته بالإقرار شيء بعيد من الحق، أما رأيت قلّة تغاضبهما في المحاورّة مع عظم المال؟ فبينما نحن كذلك، إذ استبان الأمر، فاستأذن تاجرٌ موسرٌ، فأذن له القاضي، فدخّل، وقال: قد بُليت بابن لي حَدَثٍ، يتلف مالي عند فلان المُقْبِن، فإذا منعتَه مالي احتال بحيلٍ يُلجئني إلى التزام غرم، وأقرُّه أنه نصَّب المُقْبِنَ اليوم لمطالبته بألف دينار، وأقع مع أمه - إن حبس - في نكدٍ. فتبسم القاضي، وطلب الغلامَ والشيخَ، فأدخلا، فوعظ الغلامَ، فأقرَّ الشيخَ، وأخذ التاجر بيد ابنه، وانصرف.

قلت: قد كان المعتضد يحترم أبا خازم ويجلّه، قيل: إن أبا خازم لما احتضِر بكى، وجعل يقول: يارب! من القضاء إلى القبر. وله شعر رقيق.

مات ببغداد سنة اثنيتين وتسعين ومئتين.

٥٨٦ أبو جعفر الترمذي^(١)

[١] هو: الإمام، العلامة، شيخُ الشافعية بالعراق في وقته، أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي الشافعي الزاهد. ولد سنة إحدى ومئتين.

قال الدارقطني: ثقة مأمون ناسك.

[٢] وذكر إبراهيم بن السري الرُّجَّاح: أنه كان يُجرى على أبي جعفر في الشهر أربعة دراهم، يتقوتُ بها. قال: وكان لا يسأل أحداً شيئاً.

[٣] ونقل الشيخ محيي الدين النووي: أن أبا جعفر جَزَمَ بطهارة شعر رسول الله

(١) انظر السير: ١٣ / ٥٤٥-٥٤٧.

صلى الله عليه وسلم. وقد خالف في هذه المسألة جمهور الأصحاب.
قلت: يتعمّن على كل مسلم القَطْعُ بطهارة ذلك، وقد ثبت أنه صلى الله عليه
وسلم لما حلق رأسه، فرّق شعره المُطَهَّرَ على أصحابه، إكراماً لهم بذلك.
فواللهي على تقبيل شَعْرَةٍ منها.

[١] قال والد أبي حفص بن شاهين: حضرت أبا جعفر، فسُئِلَ عن حديث
النزول،^(١) فقال: النزول معقول، والكَيْفُ مجهول، والإيمان به واجب،
والسؤال عنه بدعة.

قال أحمد بن كامل القاضي: لم يكن للشافعية بالعراق أُرَاسٌ، ولا أَوْرَعٌ،
ولا أنقل من أبي جعفر الترمذي.

قلت: توفي سنة خمس وتسعين ومئتين، وقيل: إنه اختلط بأخرة.

٥٨٧ أبو عمرو الخُفَّاف^(٢)

[٢] الإمام، الحافظ الكبير، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عمرو، أحمد بن نصر بن
إبراهيم، النيسابوري، المعروف بالخُفَّاف.

قال أبو عبد الله الحاكم: كان نسيحاً وحده جلالته، ورتاساً، وزهداً وعبادة،
وسخاة نفس.

[٣] قال الحاكم: وسمعت الصَّبِيغِيَّ يقول: صام أبو عمرو الخُفَّاف الدهر نيفاً
وثلاثين سنةً.

قلت: ليته أظفر وصام، فما خَفِيَ والله عليه النهي عن صيام الدهر، ولكن
له سَأَفٌ، ولو صاموا أفضل الصوم، لَلَزِمُوا صَوْمَ داودَ عليه السلام.

(١) ولفظه بتمامه: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني
فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»

(٢) انظر السير: ١٣ / ٥٦٠-٥٦٤.

ولم يكن يُعقَّب.

قال: وسمعت أبا زكريأ العنبري يقول: فلما أيس من الولد، تصدَّق بأموال، كان يقال: إن قيمتها خمسة آلاف ألف درهم، على الأشراف والفقراء والموالي.

٢١١ قال: وسمعت محمد بن المؤمل بن الحسن الماسرجسي، سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: كان عمرو بن الليث الصفار - يعني السلطان - يقول لي: يا عم! متى علمت شيئا لا يوافقك فاضرب رقبتي، إلى أن أرجع إلى هواك.

٢٢١ قلت: كذا فليكن أنسلطان مع الشيخ، وقد كان عمرو بن الليث صانعاً في الصفار فتنقلت به الأحوال إلى أن تملك خراسان، وتملك بعده أخوه يعقوب، فانظر في «تاريخ الإسلام» تسمع العجب من سيرتهما.

وكان الرئيس أبو عمرو عظيم القدر، سيداً مطاعاً ببلده، نال رئاسة الدين والدينا، وكانوا يلقبونه بزین الأشراف.

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وميتين، من أبناء الثمانين.

٥٨٨ البوشنجي (خ) (١)

٢٣١ الإمام، العلامة، الحافظ، ذو الفنون، شيخ الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعيد. الفقيه المالكي، البوشنجي، شيخ أهل الحديث في عصره بنيسابور.

مولده في سنة أربع وميتين.

[٤] وقال أبو زكريا العنبري: شهدت جنازة الحسين القباني، فصلى بنا عليه أبو عبد الله البوشنجي، فلما أرادوا الانصراف، قدمت دابة أبي عبد الله، وأخذ أبو عمرو الخفاف بلجامه، وأخذ إمام الأئمة بركابه، وأبو بكر الجارودي، وإبراهيم بن أبي طالب يسويان عليه ثيابه، فلم يمنع واحدا منهم، ومضى.

(١) انظر السير: ١٣ / ٥٨٩-٥٨٨.

[١] قال أبو عمرو بن نُجَيْد: سمعت أبا عُثْمَانَ سَعِيدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ: تَقَدَّمْتُ لِأَصَافِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبُوشَنَجِيِّ تَبْرُكًا، فَفَبَضَّ عَنِّي يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عُثْمَانَ! لَسْتُ هُنَاكَ.

[٢] الحَاكِمُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبُوشَنَجِيَّ يَقُولُ فِي مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ»، قَالَ: مَعْنَاهُ: أَنْ مَنْ حَمَلَ الْقُرْآنَ وَقَرَّاهُ، لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ.

[٣] مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنَجِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الدَّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَقْسَلَاتِ صَنْمًا مِنْ نُحَاسٍ، إِذَا عَطِشَ، نَزَلَ، فَشَرِبَ. ثُمَّ قَالَ الْبُوشَنَجِيُّ: رِيْمًا تَكَلَّمَتِ الْعُلَمَاءُ عَلَى سَبِيلِ تَفْقِيهِمْ مَقْدَارَ أَفْهَامِ حَاضِرِيهِمْ، تَأْدِيًّا لَهُمْ، وَتَنْبِيْهًُا عَلَى الْعِلْمِ، وَامْتِحَانًا لِأَوْهَامِهِمْ فَهَذَا ابْنُ جَابِرٍ، وَهُوَ أَحَدُ عُلَمَاءِ الشَّامِ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْعِلْمِ، يَقُولُ هَذَا، وَالْمَقْسَلَاتُ: مَوْضِعٌ بِدِمَشْقَ بِسُوقِ الدَّقِيقِ، يَرِيدُ أَنْ الصَّنَمَ لَا يَعْطِشُ، وَلَوْ عَطِشَ نَزَلَ فَشَرِبَ، فَيَنْفِي عَنْهُ النَّزُولَ، وَالْعَطَشَ.

[٤] قَالَ أَبُو النَّضْرِ الْفَقِيْهِيُّ: سَمِعْتُ الْبُوشَنَجِيَّ يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالْفَقْهَ يَغْيِرُ أَدَبَهُ، فَقَدْ اقْتَحَمَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين، وصلى عليه ابنُ خزيمة.

الجزء الرابع عشر

٥٨٩ ثعلب^(١)

١١ العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العبّاس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولا هم البغداديّ صاحب الفصيح والتصانيف.

وُلِدَ سنة مئتين، وكان يقول: ابتدأت بالنظر وأنا ابنُ ثمانِي عشرة سنة، ولما بلغت خمساً وعشرين سنة، ما بقي عليّ مسألة للفراء، وسمعتُ من القواريريّ مئة ألف حديث.

قال الخطيب: ثقة، حجة، دينٌ صالح، مشهور بالحفظ.

وقيل: كان لا يتفصّح في خطابه.

قال المبرّد: أعلم الكوفيين ثعلب. فذكر له الفراء، فقال: لا بعشره.

١٢ وكان يُزري على نفسه، ولا يعدُّ نفسه.

[٣] قال ابنُ مجاهد: فرأيتُ النبي ﷺ في المنام فقال لي: اقريء أبا العبّاس السلام، وقل له: إنك صاحبُ العلمِ المُستطيل.

وله كتاب: «اختلاف النحويين» وكتاب «القراءات» وكتاب «معاني القرآن». وأشياء.

وعمره، وأصم، صدمته دأبه، فوقع في حفرة، ومات منها في جمادى الأولى، سنة إحدى وتسعين ومئتين.

٥٩٠ أبو خَلِيفَةَ^(٢)

الإمامُ العلامة، المحدثُ الأديبُ الأخباري، شيخُ الوقت، أبو خليفة، الفضلُ ابنُ الحُبَاب، الجَمْعِيُّ البصريّ الأعمى.

(١) انظر السير: ٢٠٥/١٤

(٢) انظر السير: ١١٠٧/١٤

وُلِدَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَمِثْتَيْنِ، وَعُتِبِي بِهَذَا الشَّانِ وَهُوَ مُرَاهِقٌ، فَسَمِعَ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ وَمِثْتَيْنِ، وَلَقِبِي الْأَعْلَامَ، وَكُتِبَ عَلِمًا جَمًّا.

وَكَانَ ثِقَةً صَادِقًا مَأْمُونًا، أَدِيبًا فَصِيحًا مَفْوَهُأً، رُجُلًا إِلَيْهِ مِنَ الْأَفَاقِ، وَعَاشَ مِئَةَ عَامٍ سِوَى أَشْهُرٍ.

[١] قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُحَامِلِيِّ: أَخْبَرْنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلِيفَةَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حَضَرْنَا يَوْمًا عِنْدَ خَلِيلِ أَمِيرِ الْبَصْرَةِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي خَلِيفَةَ كَلَامٌ. فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَتَكَلِّمُ؟ فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ: مَا مِثْلَكَ مِنْ جَهْلٍ مِثْلِي: أَنَا أَبُو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ أَفْهَلُ يَخْفَى الْقَمَرُ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَقَضَى حَاجَتَهُ، وَلَمَّا خَرَجَ، سَأَلُوهُ، فَقَالَ: مَا كَانَ إِلَّا خَيْرًا، أَحْضَرَنِي مَادَّبَتُهُ، فَأَبْطُ، وَأَدَجُّ، وَأَفْرَخُ، وَفَوْلَجُ لَوْدَجُ، ثُمَّ أَتَانِي بِالشَّرَابِ، فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ، فَعَاهَدَنِي أَنْ أَتِيَّ مَادَّبَتَهُ كُلَّ يَوْمٍ، فَكَانَ إِنْسَانٌ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ، فَيَحْمِلُهُ إِلَى الْأَمِيرِ.

[٢] قَالَ الصُّوْلِيُّ: كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي خَلِيفَةَ كِتَابَ: «طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ» وَغَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: فَوَاعَدَنَا يَوْمًا وَقَالَ: لَا تَخْلِفُونِي فَإِنِّي أَنْخِذُ لَكُمْ خَيْصَةً فَتَأَخَّرْتُ لِشُغْلٍ عَرَضَ لِي، ثُمَّ جِئْتُ وَالْهَاشِمِيُّونَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يَعْرِفْنِي الْغُلَامُ، وَحَجَجَنِي، فَكُنْتُ إِلَيْهِ: أبا خَلِيفَةَ تَجْفُو مِنْ لَهْ أَدَبٍ وَتَوَثَّرَ الْغُرُّ مِنْ أَوْلَادِ عَبَّاسٍ وَأَنْتَ رَأْسُ الْوَرَى فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَفِي الْعُلُومِ، وَمَا الْأَذْنَابُ كَالرُّؤْسِ مَا كَانَ قَدْرُ خَيْصِصٍ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فِيهِ فَيَخْتَلِطُ الْأَشْرَافُ بِالنَّاسِ فَلَمَّا قَرَأَهَا صَاحَ عَلَى الْغُلَامِ، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَقَالَ: أَسَأَلُ الْبِنَا بِنَغْيِكَ، فَظَلَمْتَنَا فِي تَعْتِبِكَ، وَإِنَّمَا عَقَدَ الْمَجْلِسَ بِكَ، وَنَحْنُ فِيمَا فَاتَنَا بِتَأْخِيرِكَ كَمَا أَنْشَدَنِي التَّوْزِيَّ لِمَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ نَدِمَ فَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا، فَمَاتَ حِينَ دَخَلَ بِهَا، فَتَزَوَّجَهَا الْأَوَّلَ فَقَالَ:

فَعَادَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ بَعْدَ ظَلَامِهَا عَلَى خَيْرِ أَحْوَالٍ كَانَ لَمْ تَطْلُقْ
ثُمَّ صَاحَ: يَا غُلَامُ! أَعِدْ لَنَا مِثْلَ طَعَامِنَا، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ يَوْمًا.

[٣] قَالَ أَبُو نَعِيمٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ الْحَسَنِ الْإِسْفَرَايِينِيُّ، ابْنُ أُخْتِ أَبِي عَوَانَةَ: سَمِعْتُ

أبي يقول لأبي علي النيسابوري الحافظ : دخلتُ أنا وأبو عوانة البصرة، فقيل : إن أبا خليفة قد هُجر، ويُدعى عليه أنه قال : القرآن مخلوق . فقال لي أبو عوانة : يا بُني ! لا بد أن ندخلَ عليه . قال : فقال له أبو عوانة : ما تقولُ في القرآن؟ فاحمرَّ وجهه وسكت . ثم قال : القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق ، ومن قال : مخلوق ، فهو كافر ، وأنا تائب إلى الله من كل ذنب إلا الكذب ، فأني لم أكذب قط ، أستغفرُ الله . قال : فقام أبو علي إلى أبي ، فقبل رأسه . ثم قال أبي : قام أبو عوانة إلى أبي خليفة ، فقبل كتفه .
توفي أبو خليفة سنة خمسٍ وثلاث مئة بالبصرة .

٥٩١ صالح بن محمد^(١)

[١] ابن عمرو . الإمامُ الحافظُ الكبيرُ الحجَّةُ ، محدِّثُ المشرق ، أبو عليّ الأسدي البغدادي ، الملقبُ جَزْرَةَ - بجيم وزاي - نزيلُ بُخَارَى .

مولده سنة خمسٍ ومئتين ببغداد . وكان ثقةً حافظاً غزياً .

[٢] وقال خلف بن محمد الحَيَّامُ : حدثنا سهل بن شاذويه : أنه سمع الأميرَ خالدَ بن أحمدَ يَـألُ أبا عليّ : لم لُقِيتَ جَزْرَةَ؟ قال : قدِمَ علينا عمرُ بنُ زُرارة ، فحدثهم بحديثٍ عن عبد الله بن بسرٍ : أنه كان له خَزْرَةَ للمريض ، فجئت وقد تقدَّم هذا الحديث ، فرأيتُ في كتاب بعضهم وصحَّتْ بالشيخ : يا أبا حفص ! يا أبا حفص ! كيف حديثُ عبد الله بن بسرٍ : أنه كانت له جَزْرَةَ يداوي بها المرضى ، فصاح المحدثون المُجَّان ، فبقيَ عليٌّ حتى السَّاعة .

قلتُ : قد كان صالحٌ صاحبَ دُعابةٍ ، ولا يَغضبُ إذا واجهه أحدٌ بهذا اللُّقب .

[٣] بكر بن محمد الصيرفي : سمعتُ صالحَ بن محمدٍ قال : كنتُ أسأِرُ الجمَلُ الشاعرَ بِمصر ، فاستقبلنا جملٌ عليه جَزْرُ ، فقال : ما هذا يا أبا عليّ؟ قلتُ : أنا عليك .

(١) انظر السير : ٢٣/١٤ - ٣٣

[١] وعن جعفر الطُّسْتِي : أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مُسْلِمَ الْكَجِّي يَقُولُ ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ صَالِحُ جَزْرَةَ فَقَالَ : مَا أَهْوَنَهُ عَلَيْكُمْ ، أَلَا تَقُولُونَ : سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ !

[٢] وقال ابن أبي حاتم : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ لِأَبِي زُرْعَةَ : حَفِظَ اللَّهُ أَخَانَا صَالِحَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، لَا يَزَالُ يُضْحِكُنَا شَاهِدًا وَغَائِبًا ، كَتَبَ إِلَيَّ بِذِكْرِ أَنَّهُ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الدُّهْلِيُّ ، وَجَلَسَ لِلتَّحْدِيثِ شَيْخٌ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدِ مَحْمَشٍ فَحَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ الْبَعِيرُ ؟ » .

[٣] وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَا تَصْحَبُ الْعَمَلَاثِكَةَ رِفْقَةً فِيهَا خُرْسٌ » (١) فَاحْسِنِ اللَّهُ عِزَاءَكُمْ فِي الْمَاضِي ، وَأَعْظِمَ أَجْرَكُمْ فِي الْبَاقِي .

[٤] وَزُرِّي عَنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : الْأَحْوَالُ فِي الْبَيْتِ مَبَارَكٌ ، يَرَى الشَّيْءَ شَيْئِينَ .

[٥] قَالَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرِفِيُّ : سَمِعْتُ صَالِحًا يَقُولُ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ يَمْتَحِنُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ غَالِيًا فِي التُّشْيِيعِ ، فَقَالَ لِي : مِنْ حَضَرَ بَنُو زَمْرَمٍ ؟ قُلْتُ : مُعَاوِيَةَ ، قَالَ : فَمَنْ نَقَلَ تُرَائِبَهَا ؟ قُلْتُ : عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَصَاحَ فِيَّ وَقَامَ .

[٦] وَقَالَ أَبُو النَّضْرِ الْفَقِيهَ : كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ عَلِيْلٌ فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُنَا بِأَن يَتَّعَطَى ، فَقَالَ : رَأَيْتَهُ ؟ لَا تَرْمُدُ أَبَدًا .

[٧] قَالَ أَبُو أَحْمَدَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ : سَمِعْتُ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : كَانَ هِشَامُ بْنُ عُمَرَ يَأْخُذُ عَلِيَّ الْحَدِيثَ ، وَلَا يَحْدُثُ مَا لَمْ يَأْخُذْ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ! حَدِّثْنِي . فَقُلْتُ : حَدِّثْنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، حَدِّثْنَا أَبُو جَعْفَرِ الرَّازِيِّ ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ : عَلَّمْتُ مَجَانًا كَمَا عَلَّمْتُ مَجَانًا ، فَقَالَ : تُعَرِّضُ بِي ؟ فَقُلْتُ : لَا ، بَلْ قَصَدْتُكَ .

[٨] [بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرِفِيُّ ، سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ : دَخَلْتُ مِصْرَ فَإِذَا حَلَقَةٌ ضَخْمَةٌ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : صَاحِبُ نَحْوِ . فَقَرَّبْتُ مِنْهُ ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : مَا كَانَ بَصَادٍ ، جَازَ بِالسُّبَيْنِ . فَدَخَلْتُ بَيْنَ النَّاسِ وَقُلْتُ : صَلَّى عَلَيْكُمْ يَا أَبَا

(١) هذه اللفظة محرقة عن «جُرْس» وهو ما يعلق في رقبة الدواب.

سَالِح ، سَلَيْتُمْ بَعْدَ؟ فَقَالَ لِي : يَا رَقِيع ! أَيَّ كَلَامٍ هَذَا؟ قُلْتُ : هَذَا مِنْ قَوْلِكَ الْآنَ ،
قَالَ : أَظُنُّكَ مِنْ عِيَّارِي بَغْدَاد . قُلْتُ : هُوَ مَا تَرَى .
وَكَانَتْ وَفَاةٌ صَالِحَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِثْنِينَ ، وَلَهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً .

٥٩٢ محمد بن نصر^(١)

[١] ابن الحجَّاج المَرُوزِيُّ الإمام، شَيْخُ الإِسْلَام، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الحَافِظ .

مولده ببغداد في سنة اثنتين ومِثْنِينَ، ومنشؤه بنيسابور. ومسكنه سمرقند، كان
أبوه مروزيًا، ولم يرفع لنا في نسبه .

ذَكَرَهُ الحَاكِمُ فَقَالَ : إِمَامٌ عَصَرَهُ بِلَا مُدَافَعَةٍ فِي الحَدِيثِ .

[٢] قُلْتُ : يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ الأَيْمَةَ بِاِخْتِلَافِ العُلَمَاءِ عَلَى الإِطْلَاقِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
ابن إِسْحَاقَ الصُّبَيْعِي ، وَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَنْظُرُ إِلَى تَمَكُّنِ أَبِي عَلِيٍّ الثَّقَفِيِّ فِي عَقْلِهِ ؟
فَقَالَ : ذَلِكَ عَقْلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ . قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ : إِنَّ
مَالِكًا كَانَ مِنْ أَعْقَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَكَانَ يُقَالُ : صَارَ إِلَيْهِ عَقْلُ الَّذِينَ جَالَسَهُمْ مِنْ
التَّابِعِينَ ، فَجَالَسَهُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى النِّسَابُورِي ، فَأَخَذَ مِنْ عَقْلِهِ وَسَمَتَهُ ، ثُمَّ جَالَسَ
يَحْيَى بْنَ يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ سَنِينَ ، حَتَّى أَخَذَ مِنْ سَمَتِهِ وَعَقْلِهِ ، فَلَمْ يَرِ بَعْدَ
يَحْيَى مِنْ فُقَهَاءِ خِرَاسَانَ أَعْقَلُ مِنْ ابْنِ نَصْرِ ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ الثَّقَفِيَّ جَالَسَهُ أَرْبَعَ
سَنِينَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ أَعْقَلُ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ .

[٣] وَمِنْ كَلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ قَالَ : لَمَّا كَانَتْ المَعَاصِي بَعْضُهَا كُفْرًا وَبَعْضُهَا لَيْسَ
بِكُفْرٍ ، فُرِّقَ تَعَالَى بَيْنَهَا ، فَجَعَلَهَا ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ : فَنَوْعٌ مِنْهَا كُفْرٌ ، وَنَوْعٌ مِنْهَا فُسُوقٌ ،
وَنَوْعٌ مِنْهَا عَصِيَانٌ ، لَيْسَ بِكُفْرٍ وَلَا فُسُوقٍ . وَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَرَّهَهَا كُلَّهَا إِلَى المُؤْمِنِينَ ، وَلَمَّا
كَانَتْ الطَّاعَاتُ كُلُّهَا دَاخِلَةً فِي الإِيمَانِ ، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ خَارِجٌ عَنْهُ ، لَمْ يَفَرِّقْ
بَيْنَهَا ، فَمَا قَالَ حَبِيبُ الإِيكَمِ الإِيمَانَ وَالفَرَائِضَ وَسَائِرَ الطَّاعَاتِ ، بَلْ أَجْمَلَ ذَلِكَ
فَقَالَ : ﴿ حَبِيبَ الإِيكَمِ الإِيمَانَ ﴾ [الحجرات ٧] فَدَخَلَ فِيهِ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ ، لِأَنَّهُ قَدْ

(١) انظر السير: ١٤/٣٣-٤٠

حبيب إليهم الصلاة والزكاة، وسائر الطاعات حُبٌ تَدِينُ، ويكرهون المعاصي كراهيةً تَدِينُ، ومنه قوله عليه السلام: «مَنْ سَرَقَهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ».

[١] وقال أبو بكر الصَّبِينِي: أدركت إمامين لم أَرِزِقِ السَّمَاعَ مِنْهُمَا: أَبُو حَاتِمِ الرَّازِي، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِي، فَأَمَّا ابْنُ نَصْرٍ، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ، لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ زُنْبُورًا قَعَدَ عَلَى جَبْهَتِهِ فَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ.

[٢] وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم: ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر، كان الذباب يقع على أذنيه، فيسيل الدم، ولا يذُبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حُسن صَلَاتِهِ وَخُشُوعِهِ وَهَيْبَتِهِ لِلصَّلَاةِ، كَانَ يَضَعُ دَقْنَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَيَنْتَصِبُ كَأَنَّهُ خَشْبَةٌ مَنْصُوبَةٌ. قَالَ: وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، كَأَنَّمَا فُقِيءَ فِي وَجْهِهِ حُبُّ الرُّمَانِ، وَعَلَى خَدَّيْهِ كَالْوَرْدِ، وَلِحْيَتُهُ بِيضَاءٌ.

[٣] عثمان بن جعفر اللباني، حدثني محمد بن نصر قال: خرجت من مصر ومعني جارية، فركبت البحر أريد مكة، ففرقت، فذهب مني ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، فما رأينا فيها أحدا، وأخذني العطش فلم أقدر على الماء، فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلما للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز، فقال:

لي: هاه. فشربت وسقيتها، ثم مضى، فما أدري من أين جاء؟ ولا من أين راح؟

[٤] [دروبي] عنه أنه قال: لم يكن لي حسن رأي في الشافعي، فبينما أنا قاعد في مسجد النبي ﷺ، أغضيت، فرأيت الرسول ﷺ، في المنام فقلت: يا رسول الله! أكتب رأيي الشافعي؟ فظا طأ رأسه شبه الغضبان وقال: تقول رأي؟ ليس هو بالرأي، هو رد على من خالف سُنَّتِي. فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر، فكتبت كتب الشافعي.

[٥] قال الوزير أبو الفضل محمد بن عبيد الله البلغمي: سمعت الأمير إسماعيل بن أحمد يقول: كنت بسمرقند، فجلست يوماً للمظالم، وجلس أخي إسحاق إلى جنبي، إذ دخل أبو عبد الله محمد بن نصر، فقامت له إجلالا للعلم، فلما خرج عاتبني أخي وقال: أنت والي خراسان تقوم لرجل من الرعية؟ هذا ذهاب السياسة،

قال: فبِتُ تلك الليلة وأنا متقسّم القلب، فرأيتُ النبي ﷺ في المنام، كأني واقف مع أخي إسحاق، إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بعَضدي فقال لي: ثبَتَ ملكك وملكُ بَنِيكَ بإجلالك محمدَ بنَ نصر. ثم التفتُ إلى إسحاق، فقال: ذهب ملكُ إسحاق، وملكُ بَنِيهِ باستخفافه بمحمدِ بنِ نصر.

ومات بعد أيام قلائل من موت صالح بن محمد جزرة وذلك سنة أربع وتسعين ومئتين.

[١] قال الحافظ أبو عبدالله بن مندة في مسألة الإيمان: صرّح محمد بن نصر في كتاب «الإيمان» بأن الإيمان مخلوق، وأن الإقرار، والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق. ثم قال: وهَجَرَهُ على ذلك علماء وَقِيهِ وخالفه أئمةُ خراسان والعراق.

[٢] قلتُ: الخوضُ في ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يُقال: الإيمان، والإقرار، والقراءة، والتلفُّظُ بالقرآن غيرُ مخلوق، فإن الله خلق العباد وأعمالهم، والإيمان: فقول وعمل، والقراءة والتلفُّظ: من كسب القاريء، والمقروء المملفوظ: هو كلامُ الله ووحْيِهِ وتَنْزِيلُهُ، وهو غير مخلوق وكذلك كلمة الإيمان، وهي قول «لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله» داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق، والتكلمُ بها من فعلنا وأفعالنا مخلوقة، ولو أنا كُلمنا أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، فُمننا عليه، وبدُعنا، وهجرناه، لما سلّم معنا لا ابنُ نصر، ولا ابنُ مندة، ولا من هو أكبرُ منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحمُ الراحمين، فنعوذُ بالله من الهوى والفظاظة.

[٣] وقال أبو محمد بن حزم في بعض تواليفه: أعلمُ الناسُ من كان أجمعَهُم للسُنن، واضبطَهُم لها، واذكَرَهُم لمعانيها، وأدراهُم بصحَّتِها وبما أجمعُ الناسُ عليه ممّا اختلفوا فيه.

وقال: وما نعلمُ هذه الصِّفةَ - بعد الصحابة - أتمُّ منها في محمدِ بنِ نصر المرزوي، فلو قال قائل: ليسَ لرسولِ الله ﷺ حديثٌ ولا لأصحابه إلا وهو عند محمدِ بنِ نصر، لما أبعد عن الصِّدق.

قلت: هذه السُّعَّةُ والإحاطةُ ما ادَّعاهَا ابْنُ خَزْمٍ لابنِ نصرٍ إلا بعدَ إمعانِ النَّظَرِ في جماعة تصانيفِ لابنِ نصرٍ، ويمكن ادَّعاء ذلك لمثل أحمد بن حنبلٍ ونُظرائِهِ، والله أعلم.

٥٩٣ عبدُ الله بنِ المُعتزِّ بالله^(١)

[١] محمد بن المتوكل، جعفر، ابن المعتصم محمد، بن الرشيد هارون، بن المهدي، الأمير أبو العباس الهاشمي العباسي البغدادي الأديب صاحبُ النظم الرائق.

مولده في سنة تسع وأربعين ومئتين. وفي سنة ست وتسعين، أُنفت الكبار من خلافة المُقتدر، وهو حَدَث، فهاجوا وتوثبوا على المُقتدر وقتلوا وزيره، ونصبوا ابنَ المُعتزِّ في الخلافة، فقال: على شرط أن لا يقتل بسببي رجلٌ مسلم. وكان حول المُقتدر خواصه، فلبسوا السُّلاح وحملوا على أولئك، ففرق عن ابنِ المُعتزِّ جمعُه، وخاف فاختفى، ثم قبضَ عليه، وقتلَ سرّاً في ربيع الآخر سنة ست، سلّموه إلى مؤنس الخادم فخنقَه، ولفَه في بساط، وبعثَ به إلى أهله. وله نثرٌ بديعٌ منه:

[٢] من تجاوزَ الكفافَ لم يُغِنِه الإكثار.

[٣] كلُّما عَظُم قدرُ المنافس، عَظُمَت الفَجِيعَةُ به.

[٤] رُبُّما أوردَ الطمَعُ ولم يُصدر.

[٥] من ارتحلَه الجِرحُ، أنضاه الطُّلب.

[٦] الحظُّ يأتي من لا يأتيه.

[٧] أشقى الناسَ أقربُهُم من السلطان، كما أن أقربَ الأشياءِ من النارِ أسرعُها احتراقاً.

[٨] من شاركَ السُّلطانَ في عِزِّ الدنيا، شاركه في ذلِّ الآخرة.

(١) انظر السير: ٤٢/١٤-٤٤.

٥٩٤ الشَّيْمِي (١)

[١] الدَّاعِي الخَبِيث، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ الصُّنْعَاتِي، مِنْ دَهَاءِ الرُّجَالِ الخَبِيرِينَ بِالْحِذَلِ، وَالْحَيْلِ وَإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ. قَامَ بِالدَّعْوَةِ المُبِيدِيَّةِ، وَحُجَّ، وَصَحَبَ قَوْمًا مِنْ كُتَامَةَ (٢)، وَرَبَطَهُمْ وَتَأَلَّهْ وَتَزَهَّدَ وَشَوَّقَ إِلَى إِمَامِ الوَقْتِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ خَلَقٌ مِنَ البَّرْبَرِ، وَعَسْكَرٌ وَحَارِبٌ أَمِيرُ المَغْرِبِ ابْنُ الأَغْلَبِ، وَهَزَمَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَإِلَى أَنْ جَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ المَهْدِي، فَتَسَلَّمَ المَلِكُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِهَذَا الدَّاعِي وَلَا لِأَخِيهِ أَبِي العَبَّاسِ كَبِيرَ وِلَايَةٍ، فَغَضِبَا، وَأَفْسَدَا عَلَيْهِ القُلُوبَ وَحَارِبَاهُ، وَجَرَّتْ أُمُورٌ إِلَى أَنْ ظَفَرَ بِهُمَا المَهْدِي فَقَتَلَهُمَا فِي سَاعَةٍ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَتِينَ.

٥٩٥ الرُّيُونْدِي (٣)

[٢] المَلْحَد، عَدُوُّ الدِّينِ، أَبُو الحَسَنِ أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى بنِ إِسْحَاقِ الرُّيُونْدِي صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي الحَطِّ مِنَ المِلَّةِ، وَكَانَ يَلْزِمُ الرِّافِضَةَ وَالمَلْحَدَةَ، فَإِذَا غُوِّبَ قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ أَقْوَالَهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ كَاشَفَ وَنَاطَرَ، وَأَبْرَزَ الشُّبُهَةَ وَالشُّكُوكَ. قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: كُنْتُ أَسْمَعُ عَنْهُ بِالعِظَامِ، حَتَّى رَأَيْتُ لَهُ مَالِمًا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ.

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: عَجَبِي كَيْفَ لَمْ يُقْتَلْ! وَقَدْ صَنَّفَ الدَّامِغَ يَدْمَعُ بِهِ القُرْآنَ، وَالمُزْمِرَةَ يُرِي فِيهِ عَلَى النُّبُوتِ. وَقَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: فِيهِ هَدْيَانِ بَارِدٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِشِبْهَةٍ! يَقُولُ فِيهِ: إِنْ كَلَامُ أَكْثَمِ بنِ صَيْفِي فِيهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ سُورَةِ الكَوْثَرِ! وَإِنَّ الأنْبِيَاءَ وَقَعُوا بِطَلَابِسِمَ. وَأَلَّفَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَحْتِجُّ لَهُمْ فِي إِبْطَالِ نُبُوءَةِ سَيِّدِ البَشَرِ. وَقَدْ سَرَدَ ابْنُ الجَوْزِيِّ مِنْ بَلَايَاهُ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْرَاقٍ.

(١) انظر السير: ٥٩-٥٨/١٤

(٢) قبيلة من البربر ببلاد المغرب.

(٣) انظر السير: ٦٢-٥٩/١٤

قال ابن النجار: أبو الحسين ابن الرواندي المتكلم من أهل مرو الروذ، سكن بغداد، وكان معتزلياً، ثم تَزَنَدَقَ، وقيل: كان أبوه يهودياً فأسلم هو، فكان بعض اليهود يقول للمسلمين: لا يُفْسِدُ هذا عليكم كتابكم، كما أفسد أبوه علينا التوراة. قال البلخي: لم يكن في نظراء ابن الرواندي مثله في المعقول وكان أول أمره حسن السيرة، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك لأسباب وكان علمه فوق عقله. قال: وقد حُكي عن جماعة أنه تاب عند موته.

وقال في بعض المعجزات: يقول المنجم كهذا.

وقال: في القرآن لحن.

وألف في قدم العالم. ونفى الصانع.

وقال: يقولون: لا يأتي أحدٌ بمثل القرآن. فهذا إقليدس^(١) لا يأتي أحدٌ بمثله،

وكذلك بطليموس^(٢).

مات سنة ثمان وتسعين ومئتين.

وقيل: ما طال عمره، بل عاش ستاً وثلاثين سنة.

لَعَنَ اللهُ الذُّكَاةَ بِلاَ إِيمَانٍ، وَرَضِيَ اللهُ عَنِ الْبِلَادَةِ مَعَ التَّقْوَى.

٥٩٦ أبو عثمان الحيري^(٣)

[١] الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، الأستاذ أبو عثمان،

سعيد بن اسماعيل بن سعيد النيسابوري الحيري الصوفي.

مولده سنة ثلاثين ومئتين بالرِّيِّ.

قال المحاكم: قدم نيسابور لصحبة الأستاذ أبي حفص النيسابوري ولم يختلف

مشايخنا أن أبا عثمان كان مجاب الدعوة، وكان مجمع العبادة والزهاد. ولم يزل

يسمع ويجل العلماء ويعظمهم.

(١) مظهر الهندسة والمبرز فيها، وهو من الفلاسفة الرياضيين.

(٢) فلكي، رياضي شهير، وهو الذي أخرج علم الهندسة من القوة إلى الفعل.

(٣) انظر السير: ١٤/٦٢-٦٦

قال: تَأْذُنُ لِي أَنْ أَفْعَلَ فِيهَا مَا يَنْفَعُكَ؟ قال: نعم، ففَرَّقَهَا أَبُو عَثْمَانَ، وَقَالَ لِلتَّاجِرِ: امْكُثْ عِنْدِي، وَمَا زَالَ أَبُو عَثْمَانَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ السُّكَّةِ وَالْمَسْجِدِ لِيَلْتَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، وَأُذُنَ الْمُؤَدَّنِ، ثُمَّ قَالَ لَخَادِمِهِ: اذْهَبْ إِلَى السُّوقِ، وَانظُرْ مَاذَا تَسْمَعُ، فَذَهَبَ، وَرَجَعَ فَقَالَ: لَمْ أَرْ شَيْئًا، قَالَ: اذْهَبْ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ فِي مَنَاجَاتِهِ يَقُولُ: وَحَقُّكَ لَا أَقْمَتُ مَا لَمْ تُفَرِّجْ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، قَالَ: فَاتَى خَادِمَهُ الْفَرَّغَانِيَّ يَقُولُ: وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، شُقُّ بَطْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَ أَبُو عَثْمَانَ فِي الْإِقَامَةِ.

قلتُ: بِمِثْلِ هَذَا يَعْظُمُ مَشَايخِ الْوَقْتِ.

قال أبو الحسين أحمد بن أبي عثمان: توفي أبي سنة ثمان وتسعين ومئتين، ووصلى عليه الأمير أبو صالح.

٥٩٧ الْجَنَيْدُ (١)

[١] ابن محمد بن الجنيد النُّهاوندي، ثم البغدادي القواريري.

هو شيخُ الصوفية، وُلِدَ سَنَةَ ثِيْفٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي ثَوْرٍ، وَأَتَقَنَ الْعِلْمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ، وَتَأَلَّمَ وَتَعَبَّدَ، وَنَطَقَ بِالْحِكْمَةِ وَقَلَّ مَا رَوَى. قَالَ ابْنُ الْمُنَادِيِّ، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَشَاهَدَ الصَّالِحِينَ، وَأَهْلَ الْمَعْرِفَةِ وَرُزِقَ الذِّكَاءَ وَصَوَابَ الْجَوَابِ، لَمْ يُرَ فِي زَمَانِهِ مِثْلُهُ فِي عِفَّةٍ وَعُزُوفٍ عَنِ الدُّنْيَا. قِيلَ لِي: إِنَّهُ قَالَ مَرَّةً: كُنْتُ أَفْتِي فِي حَلْفَةِ أَبِي ثَوْرٍ الْكَلْبِيِّ وَلِي عِشْرُونَ سَنَةً. عَنِ الْجَنَيْدِ قَالَ: مَا أَخْرَجَ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ عِلْمًا وَجَعَلَ لِلْخَلْقِ إِلَيْهِ سَبِيلًا، إِلَّا وَقَدْ جَعَلَ لِي فِيهِ حِظًّا.

[٢] وقيل: إنه كان في سوقه وورده كل يوم ثلاث مئة ركعة، وكذا كذا ألف تسيحة.

[٣] وعن أبي العباس بن سريج: أنه تكلم يوماً فمجبوا! فقال: بركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.

(١) انظر السير: ٦٦/١٤ - ٧٠.

[١] علي بن هارون وآخر قالوا: سمعنا الجُنيدَ غير مرّةٍ يقول: عَلِمْنَا مضبوطاً بالكتاب والسنة مَنْ لم يحفظِ الكتاب، ويكتبِ الحديث، ولم يتفقهُ لا يُقتدى به. قال الخَلدي: لم نَر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجُنيد. كانت له حالٌ خطيرة، وعلمٌ غزير، إذا رأيت حاله رجحتَه على علمه، وإذا تكلم رجحت علمه على حاله.

[٢] أبو سهل الصُّعلوكي: سمعتُ أبا محمد المرتعش يقول: قال الجُنيد: كنتُ بين يدي السَّرِيِّ أَلعبُ وأنا ابنُ سبعِ سنين، فتكلموا في الشكر، فقال: يا غلام ما الشُّكر؟ قلت: أن لا يُعصى اللهُ بِتَعَمُّه، فقال: أخشى أن يكونَ حَقُّكَ من الله لسألك. قال الجُنيد: فلا أزال أبكي على قوله.

[٣] قيل: كان نقشُ خاتمِ الجُنيد: إن كنت تأملهُ فلا تأمنهُ. وعنه: أُعطي أهلُ بغداد الشُّطْحَ والعبارة، وأهلُ خراسان القلبَ والسخاء، وأهلُ البصرة الزهدَ والقناعة، وأهلُ الشامِ الحِلْمَ والسَّلامَةَ، وأهلُ الحجاز الصَّبْرَ والإنابة.

[٤] قال أبو محمد الجَريري: سمعتُ الجُنيدَ يقول: ما أخذنا التَّصوْفَ عن القال والقال، بل عن الجُوعِ، وتَرْكِ الدُّنيا، وقطْعِ المألوفات.

[٥] قلتُ: هذا حَسَنٌ، ومُرَادُه: قطعُ أكثرِ المألوفات، وتَرْكُ فضولِ الدُّنيا وجُوعُ بلا إفراط، أمّا مَنْ بالغَ في الجُوعِ كما يفعلُه الرُّهبان، ورفضَ سائرِ الدُّنيا، ومألوفاتِ النَّفسِ، من الغدائِ، والنومِ والأهلِ، فقد عَرَضَ نفسه لبلاءِ عريضٍ، وربما خولطَ في عقله، وفاته بذلك كثيرٌ من الحنيفيةِ السَّمْحَةِ، وقد جعل اللهُ لكلِّ شيءٍ قدراً، والسَّعادةُ في متابعةِ السُّنَنِ فِرانِ الأمورِ بالعدلِ، وصُمِّ وأفطِر، ونَمَّ وقَمَّ، والزَّمَّ الوَرَعُ في القوتِ وارضَ بما قسمَ اللهُ لك، واصممتُ إلّا من خَيْرٍ، فرحمةُ اللهُ على الجُنيدِ وأبين مثلَ الجُنيدِ في علمه وحاله؟

[١] وهو أحمد بن محمد الخراساني البغدادي الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحدقهم بلطائف الحقائق، وله عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية، نسأل الله العفو.

صحاب السري السقطي وغيره، وكان الجنيد يعظمه، لكنه في الآخر رقى له وعذره لما فسد دماغه.

[٢] وقال أبو نعيم: سمعتُ عمر البناء البغدادي بمكة يحكي محنة غلام خليل، قال: نسبوا الصوفية إلى الزندقة، فأمر الخليفة المعتمد في سنة أربع وستين ومئتين بالقبض عليهم، فأخذ في جملتهم النوري فأدخلوا على الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم، فبادر النوري إلى السيف فقبل له في ذلك، فقال: آثرت حياتهم على نفسي ساعة، فتوقف السيف عن قتله، ورفع أمره إلى الخليفة فرد الخليفة أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق، فسأل أبا الحسين النوري عن مسائل العبادات فأجاب، ثم قال: وبعد هذا، فلله عباد ينطقون بالله، ويأكلون بالله ويسمعون بالله، فبكى إسماعيل القاضي. وقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة، فليس في الأرض مؤحد، فأطلقوهم.

[٣] أبو نعيم، سمعتُ أبا الفرج الورثاني، سمعت علي بن عبد الرحيم يقول: دخلت على النوري، فرأيتُ رجله منتفختين، فسألت عن أمره فقال: طالبتي نفسي بأكل تمر، فدافعتُها، فأبت علي فاشترته فلما أكلت، قلت: قومي فصلي، فأبت، فقلت: لله علي إن قعدت على الأرض أربعين يوماً، فما قعدت - يعني إلا في صلاة.

[٤] وعن النوري قال: من رأيتَه يدعي مع الله حالة تُخرج عن الشرع فلا تُقرَّب منه.
[٥] قال ابن جهضم: حدثني أبو بكر الجلاء قال: كان النوري إذا رأى منكراً غيره، ولو كان فيه نلقة، نزل يوماً، فرأى زورقاً فيه ثلاثون ذناً، فقال للملاح: ما هذا؟

(١) انظر السير: ٧٧-٧٠/١٤.

قال: ما يلزمك؟ فألح عليه، فقال: أنت والله صوفي كثير الفضول، هذا خمر للمعتضد، قال: أعطني ذلك المذري فاغناظ وقال لأجيره: ناوله حتى أبصر ما يصنع، فأخذه، ونزل فكسرها كلها غير ذن، فأخذ وأدخل إلى المعتضد، فقال: من أنت وبلك؟ قال: محتسب، قال: ومن ولأك الحسبة؟ قال: الذي ولأك الإمامة يا أمير المؤمنين! فأطرق: وقال: ما حملك على فعلك؟ قال: شفقة مني عليك! قال: كيف سلم هذا الذن؟ فذكر أنه كان يكسر الدنان ونفسه مخلصاً خاشعاً، فلما وصل إلى هذا الذن أعجبت نفسه، فارتاب فيها، فتركه.

عن أبي أحمد المغازلي قال: ما رأيت أحداً أفتأ عبد من النوري. قيل: ولا الجنيد؟ قال: ولا الجنيد.

[١] وقيل: إن الجنيد مرض مرة فعاده النوري، فوضع يده عليه، فعوفي لوقته. توفي النوري قبل الجنيد وذلك في سنة خمس وتسعين ومئتين، وقد شاخ رحمه الله. وموت الجنيد في سنة ثمان وتسعين.

[٢] قال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد لما احتضر، فختم القرآن ثم ابتداء سورة البقرة، فتلا سبعين آية ومات.

[٣] قال الخلدي: رأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار.

٥٩٩ علي بن أبي طاهر^(١)

[٤] الإمام الحافظ الأوحد الثقة، أبو الحسن، علي بن أبي طاهر أحمد بن الصباح القزويني.

[٥] وثقه الخليلي، وقال: سمعت الحسن بن أحمد بن صالح يحكي عن سليمان ابن يزيد: أن علي بن أبي طاهر لما رحل إلى الشام، وكتب الحديث جعل كتبه في

(١) انظر السير: ١٤/٨٧-٨٨.

صندوق، وقِيْرَه، وركب البحر، فاضطربت السفينة وماجت، فألقى الصندوق في البحر، ثم سكنت السفينة، فلما خرج منها أقام على الساحل ثلاثاً يدعو الله، ثم سجّد في الليلة الثالثة، وقال: إن كان طلبي ذلك لوجهك وحبّ رسولك، فأغثني برّد ذلك، فرفع رأسه فإذا بالصندوق ملقى عنده، فقدم، وأقام بُرْهَةً، ثم قصدوه لسماع الحديث فامتنع منه. قال فرأيتُ النبي ﷺ، في منامي، ومعه عليّ رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: يا عليّ من عامل الله بما عاملك به على شط البحر؟! لا تمتنع من رواية أحاديثي. قال: فقلت: قد تُبِتُ إلى الله، فدعاني وحثني على الرواية.

مات سنة نيف وتسعين ومئتين، رحمه الله.

الطبقة السابعة عشرة

٦٠٠ النَّسَائِيَّ (١)

[١] الإمام الحافظ الثَّيْبِيُّ، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النَّسَائِيَّ، صاحب السُّنَنِ.

وُلِدَ بَنَسَا فِي سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ وَمِثْمِثِينَ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ فِي صِغَرِهِ.

وَكَانَ مِنْ بَحُورِ الْعِلْمِ، مَعَ الْفَهْمِ، وَالْإِتْقَانِ، وَالْبَصَرِ، وَنَقَدَ الرُّجَالَ وَحَسَنَ التَّأْلِيفَ.

وَكَانَ شَيْخًا مَهِيْبًا، مَلِيحَ الْوَجْهِ، ظَاهِرَ الدَّمِ، حَسَنَ الشَّيْبَةِ.

[٢] وَكَانَ نُضِرَ الْوَجْهِ مَعَ كِبَرِ السَّنِ، يُوَثِّرُ لِبَاسَ الْبُرُودِ النَّوْبِيَّةِ وَالْخَضِرِ، وَيَكْثُرُ الْاسْتِمْتَاعُ، لَهُ أَرْبَعُ زَوَاجَاتٍ، فَكَانَ يَقْسِمُ لَهُنَّ، وَلَا يَخْلُو مَعَ ذَلِكَ مِنْ سُرِّيَّةٍ، وَكَانَ يُكْثِرُ أَكْلَ الدَّبُوكِ، تُشْتَرَى لَهُ وَتَسْمُنُ وَتُخْصَى.

[٣] وَقَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ جَنْزَابَةَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى الْمَأْمُونِيَّ - صَاحِبَ النَّسَائِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ قَوْمًا يَنْكُرُونَ عَلِيَّ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيَّ كِتَابَ: «الْخَصَائِصُ» لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَرَكُوهُ تَصْنِيفَ فُضَائِلِ الشُّبَّانِ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: دَخَلْتُ دِمَشْقَ وَالْمُنْحَرَفَ بِهَا عَنْ عَلِيٍّ كَثِيرًا، فَصَنَّفْتُ كِتَابَ «الْخَصَائِصُ» رَجَوْتُ أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ إِنَّهُ صَنَّفَ بَعْدَ ذَلِكَ فُضَائِلَ الصَّحَابَةِ، فَقِيلَ لَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ: أَلَا تُخْرِجُ فُضَائِلَ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أُخْرِجُ؟ حَدِيثُ «اللَّهُمَّ لَا تُشْبِعْ بَطْنَهُ» فَسَكَتَ السَّائِلُ.

قُلْتُ: لَعَلَّ أَنْ يَقَالَ: هَذِهِ مُنْقَبَةٌ لِمَعَاوِيَةَ لِقَوْلِهِ ﷺ «اللَّهُمَّ مَنْ لَعَنْتَهُ أَوْ سَبَيْتَهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً».

قَالَ الْحَاكِمُ: كَلَامُ النَّسَائِيَّ عَلَى فِقْهِ الْحَدِيثِ كَثِيرٌ، وَمِنْ نَظَرٍ فِي سُنَنِهِ تَحْيِيرٌ فِي حُسْنِ كَلَامِهِ.

(١) انظر السير: ١٤/١٢٥-١٣٥.

[١] قال ابن الأثير في أول «جامع الأصول»، وكان شافعيًا، له مناسك على مذهب الشافعي، وكان ورعاً متحرماً، قيل: إنه أتى الحارث بن مسكين في زي أنكره، عليه قلنسوة وقبأ، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان. فخاف أن يكون عيناً عليه، فمتعه، فكان يجيء فيقعد خلف الباب ويسمع، ولذلك ما قال: حدثنا الحارث، وإنما يقول: قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع.

قال ابن الأثير: وسأل أميرُ أبا عبد الرحمن عن سنَّته: أصحيح كلُّه؟ قال: لا. قال: فاكتب لنا منه الصَّحيح، فجردُ المُجتنى^(١).

قلت: هذا لم يصح، بل المجتنى اختيار ابن السنِّي.

قال الحافظ ابن طاهر: سألتُ سعد بن علي الرُّنْجاني عن رجل، فوثقه. فقلت: قد ضعفه النسائي، فقال: يا بُنَيَّ! إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال أشدَّ من شرط البخاري ومسلم.

قلت: صدق، فإنه لئن جماعة من رجال صحيح البخاري ومسلم.

قال محمد بن المظفر الحافظ: سمعتُ مشايخنا بمصرَ يصفون اجتهادَ النسائي في العبادة بالليل والنهار، وأنه خرج إلى الفداء مع أمير مصر فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين، واحترازه عن مجالس السلطان الذي خرج معه، والانبساط في المأكَل، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج.

[٢] عن حمزة العقبى المصري وغيره، أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق، فسئل بها عن معاوية وما جاء في فضائله، فقال: لا يرضى رأساً برأسٍ حتى يُفضَّل؟ قال: فما زالوا يدفعون في حُضْنَيْهِ^(٢) حتى أُخرج من المسجد، ثم حُمِلَ إلى مكة فتوفي بها، كذا قال، وصوابه: إلى الرملة.

قال أبو سعيد ابن يونس في «تاريخه» كان أبو عبد الرحمن النسائي إماماً حافظاً

(١) كذا الأصل «المجتنى» بالنون، وهو في «جامع الأصول» المجتنى بالباء وكلاهما صحيح.

(٢) وهما جنباه، وفي «شذرات الذهب» خصيته.

ثبتاً، خرج من مصر في شهر ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاث مئة وتوفي بفلسطين في يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث .

[١] قلتُ: ولم يكن أحد في رأس الثلاث مئة أحفظ من النسائي، هو أحدق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن أبي عيسى وهو جار في مضمار البخاري، وأبي زُرعة إلا أن فيه قليل تشيخ وانحراف عن خصوم الإمام علي، كعمارة وعمرو، والله يُسامحه .

وقد صنّف مسند عليّ وكتاباً حافلاً في الكنى، وأما كتاب: «خصائص عليّ» فهو داخل في «سنة الكبير» وكذلك كتاب (عمل يوم وليلة) وهو مجلد، هو من جملة (السنن الكبير) في بعض النسخ، وله كتاب «التفسير» في مجلد، وكتاب «الضعفاء» وأشياء والذي وقع لنا من سنّته هو الكتاب المُجتبى منه، انتخب أبي بكر بن السني .

٦٠١ صاحب خراسان (١)

[٢] الأمير أبو إبراهيم، إسماعيل بن الملك أحمد بن أسد بن سامان بن نوح . كان ملكاً فاضلاً، عالماً، فارساً، شجاعاً، ميمون النية، معظماً للعلماء، يُلقب بالأمير الماضي .

أخذ عنه ابن خزيمة وغيره .

[٣] قال ابن قانع: سمعتُ عيسى بن محمد الطهماني: سمعت الأمير إسماعيل يقول: جاءنا أبونا بمؤدّب، فعلمنا الرّفص . فتمت، فرأيت النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما فقال لي: «لم تَسُبُّ صاحبِي؟» فوقفت، فقال لي بيده، فنفضها في وجهي فانتبهت فزعا أرعدت من الحمى، فكنت على القراش سبعة أشهر، وسقط شعري، فدخل أخِي، فقال: أبشِ قِصَّتْكَ؟ فأخبرته، فقال: اعتذر إلى رسول الله ﷺ، فاعتذرتُ وتبتُ، فما مرّ لي إلا جمعة حتى نبت شعري .

(١) انظر السير: ١٤/١٥٤-١٥٥ .

قلتُ: كان هو وآبائه ملوك بخارى وسمرقند، وله غزوات في التُّرك وهو الذي ظفر
بعمرو بن الليث وأسرهُ، فجاءهُ من المعتضد التقيُّدُ بولاية خراسان وما يليها،
وكانت سلطنتُهُ مدَّةَ سبعِ سنين.

توفيَّ ببخارى سنة خمس وتسعين ومِئتين، فتملَّك بعده، ابنُهُ أحمد.
ومات ابنه السلطان أبو نصر أحمد سنة إحدى وثلاثِ مئة، قتله ممالِكُهُ، ثم
ملَّكوا ولده نصرًا، فدام ثلاثين عامًا، فأحسن السيرة وعظمت هيئته.

٦٠٢ ابن منددة^(١)

[١] الإمام الكبيرُ الحافظُ المجوِّد، أبو عبدالله، محمدُ بنُ يحيى بن منددة، العبيدي
مولاهم الأصبهاني.

وُلِدَ في حدود العشرين ومِئتين في حياة جدِّهم منددة.
وكان ينزع الحافظُ أحمد بن الفُرات، ويذاكرهُ، ويرادُّهُ وهو شاب.
ومات ابن منددة في رجب سنة إحدى وثلاثِ مئة.

[٢] محمد بن يحيى بن منددة، حدثنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثنا أبو النضر، حدثنا
أبو عقيل الثقفِي، حدثنا مجالد، حدثنا عون بن عبدالله بن عتبة، عن أبيه قال: «ما
مات النبي ﷺ حتى قرأ وكتب»^(٢).

[٣] قلتُ: لم يردَّ أنه ﷺ، كتب شيئاً، إلا ما في «صحيح البخاري» من أنه يوم
صُلح الحديدية كتب اسمه «محمد بن عبد الله» واحتج بذلك القاضي أبو الوليد
الباجي، وقام عليه طائفة من فقهاء الأندلس بالإنكار، وبدَّعوه حتى كفره بعضهم،
والخطبُ يسير، فما خرج عن كونه أمياً بكتابة اسمه الكريم، فجماعة من الملوك
ما علِّموا من الكتابة سوى مجردِ العلامة، وما عدَّهمُ النَّاسُ بذلك كاتبين، بل هم
أُميون فلا عبرةً بالنادر، وإنما الحكمُ للغالب، والله تعالى فمن حكمتِهِ لم يلهم نبيُّهُ

(١) انظر السير: ١٤/١٨٨-١٩٣.

(٢) استاده ضعيف لضعف مجالد - وهو ابن سعيد الهمداني الكوفي، وأورده الحافظ في «الفتح» ٧/٣٨٦-٣٨٧ وقد تحرف فيه مجالد إلى مجاهد ونسبه لابن أبي شيبة، وضعفه.

تعلم الكتابة، ولا قراءة الكتب حسماً لمادة المبطلين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَلْمِزُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّونَ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، [المنكوت ٤٨].
 ومع هذا فقد افترؤا وقالوا: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ [الفرقان ٥].

فانظر إلى قِبحِ المعانيد، فمن الذي كان بمكة وقت المبعث يدري أخبار الرُّسل والأُمم الخالية؟ ما كان بمكة أحدٌ بهذه الصفة أصلاً، ثم ما المانع من تعلم النبي ﷺ، كتابة اسمه واسم أبيه مع قرط ذكائه وقوة فهمه، ودوام مجالسته لمن يكتب بين يديه الوحي والكتب إلى ملوك الطوائف، ثم هذا خاتمة في يده ونقشه: محمد رسول الله فلا يظن عاقل أنه - عليه السلام - ما تعقل ذلك، فهذا كله يقتضي أنه عرف كتابة اسمه واسم أبيه، وقد أخبر الله بأنه - صلوات الله عليه - ما كان يدري ما الكتاب؟ ثم علمه الله تعالى ما لم يكن يعلم، ثم الكتابة صفة مدح، قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ٤-٥].

فلما بلغ الرسالة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، شاء الله لنيه أن يتعلم الكتابة النادرة التي لا يخرج بمثها عن أن يكون أمياً ثم هو القائل «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ»، فصدق إخباره بذلك، إذ الحكم للغالب، فنفى عنه وعن أمته الكتابة والحساب لندور ذلك فيهم وقته، والأفقد كان فيهم كتاب الوحي وغير ذلك، وكان فيهم من يحسب وقال تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء ١٢].

ومن علمهم الفرائض وهي تحتاج إلى حساب وعول، وهو عليه السلام فنفي عن الأمة الحساب، فعلمنا أن المنفي كمال علم ذلك ودقائقه التي يقوم بها القبط والأوائل، فإن ذلك ما لم يحتاج إليه دين الإسلام والله الحمد، فإن القبط عمقوا في الحساب والجبر، وأشياء تضيغ الزمان. وأرباب الهيئة تكلموا في سير النجوم والشمس والقمر، والكسوف والقران^(١) بأمرٍ طويلة لم يأت الشرع بها، فلما ذكر

(١) يعني قران الكواكب.

بِحجج الشهور ومعرفتها، بَيَّنَّ أَنَّ معرفتها ليست بالطُّرُق التي يفعلها المُنَجِّم وأصحاب التقويم، وأن ذلك لا نعبأ به في ديننا، ولا نحسب الشهر بذلك أبداً ثم بَيَّنَّ أَنَّ الشهر بالرؤية فقط، فيكون تسعاً وعشرين، أو بتكملة ثلاثين فلا نحتاج مع الثلاثين إلى تكلف رؤية.

وأما الشعر: فنزَّهه الله تعالى عن الشعر، قال تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس 69].

فما قال الشعر مع كثرته وجودته في قريش وجرىبان قرائحهم به، وقد يقع شيء نادر في كلامه - عليه السلام - موزوناً، فما صار بذلك شاعراً قط.
كقوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

ومثل هذا قد يقع في كُتُب الفقه والطب وغير ذلك مما يقع اتفاقاً ولا يقصده المؤلف ولا يشعر به، أفيقول مسلم قط: إن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا كَالجَوَابِ وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبا 13].

هو بيت؟! معاذ الله! وإنما صادف وزناً في الجملة، والله أعلم.

٦٠٣ ابن سريج^(١)

[١] الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقيين^(٢)، أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي، صاحب المصنفات.

وُلِدَ سنة بضع وأربعين ومئتين، وسمع في الحداثة. وتفقه بأبي القاسم عثمان ابن بشار الأنماطي الشافعي، صاحب المزني، وبه انتشر مذهب الشافعي، ببغداد، وتخرج به الأصحاب.

(١) انظر السير: ١٤/٢٠١-٢٠٤. (٢) يعني: البصرة والكوفة.

[١] وقال أبو علي بن خيران : سمعت أبا العباس بن سريج يقول : رأيت كأنا مطرنا كبريتاً أحمر، فملاّت أكمامي وحجري، فغبر لي : أن أرزق علماً عزيزاً كعزة الكبريت الأحمر.

[٢] وقال الحاكم : سمعت حسان بن محمد يقول : كنا في مجلس ابن سريج سنة ثلاث وثلاث مئة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال : أبشر أيها القاضي . فإن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد - يعني للأمة أمر دينها، وإن الله تعالى بعث على رأس المئة عمر بن عبدالعزيز وبعث على رأس المئتين محمد بن إدريس الشافعي، وبعثك على رأس الثلاث مئة ثم أنشأ يقول :

اثنان قد ذمبا فبورك فيهما عمّر الخليفة ثم حلف السود
الشافعي الألمي محمد إرت النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس إنك ثالث من بعدهم سقياً لثربة أحمد
قال : فصاح أبو العباس، وبكى، وقال : لقد نعي إلي نفسي . قال حسان
الفقيه : فمات القاضي أبو العباس تلك السنة .

[٣] قلت : وقد كان على رأس الأربع مئة الشيخ أبو حامد الإسفرايني وعلى رأس الخمس مئة أبو حامد الغزالي، وعلى رأس الست مئة الحافظ عبدالغني، وعلى رأس السبع مئة شيخنا أبو الفتح ابن دقيق العيد .

وإن جعلت من يجدد لفظاً يصدق على جماعة - وهو أقوى - فيكون على رأس المئة عمر بن عبدالعزيز خليفة الوقت، والقاسم بن محمد والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو قلابة؛ وطائفة، وعلى رأس المئتين مع الشافعي، يزيد بن هارون، وأبو داود الطيالسي، وأشهب الفقيه، وعدة. وعلى رأس الثلاث مئة مع ابن سريج، أبو عبدالرحمن النسائي، والحسن بن سفيان، وطائفة .

٦٠٤ ابنُ الحَدَّادِ (١)

[١] الإمام، شيخُ المالكية، أبو عثمان، سعيدُ بن محمد بن صبيح بن الحداد المغربي، صاحبُ سَعْنُون، وهو أحدُ المجتهدين، وكان بحراً في الفروع، ورأساً في لسان العرب، بصيراً بالسنن.

[٢] وكان يذم التقليد ويقول: هو من نقص العقول، أو دناءة الهمم.

[٣] ويقول: ما للعالم وملائمة المضاجع.

[٤] وكان يقول: دليلُ الضبطِ الإقلال، ودليلُ التقصيرِ الإكثار.

وكان من رؤوس السنة.

[٥] قال ابن حارث: له مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام، والذب عن السنة، ناظر فيها أبا العباس المعجوقني أخا أبي عبدالله الشيعي الداعي إلى دولة عبيد الله، فتكلم ابن الحداد ولم يخف سطوة سلطانهم، حتى قال له ولده أبو محمد: يا أبة! اتق الله في نفسك ولا تبالغ، قال: حسبي من له غضبت، وعن دينه ذببت.

وله مع شيخ المعتزلة الفراء مناظرات بالقيروان، رجع بها عدد من المبتدعة.

[٦] قال أبو بكر بن اللباد: بينا سعيد بن الحداد جالس أتاه رسول عبيد الله - يعني المهدي - قال: فأثبته وأبو جعفر البغدادي واقف فتكلمت بما حضرني، فقال: اجلس. فجلست، فإذا بكتاب لطيف، فقال لأبي جعفر: اعرض الكتاب على الشيخ. فإذا حديثٌ غدير حُم (٢). قلت: وهو صحيح وقد رَوَّيناه.

فقال عبيد الله: فما للناس لا يكونون عبيدنا؟ قلت: أعز الله السيد، لم يرد ولاية

(١) انظر السير: ٢٠٥/١٤ - ٢١٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٧٢/٢ عن سفيان، ثنا أبو عوانة، عن المغيرة عن أبي عبيد، عن سمون قال: قال زيد بن أرقم - وأنا أسمع - نزلت مع رسول الله ﷺ بواد يقال له: وادي حُم، فأمر بالصلاة، فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: أستم تعلمون، أو لستم تشهدون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فأِن علياً مولاه. اللهم عاد من عاداه ووال من ولاةه وإسناده صحيح.

الرُّق، بل ولاية الدِّين، قال: هل من شاهد؟ قلت: قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران ٧٩]. فما لم يكن نبيُّ الله لم يكن لغيره. قال: انصرف لا ينالك الحر فتبعني البغدادي فقال: اكتم هذا المجلس.

[١] وقال موسى بن عبد الرحمن القطان: لو سمعتم سعيد بن الحداد في تلك المحافل - يعني مناظرته للشيعي - وقد اجتمع له جهارة الصوت وفخامة المنطق، وفصاحة اللسان وصواب المعاني، لتمنيتم أن لا يسكت.

[٢] وقيل: إنه سار لتلقي أبي عبد الله الشيعي، فقال له: أو لم يقل رسول الله ﷺ «وأفضاكم عليّ...» فساق له موسى تمامه وهو «وأعلمكم بالخلال والحرام معاذ، وأرافكم أبو بكر، وأشدكم في دين الله عمر» قال: كيف يكون أشدهم وقد هرب بالراية يوم خيبر؟ قال موسى: ما سمعنا بهذا. فقلت: إنما تحيز إلى فئة فليس بقار.

وقال في ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة ٤٠] إنما نهاه النبي ﷺ عن حزنه لأنه كان مسخوطاً. قلت: لم يكن قوله إلا تبشيراً بأنه آمن على رسول الله وعلى نفسه فقال: أين نظير ما قلت؟ قلت: قوله لموسى وهارون: ﴿لا تخافا إني معكما أسمع وأرى﴾ [طه ٤٦].

فلم يكن خوفهما من فرعون خوفاً بسخط الله.

ثم قال: يا أهل البلدة: إنكم تبغضون علياً؟ قلت: على مبيغضه لعنة الله. فقال: صلى الله عليه. قلت: نعم، ورفعت صوتي: صلى الله عليه وسلم، لأن الصلاة في نطاب العرب الرحمة والدعاء، قال: ألم يقل رسول الله ﷺ، «أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟» قلت: نعم، إلا أنه قال: «إلا أنه لانيبي بعدي». وهارون كان حجّة في حياة موسى، وعلي لم يكن حجّة في حياة النبي، وهارون فكان شريكاً أفكان علي شريكاً للنبي ﷺ، في النبوة؟ وإنما أراد التقريب والوزارة والولاية. قال: أو ليس هو أفضل؟ قلت: أليس الحق متفقاً عليه؟ قال: نعم. قلت: قد ملكت

مدائن قبل مدينتنا، وهي أعظم مدينة، واستفاض عنك أنك لم تُكره أحداً على مذهبك، فاسلك بنا مسلك غيرنا ونهضنا.

وقيل: لم ير أغزر دعةً من سعيد بن الحداد، وكان قد ضجبت الشاك، وكان مُقلاً حتى مات أخ له بصقلية، فورث منه أربع مئة دينار فبنى منها داره بمئتي دينار. واكتسب بخمسين ديناراً، وكان كريماً حليماً.

[١] وكان يقول: القرب من السلطان في غير هذا الوقت حتف من الحتوف فكيف اليوم؟

[٢] وقال: من طالت صحبته للذنيا وللناس فقد ثقل ظهره. خاب السالون عن الله، المنتعمون بالذنيا. من تحبب إلى العباد بالمعاصي بغضه الله إليهم.

[٣] وقال: ما صد عن الله مثل طلب المحامد، وطلب الرقة. مات أبو عثمان سنة اثنتين وثلاث مئة، وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله.

٦٠٥ ابن البردوان (١)

الإمام الشهيد المفتي، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن البردوان الضبي مولاهم الإفريقي المالكي، تلميذ أبي عثمان بن الحداد.

[٤] وكان مناقضاً للعراقيين، فدارت عليه دوائر في أيام عيد الله وضرب بالسياط، ثم سعوا به عند دخول الشيعة إلى القيروان، وكانت الشيعة تميل إلى العراقيين لموافقتهم لهم في مسألة التفضيل ورخصة مذهبهم، فرقعوا إلى أبي عبد الله الشيعي: أن ابن البردوان وأبا بكر بن هذيل يطعنان في دولتهم، ولا يفضلان علياً. فحبسهما، ثم أمر متولي القيروان أن يضرب ابن هذيل خمسين مئة سوط، ويضرب عنق ابن البردوان فغلط المتولي فقتل ابن هذيل، وضرب ابن البردوان، ثم قتله من الغد.

[٥] وقيل لابن البردوان لما جرد للقتل: أترجع عن مذهبك؟ قال: أعن الإسلام

(١) انظر السير: ٢١٥/١٤-٢١٧.

أرجع؟ ثم صلينا في سنة تسع وتسعين وميتين. وأمر الشيعة الخبيث أن لا يفتى بمذهب مالك، ولا يفتى إلا بمذهب أهل البيت ويرون إسقاط طلاق البتة، فبقي من يتفقه لمالك إنما يتفقه خفية.

٦٠٦ ابن خيرون^(١)

[١] الإمام أبو جعفر، محمد بن خيرون المصافري مولاهم القرطبي.
 [٢] قال بعضهم: كنت جالسا عند ابن أبي خنزير فدخل شيخ ذو هيئة وخشوع، فبكى ابن أبي خنزير وقال: السلطان - يعني عبيد الله - وجه إلي بأمرني بدوس هذا حتى يموت. ثم بطلحه، وففر عليه السودان حتى مات، لجهاده وبغضه لعبيد الله وحنده.

[٣] وكان سعى به المروزي اللعين، ولما رأى ابن أبي خنزير كثرة أذاه للعلماء، تحيل وسعى به، حتى قتله عبيد الله سنة ثلاث مئة أو بعدها، فيا مألقي الإسلام وأهله من عبيد الله المهدي الزنديق.

٦٠٧ يوسف بن الحسين^(٢)

[٤] الرازي، الإمام، العارف، شيخ الصوفية، أبو يعقوب. أكثر الترحال، وأخذ عن ذي النون المصري، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن أبي الخواريزمي.
 [٥] قال السلمي: كان إماما وقته، لم يكن في المشايخ أحدا على طريقته في تذليل النفس وإسقاط الجاه.

[٦] قال أبو القاسم الفشيري: كان نسيخا وحنده في إسقاط التصنع. يقال: كتب إلى الجنيد: لا أذاقك الله طعم نفسه، فإن ذقتها لا تفلح.
 [٧] وقال: إذا رأيت المرید يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء.

(١) انظر السير: ٢١٧/١٤.

(٢) انظر السير: ٢٤٨/١٤ - ٢٥١.

قال السلمي : كان مع علمه وتمام حاله - هجرة أهل الرِّي وتكلموا فيه بالقباح ، خصوصاً الزُّهاد ، وأقشوا أموراً ، حتى بلغتني أن شيخاً رأى في النوم كأن براءة نزلت من السماء فيها مكتوب : هذه براءة ليوسف بن الحسين مما قيل فيه . فسكتوا .
 [١] وعنه قال : بالأدب تفهّم العلم ، وبالعلم يصحُّ لك العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة تفهم الزُّهد ، وبالزُّهد تترك الدنيا ، وترغب في الآخرة ، وبذلك تنال رضى الله تعالى .
 مات سنة أربع وثلاث مئة ، رحمه الله .

٦٠٨ ابن الجلاء (١)

[٢] القدوة العارف ، شيخ الشام ، أبو عبدالله ابن الجلاء ، أحمد بن يحيى ، صحب والده ، وأبا تراب النُّخسبي ، وذا النون المصري وحكى عنه .
 أقام بالرملة وبدمشق ، وكان يُقال : الجُنيد ببغداد ، وابن الجلاء بالشام وأبو عثمان الجيري بنيسابور - يعني لا نظير لهم .
 [٣] قال الدُّقي : ما رأيت شيخاً أهيب من ابن الجلاء مع أنني لقيت ثلاث مئة شيخ ، فسمعتُه يقول : ما جلا أبي شيئاً قط ، ولكنه كان يعظ ، فيقع كلامه في القلوب ، فسمي جلاء القلوب .
 قال محمد بن علي بن الجُلندي : سئل ابن الجلاء عن المحبة فسمعتُه يقول : مالي وللمحبة ؟ أنا أريد أتعلم التوبة .
 [٤] قال أبو عمر الدمشقي : سمعتُ ابن الجلاء يقول : قلت لأبي : أحبُّ أن تهباني الله . قال : قد فعلنا . فغيبُ عنهم مدة ، ثم جئت فدققت الباب فقال أبي : من ذا ؟ قلت : ولذُك ، قال : قد كان لي ولدٌ وهبناه لله ، وما فتح لي .
 [٥] وعن ابن الجلاء قال : آله الفقير صيانة فقره ، وحفظ سره ، وأداء فرضه .
 توفي في سنة ست وثلاث مئة .

(١) انظر السير : ٢٥١/١٤ - ٢٥٢ .

٦٠٩ ابنُ عطاء^(١)

[١] الزَّاهِدُ العَابِدُ المِتَالَهُ، أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَطَاءِ الأَدْمِيِّ البَغْدَادِيِّ.

[٢] كَانَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَتْمَةٌ، وَفِي رَمَضَانَ تِسْعُونَ خَتْمَةً، وَبَقِيَ فِي خَتْمَةٍ مُفْرَدَةٍ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ يَتَفَهَّمُ وَيَتَدَبَّرُ.

[٣] وَقَالَ حَسِينُ بْنُ خَاقَانَ: كَانَ يَنَامُ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَاعَتَيْنِ. مَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعِ وَثَلَاثِ مِئَةٍ، فِي ذِي القَعْدَةِ.

[٤] قُلْتُ: لَكِنَّه رَاجِعٌ عَلَيْهِ حَالُ الحَلَّاجِ، وَصَحَّحَهُ، فَقَالَ السُّلَمِيُّ: امْتَنَحْنِ بِسَبَبِ الحَلَّاجِ، وَطَلَبَهُ حَامِدُ الوَازِيرِ وَقَالَ: مَا الَّذِي تَقُولُ فِي الحَلَّاجِ؟ فَقَالَ: مَالِكٌ وَلِذَلِكَ؟ عَلَيْكَ بِمَا تُدْبِتُ لَهُ مِنْ أَخْذِ الأَمْوَالِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ فَأَمَرَ بِهِ، فَفُكَّتْ أَسْنَانُهُ، فَصَاحَ: قَطَعَ اللهُ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ، وَمَاتَ بَعْدَ أَرْبَعَةِ عَشْرِ يَوْمًا، وَلَكِنْ أَحْيَبَ دَعَاؤُهُ، فَقَطَعْتُ أَرْبَعَةَ حَامِدٍ.

[٥] وَقِيلَ: إِنَّ ابْنَ عَطَاءٍ فَقَدَ عَقْلَهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرِ عَامًا، ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ.

ثَبَّتَ اللهُ عَلَيْنَا عُقُولَنَا وَإِيمَانَنَا، فَمَنْ تَسَبَّبَ فِي زَوَالِ عَقْلِهِ بِجُوعٍ وَرِيَاضَةٍ صَعْبَةٍ، وَخَلْوَةٍ، فَقَدْ عَصَى وَأْتَمَّ، وَضَاهَى مِنْ أَزَالِ عَقْلِهِ بَعْضَ يَوْمٍ بِشُكْرٍ، فَمَا أَحْسَنَ التَّحْفِيدَ بِمُتَابَعَةِ السُّنَنِ وَالْعِلْمِ.

٦١٠ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ^(٢)

[٦] ابْنُ يَزِيدٍ، الإِمَامُ العَلَمُ المَجْتَهِدُ، عَالِمُ العَصْرِ، أَبُو جَمْفَرِ الطَّبْرِيِّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ البَدِيعَةِ، مِنْ أَهْلِ أَمَلِ طَبْرِسْتَانَ.

مَوْلَدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَمِثْنِينَ، وَطَلَبَ العِلْمَ بَعْدَ الأَرْبَعِينَ وَمِثْنِينَ وَأَكْثَرَ الشَّرْحِ، وَلَقِيَ نِبْلَاءَ الرِّجَالِ، وَكَانَ مِنْ أَفْرَادِ الدَّهْرِ عِلْمًا وَذِكَاةً وَكَثْرَةَ تَصَانِيفٍ، قُلَّ

(١) انظر السير: ٢٥٥/١٤-٢٥٦.

(٢) انظر السير: ٢٦٧/١٤-٢٨٢.

أن ترى العيون مثله .

واستقر في أواخر أمره ببغداد . وكان من كبار أئمة الاجتهاد .

قلت : كان ثقة ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك . [١] وقيل : إن المكتفي أراد أن يُحسَّن وفقاً لتجمع عليه أقاويل العلماء ، فأحضر له ابن جرير ، فأملى عليهم كتاباً لذلك ، فأخرجت له جائزة ، فامتنع من قبولها ، فقيل له : لا بُدَّ من قضاء حاجة . قال : أسأل أمير المؤمنين أن يمنع السؤال يوم الجمعة ، ففعل ذلك .

[٢] محمد بن أحمد الصحاف السجستاني ، سمعت أبا العباس البكري يقول : جمعت الرحلة بين ابن جرير ، وابن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يآوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام . فخرجت القرعة على ابن خزيمة ، فقال لأصحابه أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة . قال : فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا ، فقال : أيكم محمد بن نصر؟ فقيل : هو ذا ، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً ، فدفعها إليه ، ثم قال : وأيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين ديناراً ، وكذلك للروياني ، وابن خزيمة ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً^(١) بالأمس ، فرأى في المنام أن المحامد جياح قد طوّوا كشحهم ، فأنفذ إليكم هذه الصرة ، وأقسم عليكم : إذا نفذت فابعثوا إلي أحدكم .

[٣] وكان ربما أهدى إليه بعض أصدقائه الشيء فيقبله ، ويكافئه أضعافاً يعظم مروءته .

(١) أي : نائماً في القائلة ، وهي نصف النهار . وفعله : قال يقبل .

[١] قال الخطيب: سمعتُ عليَّ بنَ عبيدِ الله اللُّخويَّ يحكي: أنَّ محمدَ بنَ جرير مكثَ أربعينَ سنةً يكتبُ في كلِّ يومٍ منها أربعينَ ورقةً.

قال الخطيب: وبلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني الفقيه أنه قال: لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يُحصَلَ تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً.
قال الحاكم: سمعتُ حُسَيْنَكَ بنَ عليٍّ يقول: أول ما سألتني ابنُ خزيمة فقال لي: كتبتَ عن محمد بن جرير الطُّبري؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: لأنه كان لا يُظهر، وكانتِ الحنابلة تمنع من الدُخولِ عليه، قال: بشئ ما فعلتَ، لئِنَّكَ لم تكتبَ عن كلِّ مَنْ كتبتَ عنهم، وسمعتُ من أبي جعفر.

قال الحاكم: وسمعتُ أبا بكر بنِ بالويه يقول: قال لي أبو بكر بن خزيمة: بلغني أنك كتبتَ التفسيرَ عن محمد بن جرير؟ قلت: بلى كتبتُه عنه إملاءً، قال: كَلِّهِ؟ قلتُ: نعم، قال في أيِّ سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ومِثْنين. قال: فاستعاره مِنِّي أبو بكر، ثم رده بعد سِنين، ثم قال: لقد نظرتُ فيه من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ وما أعلمُ على أديم الأرضِ أعلمُ من محمد بن جرير ولقد ظَلَمْتُهُ الحنابلة.

[٢] كان ممن لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ مع عظيم ما يلحقُه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد، ومُلحد، فأما أهل الدين والعلم، فغيرُ منكرينَ علمه، وزهده في الدنيا، ورفضه لها، وقناعته - رحمه الله - بما كان يردُّ عليه من حصصٍ من ضِعْوِ خَلْفِها له أبوهُ بطبرستان يسيرة.

[٣] أبو القاسم بن عقيل الوراق: أنَّ أبا جعفر الطُّبريَّ قال لأصحابه: هل تَنسَطُون لتاريخ العالم من آدمَ إلى وَقْتِنَا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفتى الأعمارُ قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهِمَمُ. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولَمَّا أن أراد أن يُملِيَ التفسيرَ قال لهم نحواً من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ.

[١] وقال مـخلد الباقـرحـي : أنـشدنا مـحمد بن جـريـر لـنفسه :

إذا أعسرتُ لم يعلمَ رَفيقي وأستغني فيستغني صديقي
حياتي حافظٌ لي ماءٌ وجهي ورفقي في مُطالبتي رَفيقي
ولو أني سمحتُ بماءٍ وجهي لكنتُ إلى العلى سهلَ الطريقي
[٢] وحضر وقتَ موته جماعةٌ منهم : أبو بكر بنُ كامل ، فقيل له قبلَ خروجِ روحه :
يا أبا جعفر! أنت الحُجَّةُ فيما بيننا وبين الله فيما ندينُ به ، فهل من شيءٍ توصينا به
من أمرٍ ديننا ، وبيننا لنا نرجو بها السلامةَ في معادنا؟ فقال : الذي أدينُ الله به
وأوصيكم هو ما ثبتُ في كُتبي فاعملوا به وعليه ، وكلاماً هذا معناه ، وأكثر من التشهد
وذكر الله عز وجل ، ومسح يدهُ على وجهه ، وغَمَّضَ بصره بيده وبسطها وقد فارقت
روحهُ الدنيا .

[٣] وكان مولدُهُ سنة أربعٍ وعشرينٍ ومئتين ، ورحل من آملَ لما ترعرع وحفظَ القرآن ،
وسمخَ له أبوه في أسفاره ، وكان طول حياته يمدُّه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان ،
فيقتات به ، ويقول فيما سمعته : أبطأت عني نفقةٌ والدي ، واضطرتُّ إلى أن فتقتُ
كُمِّي قميصي فبعتهما .

[٤] وكان ابنُ جرير من رجال الكمال ، وشُنع عليه بيسير تشييع ، وما رأينا إلا الخير ،
وبعضهم ينقل عنه أنه كان يُجيز مسح الرجلين في الوضوء ولم تر ذلك في كتبه .

[٥] ولأبي جعفر في تأليفه عبارة وبلاغة ، فمما قاله في كتاب : «الأداب النفيسة
والأخلاق الحميدة» : القولُ في البيان عن الحال الذي يجب على العبد مراعاةُ حاله
فيما يضدُّ من عمله لله عن نفسه ، قال : (إنه لا حالة من أحوال المؤمن يغفلُ عدوه
الموكل به عن دعائه إلى سبيله ، والقعود له رصداً بطرق ربه المستقيمة ، صادداً له
عنها ، كما قال لربه - عز ذكره - إذ جعله من المنظرين :

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾
[الأعراف ، ١٦ ، ١٧] .

طمعاً منه في تصديق ظنه عليه إذ قال لرَبِّهِ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَأَخْتَبِكَ نُرْتِيَةً إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء ٦٢].

فحق على كل ذي حِجَى أن يُجهد نفسه في تكذيب ظنه، وتخييبه منه أمله
وسعيه فيما أرغمه، ولا شيء من فعل العبد أبلغ في مكروهه من طاعته ربه وعصيانه
أمره، ولا شيء أسرُّ إليه من عصيانه ربه، وأتباعه أمره.
فكلام أبي جعفر من هذا النمط، وهو كثير مفيد.

[١] وقد حكى أبو علي التتوخي في «النشوار» له، عن عثمان بن محمد السلمي
قال: حدثني ابن منجو القائد قال: حدثني غلام لابن المزوق قال: اشترى مولاي
جارية، فزوجنيها، فأحببتها وأبغضتني حتى ضجرت، فقلت لها: أنت طالق ثلاثاً،
لا تخاطبيني بشيء إلا قلت لك مثله، فكم أحتملك؟ فقالت في الحال: أنت طالق
ثلاثاً. فأبليست، فدللت على محمد بن جرير فقال لي: أقم معها بعد أن تقول لها:
أنت طالق ثلاثاً إن طلقتك فاستحسن هذا الجواب. وذكره شيخ الحنابلة ابن
عقيل، وقال: وله جواب آخر: أن يقول كقولها سواء: أنت طالق ثلاثاً - بفتح التاء -
فلا يحث. وقال أبو الفرج بن الجوزي: وما كان يلزمه أن يقول لها ذلك على الفور،
فله التماسي إلى قبل الموت.

قلت: ولو قال: أنت طالق ثلاثاً، وقصد الاستفهام أو عني أنها طالق من وثاق،
أو عني الطلق لم يقع طلاق في باطن الأمر.

وله جواب آخر على قاعدة مراعاة سبب اليمين ونية الحالف، فما كان عليه أن
يقول لها ما قالت، إذ من المعلوم بقرينة الحال استثناء ذلك قطعاً، لأنه ما قصد إلا
أنها إذا قالت له ما يؤذيه أن يؤذيها بمثله ولو جاوبها بالطلاق لسرت هي، ولتأذى
هو، كما استثنى من عموم قوله تعالى ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل ٢٣] بقرينة
الحال أنها لم تؤت لحيّة ولا إحليلًا. ومن المعلوم استثناءه بالضرورة التي لم
يقصدها الحالف قط لو حلف: لا تقولي لي شيئاً إلا قلت لك مثله، أنها لو كفرت
وسبت الأنبياء فلم يُجاوبها بمثل ذلك لأحسن.

وذهب إمام^(١) في زماننا إلى أن من خَلَفَ على حَضٍّ أو منع بالطلاق أو العتاق، أو الحج ونحو ذلك فكفَّارته كفارة يمين، ولا طلاق عليه.

[١] أبو سعيد الدِّينوريُّ مُستملي ابن جرير، أَخْبَرَنَا أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبْرِيُّ بعقيدته، فمن ذلك: وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر. وهذا «تفسير» هذا الإمام مشحون في آيات الصفات بأقوال السلف على الإثبات لها، لا على النفي والتأويل، وأنها لا تُشبه صفات المخلوقين أبداً.

[٢] قال أحمد بن كامل: توفي ابن جرير سنة عشر وثلاث مئة ودُفِنَ في داره برحبة يعقوب، يعني ببغداد. وشيعه من لا يُحصيهم إلا الله تعالى، وصُلِّيَ على قبره عدَّة شهور ليلاً ونهاراً، إلى أن قال: ورثاه خلق من الأدباء وأهل الدين، ومن ذلك قول أبي سعيد الأعرابي:

[٣] حَدَّثَ مُنْطَعٍ وَخَطَبَ جَلِيلٌ دَقَّ عَنْ مِثْلِهِ اصْطِبَارُ الصَّبُورِ
قَامَ نَاعِي الْعُلُومِ أَجْمَعِ لَمَّا قَامَ نَاعِي مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ

٦١١ الحَلَّاجُ^(٢)

[٤] هو الحسين بن منصور بن محمدي، أبو عبدالله، الفارسيُّ البِيضَاوِيُّ الصُّوفِيُّ، والبِيضَاءُ: مدينة بيلاد فارس، وكان جدُّه محمديَّ مجوسياً.

وكان يصحح حاله أبو العباس بن عطاء، ومحمد بن خفيف، وإبراهيم أبو القاسم النصر آبادي.

وتبرأ منه سائر الصوفيَّة والمشايخ والعلماء لِمَا سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسب إلى الحُلُول، ومنهم من نسب إلى الزندقة وإلى الشَّعْبَدَةَ والزُّوكرَةَ،

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد جاء في هامش الأصل ما نضه: «أخطأ هذا الإمام فيما ذهب إليه، ويُدَّعِ بذلك: وشجر عليه، واحتفل غير مرة إلى أن مات، وقد نقل الإجماع في المسألة - على خلاف قوله - جماعة من الأئمة، ورد عليه غير واحد من المحققين، والله المستعان».

(٢) انظر السير: ٣١٣/١٤ - ٣٥٤.

وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال وانتحلوه وروّجوا به على الجهال،
نسأل الله العِصمة في الدين .

قال أبو نصر السراج : صحب الحلاج عمرو بن عثمان ، وسرق منه كتباً فيها
شيء من علم التصوف ، فدعا عليه عمرو : اللهم اقطع يديه ورجليه .
قال ابن الوليد : كان المشايخ يستقلون كلامه ، وينالون منه لأنه كان يأخذ نفسه
بأشياء تخالف الشريعة ، وطريقة الزهاد ، وكان يدعي المحبة لله ، ويظهر منه ما
يخالف دعواه .

قلت : ولا ريب أن أتباع الرسول ﷺ ، علّم لمحبة الله لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران ٣١] .
قال السلمي : سمعت أبا عليّ الهمداني يقول : سألت إبراهيم بن شيبان عن
الحلاج ، فقال : من أحبّ أن ينظر إلى ثمرات الدعاوي الفاسدة فلينظر إلى الحلاج
وما صار إليه .

قال النديم : كان يعرف في الكيمياء ، وكان مقدماً جسوراً على السلاطين ،
مرتكباً للعظائم ، يروم إقلاب الدول ، ويدعي عند أصحابه الإلهية ، ويقول
بالحلول ، ويظهر التشييع للملوك ، ومذاهب الصوفية للعامة ، وفي تضاعيف ذلك
يدعي أن الإلهية حلّت فيه ، تعالى الله وتقدس عما يقول .

[١] قال التتوخي : أخبرنا أبي قال : من مخاريق الحلاج : أنه كان إذا أراد سفراً ومعه
من يتنمّس عليه ويهوّسه ، قدّم قبل ذلك من أصحابه الذين يكشف لهم الأمر ، ثم
يمضي إلى الصحراء ، فيدفن فيها كعكاً ، وسكراً وسويقاً ، وفاكهة يابسة ، ويعلم
على مواضعها بحجر ، فإذا خرج القوم وتبعوا قال أصحابه : نريد الساعة كذا وكذا .
فينفرد ويرى أنه يدعو ، ثم يجيء إلى الموضع فيخرج الدفين المطلوب منه ، أخبرني
بذلك الجهم الغفير ، وأخبروني قالوا : ربما خرج إلى بساتين البلد ، فيقدّم من يدفن
القالودج الحار في الرقاق ، والسّمك السخن في الرقاق ، فإذا خرج طلب منه الرجل
- في الحال - الذي دفنه ، فيخرجه هو .

وقال التنوخي: أخبرنا أبي: سمعت أحمد بن يوسف الأزرق: أن الحلاج لما قدم بغداد استغوى خلقاً من الناس والرؤساء، وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله في طريقهم، فراسل أبا سهل بن نوبخت يستغويه وكان أبو سهل فطناً، فقال لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها يمكن فيها الحيل، ولكني رجل غزل، ولا لذة لي أكبر من النساء، وأنا مبتلى بالصلع، فإن جعل لي شعراً ورداً لحيتي سوداء، آمنت بما يدعوني إليه وقلت: إنه باب الإمام، وإن شاء قلت: إنه الإمام، وإن شاء قلت: إنه النبي، وإن شاء قلت: إنه الله، فأيس الحلاج منه وكف.

وقال الفقيه أبو علي بن البناء: كان الحلاج قد ادعى أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، فأحضره الوزير علي بن عيسى فلم يجده - إذ سأله - يُحسن القرآن والفقه ولا الحديث. فقال: تعلمك الفرض والطهور أجدي عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها. كم تكتب - وملك - إلى الناس: تبارك ذو النور الشعشعاني؟! ما أحوجك إلى أدب! وأمر به فصُلب في الجانب الشرقي، ثم في الغربي، ووجد في كتبه: إني مُغرق قوم نوح، ومهلك عاد وثمود. وكان يقول للواحد من أصحابه، أنت نوح، والآخر: أنت موسى، والآخر: أنت محمد.

وقال محمد بن يحيى الرازي: سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي. فقلت: أيش وجذ الشيخ عليه؟ قال: قرأت آية من كتاب الله فقال: يُمكنني أن أولف مثله.

وقال أبو يعقوب النعماني سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيه حقاً، فما يقول الحلاج باطل. وكان شديداً عليه.

[١] أبو القاسم التنوخي: أخبرنا أبي: حدثني حسين بن عباس عمّن حضر مجلس حامد وجاوزه بدفاتر الحلاج، فيها: إن الإنسان إذا أراد الحج فإنه يستغني عنه بأن يعمد إلى بيت في داره، فيعمل فيه محراباً، ويغتسل ويحرم ويقول كذا وكذا، ويصلي كذا وكذا، ويظوف بذلك البيت، فإذا فرغ فقد سقط عنه الحج إلى

الكعبة، فأقرُّ به الحلاج وقال: هذا شيءٌ رويته كما سمعته، فتملّق بذلك عليه الوزير، واستفتى القاضيين: أبا جعفر أحمد بن البهلُول، وأبا عمر محمد بن يوسف، فقال أبو عمر: هذه زندقةٌ يجبُ بها القتل. وقال أبو جعفر: لا يجبُ بهذا قتلٌ إلا أن يُقرَّ أنه يعتقدُه، لأن الناس قد يروون الكفرَ ولا يعتقدونه، وإن أخير أنه يعتقدُه استُتِيبَ منه، فإن تاب فلا شيء عليه، وإلا قُتل، فعمل الوزير على فتوى أبي عمر على ما شاع وذاع من أمره، وظهرَ من إحداه وكُفِرَه فاستؤذِنَ المقتدر في قتله، وكان قد استغوى نصراً القشورِيِّ من طريق الصّلاح والدّين، لا بما كان يدعو إليه، فخوّف نصرَ السيدة أمّ المقتدرِ من قتله وقال: لا آمن أن يلحقَ ابنك عقوبةً هذا الصّالح. فمنعت المقتدر من قتله، فلم يقبل، وأمر حامداً بقتله، فحُمّ المقتدر يومه ذلك، فازداد نصرٌ وأمّ المقتدرِ افتتانا، وتشكك المقتدر، فأنفذ إلى حامد يمنعُه من قتله، فأخبر ذلك أياماً إلى أن عوفي المقتدر، فالح عليه حامد وقال: يا أمير المؤمنين! هذا إن بقي قلبُ الشريعة، وارتدّ خلقٌ على يده، وأدّى ذلك إلى زوال سلطانك، فدعني أقتله، وإن أصابك شيءٌ فاقتلني. فأذن له في قتله، فقتله من يومه، فلما قُتل قال أصحابه: ما قُتل وإنما قُتل بردونٌ كان لفلان الكاتب، نفقاً (١) يومئذ وهو يعود إلينا بعد مُدّة، فصارت هذه الجهالةُ مقالةً طائفة. قال: وكان أكثر مخاريق الحلاج أنه يظهرها كالمعجزات، يستغوي بها ضغفة الناس.

ثم قُطعت يده، ثم رجلُه، ثم حُزَّ رأسُه، وأحرقت جُثته، ونصب الرأس يومين ببغداد، ثم حُمِلَ إلى خراسان وطيف به. وأقبل أصحابُه يعدون أنقهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

قال السلمي: وحكي عنه أنه رُويَ واقفاً في الموقف، والناس في الدعاء، وهو يقول: أنزهك عما قرّفتك به عبادك، وأبرأ إليك مما وحدك به الموحّدون. قُلت: هذا عينُ الزندقة، فإنه تبرأ مما وحد الله به الموحّدون الذين هم الصحابة والتابعون رسائر الأمة، فهل وحدوه تعالى إلا بكلمة الإخلاص التي قال رسول الله

(١) أي: مات.

ﷺ من قالها من قلبه، فقد حَرَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ. وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإذا برئ الصوفي منها، فهو ملعون زنديق، وهو صوفي الزُّبي، والظاهر، مُتَسَرِّبٌ بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرُّسُلِ كما كان جماعة في أيام النبي ﷺ منتسبون إلى صُحْبَتِهِ وإلى مِلَّتِهِ، وهم في الباطن من مَرَدَّةِ المنافقين، وقد لا يعرفهم نبي الله ﷺ، ولا يعلم بهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة 101].

[1] فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته، فما ينبغي لك يا فقيه أن تبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان قطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زَعْلُهُ، وانتهك باطنهُ وَزَنَدَقْتُهُ، فلا هذا ولا هذا، بل العدل أن من رآه المسلمون صالحاً محسناً، فهو كذلك، لأنهم شهداء الله في أرضه، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مُبْطِلاً، فهو كذلك، وأن من كان طائفة من الأمة تُضَلُّهُ، وطائفة من الأمة تُشَيِّعُ عَلَيْهِ وَتَبْجَلُهُ، وطائفة ثالثة تَقْفُ فِيهِ وَتَتَوَرَّعُ مِنَ الْحَطِّ عَلَيْهِ، فهو ممن ينبغي أن يُعْرَضَ عَنْهُ، وأن يُفَوَّضَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وأن يُسْتَغْفَرَ لَهُ فِي الْجَمَلَةِ، لأن إسلامه أصلي بيقين، وضلاله مشكوك فيه، فهذا تستريح ويصفو قلبك من الغل للمؤمنين.

ثم اعلم أن أهل القبلة كلهم، مؤمنهم وفاسقهم، وسنيهم ومبتدعهم سوى الصحابة - لم يجمعوا على مسلم بأنه سعيد ناج، ولم يجمعوا على مسلم بأنه شقي هالك، فهذا الصديق فرد الأمة، قد علمت تفرقهم فيه وكذلك عمر، وكذلك عثمان، وكذلك علي، وكذلك ابن الزبير، وكذلك الحجاج، وكذلك المأمون، وكذلك بشر المريسي، وكذلك أحمد بن حنبل والشافعي، والبخاري، والنسائي، وهلم جراً من الأعيان في الخير والشر إلى يومك هذا، فما من إمام كامل في الخير

إلا وثم أناس من جهله المسلمين ومبتدعيهم يذمونه ويحطون عليه، وما من رأس في البدعة والتجهم والرّفص إلا وله أناس ينتصرون له، ويدّيون عنه، ويدّيون بقوله بهوى وجهل، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة المخالين من الهوى والجهل المتصفين بالورع والعلم، فتدبر - يا عبدالله - نَحْلَةَ الحلاج الذي هو من رؤوس القرامطة ودعاة الزندقة، وأنصف وثورّع واتق ذلك، وحاسب نفسك، فإن تبرهن لك أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للإسلام، محب للرياسة، حريص على الظهور بباطل وبحق، فترا من نحلته، وإن تبرهن لك والعياد بالله، أنه كان - والحالة هذه - محقاً هادياً مهدياً فجدد إسلامك واستغث بربك أن يوفقك للحق وأن يثبت قلبك على دينه فإتما الهدى نور يقذفه الله في قلب عبده المسلم، ولا قوة إلا بالله وإن شككت ولم تعرف حقيقته، وتبرأت مما رُمي به، أرحت نفسك، ولم يسألك الله عنه أصلاً.

وقال أبو عمر بن حَيوة: لما أخرج الحلاج لِيُقْتَل، مضيت وزاحمت حتى رأيت، فقال لأصحابه: لا يَهُولُنْكُمْ، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً.

فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج مُمَحْرَق كَذَّاب، حتى عند قتله.
وقال الصولي: قيل إنه كان في أول أمره يدعو إلى الرضى من آل محمد، وكان يري الجاهل أشياء من شعبيته، فإذا وثق منه دعاه إلى أنه إله.

[١] وقال ابن باكويه: سمعت ابن خفيف يسأل: ما تعتقد في الحلاج؟ قال: أعتقد أنه رجل من المسلمين فقط. فقيل له: قد كفره المشايخ وأكثر المسلمين. فقال: إن كان الذي رأيت منه في الحبس لم يكن توحيداً، فليس في الدنيا توحيد.

قلت: هذا غلط من ابن خفيف، فإن الحلاج عند قتله ما زال يوحّد الله ويصيح: الله الله في دمي، فأنا على الإسلام. وتبرأ مما سوى الإسلام. والزندقية فيوحّد الله علانية، ولكن الزندقة في سره، والمنافقون فقد كانوا يوحّدون ويصومون ويصلّون علانية، والنفاق في قلوبهم، والحلاج فما كان حماراً حتى يظهر الزندقة بإزاء ابن خفيف وأمثاله، بل كان يبوّح بذلك لمن استوثق من رباطه، ويمكن أن

يكون تزندق في وقت، ومزق وأدعى الإلهية، وعمل السحر والمخاريق الباطلة مدة، ثم لما نزل به البلاء ورأى الموت الأحمر أسلم ورجع إلى الحق، والله أعلم بسره، ولكن مقالته نبأ إلى الله منها، فإنها محض الكفر، نسأل الله العفو والعافية. كان مقتل الحلاج في سنة تسع وثلاث مئة.

٦١٢ ابن خزيمة^(١)

[١] محمد بن إسحاق بن خزيمة. الحافظ الحجّة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف.

وُلد سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين، وعُني في حدائنه بالحديث والفقه حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والاتقان.

[٢] قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الجيري: حدثنا ابن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصفّ الشيء أدخل في الصلاة مُستخيراً حتى يفتح لي، ثم ابتدئ التصنيف، ثم قال أبو عثمان: إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكر محمد بن إسحاق.

[٣] الحاكم: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر، سمعت ابن خزيمة وسئل: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ» وإنّي لما شربتُ سألتُ اللهَ علماً نافعاً.

[٤] قال محمد بن سهل الطوسي: سمعت الربيع بن سليمان وقال لنا: هل تعرفون ابن خزيمة؟ قلنا: نعم. قال: استفدنا منه أكثر مما استفاد منا.

[٥] قال محمد بن الفضل بن محمد: سمعت جدي يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قُتبية، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت، فلما عيّدنا، آذن لي فخرجت إلى مرو، وسمعت بِمَرُو الرُّوذ من محمد بن هشام صاحب هُشيم، فَنُعي إلينا قُتبية.

(١) انظر السير: ٣٦٥/١٤ - ٣٨٢.

[١] قال الحافظ أبو علي النيسابوري : لم أر أحداً مثل ابن خزيمة .

قلت : يقول مثل هذا وقد رأى النسائي .

[٢] قال أبو أحمد حسينك : سمعت إمام الأئمة أبا بكر يحيى عن علي بن خنصر ، عن ابن راهويه ، أنه قال : أحفظ سبعين ألف حديث ، فقلت لابن خزيمة : كم يحفظ الشيخ ؟ فضرمني على رأسي وقال : ما أكثر فضولك ! ثم قال : يا بُني ! ما كتبت سوداء في بياض إلا وأنا أعرفه .

[٣] قال أبو علي الحافظ : كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القاري السورة .

[٤] حكى أبو بشر القطان قال : رأى جار لابن خزيمة - من أهل العلم كان لوحاً عليه صورة نبينا ﷺ وابن خزيمة يصقله . فقال المعبر : هذا رجل يحيى سنة رسول الله ﷺ .

[٥] وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري : سمعت ابن خزيمة يقول : ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قول إذا صح الخبر .

[٦] قال الحاكم : سمعت محمد بن صالح بن هاني ، سمعت ابن خزيمة يقول : من لم يُقر بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته فهو كافر حلال الدم ، وكان ماله فيثاً .

قلت : من أقر بذلك تصديقاً لكتاب الله ، ولأحاديث رسول الله ﷺ ، وآمن به مفوضاً معناه إلى الله ورسوله ، ولم يخض في التأويل ولا عمق ، فهو المسلم المتبع ، بمن أنكر ذلك ، فلم يدر بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصر ، والله يعفو عنه ، إذ لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ما ورد في ذلك ومن أنكر ذلك بعد العلم ، وفقاً غير سبيل السلف الصالح ، وتمعقل على النص ، فأمره إلى الله ، نعوذ بالله من الضلال والهوى .

وكلام ابن خزيمة هذا - وإن كان حقاً - فهو فج ، لا تحتمله نفوس كثير من متأخري العلماء .

ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه وأتباعه السنة .

[١] وكتابه في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة^(١) .

[٢] فليعدّ من تأول بعض الصفات، وأما السلف، فما خاصوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوحيه - لاتباع الحق - أهدرناه، وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بيمينه وكرمه .

[٣] سئل عبدالرحمن بن أبي حاتم عن أبي بكر بن خزيمة فقال: ويحكم! هو يسأل عتاً ولا يسأل عنه! هو إمام يقتدى به .

[٤] وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب قال: رأيت ابن خزيمة في النوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فقال: كذا قال لي جبريل في السماء .

وفاته في سنة إحدى عشرة وثلاث ومئة، عاش تسعاً وثمانين سنة .

٦١٣ السراج^(٢)

[٥] محمد بن إسحاق بن إبراهيم، الإمام الحافظ الثقة شيخ الإسلام، محدث خراسان، النيسابوري، صاحب المسند الكبير على الأبواب والتاريخ وغير ذلك، وأخو إبراهيم المحدّث وإسماعيل . مولده في سنة ست عشرة ومئتين . وسكن بغداد مدة طويلة، وحديث بها، ثم رد إلى وطنه .

قال الخطيب: كان من الثقات الأثبات، عني بالحديث، وصنف كتباً كثيرة .

(١) حديث الصورة، أخرجه البخاري في «صحيحه» ٢/١١ أول الاستئذان، وسلم (٢٨٤١) في الجنة: باب يدخل الجنة أنوار أفئدتهم مثل أفئدة الطير. وأحمد: ٣١٥/٢، وابن خزيمة في «التوحيد»، ٤٠٠-٣٩٩ من طريق معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه، قال: اذهب، فسلم على أولئك - نقر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك ونحية فريتك، فقال: السلام عليكم . فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزاده: «ورحمة الله» فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فكل من يزل الخلق يتقص بعد حتى الآن .

وراجع ما كتبه الحافظ ابن حجر عن عود الضمير في «صورته» في الفتح: ٥/١٣٣، ٦/٢٦٠، ١١/٢-٣ .

(٢) انظر السير: ١٤/٣٨٨-٣٩٨ .

[١] قال أبو الوليد حسّان بن محمّد: دخل أبو العبّاس السّراجُ على أبي عمرو الخفاف فقال له: يا أبا العبّاس! من أين جمعتَ هذا المال؟ قال: بغية دهرِ أنا وأخوأي إبراهيم وإسماعيل، غاب أخي إبراهيم أربعين سنة، وغاب أخي إسماعيل أربعين سنة، وغبت أنا مقيماً ببغداد أربعين سنة، أكلنا الجبّيب^(١)، ولبّسنا الحشّين، فاجتمع هذا المال، لكن أنت يا أبا عمرو! من أين جمعت هذا المال؟ وكان لأبي عمرو مال عظيم ثم قال متمثلاً:

أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافِكَ جِلْدُ شَاةٍ وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ
فَسَبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى الشَّرِيرِ^(٢)

[٢] قال أبو العبّاس بن حمدان شيوخ خوارزم: سمعتُ السّراج يقول: رأيتُ في المنام كأنّي أرقى في سلم طويل، فصعدتُ تسعاً وتسعين درجة فكل من أقصّها عليه يقول: تعيش تسعاً وتسعين سنة. قال ابن حمدان: فكان كذلك.

قلتُ: بل بلغ سبعاً أو خمساً وتسعين سنة، فقد قال أبو إسحاق المزكّي عنه: ولدت سنة ثمانٍ عشرة ومثني، وختمتُ عن رسول الله ﷺ اثني عشر ألف ختمة، وضحيت عنه اثني عشر ألف أضحية.

قلتُ: دليله حديث شريك، عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنّس قال: رأيتُ عليّاً رضي الله عنه يضحى بكبشين، فقلتُ له: ما هذا؟ قال: «أوصاني رسول الله ﷺ أن أضحيّ عنه»^(٣). زاد الترمذي: واحد عن النبي ﷺ، وواحد عن نفسه.

[٣] بلغنا أنه قيل لأبي العبّاس السّراج، وهو يكتب في كهولته عن يحيى بن أبي طالب: إلى كم هذا؟ فقال: أما علمت أن صاحب الحديث لا يبصر؟! وقال أبو إسحاق المزكّي: كان السّراج مُجابب الدعوة.

(١) طعام جبّ ومجشوب، أي: غليظ خشن، وقيل: هو الذي لا آدم له.
(٢) البنان مع سبعة أبيات آخر في «زهر الأدب» ٢٦٣/٣، في قصة جرت لعم بن زائدة مع أعرابي.
(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٩٠) والترمذي (١٤٩٥) كلاهما في الأضاحي: باب الأضحية عن العيص، وأحمد: ١٠٧/١ و ١٤٩ و ١٥٠. وشريك - هو ابن عبدالله النخعي - سيء الحفظ. وأبو الحسناء: مجهول. وحنّس - هو ابن المعتمر - مختلف فيه.

قال محمد بن أحمد الدُّقاق: رأيت السُّراج يضحى كل أسبوع أو أسبوعين
أضحيةً عن رسول الله ﷺ، ثم يصيح بأصحاب الحديث فيأكلون.
[١] قال إسماعيل بن نُجَيْد: رأيت أبا العباس السُّراج يركب حماره وعباس
المُستملي بين يديه، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، يقول: يا عباس! غير
كذا، اكسر كذا.

[٢] قال أبو الوليد حسان بن محمد: سمعت أبا العباس السراج يقول: وا أسفي
على بغداد! فقيل له: ما حملك على فراقها؟ قال: أقام بها أخي إسماعيلَ خمسين
سنة، فلما توفي ورُفِعَت جنازته سمعت رجلاً على باب الدُّرب يقول لآخر: مَنْ هذا
الميت؟ قال: غريبٌ كان ها هنا. فقلت: إنا لله، بعد طول مقام أخي بها واشتهاره
بالعلم والتجارة يقال له: غريب كان هنا. فحملتني هذه الكلمة على الانصراف
إلى الوطن.

[٣] أحمد بن محمد الخفاف، حدثنا أبو العباس السُّراج إملاءً قال: من لم يُقر بأن
الله تعالى يعجب، ويضحك، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: «من
يسألني فأعطيه» فهو زنديقٌ كافر، يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يُصلَّى
عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

قلت: لا يكفر إلا إن علم أن الرسول ﷺ قاله فإن جحد بعد ذلك فهذا معاند
نسأل الله الهدى، وإن اعترف أن هذا حق، ولكن لا أخوض في معانيه، فقد
أحسن، وإن آمن وأول ذلك كله، أو تأول بعضه، فهو طريقة معروفة.
وقد كان السُّراج ذا ثروة وتجارة، وبرٌّ ومعروف، وله تعبُد وتهجُد إلا أنه كان منافراً
للفقهاء أصحاب الرأى، والله يغفر له.

الطبقة الثامنة عشرة

٦١٤ ابن الجصاص^(١)

[١] الصدر الرئيس، ذو الأموال، أبو عبدالله، الحسين بن عبدالله بن الجصاص، البغدادي الجوهري التاجر الصُّفَّار.

[٢] وعنه قال: كنت يوماً في الدهليز، فخرجت قهرمانة معها مئة حبة جَوْهر، تساوي الحبة ألف دينار، فقالت: نريد أن تخرط هذا الحب حتى يصفر، فأخذته منها مسرعاً، وجمعت سائر نهاري من الحب بمئة ألف درهم، الواحدة بألف، وأتيت به القهرمانة، وقلت: قد خرطنا هذا.

[٣] يعني: فريح فيه - في يوم - بضعة وتسعين ألف دينار، ولما تزوج المعتضد بالله بقطر الندى بنت حَمَّازويه صاحب مصر، نفذها أبوها مع ابن الجصاص في جهاز عظيم وتُحَفٍ وجواهر تتجاوز الوصف، فنضحها ابن الجصاص وقال: هذا شيء كثير، والأوقات تتغير، فلو أودعت من هذا؟ فقالت: نعم يا عم. وأودعته نفائس ثمينة، فاتفق أنها أدخلت على المعتضد، وكُرِّمت عليه، وحملت منه، ثم ماتت في النفاس بَعَثَتْ، وزادت أموال ابن الجصاص إلى الغاية، ونظرت إليه الأعيُن، فلما كان في سنة اثنتين وثلاث مئة قبض عليه المقتدر، وكُبِسَتْ داره، وأخذوا له من الذهب والجواهر ما قُوِّم بأربعة آلاف ألف دينار.

[٤] ويحكى عنه بَلَّةٌ وتغفيل، مرَّ به صديقٌ فقال له: كيف أنت؟ فقال ابن الجصاص: الدنيا كلها محمومة، وكان قد حُمَّ.

[٥] ونظر مرَّةً في المرأة، فقال لصاحبه: ترى لحيتي طالت؟ فقال: المرأة في يدك. قال: الشاهد يُرى مالا يَرَى الغائب.

[٦] ودخل يوماً على الوزير ابن الفُرات فقال: عندنا كلاب يحرموننا ننام. فقال الوزير: لعلهم جرَّاء؟ قال: بل كل واحد في قَدِّي وقَدِّك.

(١) انظر السير: ٤٦٩/١٤ - ٤٧٣.

[١] ودعا فقال: حَسْبِيَ اللهُ وَأُنْبِياؤُهُ وَمَلَائِكَتُهُ، اللَّهُمَّ، أَعِدْ مِنْ بَرَكَةِ دَعَائِنَا عَلَى أَهْلِ الْقُصُورِ فِي قُصُورِهِمْ، وَعَلَى أَهْلِ الْكِنَانِ فِي كِنَانِهِمْ.

[٢] وِفْرَغَ مِنَ الْأَكْلِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْلِفُ بِأَعْظَمِ مِنْهُ.

[٣] وَكَانَ مَعَ الْخَاقَانِي فِي مَرْكَبٍ وَبِيَدِهِ كُرَّةٌ كَافُورٌ، فَبَضَقَ فِي وَجْهِ الْوَزِيرِ وَالْقِي الْكَافُورَةَ فِي دَجَلَةٍ، ثُمَّ أَفَاقَ وَاعْتَذَرَ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَبْصُقَ فِي وَجْهِكَ وَالْقِيهَا فِي الْمَاءِ فَغَلَطْتُ. فَقَالَ: كَانَ كَذَلِكَ يَا جَاهِل.

[٤] قَالَ التَّنُوخِي: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ وَرْقَاءَ الْأَمِيرِ قَالَ: اجْتَزَتْ بَابِنَ الْجِصَّاصِ وَكَانَ مِصَاهِرِي، فَرَأَيْتُهُ عَلَى حَوْشِ دَارِهِ حَافِيًا حَاسِرًا، يَعْذُو كَالْمَجْنُونِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ اسْتَحْيَى، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: يَحِقُّ لِي، أَخَذُوا مِنِّي أَمْرًا عَظِيمًا، فَلَمَّتْهُ وَقُلْتُ: مَا بَقِيَ يَكْفِي، وَإِنَّمَا يَقْلِقُ هَذَا الْقَلْقُ مِنْ يَخَافِ الْحَاجَةِ، فَاصْبِرْ حَتَّى أُبَيِّنَ لَكَ غِيَاكَ. قَالَ: هَاتِ. قُلْتُ: أَلَيْسَ دَارُكَ هَذِهِ بِأَلْتَهَا وَفُرْشُهَا لَكَ؟ وَعَقَارُكَ بِالْكَرْخِ وَضِيَاغُكَ؟ قَالَ: بَلَى. فَمَا زِلْتُ أَحَاسِبُهُ حَتَّى بَلَغَ قِيَمَةَ سَبْعِ مِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاصْدُقْنِي عَمَّا سَلِمَ لَكَ، فَحَسْبِنَاهُ، فَإِذَا هُوَ بِثَلَاثِ مِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، قُلْتُ: فَمَنْ لَهُ أَلْفُ دِينَارٍ بِبَغْدَادٍ؟ هَذَا وَجَاهُكَ قَائِمٌ. فَلَمْ تَعْتَمِّ؟ فَسَجَدَ لِلَّهِ وَحَمَدَهُ وَيَكِّي، وَقَالَ: أَنْقَذَنِي اللَّهُ بِكَ، مَا عَزَّانِي أَحَدٌ بِأَنْفَعِ مِنْ تَعَزِّيْتِكَ مَا أَكَلْتُ شَيْئًا مِنْذُ ثَلَاثِ، فَأَقِمَ عِنْدِي لِنَاقِلٍ وَتَحَدَّثَ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمَيْنِ.

[٥] قَالَ التَّنُوخِي: اجْتَمَعَتْ بِأَبِي عَلِيٍّ - وَوَلَدِ ابْنِ الْجِصَّاصِ - فَسَأَلْتُهُ عَمَّا يُحْكِي عَنْ أَبِيهِ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ قَرَأَ (وَلَا الضَّالِّينَ) فَقَالَ: إِي لَعْمَرِي بَدَلًا مِنْ آمِينَ.

[٦] وَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقْبَلَ رَأْسَ الْوَزِيرِ، فَقَالَ: إِنَّ فِيهِ دُهْنًا. فَقَالَ: أَقْبَلُهُ وَلَوْ كَانَ فِيهِ خِرَاءٌ، فَقَالَ: مَا كَانَتْ فِيهِ سَلَامَةٌ^(١) تَخْرُجُهُ إِلَى هَذَا، كَانَ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كَانَ يَفْعَلُ بِحَضْرَةِ الْوَزِيرِ، وَكَانَ يَحِبُّ أَنْ يَصُورَ نَفْسَهُ بِبَلْبِهِ لِيَأْمَنَهُ الْوَزَرَاءُ لِكثْرَةِ خَلْوَتِهِ بِالْخُلَفَاءِ.

وتوفي ابن الجصاص سنة خمس عشرة وثلاث مئة، وقد أسن.

(١) أي: غفلة.

(١) الوزير الكبير، أبو الحسن، عليُّ بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الحسن ابن الفُراتِ العاقوليُّ الكاتب .

قال الصُولي : ابتاع جُدْهم ضياعاً بالعاقول، وانتقل إليها، فُنسبوا إلى العاقول .
كان ابنُ الفُراتِ يتولَّى أمر الدَّواوين زمن المكتفي ، فلما وُلِّيَ المقتدر ووَزَّرَ له العباس بن الحسن، بقي ابنُ الفُراتِ على ولايته، فجرت فتنة ابن المعتز، وقُتل العباس الوزير، فَوَزَّرَ ابنُ الفُراتِ سنة ست وتسعين، وتمكَّن، فأحسن وعدل، وكان سمحاً مفضالاً محتشماً، رأساً في حساب الدِّيوان، له ثلاثة بُنين، المحسَّن والفضل والحسين، ثم عُزِلَ في ذي الحجة سنة تسع وتسعين، ثم وزر في سنة أربع وثلاث مئة إثر عزل عليِّ بن عيسى، ثم عُزِلَ بعد سبعة عشر شهراً بحامد بن العباس، ثم وليها سنة ٣١١، وولي ولده المحسَّن الدواوين، فَعَسَفَ وصادَرَ وعذَّب، وظلم أبوه أيضاً، واستأصل جماعة، فعُزِلَ بعد سنة إلا أياماً، وقيل : إنَّه وصل المحدثين بعشرين ألف درهم .

وذكر جماعة أن صاحب خبر ابن الفُراتِ رفع إليه أن رجلاً من أرباب الحوائج اشترى خُبزاً وجُبناً فأكله في الدهليز، فأقلقَه هذا، وأمر بنصب مطبخ لمن يحضُر من أرباب الحوائج ، فلم يزل ذلك طولَ أيامه .

قيل : كان ابنُ الفُراتِ يلتذُّ بقضاء حوائج الرعية، وما ردُّ أحداً قطُّ عن حاجة ردُّ آيس، بل يقول : نعاودني . أو يقول : أعوضك من هذا .

قال الصُولي : لما قبضَ على ابن الفُراتِ، نظرنا فإذا هو يُجري على خمسة آلاف نفس، أقلُّ جاري أحدهم في الشهر خمسة دراهم ونصفُ قفيزٍ دقيقٍ وأعلام مئة دينار وعشرة أفِزة .

قال الصُولي : لم أسمعه قطُّ دعا أحداً من كتَّابه بغير كُنيتِهِ . ومرض مرةً فقال : ما غمي بعَلَّتِي بأشدَّ من غَمِّي بتأخر الناس وفيهم المضطر .

(١) انظر السير : ٤٧٩-٤٧٤/١٤ .

وكان يمنع الناس من المشي بين يديه .

قال علي بن هشام الكاتب: دخلتُ علي ابن الفُرات في وزارته الثالثة وقد غلب ابنه المحسن عليه في أكثر أموره، فقبل له: هو ذا يسرف أبو أحمد المحسن في مكاره الناس بلا فائدة، ويضرب من يؤذي بغير ضرب . فقال: لو لم يفعل هذا بأعدائه ومن أساء إليه لما كان من أولاد الأحرار، ولكان ميتاً، وقد أحسنتُ إلى الناس دفعتين فما شكروني والله لأسيئن، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قبض عليه .

قال الصولي: قبض المقتدرُ علي ابن الفُرات، وهرب ابنه، فاشتد السلطان وجميع الأولياء في طلبه، إلى أن وُجد، وقد حلق لحيته، وتشبه بامرأة في خُفٍ وإزار، ثم طُوب هو وأبوه بالأموال، وسُلما إلى الوزير عبيد الله بن محمد، فعلما أنهما لا يفلتان، فما أذعنا بشيء، ثم قتلها نازوك، وبعث برأسيهما إلى المقتدر في سَفَط، وغرَّق جسديهما .

ضربت عنق المحسن بعد أنواع العذاب سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة، وألقي رأسه بين يدي أبيه، فارتاع، ثم قُتل ثم ألقى الرأسان في الفرات، وكان للوزير إحدى وسبعون سنة وشهور وللمحسن ثلاث وثلاثون سنة .

٦١٦ بُنَانُ الْحَمَّال^(١)

الإمام المحدث الزاهد، شيخ الإسلام، أبو الحسن، بُنَانُ بن محمد بن حمدان الواسطي، نزيل مصر، ومن يُضرب بعبادته المثل .
صحب الجنيد وغيره، وقيل: إنه هو أستاذ الحسين النوري وهو رفيقه ومن أقرانه .

وكان كبير القدر، لا يقبل من الدولة شيئاً، وله جلالة عجيبة عند الخاص والعام .
وقد امتحن في ذات الله، فصبر، وارتفع شأنه، فنقل أبو عبد الرحمن السلمي

(١) انظر السير: ١٤/٤٨٨-٤٩٠ .

[١] في «مجن الصوفية» أن بُناناً الحمالي قام إلى وزير خمارويه - صاحب مصر - وكان نصرانياً، فأنزله عن مركوبه وقال: لا تركب الخيل وعير، كما هو مأخوذ عليكم في الذمة، فأمر خمارويه بأن يؤخذ ويوضع بين يدي سبع، فطرح، فبقي ليلة، ثم جاؤوا والسبع يلحسه وهو مستقبل القبلة، فأطلقه خمارويه واعتذر إليه.

[٢] قال الزبير بن عبد الواحد: سمعت بُناناً يقول: الحرُّ عبد ما طمع، والعبدُ حرُّ ما قنع.

ومن كلام بُنان: متى يُفلق من يسره ما يضره؟!

[٣] وقال: رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملة يؤذي بصاحبه إلى ركوب الباطل.

[٤] يروى أنه كان لرجل على آخر دين مئة دينار، فطلب الرجل الوثيقة فلم يجدها، فجاء إلى بُنانٍ ليدعوه، فقال: أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعوك، ففعل الرجل وجاء، فقال بُنان: افتح ورقة الحلواء، ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال: هي وثيقتي. قال: خذها، وأطعم الحلواء صبيانك.

[٥] توفي بُنان سنة ست عشرة وثلاث مئة، وخرج في جنازته أكثر أهل مصر، وكان شيئاً عجيباً من ازدحام الخلائق.

٦١٧ ابن البهلول^(١)

[٦] الإمام العلامة المتفتن القاضي الكبير، أبو جعفر، أحمد بن إسحاق بن بهلول، التتوخي الأنباري، الفقيه الحنفي.

وُلد سنة إحدى وثلاثين ومئتين.

وكان من رجال الكمال، إماماً ثقة، عظيم الخطر، واسع الأدب تام المروءة، بارئاً في العربية، ولبي قضاء مدينة المنصور عشرين سنة وعُزل قبل موته بعام.

(١) انظر السير: ٤٩٧/١٤ - ٥٠٠.

وكان له مصنفٌ في نحو الكوفيين، وكان أديباً بليغاً مَفْوهاً شاعراً.

قال ابنُ الأنباري: ما رأيتُ صاحبَ طَيْلَسَانِ أنحى منه.

مات في سنة ثمان عشرة وثلاث مئة.

وكان أبوه من كبار الحفاظ، لقي ابنَ عُبَيْنَةَ وطبقته، وهم من بيت العلم

والجلالة.

وقال طلحة بن محمد: كان عظيمَ القدر، واسعَ الأدب، تامَ المروءة حسن

الفصاحة والمعرفة بمذهب أهل العراق، ولكنَّهُ غلبَ عليه الأدب.

[١] قال القاضي أبو نصر يوسف بن عمر: كنتُ أحضرُ دارَ المقتدرِ مع أبي وهو ينوبُ

عن والده أبي عمر القاضي، فكنتُ أرى أبا جعفر القاضي يأتيه أبي فيجلس عنده،

فيتذاكران حتى يجتمع عليهما عدد من الخدم فسمعت أبا جعفر يقول: أحفظُ

لنفسي من شعري خمسة عشر ألف بيت وأحفظ للناس أضعاف ذلك.

[٢] وقال القاضي أبو طالب محمد بن القاضي أبي جعفر: كنتُ مع أبي في جنازة،

وإلى جانبه أبو جعفر الطبري، فأخذ أبي يعظُ صاحبَ المصيبةِ وسليبه، فداخله

الطبري في ذلك وذنبٌ معه، ثم اتسع الأمر بينهما، وخرجا إلى فنون أعجبت من

حضر، وتعالى النهار، فلما قمنا قال لي: يا بُني! من هذا الشيخ: قلتُ: هذا

محمد بن جرير الطبري، فقال: إنا لله! ما أحسنتُ عشرتي، ألا قلتُ لي، فكنتُ

أذاكره غير تلك المذاكرة؟ هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع، فمضت مدة ثم

حضرنا في حق رجلٍ آخر، وجلسنا وجاء الطبري، فجلس إلى جانب أبي،

وتجاريا، فكُلُّما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري بعضها ونُسبُها أبي، وكلما ذكر شيئاً

من السُّبْرِ فكذلك، وربما تلعثمُ وأبي يمرُّ في جميعه، فما سكت إلى الظهر.

٦١٨ واعظٌ بليغٌ (١)

[٣] الإمام الكبير الزاهد، العلامة، شيخ الإسلام، أبو عبدالله محمد بن الفضل بن

(١) انظر السير: ٥٢٣/١٤-٥٢٦.

العباس البلخي الواعظ، نزيل سمرقند وتلك الديار.

[١] قال السلمي: سمعت محمد بن علي الحيري يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: لو وجدت من نفسي قوة لرحلت إلى أخي محمد بن الفضل، فأستروح برؤيته.

[٢] قال أبو نعيم الحافظ: سمعت محمد بن عبدالله الرازي بنسا أنه سمعه يقول ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون مالا يعلمون، ويمتنعون الناس من العلم.

قلت: هذه نعوت رؤوس العرب والتürk، وخلق من جهلة العامة فلو عملوا بيسير ما عرفوا، لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوقفوا ولو قتشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر - لا أهل الحيل والمكر - لسعدوا بل يعرضون عن التعلم تيهاً وكسلاً، فواحدة من هذه الخلال مرديّة، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنك إذا انضم إليها كبر، وفجور، وإجرام وتجهّم على الله! نسأل الله العافية.

[٣] قال السلمي في «معن الصوفيّة»: لما تكلم محمد بن الفضل ببلخ في فهم القرآن وأحوال الأئمة، أنكر عليه فقهاء بلخ، وقالوا: مبتدع. وإنما ذلك بسبب اعتقاده مذهب أهل الحديث، فقال: لا أخرج حتى تخرجوني وتطوفوا بي في الأسواق. ففعلوا به ذلك، فقال: نزع الله من قلوبكم محبته ومعرفته. فقيل: لم يخرج منها صوفي من أهلها. فأتى سمرقند، فبالغوا في إكرامه.

[٤] وقيل: إنه وعظ يوماً، فمات في المجلس أربعة أنفس.

مات سنة سبع عشرة وثلاث مئة.

٦١٩ الكتاني^(١)

[٥] القدوة العارف، شيخ الصوفية، أبو بكر، محمد بن علي بن جعفر البغدادي، الكتاني.

(١) انظر السير: ١٤/٥٣٣-٥٣٥.

[١] ومن كلامه قال: من يدخل في هذه المفازة يحتاج إلى أربع: حال تحميه، وعلم يسوسه، وورع يحجزه، وذكر يؤنسه.

[٢] وقال: التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في التصوف.

[٣] وعنه قال: من حكم المرید أن يكون نومُه غلبه، وأكله فاقة وكلامه ضرورة.

قلت: نعم للصادق أن يقل من الكلام والأكل والنوم والمخالطة وأن يكثر من الأوراد، والتواضع، وذكر الموت، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

[٤] يقال: ختم الكتاني في الطواف اثني عشر ألف ختمة، وكان من الأولياء.

نوفي ستة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

٦٢٠ الدغولي^(١)

[٥] الإمام العلامة، الحافظ المجدد، شيخ خراسان، أبو العباس، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السرخسي الدغولي.

قال الحاكم في كتاب ومزكي الأخبار: كان أبو العباس أحد أئمة عصره بخراسان في اللغة، والفقه، والرواية.

[٦] الحاكم: سمعت الأستاذ أبا الوليد يقول: قيل لأبي العباس الدغولي: لم لا تقنت في صلاة الفجر؟ فقال: لراحة الجسد، وسنة أهل البلد، ومداورة الأهل والولد.

وقال أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين الحافظ: خرجنا مع الإمام أبي بكر بن خزيمة إلى سمرقند لتهنئة الأمير الشهيد، والتعزية عن الأمير أبي إبراهيم المعاضي، فلما انصرفنا، قلت لابن خزيمة: ما رأينا في سفرنا مثل أبي العباس الدغولي. فقال أبو بكر: ما رأيت أنا مثل أبي العباس.

قلت: ما أطلق ابن خزيمة هذا القول إلا عن أمر كبير من سعة علم أبي العباس

رحمه الله.

(١) انظر السير: ٥٦٢-٥٥٧/١٤.

[١] قال الحاكم: سمعت يحيى بن عمرو البستي يقول: سمعت أبا العباس الدغولي يقول لأبي الحسين الحجاجي: أيش حال أبي علي الحافظ؟ وما الذي يصنّفه الآن؟ قال: هو ذا يرُدُّ على مسلم بن الحجاج. فأنشأ يقول:

يُقْضَى لِلْحُطْبِيَّةِ الْفُ بَيْتِ كَذَاكَ الْحَيِّ يَغْلِبُ كُلَّ مَيْتِ
كَذَلِكَ دَعِبَلُ يَرْجُو سَفَاهَا وَحُمَقًا أَنْ يَنَالَ مَدَى الْكُمَيْتِ
إِذَا مَا الْحَيِّ نَاقَضَ حَشَوُ قَبْرِ فَذَا لَكُمْ ابْنِ زَانِيَةِ بَزَيْتِ

[٢] قال ابن أبي ذهل: سمعت أبا العباس الدغولي يقول: أربع مجلدات لا تفارقني في السفر، والحضر، وإذا خرجت من البلد: كتاب المزني، وكتاب «العين»، و«تاريخ البخاري»، وكتاب «كليلة ودمنة».

[٣] قال الحاكم: قال الدغولي: في العلماء جماعة فُقدوا فجأة فلم يوجدوا، منهم: عبدالرحمن بن أبي ليلى، فُقد يوم الجمجم، ومنهم: معمر بن راشد، ولم تُعرف له تربة قط، وبذل بن المحبر افتقد ولا يدري أين ذهب، ثم سُمي جماعة ماتوا فجأة كالشعبي، وحميد الطويل، والأوزاعي.

قال الحاكم: سألت محمد بن عبدالرحمن بن الدغولي عن وفاة جده فقال: في سنة خمس وعشرين وثلاث مئة.

٦٢١ القاضي الخياط^(١)

[٤] الإمام المحدث الحافظ، القاضي الورع، أبو عبدالله، محمد بن علي المروزي، أحد السادات والأولياء.

[٥] عرف بالخياط لأنه كان يخيط على الأيتام والمساكين حِبة. وُلد سنة بضع وثلاثين ومئتين.

[٦] وُلِّي قضاء القضاة بنيسابور في سنة ثمان وثلاث مئة، إلى أن استعفى سنة إحدى عشرة، وردَّ خريطة الحكم إلى الرئيس أبي الفضل البلعمي، فما شرب لأحد ماء، ولا ظفر له بزلة، وكان لا يدع سماع الحديث أيام قضاته، ويحضر مجلس أبي

(١) انظر السير: ٥٦٤/١٤-٥٦٥.

[١] وقال الحاكم : سمعتُ أبي يقول : كانَ القاضي محمد بن عليّ المروزي طول أيامه يسكنُ دار ابن خمدون بحذاء دارنا، وكنتُ أعرفُهُ يخيّط بالليل، وإذا تفرَّغ بالنهار، للأيتام والضعفاء، ويعيُدها صدقة .

[٢] سمعتُ محمد بن عبدان خادمَ الجامع يقول : كان محمدُ بن عليّ الحاكم يجيء في كلِّ أسبوع ليلةً إلى الجامع، فيتعبَّد إلى الصباح من حيث لا يعرف غيري، فصادفته ليلةً يتلو: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤] الآيات وكُلِّمًا تلا آيةً منها، ضربَ بيده على صدره ضربةً أسمع صوتها من شدَّته، رحمه الله تعالى .

تُوفي بعد العشرين وثلاث مئة، وله بضع وثمانون سنة .

٦٢٢ ابن أبي العزّاقِر^(١)

[٣] الزُّنْدِيقُ المَعشُرُ، أبو جعفر، محمدُ بن عليّ، الشَّلْمَغَانِيُّ الرَّافِضِيُّ .

قال بالتَّناسُخ، وبحلول الإلهية فيه، وأن الله يحلُّ في كلِّ شيء بقدر ما يحتمله، وأنه خلق الشيء وضده، فحل في آدم وفي إبليس، وكلُّ منهما ضدٌّ للآخر .

وقال: إنَّ الضدَّ أقربُ إلى الشيء من شبيهه، وإنَّ الله يحلُّ في جسد من يأتي بالكرامات ليبدلُ على أنه هو، وإنَّ الإلهية اجتمعت في نُوح وإبليس وفي صالح وعافر الناقة، وفي إبراهيم ونمرود، وعليّ وإبليس .

وقال: من احتاج الناس إليه، فهو إله .

وسمى موسى ومحمدًا الخائنين، لأن هارون أرسل موسى، وعليًّا أرسل محمدًا، فخاناها، وإن عليًّا أمهل محمدًا ثلاث مئة سنة ثم تذهب شريعته .

[٤] ومن رأيه تركُ الصَّلَاة والصُّوم، وإباحة كلِّ فرج، وأنه لا بد للفاضل أن ينيك المفضول ليُولج فيه النور، ومن امتنع مُسَخ في الدُّور الثاني، فرنط الجهلة وتخرق،

(١) انظر السير: ٥٦٦/١٤ - ٥٦٩ .

وأصل طائفة، فأظهر امرأة أبو القاسم الحسين بن روح - رأس الشيعة، الملقب
 بالباب - إلى صاحب الزمان، فطلب ابن أبي العزاقر، فاختفى، وتسحب إلى
 الموصل، فأقام هناك سنين ورجع، فظهر عنه ادعاء الربوبية، واتبعه الوزير حسين
 بن الوزير القاسم بن عبيد الله بن وهب - وزير المقتدر - فيما قيل، وابنا بسطام
 وإبراهيم بن أبي عون، فطلبوا، فتغيّبوا، فلما كان في شوال من سنة اثنتين وعشرين
 ظفر الوزير ابن مقلة بهذا، فسجنه، وكبس داره، فوجد فيها رقاعاً وكتباً مما يدعى
 عليه، وفيها خطابه بما لا يخاطب به بشر فعرضت عليه فأقر أنها خطوطهم، وتصل
 مما يقال فيها، وتبرأ منهم فمد ابن عبدوس يده، فصفعه، وأما ابن أبي عون فمد
 يده إليه فارتعدت يده، ثم قيل لحبته ورأسه وقال: إلهي، ورازقي، وسيدي! فقال
 له الراضي بالله: قد زعمت أنك لا تدعي الإلهية، فما هذا؟ قال: وما علي من قول
 هذا؟ والله يعلم أنني ما قلت له: إنني إله قط.

فقال ابن عبدوس: إنه لم يدع إلهية، إنما ادعى أنه الإمام المنتظر.
 ثم إنهم أحضروا مرات بمحضر الفقهاء والقضاة، ثم في آخر الأمر أفتى العلماء
 بإباحة دمه، فأحرق في ذي القعدة من السنة وضرب ابن أبي عون بالسياط، ثم
 ضربت عنقه وأحرق.

وله مصنفات أدبية، وكان من كبار الكتاب.

وقتل بسببه وزير المقتدر، الحسين، أتهم بالزندقة، وقُتل أبو إسحاق إبراهيم بن
 أحمد بن هلال بن أبي عون الأنباري الكاتب.

وقد كان أبو علي الحسين - ويقال: الجمال - وزيراً للمقتدر في سنة تسع عشرة
 وثلاث مئة، ولقبوه عميد الدولة، وعزل بعد سبعة أشهر وسجن، وعقد له مجلس
 في كائنة السلمعاني، ونوظر، فظهرت رقاعه يخاطب السلمعاني فيها بالإلهية، وأنه
 يحييه ويُميته، ويسأله أن يغفر له ذنوبه. فأخرجت تلك الرقاع، وشهد جماعة أنه
 خطه، فضربت عنقه وطيف برأسه في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة،
 وعاش ثمانياً وسبعين سنة.

الجزء الخامس عشر

٦٢٣ - ابنُ الشَّرْقِيِّ (١)

[١] الإمامُ العلامةُ الثَّقَةُ، حافظُ خُرَاسَانَ، أبو حامدٍ أحمدُ بنُ محمدَ بنِ الحسنِ النُّيسَابُورِيِّ ابنِ الشَّرْقِيِّ، صاحبُ «الصَّحِيحِ» وتلميذُ مُسْلِمٍ.

ذكره أبو عبدالله الحاكم فقال: هو واحدٌ عَصْرُهُ حِفْظًا وإِتْقَانًا ومَعْرِفَةً.

قال الحاكم: سمعتُ الحسينَ التَّمِيمِيَّ، سمعتُ ابنَ خَزِيمَةَ يقولُ - ونَظَرَ إلى أبي حامدِ ابنِ الشَّرْقِيِّ - فقال: حياةُ أبي حامدٍ تَحْجُزُ بَيْنَ النَّاسِ، وَبَيْنَ الكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلت: يعني: أنه يعرفُ الصَّحِيحَ وَغَيْرَهُ مِنَ المَوْضُوعِ.

[٢] السُّلَمِيُّ: سَأَلْتُ الدَّارِقُطَنِيَّ عَنِ أَبِي حَامِدِ ابْنِ الشَّرْقِيِّ فَقَالَ: ثِقَةٌ مَأْمُونٌ إِمَامٌ. قُلْتُ: لِمَ تَكَلِّمُ فِيهِ ابْنَ عُقْدَةَ؟ فَقَالَ: سَبَحَانَ اللَّهِ تَرَى يُؤَثِّرُ فِيهِ مِثْلُ كَلَامِهِ، وَلَوْ كَانَ بَدَلَ ابْنِ عُقْدَةَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ. فَقُلْتُ: وَأَبُو عَلِيٍّ؟ قَالَ: وَمَنْ أَبُو عَلِيٍّ حَتَّى يُسْمَعَ كَلَامُهُ فِيهِ.

وقال الخَلِيلِيُّ: هو إمامٌ وَقْتَهُ بِلَا مُدَافَعَةٍ.

مات سنةَ خمسٍ وعشرين وثلاثِ مئةٍ.

٦٢٤ - الْمُقْتَدِرُ (٢)

[٣] الخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ، أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي أَحْمَدَ طَلْحَةَ بْنِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ الْبَغْدَادِيُّ.

بُويعَ بَعْدَ أَخِيهِ الْمُكْتَفِي فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ

(١) انظر السير: ٣٧-٣٩.

(٢) انظر السير: ٤٣-٥٦.

عشرة سنة . وما وَلِيَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ أَصْغَرَ مِنْهُ ، وَانْخَرَمَ نِظَامُ الْإِمَامَةِ فِي أَيَّامِهِ ، وَصَغُرَ مَنْصِبُ الْخِلَافَةِ ، وَقَدْ خُلِعَ فِي أَوَائِلِ ذَوْلَتِهِ ، وَبَايَعُوا ابْنَ الْمُعْتَزِ ، ثُمَّ لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ . وَقُتِلَ ابْنُ الْمُعْتَزِ وَجَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنَّهُ خُلِعَ ثَانِيًا فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ ، وَبَدَّلَ حَطَّهُ بِعَزَلِ نَفْسِهِ ، وَبَايَعُوا أَخَاهُ الْقَاهِرَ ، ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ أَيَّامٍ أُعِيدَ الْمُقْتَدِرُ ، ثُمَّ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ قُتِلَ .

وعاش ثمانياً وثلاثين سنة .

[١١] قال أبو علي التتويحي : كان جيد العقل ، صحيح الرأي ، ولكنه كان مؤثراً للشهوات ، لقد سمعتُ عليَّ بنَ عيسى الوزير يقول : ما هو إلا أن يترك هذا الرجل - يعني المقتدر - النيذ خمسة أيام فكان ربما يكون في أصالة الرأي كالمأمون والمعتمد .

[٢] قلتُ : كان منهوماً باللُعب ، والجواري ، لا يلتفتُ إلى أعباء الأمور فَدَخَلَ عَلَيْهِ الدَّاخِلُ ، وَوَهَنَ دَسْتُهُ .

[٣] ووصلت القرامطة إلى الكوفة ، فهرب أهلها . ودخلت الديلم فاستباحوا الدينور ، ووصل أهلها ، فرفعوا المصاحف على القصب وضجوا يوم الأضحى من سنة تسع عشرة ، وأقبلت جيوش الروم وبدعوا وأسروا . وتمَّ ببغداد الوياء الكبير ، والفحط حتى سؤد الشرفاء وجوههم ، وصاحوا : الجوع الجوع .

[٤] وكان سُمحاً مبتلاً للأموال ، فحق ما لا يعد ولا يحصى .

[٥] وتجمع في سنة ثمان من الغوغاء ببغداد عشرة آلاف ، وفتحوا السجون ، وقتلوا الوزير وولاة الأمور ، ودأب القتال أياماً ، وقتل عدة ، ونهبت أموال الناس ، واختلت أحوال الخلافة جداً ، ومجحت بيوت الأموال . وفي سنة ٣١٦ دخل أبو طاهر القرمطي الرحبة بالسيف ، ثم قصد الرقة ، وبدع ، وعمل العظائم . وفي سنة ٣١٧ جرت خبطة ببغداد واقتل الجيش ، وتم ما لا يوصف .

وأما الروم فعاثوا في الثغور ، وفعلوا العظائم ، وبذل لهم المسلمون الإتاوة .

قال الصولي : كان المقتدر يفرق يوم عرفة من الضحايا تسعين ألف رأس ،

[٦] ويقال : إنه أنفق من المال ثمانين ألف دينار . عثر نقه بيده .

[١] الخادِمُ الأكبرُ الملقَّبُ بالمظفَرِ المُعْتَصِدِيِّ، أحدُ الخُدَّامِ الذين بلغوا رُتَبَةَ الملوكِ، وكان خادِماً أبيضَ فارساً شجاعاً سائساً ذاهيةً.
 نُدبَ لحربِ المَغَارِبَةِ العَبِيدِيَّةِ، وولِيَ دِمَشقَ للمقتدرِ، ثم جَرَّتْ له أمورٌ، وحاربَ المقتدرِ، فقتِلَ يومئذِ المقتدرُ، فَسَقَطَ في يدِ مُؤنِسِ، وقال: كلنا نُقتلُ.
 وكان معظمَ جُنْدِ مُؤنِسِ يومئذِ البربرُ فرَمَى واحدٌ منهم بحريتهِ الخليفةَ، فما أخطأه، ثم نَصَبَ مُؤنِسَ في الخلافةِ القاهرِ باللهِ، فلَمَّا تمكَّنَ القاهرُ، قَتَلَ مُؤنِساً وغيرَه في سنةِ إحدى وعشرين. وبقي مُؤنِسٌ ستينَ سنةً أميراً، وعاش تسعينَ سنةً، وخلفَ أموالاً لا تُحصى.

٦٢٦ - ابنُ زيادِ النَّيسَابُورِيِّ^(٢)

[٢] الإمامُ الحافظُ العلامةُ شيخُ الإسلامِ، أبو بكرِ عبد الله بنُ محمد بنِ زيادِ، النَّيسَابُورِيِّ، مولى أميرِ المؤمنينِ عثمانَ بنِ عفَّانِ الأمويِّ، الحافظُ الشَّافِعِيُّ، صاحبُ التصانيفِ.

قال أبو عبد الله الحاكم: كان إمام الشافعيين في عصره بالعراق ومن أحفظ الناس للفتايات واختلاف الصحابة.

[٣] قال أبو الفتح يوسف القَوَّاسُ: سمعتُ أبا بكرِ النَّيسَابُورِيِّ يقول: تعرف من أقامَ أربعينَ سنةً لم يَنمِ الليلَ، ويتَقَوَّتْ كُلُّ يومٍ بخمسِ حَبَّاتٍ، ويصَلِّي صلاةَ الغَدَاةِ على طهارةِ عِشاءِ الآخرةِ؟ ثم قال: أنا هو، وهذا كله قيل أن أعرف أم عبد الرحمن، أبيضٍ أقول لمن رُوِّجني؟ ثم قال: ما أراد إلا الخَيْرَ.

(١) انظر السير: ١٥ / ٥٦-٥٧.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٦٥-٦٦.

قلت: قد كان أبو بكر من الحُفَاطِ المَجُودِينَ .
 مات سنة أربعٍ وعشرين وثلاث مئة عن بضعٍ وثمانين سنة .
 قال الذَّارِقُطَنِي : كُنَّا نَتَذَاكُرُ فَسَأَلَهُمْ فَقِيَهُ : مَنْ رَوَى : « وَجَعَلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا
 طَهُورًا » فَقَامَ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ زِيَادٍ فَسَأَلُوهُ ، فَسَاقَ الْحَدِيثَ فِي الْحَالِ
 مِنْ حِفْظِهِ .

٦٢٧ - نِفْطَوْنُهُ (١)

[١] الإمامُ الحافظُ النَّحْوِيُّ العَلَامَةُ الأَخْبَارِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِبرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
 عَرَفَةَ ، العَنَكِيُّ الأَزْدِيُّ الوَاسِطِيُّ ، المشهورُ بِنِفْطَوْنِهِ صاحبُ التَّصَانِيفِ .
 ولد سنة أربعٍ وأربعين ومِئتين .
 [٢] وكان متضلِّعاً من العلوم ، يُنكرُ الاشتقاقَ ويُحِبُّه . خَلَطَ نحوَ الكوفيين بنحو
 البصريين ، وصار رأساً في رأي أهل الظَّاهر .
 وكان ذا سُنَّةٍ ودينٍ وَقُوَّةٍ وَمُرُوءَةٍ ، وَحَسَنِ خُلُقٍ ، وَكَيْسٍ وَلَهُ نِظْمٌ وَنَثْرٌ .
 مات سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة .
 [٣] وكان محمدُ بْنُ زَيْدِ الوَاسِطِيِّ المتكلمُ يؤذيه ، وهجاه ، فقال :
 مِنْ سَرَّةٍ أَنْ لَا يَرَى فَايَقَا فَلَيجَنِبُ مَنْ أَنْ يَرَى نِفْطَوْنَهُ
 أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ البَاقِي صُرَاخاً عَلَيْهِ
 وقال أيضاً : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَنَاهَى فِي الجَهْلِ ، فَلْيَعْرِفِ الكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِ
 النَّاشِيءِ ، (٢) وَالفِقْهَ عَلَى مَذْهَبِ دَاوُدَ ، وَالنُّحُوَ عَلَى مَذْهَبِ سَيِّبُونَهُ . ثُمَّ يَقُولُ :
 وَقَدْ جَمَعَ هَذِهِ المَذَاهِبَ نِفْطَوْنَهُ ، فَإِلَيْهِ المُنْتَهَى .

(١) انظر السير : ٧٧-٧٥ / ١٥ .

(٢) هو عبدالله بن محمد ، أبو العباس ، المعروف بابن شريشير الناشيء . شاعر متكلم يعد في طبقة ابن الرومي
 والبحتري أصله من الأنبار ، وأقام ببغداد مدة طويلة ، وخرج إلى مصر فكنها ، وتوفي بها سنة ٢٩٣ هـ .

٦٢٨ - أحمد بن يحيى^(١)

[١] ابن مخلد، أبو عمر القرطبي. كبير علماء الأندلس، وقاضي قرطبة.
[٢] وقال ابن عبد البر: كان وقوراً حليماً كثير التلاوة ليلاً ونهاراً، قوي المعرفة باختلاف العلماء، ولبي القضاء عشرة أعوام ما ضرب فيها قيل سوى واحد مجمع على فسقه، وكان يتوقف ويتثبت ويقول: الثاني أخلص، إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أشكل عليه أمر حديث حويصة ومحيصة^(٢) وذى القليل من عنده.

وكان الناصر لدين الله يحترمه ويحججه. توفي على القضاء سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

قلت: وفي ذريته أئمة وفضلاء، آخرهم أبو القاسم أحمد بن يحيى.

٦٢٩ - الأشعري^(٣)

[٣] العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق ابن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بريدة

(١) انظر السير: ١٥ / ٨٤٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣١٧٣ في الجهاد، و (٦١٤٣) في الأدب، و (٦٨٩٨) في الديات: باب الضامة، و (٧١٩٢) في الأحكام، ومسلم (١٦٦٩) من حديث سهل بن أبي حنمة ورافع بن خديج أنهما قالا: خرج عبدالله بن زيد، ومحيصة بن مسعود بن زيد حتى إذا كانا بخيبر تقرقا في بعض ما هناك، ثم إذا محيصة يجد عبدالله بن سهل قتيلاً، فدقته، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحويصة بن مسعود وعبدالرحمن بن سهل، وكان أصغر القوم - فذهب عبدالرحمن ليتكلم قبل صاحبه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكبر، الكثير في السن، فصمت، فتكلم صاحبه وتكلم معي، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقتل عبدالله بن سهل، فقال لهم: «أتخلفون خمسين يميناً تستجقون أصحابكم أو قائلكم»، قالوا: فكيف نخلف ولم نشهد، قال: «فتبرئكم يهود بخمسين يميناً». قالوا: وكيف نقبل إيمان قوم كفار، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عقله.

(٣) انظر السير: ١٥ / ٨٥-٩٠.

ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى عبدالله بن قيس بن
خضار، الأشعريّ اليمانيّ البصريّ .
مولده سنة ستين ومئتين .

[١] وكان عجباً في الذكاء، وقوة الفهم، ولماً برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ
منه، وصعد للناس، فتأب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة،
ويهتك عوارهم .

[٢] قال الفقيه أبو بكر الصيرفيّ: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ
الأشعريّ فحجرهم في أقماع السّمسم .

وعن ابن الباقلانيّ قال: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعريّ .

[٣] قلت: رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب
السلف في الصفات، وقال فيها: تمرّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه
أدين، ولا تؤوّل .

قلت: مات ببغداد سنة أربع وعشرين ثلاث مئة . حطّ عليه جماعة من
الحنابلة والعلماء . وكلّ أحدٍ فيؤخذ من قوله ويترك، إلا من عصم الله تعالى
اللهم اهدنا، وارحمنا .

ولأبي الحسن ذكاء مفطر، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة وتصانيف جمّة
تقضي له بسعة العلم .

[٤] رأيت للأشعريّ كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقيّ، سمعت أبا حازم
العبدويّ، سمعت زاهر بن أحمد السرخسيّ يقول: لما قرّب حضور أجل أبي
الحسن الأشعريّ في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد عليّ أني لا
أكفر أحداً من أهل القبلة، لأنّ الكلّ يُشرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله
اختلاف العبارات .

[٥] قلت: وينحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن نيمية في أواخر أيامه، يقول
أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا يُحافظُ

على الوضوء إلا مؤمناً» فمن لازم الصَّلواتِ بوضوءٍ فهو مُسلمٌ .
 وقد ألف الأهوازي^(١) جزءاً في مثالب ابن أبي بشر، فيه أكاذيب وجمَع
 أبو القاسم في مناقبه فوائد بعضها أيضاً غير صحيح ، وله المناظرة المشهورة مع
 الجبائي في قولهم : يجبُ على الله أن يفعل الأصلح .
 وكان فيه دُعابةً ومزحٌ كثير .
 وألَّف كتباً كثيرةً، وكان يقنع باليسير، وله بعضُ قريةٍ من وقفٍ جدَّهم الأمير
 بلال بن أبي بريدة .

٦٣٠ - البريهاري^(٢)

[١] شيخُ الحنابلة القدوة الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البريهاري^(٣)
 الفقيه .

كان قولاً بالحق، داعيةً إلى الأثر، لا يخافُ في الله لومةً لائم .
 [٢] ومن عبارة الشيخ البريهاري قال : احذر صغارَ المُحدثاتِ مِنَ الأمور فإنَّ
 صغارَ البذعِ تعودُ كباراً، فالكلامُ في الرُّبِّ عزَّ وجلَّ مُحدثٌ وبدعةٌ وضلالةٌ، فلا
 تنكلمُ فيه إلا بما وصفَ به نفسه، ولا تقولُ في صفاته : لِمَ؟ ولا كيف؟
 [٣] قال ابن بطة : سمعتُ البريهاري يقول : المجالسةُ للمناصحةِ فتحُ بابِ
 الفائدةِ، والمجالسةُ للمناظرةِ غلقُ بابِ الفائدةِ .

[٤] قال أبو الحسين بن الفراء : كان للبريهاري مجاهداتٌ ومقاماتٌ في الدين،
 وكان المخالفون يُعَلِّطون قلبَ السُّلطانِ عليه . ففي سنة إحدى وعشرين وثلاث
 مئة أرادوا حبسه، فاختموا . وأخذ كبارُ أصحابه، وحملوا إلى البصرة . فعاقب الله

(١) هو الحسن بن علي بن إبراهيم، أبو علي الأهوازي، مقرر في الشام في عصره، أصله من الأهواز، استوطن
 دمشق وتوفي بها سنة ٤٤٦هـ .

(٢) انظر السير : ٩٠-٩٣ .

(٣) هذه النسبة إلى وبريهار، وهي الأدوية التي تجلب من الهند .

الوزير ابن مقلَّة وأعاد الله البرنَهاريَّ إلى حشمته، وزادت، وكثُر أصحابه. فبلغنا أنه اجتازَ بالجانب الغربي، فعطس فشمتَه أصحابه، فارتفعت ضجنتهم حتى سمعها الخليفة، فأخبر بالحال، فاستهولها، ثم لم تزل المُبتدعة تُوحش قلبَ الرّاضي، حتى نودي في بغداد: لا يجتمع اثنان من أصحاب البرنَهاريِّ، [١] فاخفى، وُوفي مستراً في رجب سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، فدفن بدار أختِ توزون^(١) فقيل: إنه لما كَفَّن، وعنده الخادم صلَّى عليه وحده، فنظرتُ هي من الرُّومِ،^(٢) فرأت البيت ملأَن رجالاتاً في ثياب بيض، يُصلُّون عليه، فخافت وطلبت الخادم، فحلفت أن الباب لم يُفتح.

[٢] وقيل: إنه ترك ميراث أبيه تورعاً، وكان سبعين الفاً.

[٣] عن ابن سمعون، أنه سمع البرنَهاريَّ يقول: رأيت بالشام راهباً في صومعة حوله رهبانٌ يتمسحون بالصومعة، فقلتُ لحدثٍ منهم: بأي شيء أعطي هذا؟ قال: سبحان الله متى رأيت الله يُعطي شيئاً على شيء؟ قلتُ: هذا يحتاج إلى إيضاح، فقد يُعطي الله عبده بلا شيء وقد يُعطي على شيء، لكن الشيء الذي يُعطي الله عبده، ثم يثيبه عليه هو منه أيضاً. قال تعالى: ﴿وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾^(٣)

وعاش سبعاً وسبعين سنة، وكان في آخر عمره قد تزوجَ بجارية.

٦٣٦ - القاهرُ بالله^(٤)

[٤] الخليفة أبو منصور محمد بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل.

(١) توزون، أحد القواد الأتراك، خلع عليه المتفي وجعله أمير الأُمراء ودامت إمارته حتى وفاته سنة ٣٣٤ هـ وهو الذي سُمِّل المتفي بالله وخلعه، وبيع المستكفي.

(٢) الكسوة.

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) انظر السير: ١٥ / ٩٨-١٠٣.

استُخْلِيفَ سَنَةً عَشْرِينَ وَثَلَاثَ مِئَةِ وَقْتِ مَضْرَعِ أَخِيهِ الْمُقْتَدِرِ. فِيهِ شَرٌّ وَجَبْرُوتٌ وَطَيْشٌ.

[١] بَابِعُوهُ بَعْدَ الْمُقْتَدِرِ، فَصَادَرَ حَاشِيَةَ أَخِيهِ وَعَذَّبَهُمْ، وَضَرَبَ أُمَّ الْمُقْتَدِرِ بِيَدِهِ، وَهِيَ عَلِيلَةٌ. ثُمَّ مَاتَتْ مُعَلَّقَةً بِحَبْلِ، وَعَذَّبَ أُمَّ مُوسَى الْقَهْرَمَانَ، وَبَالَغَ فِي الْإِسَاءَةِ، فَتَفَرَّتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ.

[٢] وَلَمْ يَكُنِ الْقَاهِرَ مَتَمَكِّنًا مِنَ الْأُمُورِ، وَحَكَّمَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقِ الرَّافِضِيِّ الَّذِي عَزَمَ عَلَى سَبِّ مَعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمَنَابِرِ فَارْتَجَبَ الْعِرَاقُ، وَقَبِضَ عَلَى شَيْخِ الْحَنَابِلَةِ الْبُرْبَهَارِيِّ، ثُمَّ قَوِيَ الْقَاهِرُ وَنَهَبَ دُورَ مَخَالِفِيهِ، وَطَيْشَ عَلَى وُلْدِ أَخِيهِ الْمُكْتَفِيِّ بَيْنَ حَيْطَيْنِ وَضَرَبَ ابْنَ بُلَيْقِ وَسَجَنَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِذُبْحِهِ، وَبَذَحَ أَبِيهِ، وَبَذَحَ بَعْدَهُمَا مُؤَنَسًا الْكَبِيرَ وَثَمَنًا وَابْنَ زَيْرِكَ. وَبَذَلَ لِلجُنْدِ الْعَطَاءَ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ وَنَادَى بِتَحْرِيمِ الْغِنَاءِ، وَالخَمْرِ، وَكَسْرِ الْمَلَاهِي، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْرَبُ الْمَطْبُوحَ وَالسَّلَافَ، وَيَسْكُرُ وَيَسْمَعُ الْقِيَنَاتِ. وَاسْتَوَزَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ. وَقَتَلَ أَبَا السَّرَايَا بْنَ حَمْدَانَ وَاسْحَاقَ التُّونُخْتِيَّ الْقَاهِمَا فِي بَيْتِهِ، وَطَمَّتْ لِكُونِهِمَا زَايِدَهُ فِي جَارِيَةٍ قَبْلَ الْخِلَافَةِ. وَبَقِيَ ابْنُ مُقَلَّةَ فِي اخْتِفَائِهِ يُرَاسِلُ الْجُنْدَ وَتَشَعَّبَهُمْ عَلَى الْقَاهِرِ، وَيَخْرِجُ مَتَنَكِرًا فِي زَيْ عَجْمِيٍّ، وَفِي زَيْ شَحَاذٍ، وَأَعْطَى مُنْجَمًا ذَهَبًا لِيَقُولَ لِلْقَوَادِ: عَلَيْكُمْ قَطْعُ مِنَ الْقَاهِرِ. ثُمَّ خُلِعَ وَأَكْحَلَ بِمِسْمَارٍ لِسُوءِ سِيرَتِهِ وَسَفْكَهِ الدَّمَاءِ. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَنِصْفًا وَأَسْبُوعًا.

[٣] قَالَ الصَّوْلِيُّ: كَانَ أَهْوَجَ، سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ، كَثِيرَ التَّلَوْنِ، قَبِيحَ السَّيْرِ، مَدْمِينِ الخَمْرِ، وَلَوْلَا جُودَةُ حَاجِبِهِ سَلَامَةٌ لِأَهْلِكَ الحَرْبِ وَالنَّسْلِ، وَكَانَ قَدْ ضَنَّ خَزَنَةً يَحْمِلُهَا فَلَا يَطْرُحُهَا حَتَّى يَقْتُلَ إِنْسَانًا.

[٤] ثُمَّ أُخْرِجَ إِلَى دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ، فَكَانَ نَارَةٌ يُحْبَسُ، وَتَارَةٌ يُهْمَلُ فَوْقَهَا يَوْمًا بِالْجَامِعِ بَيْنَ الصُّفُوفِ، وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ بَيْضَاءُ وَقَالَ: تَصَدَّقُوا عَلَيَّ، فَأَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ.

ثُمَّ مَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِئَةِ. وَلَهُ ثَلَاثُ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

فصل

وَأُنذِرُ هُنَا جَمَاعَةً مِنْ خُلَفَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَى التَّوَالِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِيَتَأَمَّلَ تَرَاجُمَهُمُ الْفَاضِلُ مُتَّصِلَةً مَجْمُوعَةً.

٦٣٢ - الرَّاضِي بِاللَّهِ (١)

الْخَلِيفَةُ أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ. الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ. وُلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِثْنِينَ. وَأُمُّهُ رُومِيَّةٌ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: لَهُ فِضَائِلٌ مِنْهَا: أَنَّهُ آخِرُ خَلِيفَةِ خَطْبِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَأَخْرَجَ خَلِيفَةَ جَالِسِ النُّدَمَاءِ، وَأَخْرَجَ خَلِيفَةَ لَهُ شِعْرَ مَدُونٍ، وَأَخْرَجَ خَلِيفَةَ انْفَرَدَ بِتَدْبِيرِ الْجِيُوشِ. وَكَانَتْ جَوَائِزُهُ وَأُمُورُهُ عَلَى تَرْتِيبِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ، وَكَانَ سَمْحًا جَوَادًا أَدِيبًا فَصِيحًا، مُجِيبًا لِلْعُلَمَاءِ.

سَمِعَ مِنَ الْبَغَوِيِّ.

قَالَ الصُّوَلِيُّ: سُئِلَ الرَّاضِي أَنْ يَخْطُبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَارْتَقَى مِنْبَرَ سَامِرَاءَ، وَخَضَّرَتْهُ، فَشَنَفَ الْأَسْمَاعَ وَأَبْلَغَ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا.

تُوفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وَلَهُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، سِوَى أَشْهُرٍ. وَبِوَيْعِ الْمُتَّقِيِّ لِلَّهِ إِبْرَاهِيمَ أَخُوهُ. وَكَانَتْ الْفِتْنَةُ وَالْحُرُوبُ مُتَوَاتِرَةً بِالْعِرَاقِ فِي هَذِهِ السَّنِينَ، وَضَعُفَ شَأْنُ الْخِلَافَةِ. فَلِلَّهِ الْأَمْرُ.

٦٣٣ - الْمُتَّقِيُّ لِلَّهِ (٢)

الْخَلِيفَةُ أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ بْنِ الْمُعْتَصِدِ، الْعَبَّاسِيُّ.

(١) انظر السير: ١٥ / ١٠٣-١٠٤. (٢) انظر السير: ١٥ / ١٠٤-١١١.

ضِعْدَ عَلَى الشَّرِيرِ، وَلَمْ يَغَيِّرْ شَيْئاً، وَلَا تَسْرَى عَلَى جَارِيَتِهِ. وَكَانَ ذَا صَوْمٍ
وَتَعْبِيدٍ، وَلَمْ يَشْرَبْ نَبِيذاً، وَيَقُولُ: لَا أُرِيدُ نَدِيماً غَيْرَ الْمُصْحَفِ.

[١] أَقْبَلَ تَوْزُونَ مِنْ وَاسِطٍ فَمَخَّلَعَ عَلَيْهِ الْمُتَّقِي، وَلَقَّبَهُ أَمِيرَ الْأَمْرَاءِ وَلَكِنْ مَا تَمَّ الْوَدْعُ.
فَعَادَ تَوْزُونَ إِلَى وَاسِطٍ وَصَادَرَ الْمُتَّقِي وَزِيرَهُ، وَبَعَثَ بِخَلْعٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهٍ،
وَاسْتَوَزَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ، وَيَعَزُّهُمْ، وَصَغَّرَ أَمْرَ الْوِزَارَةِ، وَوَهَّنتِ الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ.
[٢] وَتَوَجَّهَ الْمُتَّقِي مِنَ الرَّقَّةِ إِلَى بَغْدَادٍ، فَأَقَامَ بِهَيْتٍ، وَخَلَفَ لَهُ تَوْزُونَ، فَلَمَّا التَّقَاهُ
تَرَجَّلَ لَهُ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ، وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى مَخِيْمٍ صَرَبَتْ لِلْمُتَّقِي، فَلَمَّا نَزَلَ
قَبَضَ تَوْزُونَ عَلَيْهِ وَسَمَلَهُ، وَأَدْخَلَ بَغْدَادَ أَعْمَى، فَلَلَّهُ الْأَمْرَ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْبُرْدَ
وَالْقَضِيْبَ وَالْخَاتَمَ، وَأَحْضَرَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ بْنِ الْمُكْتَفِي فَبَايَعَهُ
بِالْخِلَافَةِ.

[٣] خُلِعَ الْمُتَّقِي سَنَةً ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ، وَلَمْ يُمَهَّلْ تَوْزُونَ وَلَا حَالٌ عَلَيْهِ الْحَوْلُ.
تَوَفَّى الْمُتَّقِي فِي السَّجْنِ بَعْدَ كَحْلِهِ بِدَهْرٍ وَذَلِكَ سَنَةً سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ
مِئَةٍ.

٦٣٤ - الْمُسْتَكْفِي (١)

[٤] الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ، أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْمُكْتَفِي.
بُويعَ وَقْتُ خُلْعِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ. وَلَهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.
اشْتَدَّ بِالْعِرَاقِ الْقَحْطُ، وَمَاتَ النَّاسُ جَوْعاً، وَهَلَكَ مَلِكُ الْأَمْرَاءِ تَوْزُونَ فِي
أَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ، فَطَمَعَ فِي مَنْصِبِهِ ابْنُ شِيرَزَادٍ، وَخَلَفَ الْعَسَاكِرَ، وَنَزَلَ بِظَاهِرِ
بَغْدَادٍ، وَبَعَثَ الْمُسْتَكْفِي إِلَيْهِ بِالْخَلْعِ وَالْإِقَامَاتِ، فَصَادَرَ التُّجَّارَ وَالْكِتَابَ،
وَسَلَطَ جُنْدَهُ عَلَى الْعَوَامِ فَهَرَبَ النَّاسُ، وَانْقَطَعَ الْجَلْبُ، وَوَهَنَ أَمْرُ بَغْدَادِ.
[٥] ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ اثْنَانِ مِنَ الذُّيْلِمِ، فَطَلَبَا مِنْهُ الرُّزْقَ، فَمَدَّ يَدَهُ لِلتَّقْبِيلِ،

(١) انظر السير: ١٥ / ١١١-١١٣.

فجذاه من سرير الخلافة، وجراه بعمامته، ونهبت داره وساقوا المُسْتَكْفِي مَاشِيًا إلى منزلٍ مُعَزَّ الدُولَةَ فَخَلَعَ المُسْتَكْفِي وَسَمَلَهُ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةَ عَشْرِ شَهْرَاءَ. وَضَعَفَتْ دَسْتُ الخِلَافَةِ جَدًّا، وَظَهَرَ الرَّفْضُ وَالِاعْتِرَازُ بَيْنِي بُوَيْه، نَسَأَلُ اللّٰهَ العَفْو.

وكان إكحال المُسْتَكْفِي بَعْدَ أَنْ خَلَعَ نَفْسَهُ ذَلِيلًا مَقْهُورًا فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ فَعَاشَ بَعْدَ العَزْلِ وَالكَحْلِ أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ.

٦٣٥- المُطِيعُ لِلّٰهِ^(١)

[١] الخَلِيفَةُ أَبُو القَاسِمِ القَضَلُ بْنُ المُقْتَدِرِ جَعْفَرِ بْنِ المُعْتَضِدِ. وَوُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

وَوُيِعَ بِحُكْمِ خَلَعَ المُسْتَكْفِي نَفْسَهُ سَنَةَ ٣٣٤ وَأُمَّهُ أُمُّ وَلِدِ.

[٢] وَكَانَ كَالْمَقْهُورِ مَعَ نَائِبِ العِرَاقِ ابْنِ بُوَيْه، قَرَّرَ لَهُ فِي اليَوْمِ مِئَةَ دِينَارٍ فَفَقَط. وَاشْتَدَّ العَلَاءُ المُقْرَطُ بِبَغْدَادَ، فَذَكَرَ ابْنُ العَجُوزِيِّ أَنَّهُ اشْتَرَى لِمُعَزِّ الدُّوَلَةِ كُرًّا دَقِيقَ بَعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

[٣] وَكَانَ يُقَامُ مَائِمٌ عَاشُورَاءَ بِبَغْدَادَ، وَيَقَعُ فِتْرٌ كِبَارٌ لِذَلِكَ.

[٤] وَفِي سَنَةِ سِتِينَ قُلِحَ المُطِيعُ، وَنَظَلَ نِصْفَهُ، وَتَمَلَّكَ بَنُو عُبَيْدِ بَصْرَ وَالشَّامَ، وَأَذْنُوا بِدِمَشْقَ «بِحَيِّ عَلِيٍّ خَيْرِ العَمَلِ»، وَعَلَتِ البِلَادُ بِالرَّفْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَخَفِيَتِ السُّنَّةُ قَلِيلًا، وَاسْتَبَاحَتِ الرُّومُ نِصْبِيَّيْنِ وَغَيْرَهُمَا، فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ.

وَلَمَّا تَحَكَّمَ القَاصِحُ فِي المَطِيعِ دَعَاهُ سُبُكْتِكِينُ الحَاجِبُ إِلَى عَزْلِ نَفْسِهِ وَتَسْلِيمِ الخِلَافَةِ إِلَى ابْنِهِ الطَّايِعِ فَفَعَلَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَسِتِينَ. وَأَثْبَتُوا خَلْفَهُ عَلَى أَبِي الحَسَنِ ابْنِ أُمِّ شَيْبَانَ القَاضِي. ثُمَّ كَانَ بَعْدَ يُدْعَى الشَّيْخَ القَاضِي. وَفِيهَا أُقِيمَتِ الدُّعْوَةُ العُبَيْدِيَّةُ بِالحَرَمَيْنِ لِلْمُعَزِّ. وَاسْتَفْجَلَتِ البِلَاءُ بِاللُّصُوصِ

(١) انظر السير: ١٥ / ١١٣-١١٨.

بيغداد، وركبوا الخيل، وأخذوا الخفارة، وتلقبوا بالقواد ثم إن المطيع خرج وولده الخليفة الطابع لله إلى واسط فمات هناك في المحرم سنة أربع وستين وثلاث مئة بعد ثلاثة أشهر من عزله. وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله. فكانت خلافته ثلاثين سنة سوى أشهر. وفي أيامه تلقب صاحب الأندلس الناصر المرواني بأمر المؤمنين. وقال: أنا أحق بهذا اللقب من خليفة من تحت يد بني بويه. وصدق الناصر فإنه كان بطلا شجاعا سائسا مهيبا له غزوات مشهودة. وكان خليفا للخلافة، ولكن كان أعظم منه بكثير المعز العبيدي الإسماعيلي النحلة، وأوسع ممالك، حكّم على الحرمين ومصر والشام والمغرب.

٦٣٦ - الطابع لله (١)

[١] الخليفة أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر. وكان الحل والعقد للملك عز الدولة وابن عمه عضد الدولة.

قال ابن الجوزي: لما استخلف ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتين الحاجب وخلع من العبد على سبكتين خلع السلطنة، وعقد له اللواء، ولقبه نصر الدولة. ولما كان عبد الأضحى ركب الطابع إلى المصلى، وعليه قباء وعمامة، فخطب خطبة خفيفة بعد أن صلى بالناس فتعرض عز الدولة لإقطاع سبكتين، فجمع سبكتين الأتراك فالتقوا فانتصر سبكتين، وقامت معه العامة، وكتب عز الدولة يستنجد بعضد الدولة، فتوانى، وصار الناس جزبين، فكانت السنة والديلم ينادون بشعار سبكتين، والشيعه ينادون بشعار عز الدولة ووقع القتال، وسفكت الدماء، وأحرق الكرخ.

[٢] وجرت وقعة بين عز الدولة، وعضد الدولة، أسر فيها مملوك أمرد لعز الدولة فجز عليه، وأخذ في البكاء، وترك الأكل وتذلل في طلبه، فصار ضحكة وتذل

(١) انظر السير: ١٥ / ١١٨-١٢٧.

جارتين عوادتين في فدائه .

[١] وتمكن عضد الدولة، ولقب أيضاً تاج الملّة، وضربت له النوبة في ثلاثة أوقات، (١) وعلا سلطانه علواً لا مزيد عليه، ومع ذلك الازتيقاء فكان يخضع للطائع، وجاءه رسول العزيز صاحب مصر، فراسله بتودد وطلب من الطائع أن يزيد في القابه، فجلس له الطائع وحوّله مئة بالسيوف والزينة وبين يديه المصحف العثماني، وعلى كتفه البردة وبه القضيبي، وهو متقلد السيف، وأسبلت الستارة ودخل الترك والذيلم بلا سلاح، ثم أذن لعضد الدولة ورفعت له الستارة، فقبل الأرض قال: فارتاع زياد القائد، وقال بالفارسية: أهذا هو الله، فقيل له: بل خليفة الله في أرضه. ومشى عضد الدولة، وقبل الأرض مرات سبعة فقال الطائع لخاديمه: استدبه. فصعد، وقبل الأرض مرتين، فقال: اذن إلي، فدنا حتى قبل رجله، فثنى الطائع يده عليه، وأمره فجلس على كرسي بعد الامتناع، حتى قال: أقسمت لتجلسن، ثم قال: ما كان أشوقنا إليك وأتوقنا إلى مفاوضتك، فقال: عذري معلوم. قال: نيتك موثوق بها، فأوما برأسه، فقال: قد رأيت أن أفوض إليك ما وكله الله إلي من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها سوى خاصتي وأسبابي، فتول ذلك مستجيراً بالله، قال: يعينني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين وخدمته، وأريد كبار القواد أن يسمعوا لفظك. قال الطائع: هاتوا الحسين بن موسى، وابن معروف، وابن أم شيبان فقدموا، فأعاد الطائع بالتفويض، ثم ألبس الخلع والتاج، فأوما لقبيل الأرض فلم يطق. فقال الطائع: حسبك. وعقد له لواءين بيد ثم قال: يقرأ كتابه فقريء. فقال الطائع: خار الله لنا ولك وللمسلمين، أملك بما أمرك الله به، وأنهاك عما نهاك الله عنه وأبرأ إلى الله مما سوى ذلك. انهض على اسم الله. ثم أعطاه بيده سيفاً ثانياً غير سيف الخلعة، وخرج من باب الخاصة، وشق البلد.

(١) كان من العادة أن تضرب الدباب في أوقات الصلاة على باب الخليفة وقد أحب معز الدولة أن تضرب له الدباب أيضاً على بابه. وسأل المطيع ذلك، فلم يأذن له.

[١] وتَحَارَّزَتِ الشَّيْبَةُ وَالسُّنَّةُ مَدَّةً، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَى الطَّائِعِ لِلَّهِ فِي دَارِهِ فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ٣٨١ وَسَيِّبُهُ أَنْ شَيْخَ الشَّيْبَةِ ابْنَ الْمَعْلَمِ كَانَ مِنْ خَوَاصِّ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فَحُجِرَ، فَجَاءَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ، وَقَدْ جَلَسَ الطَّائِعُ فِي الرُّوَاقِ مَتَقَلِّدُ السَّيْفِ، فَقَبِلَ الْأَرْضَ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ، فَتَقَدَّمَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْوَانِهِ، فَجَذَبُوا الطَّائِعَ بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ، وَلَقَوْهُ فِي كِسَاءٍ وَأَضْعَدُوا فِي سَفِينَتِهِ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ.

وَأَشْهَدَ عَلَى الطَّائِعِ بِخَلْعِ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ سَلَّمَ الْخِلَافَةَ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ، وَشَهِدَ الْكِبْرَاءُ بِذَلِكَ، ثُمَّ طُلِبَ الْقَادِرُ، وَاسْتَحْثُوهُ عَلَى الْقُدُومِ، وَاسْتَبِيحَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ حَتَّى نُقِضَ خَشْبُهَا.

وَكَانَتْ دَوْلَتُهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَيَبْقَى بَعْدَ عَزْلِهِ أَعْوَامًا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةِ فَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَادِرُ وَكَبَّرَ خَمْسًا. وَعَاشَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦٣٧ - الْقَادِرُ بِاللَّهِ (١)

[٢] الْخَلِيفَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ. وَكَانَ أَبْيَضَ كَثَّ اللَّحْيَةِ يَخْضِبُ، دِينًا عَالِمًا مَتَعَبِّدًا وَقُورًا مِنْ جِلَّةِ الْخُلَفَاءِ وَأَمَثَلِهِمْ. عَدَّهُ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي الشَّافِعِيَّةِ.

[٣] قَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ مِنَ الدُّيُنِ، وَإِدَامَةِ التَّهْجِدِ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَى صِفَةٍ اشْتَهَرَتْ عَنْهُ. وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي الْأَصُولِ، ذَكَرَ فِيهِ فَضْلَ الصَّحَابَةِ، وَإِكْفَارَ مَنْ قَالَ: بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْكِتَابُ يُقْرَأُ فِي كُلِّ جَمْعَةٍ فِي خَلْقَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَيَحْضُرُهُ النَّاسُ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ وَهِيَ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. قُلْتُ: قَامَ بِخِلَافَتِهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ.

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمْدَانِيُّ، أَنَّ الْقَادِرَ كَانَ يَلْبَسُ زِيَّ الْعَامَةِ وَيَقْصِدُ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٢٧ - ١٣٨.

الأماكن المباركة.

[١] وعملت الرافضة عبدالغدير، فثارت السنة، وقروا، وخرقوا علم السلطان، وقتل جماعة، وصلب آخرون، فكفوا.

وفي سنة ٣٨٣ استفحل البلاء بالعبّارين ببغداد، ولم يحج أحد من العراق. [٢] وكان الرّفصُ علانيةً بدمشق في سنة أربع مئة. ولقد أخذ نائبها تمصّلت البربري رجلاً في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فطيف به على حمام: هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر، ثم قُتل.

وفي هذا الوقت انبثت دعاة الحاكم في الأطراف، فأمر القادر بعمل محضر يتضمن القذح في نسب العبيدية، وأنهم منسوبون إلى ذيصان بن سعيد الحرمي، فشهدوا جميعاً أن الناجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حكّم الله عليه بالبوار، وأن جدّهم لما صار إلى الغرب تسمى بالمهدي عبيد الله، وهو سلفه أرجاس خوارج أدعياء، وأن هذا الناجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية^(١) والمجوسية معتقدون، عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف، وأدعوا الربوبية.

واستتاب القادرُ فقهاء المعتزلة، فبسرّوا من الاعتزال والرّفص وأخذت خطوطهم بذلك.

وامتل ابن سُبُكْتِكِين أمر القادر، فبث السنة بممالكه، وتهدّد بقتل الرافضة والإسماعيلية والقرامطة، والمشبهة والجهمية والمعتزلة ولعنوا على المنابر.

[٣] وافتتح ابن سُبُكْتِكِين عدّة مدائن بالهند، وورد كتابه، ففيه: صدر العبد من غزنة في أول سنة عشر وأربع مئة، وانتدب لتنفيذ الأوامر فرتب في غزنة خمسة عشر ألف فارس، وأنهض ابنه في عشرين ألفاً وشحن بلخ وطخارستان باثني عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، وانتخب ثلاثين ألف فارس، وعشرة آلاف

(١) أصحاب الإثنين الأزليين... التور والظلمة. يزعمون بأنهما أزليان قديمان. انظر الملل والنحل: ٢٤٤/١.

راجل لصحبة راية الإسلام . وانضم إليه الْمُطَوَّعَةُ ، فافتتح قِلاعاً وخصوناً وأسلم زهاء عشرين ألفاً ، وأدوا نحو ألف ألف من الوردى ، وثلاثين فيلاً . وعدة الهلكى خمسون ألفاً . ووافى العبدُ مدينةً لهم عاينَ فيها نحو ألف قصر ، وألف بيتٍ للأصنام ، ومبلغ ما على الصنم ثمانية وتسعون ألف دينار ، وقلع أزيد من ألف صنم ، ولهم صنمٌ معظمٌ يؤرخون مدته بجهالتهم بثلاث مئة ألف سنة ، وحصلنا من الغنائم عشرين ألف ألف درهم ، وأفرد الخمس من الرقيق مبلغ ثلاثة وخمسين ألفاً ، واستغرضنا ثلاث مئة وستة وخمسين فيلاً .

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة ، مات القادر بالله وعاش سبعا وثمانين سنة سوى شهر وثمانية أيام ، وما عملتُ أحداً من خلفاء هذه الأمة بلغ هذا السن ، حتى ولا عثمان رضي الله عنه .

٦٣٨ - القائمُ بأمر الله (١)

[١] الخليفة أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله العباسي البغدادي .

وُلد سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة ، وأمه بدر الدجى الأرمينية .

وكان مليحاً وسيماً أبيض بحمرة ، قوي النفس ، ديناً ورعاً متصدقاً . له يدٌ في الكتابة والأدب ، وفيه عدلٌ وسماحةٌ .

[٢] ولم يزل أمره مستقيماً إلى أن قبض عليه في سنة خمسين وأربع مئة ، لأن إرسال التركي البساسيري ، عظم شأنه لعدم نظير له . وتهيئته أمراء العرب والعجم ، ودُعِيَ له على المنابر . وظلم وحرب القرى وانقهر معه القائم ، ثم تحدث بأنه يريد نهب دار الخلافة ، وعزل القائم . فكاتب القائم طغرلبيك ملك الغز يستنهضه ، وكان بالرقي ثم أحرقت دار البساسيري ، وهرب ، وقدم طغرلبيك في سنة ٤٤٧ وذهب البساسيري إلى الرحبة (٢) ومعه عسكر ، فكاتب المستنصر

(١) انظر السير: ١٥ / ١٣٨-١٤١ .

(٢) تقع على الفرات بين الرقة وبغداد .

فأمدته من مصر بالاموال، ومضى طغرلبيك سنة تسع إلى نصيبين ومعه أخوه ينال، فكاتب البساسيري ينال فافسده، وطمع بمنصب أخيه، فسار بجيش ضخم إلى الرمي، فسار أخوه في أثره، وتفرقت الكلمة. والتقى الإخوان بهمذان. وظهر ينال، واضطرب أمر بغداد، ووقع النهب، فوصل البساسيري في ذي القعدة إلى الأنبار. وتطلبت الجمعة، ثم دخل هو بغداد في الرايات المضربة، وضرب سرادقه على دجلة، ونصرته الشيعة وكان قد جمع العيارين والفلاحين، وأطمعهم في النهب. وعظم القحط، واقتتلوا في السمن. ثم في الجمعة المقبلة دعي لصاحب مصر بجامع المنصور، وأذنوا: بحيي على خير العمل. وخذق الخليفة حول داره، ثم نهض البساسيري في أهل الكرخ وغيرهم إلى حرب القائم، فاقتلوا يومين، وكثرت القتلى، وأحرقت الأسواق ودخلوا الدار فانتهبوها، وتذم القائم إلى الأمير قريش العقيلي. وكان ممن قام مع البساسيري - فأذمه، وقبل بين يديه. فخرج القائم راكباً، بين يديه الراية، والأتراك بين يديه، وأنزل في خيمة ثم قبض البساسيري على الوزير أبي القاسم علي بن المسلمة، والقاضي أبي عبدالله الدامغاني، وجماعة، فصلب الوزير فهلك.

[١] وكان القائم فيه خير واهتمام بالرعية، وقضاء للحوائج. وقيل: إنه لما بقي معتقلاً عند العرب كتب قصة، وبعث بها إلى بيت الله مستعدياً ممن ظلمه وهي: إلى الله العظيم من المسكين عبده: اللهم إنك العالم بالسرائر، المطلع على الضمائر. اللهم إنك غني بعلمك وإطلاعك علي عن إعلامي، هذا عبدك قد كفر بعمك وما شكرها، أطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغياً. اللهم قل الناصر واعتز الظالم، وأنت المطلع الحاكم، بك نعتز عليه، وإليك نهرب من يديه، فقد خاكناه إليك، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك، ورفعنا ظلامتنا إلى حرمك، ووثقنا في كشفها بكرمك، فاحكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين. وأما ما كان من طغرلبيك، فإنه ظفر بأخيه وقتله. ثم كاتب متولي عانة في أن يرده القائم إلى مقر عزه.

ثم جهز طغرل بك عسكرياً فأتلوا البساسيري فقتل وطيف برأسه فكانت الخطبة للمستنصر ببغداد سنة كاملة .
توفي القائم سنة سبع وستين وأربع مئة .

٦٣٩ - المهدي وذريته^(١)

[١] عبید الله أبو محمد، أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وبثوا الدعوة، يستغفون الجبلية والجهلة .
وآدعى هذا المدبر، أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق .
وقيل: كان أبوه يهودياً .

[٢] والمحققون على أنه دعي بحيث إن المزمع منهم لما سأل السيد ابن طباطبا عن نسبه، قال: غداً أخرجه لك، ثم أصبح وقد ألقى عرمة^(٢) من الذهب، ثم جذب نصف سيفه من غمده، فقال: هذا نسي، وأمرهم بنهب الذهب، وقال: هذا حسبي .

وقد صنف ابن الباقلاني وغيره من الأئمة في هتك مقالات العبيدية وطلاب نسيهم . فهذا نسبهم، وهذه نحلثهم . وقد سقت في حوادث تاريخنا من أحوال هؤلاء وأخبارهم في تفريق السنين عجائب .

فراى عبید الله أن ما يرومه من الملك، لا ينبغي أن يكون ظهوره بالعراق ولا بالشام، فبعث أولاً له داعيتين شيطانين ذاهيتين، وهما الأخوان أبو عبد الله الشيعي، وأخوه أبو العباس، فظهرا أحدهما باليمن والأخر بأفريقية، وأظهر كل منهما الزهد والتأله، وأدباً أولاد الناس، وشوقاً إلى الامام المهدي .

(١) انظر السير: ١٥ / ١٤١-١٥١ .

(٢) العرمة: بالتحريك: مجتمع رجل . . وقد استعمله هنا بمعنى كومة من الذهب .

[١] ولهم^(١) البلاغات السبعة: فالأول للعوام وهو الرّفص، ثم البلاغ الثاني للخواص، ثم البلاغ الثالث لمن تمكّن، ثم الرابع لمن استمرّ سنتين، ثم الخامس لمن ثبت في المذهب ثلاث سنين، ثم السادس لمن أقام أربعة أعوام، ثم الخطاب بالبلاغ السابع وهو الناموس الأعظم.

قال محمد بن إسحاق التّديم: قرأته^(٢) فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المَحظورات، والمَوْضِع من الشرائع وأصحابها، وكان في أيام معز الدولة ظاهراً شائعاً، والدّعاة منبثون في النواحي، ثم تناقص.

قلت: ثم استحكّم أمر أبي عبد الله بالمغرب، وتبعه خلق من البربر، ثم لجأ به أخوه، وعظّم جمعه، حتى حارب متولي المغرب وقهره، وجرت له أمور طويلة في أزيد من عشرة أعوام.

فلما سمع عبّيد الله بظهور داعيه، سار بولده في زِيّ تجارٍ والعيون عليهما، فدخلا المغرب، فظفّر بهما أمير المغرب فسجنهما، ولم يقرأ له بشيء، ثم التقى هو وأبو عبد الله الشّيعي، فانتصر أبو عبد الله، وتملك البلاد، وأخرج المهديّ من السجن، وقبّل يده وقال لقواده: هذا إمامنا فبايعه الملاء.

ووقع بعد بينه وبين داعيته لكونه ما أنصفهما، ولا جعل لهما كبير منصب، فشككا فيه خواصهما، وتفرقت كلمة الجنود، ووقع بينهم مصاف. فانتصر عبّيد الله، وذبح الأخوين. ودانت له الأمم وأنشأ مدينة المهديّة، ولم يتوجّه لحربه جيش لبعد الشّقة ولو هن شأن الخلافة بإمارة المُقتدِر. وجهز من المغرب ولذّه ليأخذ مصر فلم يتم له ذلك.

[٢] قال أبو الحسن الفّاسيّ، صاحب الملخص: إن الذين قتلهم عبّيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النّحر في العذاب من عالم وعابد ليردّهم عن التّرضي عن الصّحابة، فاختروا الموت.

(١) أي للفاطميين.

(٢) أي: البلاغ السابع.

وفي أيام المهديّ، عاثت الفَرَامِطَةُ بالبحرين، وأخذوا الحجيج وقتلوا وسبوا،
واستباحوا حرم الله، وقلّعوا الحجر الأسود. وكان عُبيدُ الله يُكاتبهم، ويحرّضهم،
قاتله الله.

وكان موته، سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة. وله اثنتان وستون سنة. وكانت
دولته خمسا وعشرين سنة وأشهرًا.

[١] نقل القاضي عياض في ترجمة أبي محمد الكستراتي، أنه سُئِلَ عَمَّنْ أكرهه
بنو عبيدٍ على الدُخُولِ في دعوتهم أو يُقتل؟ فقال: يختارُ القتل ولا يُعذر، وَيَجِبُ
الفرارُ، لأنَّ المُقامَ في مَوْضِعٍ يُطلب من أهله تعطيلُ الشرائعِ، لا يجوز.
قال القاضي عياض: أجمع العلماء بالقيروان، أن حال بني عُبيدٍ حالُ
المرتدين والزنادقة.

٦٤٠ - القَائِمُ (١)

[٢] صاحبُ المغرب، أبو القاسم محمدُ بنُ المهديّ عُبيدُ الله.
مولده سنة ثمانٍ وسبعين ومِئتين. ودخَلَ المغربَ مع أبيه، فبُوع هذا عند
موت أبيه في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.
وكان مهيباً شجاعاً، قليلَ الخير، فاسدَ العقيدة.

[٣] خرج عليه في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة أبو يزيد مَخْلَدُ بن كَيْدَادِ
الْبَزْرِيّ. وجرت بينهما ملاحمٌ، وحصره مَخْلَدُ بالمهدية، وضيق عليه، واستولى
على بلاده. ثم وسوس القائم، واختلط وزال عقله وكان شيطاناً مريداً يتزندق.
[٤] ذَكَرَ القاضي عبد الجبار المتكلم، أن القائم أظهر سبَّ الأنبياء وكان مناديه
يصيح: العنوا الغارَ وما حوى. وأبَادَ عِدَّةً من العلماء وكان يُرسل قَرَامِطَةَ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٥٦-١٥٢.

البحرين، ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف فتجمعت الإباضية^(١) والبربر على مخلد، وأقبل، وكان ناسكاً قصير الدلق،^(٢) يركب حماراً، لكنهم خوارج، وقام معه خلق من السنة والصلحاء، وكاد أن يتملك العالم، وركزت بنودهم عند جامع القيروان فيها: لا إله إلا الله، لا حُكْم إلا لله، وتندان أصفران فيهما: نصر من الله وفتح قريب. ويند لمخلد فيه: اللهم انصر وليك على من سب نبيك. وخطبهم أحمد بن أبي الوليد، فحضر على الجهاد، ثم ساروا، ونزلوا المهديّة. ولما التقوا وأيقن مخلد بالنصر، تحركت نفسه الخارجيّة، وقال لأصحابه: انكشفوا عن أهل القيروان، حتى ينال منهم عدوهم، ففعلوا ذلك، فاستشهد خمسة وثمانون نفساً من العلماء والزهاد.

وخارج المغرب إياضية منسوبون إلى عبدالله بن يحيى بن إياض الذي خرج في أيام مروان الحمار، وانتشر أتباعه بالمغرب. يقول: أفعالنا مخلوقة لنا. ويكفر بالكبائر، ويقول: ليس في القرآن خصوص، ومن خالفه حلّ دمه. وكان موت القائم، سنة أربع وثلاثين محصوراً بالمهديّة. لكن قام بعده ابنه المنصور.

[١] وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبید لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه.

[٢] وعوتب بعض العلماء في الخروج مع أبي يزيد الخارجي، فقال: وكيف لا أخرج وقد سمعت الكفر بأذني؟ حضرت عقداً فيه جمع من سنة ومشاركة، وفيهم أبو قضاة الداعي، فجاء رئيس، فقال كبير منهم: إلى هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسول الله يعني: أبا قضاة، فما نطق أحد.

ووجد بخط فقيه، قال: في رجب سنة ٣٣١ قام الموكب يقذف الصحابة،

(١) من أكبر فرق الخوارج، وهم أصحاب عبدالله بن يحيى بن إياض الملقب: بطالب الحق، من أهل اليمن، خلع طاعة مروان بن محمد ويبيع له بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة، قتل سنة ١٣٠هـ.

(٢) الدلق: ثوب متسع الأكمام طويها (صبح الأعشى) ٤/٤٢.

وَيَطْعُنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُلِّقَتْ رُؤُوسُ حَمِيرٍ وَكِبَاشٍ عَلَى الْحَوَانِيتِ، كُتِبَ عَلَيْهَا أَنَّهَا رُؤُوسُ صَحَابَةٍ.

[١] وَخَرَجَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَقِيهَ مَعَ أَبِي يَزِيدَ، وَقَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَأَوْلَئِكَ لَيْسُوا أَهْلَ قِبْلَةٍ. وَهُمْ بَنُو عَدُوِّ اللَّهِ، فَإِنْ ظَفَرْنَا بِهِمْ، لَمْ نَدْخُلْ تَحْتَ طَاعَةِ أَبِي يَزِيدَ، لِأَنَّهُ خَارِجِيٌّ.

[٢] قَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ الضَّرِيرُ: أَدْخَلَنِي اللَّهُ فِي شَفَاعَةِ أَسْوَدَ رَمَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ بِحَجَرٍ.

[٣] وَقَالَ السَّبَّائِي: أَيُّ وَاللَّهِ نَجْدٌ فِي قَتْلِ الْمُبَدَّلِ لِلدِّينِ.

[٤] وَتَسَارَعَ الْفُقَهَاءُ وَالْعِبَادُ فِي أَهْبَةِ كَامِلَةَ بِالطُّبُولِ وَالْبُنُودِ. وَخَطَبَهُمْ فِي الْجُمُعَةِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، وَحَرَّضَهُمْ. وَقَالَ: جَاهِدُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ رَبٌّ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَغَيْرِ أَحْكَامِ اللَّهِ، وَسَبَّ نَبِيَّهُ وَأَصْحَابَ نَبِيِّهِ. فَبَكَى النَّاسُ بِكَاءٍ شَدِيدًا. وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْقِرْمَطِيُّ الْكَافِرَ الْمَعْرُوفَ بَابِنِ عَبْدِ اللَّهِ، الْمُدَّعِي الرَّبُوبِيَّةَ، جَاوِدٌ لِنِعْمَتِكَ، كَافِرٌ بِرَبُّوبِيَّتِكَ. طَاعَنٌ عَلَى رُسُلِكَ، مَكْذُوبٌ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ سَافِكٌ لِلدَّمَاءِ. فَالْعَنَهُ لَعْنًا وَبِيْلًا، وَاخْرَزَهُ خِرْزِيًّا طَوِيلًا، وَاعْضَبْ عَلَيْهِ بَكْرَةً وَأَصِيلًا. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِهِمْ الْجُمُعَةَ.

[٥] وَرَكِبَ رِبِيعَ الْقَطَّانَ^(١) فَرَسَهُ مُلْبَسًا، وَفِي عُنُقِهِ الْمَصْحَفُ، وَحَوْلَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ يَتْلُو آيَاتِ جِهَادِ الْكُفْرَةِ. فَاسْتَشْهَدَ رِبِيعٌ فِي خَلْقٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْمَصَافِ فِي صَفَرٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ. وَكَانَ غَرَضُ هَوْلَاءِ الْمَجُوسِ بَنِي عُبَيْدٍ أَخْذَهُ حَيًّا لِيُعَذِّبُوهُ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ: اسْتَشْهَدَ مَعَهُ فَضْلَاءٌ، وَأَثَمَةٌ وَعَبَادٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَنِي عُبَيْدٍ:

الْمَاكِرُ الْغَادِرُ الْغَاوِي لِشِيعَتِهِ شَرُّ الزُّنَادِقِ مِنْ صَحْبِ وَبِئَاعِ
الْعَابِدِينَ إِذَا عَجَلًا يَخَاطِبُهُمْ بِسِحْرِ هَارُوتَ مِنْ كُفْرٍ وَإِبْدَاعِ
لَوْ قِيلَ لِلرُّومِ أَنْتُمْ مِثْلُهُمْ لَبَكُوا أَوْ لِلْيَهُودِ لَسَدُوا صَمَّخَ أَسْمَاعِ

(١) رِبِيعُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ عَطَاءِ الْقَطَّانِ، كَانَ لِسَانَ أَرْبُفِيَّةَ فِي وَقْتِهِ فِي الزُّهْدِ وَالرِّفَاقِ. وَكَانَ جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَشْبَعَ مِنْ طَعَامٍ وَلَا نَوْمٍ حَتَّى يَقْطَعَ اللَّهُ بَوْلَهُ بَنِي عُبَيْدٍ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك، ٣٣٢-٣٣٣/٣.

[١] أبو الظاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي، العبيدي الباطني.
 [٢] ولني بعد أبيه، وحارب رأس الإباضية أبا يزيد مخلد بن كيداد الزاهد، والتقى
 الجمعان مرات، وظهر مخلد على أكثر المغرب، ولم يبق لبني عبيد سوى
 المهديّة.

[٣] فنهض المنصور، وأخفى موت أبيه، وصابر الإباضية حتى ترحلوا عنه، ونازلوا
 مدينة سوسة، فبرز المنصور من المهديّة، والتقوا فانكسر جيش مخلد على
 كثرتهم، وأسير هو في سنة ٣٣٦، فمات بعد الأسر بأربعة أيام من الجراح،
 فسلخ وحشي قطناً، وصلب.

وبنوا مدينة المنصورية مكان الوقعة، فنزلها المنصور.
 وكان بطلاً شجاعاً، رابط الجأش، فصيحاً مفوهماً يرتجل الخطب وفيه إسلام
 في الجملة وعقل بخلاف أبيه الزنديق.

[٤] ومن محاسنه أنه ولي محمد بن أبي المنصور الأنصاري قضاء القيروان وكان
 من كبار أصحاب الحديث، قد لقي إسماعيل القاضي، والحارث بن أبي
 أسامة، فقال: بشرط أن لا أخذ رزقاً ولا أركب دابة، فولاه لتألف الرعية،
 فأحضر إليه يهودي قد سب،^(٢) فبطحه، وضره إلى أن مات تحت الضرب،
 تخاف أن يحكم بقتله فتحل عليه الدولة.

[٥] وأتى يوماً بيته فوجد سلاف دابة السلطان تشفع في امرأة نائحة فاسقة ليطلقها
 من حبسه، فقال: مالك؟ قالت: قضيب^(٣) محبوبة المنصور، تطلب منك أن
 تطلقها، فقال: يا متينة لولا شيء لضربتك لعنك الله، ولعن من أرسلك
 فولدت، وشقت ثيابها. ثم ذكرت أمرها للمنصور، فقال: ما أصنع به؟ ما أخذ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٥٦-١٥٩.

(٢) أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) جارية أخرى لسلطان: ليس عنده اعز منها.

مِنَّا صَلَةً، وَلَا تَقْبِرُ عَلَى عَزْلِهِ. نَحْنُ نَجِبُ إِصْلَاحَ الْبِلَدِ.
وَخَرَجَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ إِلَى مَكَانٍ يَنْتَرُهُ فَأَصَابَهُ بَرْدٌ
وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ، فَأَثَّرَ ذَلِكَ فِيهِ، وَمَرِضٌ، وَمَاتَ عَدَدٌ كَثِيرٌ مَعَهُ. ثُمَّ مَاتَ مِنْ
السَّنَةِ. وَهُوَ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

[١] وَقَدْ كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ جَهَّزَ جَيْشَهُ فِي الْبَحْرِ إِلَى صِقِلِّيَّةَ، فَهَزَمُوا النَّصَارَى،
وَكَانَتْ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَى، قُتِلَ فِيهَا مِنَ الْعَدُوِّ ثَلَاثُونَ أَلْفًا وَأَسْبَرَحَتْهُمْ الْوَفَى، وَغَنِمَ
الْجَنْدُ مَا لَا يَعْبرُ عَنْهُ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ افْتَتَحَ مَدِينَةَ جَنْوَةَ.

وَحَكَّمَ عَلَى مَمْلَكَةِ صِقِلِّيَّةَ. وَافْتَتَحَ لَهُ نَائِبُهُ عَلَيْهَا فَتُوحَاتٍ، وَانْتَصَرَ عَلَى
الْعَدُوِّ وَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَتَوَطَّدَ سُلْطَانُهُ.

وَكَانَ الْمَنْصُورُ مُحِبِّبًا إِلَى الرَّعِيَّةِ مَقْتَصِرًا عَلَى إِظْهَارِ التَّشْيِيعِ. وَقَامَ بَعْدَهُ الْمَعْرُ
وَلَدُهُ.

٦٤٢ - الْمَعْرُ^(١)

[٢] هُوَ الْمَعْرُ لِدِينِ اللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعْدُ بْنُ الْمَنْصُورِ الْعَبِيدِيِّ الْمَهْدَوِيِّ الْمَغْرِبِيِّ
الَّذِي بَنِيَتِ الْقَاهِرَةَ الْمَعْرِيَّةَ لَهُ.

وَلِيَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ، وَسَارَ فِي نَوَاحِي إِفْرِيْقِيَّةٍ يُمَهِّدُ مُلْكَهُ،
فَذَلَّلَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ، وَاسْتَعْمَلَ مَمَالِيكَهُ عَلَى الْمَدَنِ وَاسْتَعْدَمَ الْجُنْدَ، وَأَنْفَقَ
الْأَمْوَالَ، وَجَهَّزَ مَمْلُوكَهُ جَوْهَرَ الْقَائِدِ فِي الْجَيْوشِ.

[٣] قَالَ الْيَقْفُطِيُّ: عَزَمَ الْمَعْرُ عَلَى بَعْثِ جَيْشِهِ إِلَى مِصْرَ، فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ
ذَلِكَ لِتَحْجِ خُفْيَةَ فَاجَابَهَا، وَحَجَّتْ، فَأَحْسَنَ بِقُدُومِهَا الْأَسَازَ كَافُورٍ يَعْنِي:
صَاحِبَ مِصْرَ، فَحَضَرَ إِلَيْهَا وَخَدَمَهَا، وَحَمَلَ إِلَيْهَا تُحْفًا، وَبَعَثَ فِي خَدَمَتِهَا

(١) انظر السير: ١٥ / ١٥٩-١٦٧.

أجناداً، فلما رَجَعَتْ، مَنَعَتْ ابْنَهَا مِنْ قَصْدِ مِصْرَ، فلما ماتَ كَافِرُ بَعَثَ المَعْرُ جِيشَهُ، فأخَذُوا مِصْرَ.

وكانتَ مِصْرُ في الفَحْطِ، فأخَذَها جِوهرُ، وأخَذَ الشَّامَ والحِجَازَ ونَقَذَ يُعَرِّفُ مِولاهُ بِانْتِظامِ الأَمْرِ.

وضربتِ السُّكَّةُ على الدِّينارِ بِمِصْرَ (وهي: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدُ رِسولُ اللهُ، عَلِيُّ خَيْرُ الوَصِيِّينَ) والوَجْهَ الأَخرَ اسمِ المَعْرُ والتَّاريخَ وأَعلنَ الأَذانَ بِحَيِّ عَلِيٍّ خَيْرِ العَمَلِ، ونودي: من ماتَ عن بنتٍ وأخٍ أو أُختٍ فالَمالُ كُلُّهُ لِلبنتِ. فهذا رأْيُ هِولاءَ.

(١) فَتَهِياً المَعْرُ، وسارَ بِخِزائِنِهِ وتوايَبَتِ آباءُهُ. وكانَ دَخولُهُ إلى الإسْكَنَدِريَّةِ في سَبعِمانِ سَنَةٍ اثْنَتَيْنِ وَسَتِينِ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وتلقاهُ قاضيُ مِصْرَ الدُّهليُّ وأَعيانُها. فأكْرَمَهُمْ وطالَ حَدِيثُهُ مَعَهُمْ، وعَرَفَهُمْ أَن قَصَدَهُ الحَقُّ والجِهادُ، وأن يَخْتِمَ عُمَرَهُ بالأَعْمالِ الصَّالِحَةِ، وأن يُقِيمَ أوامِرَ جَدِّهِ رِسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَوَعظَ وَذَكَرَ حَتَّى أَعجَبَهُمْ، ويكِي بَعْضُهُمْ. ثم خَلَعَ عَلِيَهُمْ، وقالَ لِلقاضيِ أَبِي الظَّاهِرِ الدُّهليِّ: من رأيتَ مِنَ الخُلَفاءِ؟ فقالَ: واحِداً، قالَ: مَنْ هُوَ؟ قالَ: مِولانا، فأعجَبَهُ ذلكَ.

ثم إنَّهُ سارَ حَتَّى خِيَمَ بِالجِيزَةِ. فأخَذَ عَسْكَرُهُ في التَّعدِيَةِ إلى الفُسطاطِ، ثم دَخَلَ القَاهِرَةَ، وقد بُنِيَ لَه بِها قِصرُ الإِمارةِ، وَرُيُنَتَ مِصْرَ، فاستوى عَلِيٌّ سَريراً مُلكَهُ، وصَلَّى رَكَعَتَيْنِ.

وكانَ عاقِلاً لَيباً حازِماً ذا أدبٍ وَعِلْمٍ ومِعرفةٍ وَجِلالَةٍ وَكِرامٍ. يَرجِعُ في الجِملَةِ إلى عَدْلِ وإِنصافٍ، ولولا بَدْعَتُهُ وَرَفُضُهُ، لكانَ مِنَ خِيارِ المِملوكِ.

(٢) قلتُ: ظَهَرَ هَذا الوَقْتُ الرُّفُضُ، وأبدي صَفَحَتَهُ، وَسَمَّحَ بِأَنفِهِ في مِصْرَ والشَّامَ والحِجَازَ والغَربَ بِالدولةِ العُبيديَّةِ، وبالعِراقِ والجِزيرةِ والعَجمِ بِنبي بُوَيهِ، وكانَ الخَلِيفَةُ المِطِيعُ ضَعيفَ الدَّسِيبِ والرُّثِيَّةِ مَعَ بِنبي بُوَيهِ. ثم ضَعَفَ بَدَنَهُ، وأصابَهُ فالَجُ، وَخَرَسَ فَعزَلُوهُ، وأقاموا ابْنَهُ الطَّانِعَ اللهُ. ولَهُ السُّكَّةُ والخُطْبَةُ، وَقليلٌ

من الأمور، فكانت مملكة هذا المعز أعظم وأمكن.
وأعلن الأذان بالشام ومصر بحمي على خير العمل. فله الأمر كله.
قيل: ما عُرِفَ عن المعز غير التشييع، وكان يطيل الصلاة.
وثارت عليه الفرامطة، واستولوا على كثير من الشام، وساروا حتى أتوا مِصْرَ،
فحاربتهم جوهر، وجرت أمور مهولة.
وصلّى بالناس المعزُ يومئذ العيد صلاةً طويلةً بحيث أنه سبّح في السجود
نحو ثلاثين، ثم خطبهم فأبلغ وأحبته الرعية.
وصنع شمسيةً لتعمل على الكعبة ثمانية أشهر في مثلها من حرير أحمر.
وفيهما اثنا عشر هلالاً من ذهب، وفي الهلالِ تَرْنِجَةٌ (١) قد رُصِّعَتْ بجواهر
وياقوت وزمرد، لم يشاهد أحدٌ مثلها.
مات المعزُ سنة خمسٍ وستين وثلاث مئة بالقاهرة المعزية. وكان مولده
بالمهدية التي بناها جدُّهم. وعاش ستاً وأربعين سنة. وكانت دولته أربعاً
وعشرين سنة.
وقد جرى على دمشق وغيرها من عساكر المغاربة كلُّ قبّح من القتل
والنهب. وقتلوا مالا يفعله الفرنج. ولولا خوف الإطالة لسقت ما يبكي العين.

٦٤٣ - العزيز بالله (٢)

[١] صاحب مِصْرَ أبو منصور نِزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ الْعَبِيدِيِّ.
ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. قام بعد أبيه سنة خمسٍ وستين.
[٢] قال أبو منصور الثعالبي في «البيتمة»: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا الطَّيِّبِ يَحْكِي أَنَّ
الأمويَّ صاحب الأندلس كتب إليه نِزَارُ صَاحِبِ مِصْرَ كتاباً سبّه فيه وهجّاه،

(١) ثمرة كاللبون، ذهبية اللون، زكية الرائحة. ذات طعم حامض.

(٢) انظر السير: ١٧٣-١٦٧.

فكتب إليه الأموي: «وأما بعد: فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبتك» فاستد هذا على العزيز، وأفحمه عن الجواب، بشير أنك دعيت لا نعرف قبيلتك.

١١ قال أبو الفرج بن الجوزي: كان العزيز قد ولي عيسى بن نسطورس النصراني أقر مضر، واستتاب منشا اليهودي بالشام. فكتبت إليه امرأة: بالذي أعز اليهود والنصارى بمنشا وابن نسطورس، وأذل المسلمين بك، إلا ما نظرت في أمري. فقبض على الاثنين. وأخذ من عيسى ثلاث مئة ألف دينار.

[٢] قال ابن خلكان وغيره: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مضر، حتى إن العزيز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة، فوجد هناك رقعة فيها:

إذا سمعنا نسباً منكراً
 إن كنت فيما تدعي صادقاً
 وإن ترد تحقيق ما قلته
 أو لا دع الأنساب مستورة
 فإن أنساب بني هاشم
 وضعد مرة أخرى، قرأى ورقة فيها:

بالظلم والجور قد رزينا
 إن كنت أعطيت علم غيب
 ثم قال ابن خلكان: وذلك لأنهم ادعوا علم المعيات. ولهم في ذلك أخبار مشهورة.

وفتحت للعزيز حلب وحماة وحمص. وخطب أبو الدؤاد محمد بن المييب بالموصل له. ورقم اسمه على الأعلام والسكة سنة ٣٨٣، وخطب له أيضاً باليمن والشام ومدائن المغرب.

وكانت دولة هذا الرافضي أعظم بكثير من دولة أمير المؤمنين الطائع بن

المطيع العباسي.

وفي أيامه أظهر سب الصحابة جهاراً.

(١) وفي سنة ٣٦٦ خجّت جميلة بنت ناصب الدولة، صاحب الموصل فمما كان معها أربع مئة محمل. فكانت لا يُدرى في أيّ محمل هي. وأعتقت خمس مئة نفس. ونثرت على الكعبة عشرة آلاف مثقال. وسقت جميع الوفد سويق السكر والتلج. كذا قال الثعالبي، وخلعت وكست خمسين ألفاً ولقد خطبها السلطان عضد الدولة. فأبت فحبس لذلك، ثم تمكن منها فأفقرها وعذبها، ثم ألزمها أن تعقد في الحانة لتحصل من الفاحشة ما تؤذي، فمرت مع الاعوان، فقدفت نفسها في دجلة، فغرقت، عفا الله عنها.

وفي سنة ست وثمانين في رمضان مات العزيز ببليس في حمام من القونج، وعمره اثنتان وأربعون سنة وأشهر. وقام ابنه الحاكم الزنديق.

٦٤٤ - الحاكم (١)

صاحب مصر الحاكم بامر الله، أبو علي منصور بن العزيز نزار العبدي المصري الرافضي، بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية. مولده في سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

وأقامه في الملك بعد أبيه، وله إحدى عشرة سنة. فحكى هو قال: ضمني أبي وقبلي وهو عريان، وقال: امض فالعب. فانا في عافية. قال: ثم توفي، فأتاني برجوان، (٢) وأنا على جميزة في الدار فقال: انزل ونحك، الله الله فينا، فنزلت، فوضع العمامة بالجواهر على رأسي، وقبل الأرض ثم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وخرج بي إلى الناس، فقبلوا الأرض، وسلموا عليّ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٧٣-١٨٤.

(٢) هو أبو الفتح، برجوان، كان من خدام العزيز، ومدبري دولته، نافذ الأمر، مطاعاً، نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والمغرب وذلك في سنة ٣٨٨ وقتل بامر الحاكم سنة ٣٩٠.

[١] قلت: وكان شيطاناً مريداً جباراً عنيداً، كثير التلؤن، سفاكاً للدماء، حيث النحلة، عظيم المكر جواداً ممدحاً، له شأن عجيب ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها. أمر بسب الصحابة رضي الله عنهم، وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع. وأمر عماله بالسب، وبقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلاث مئة. وأبطل الفقاع^(١) والملوخيا، وحرّم السمك الذي لا قلوس عليه،^(٢) ووقع ببائع لشيء من ذلك فقتلهم.

[٢] وفي سنة اثنين وأربع مئة، حرّم بيع الرطب، وجمّع منه شيئاً عظيماً، فأخرقه، ومنع من بيع العنب، وأباد الكروم، وأمر النصارى بتعليق صليب في رقابهم زنته رطل وربع بالدمشقي. وألزم اليهود أن يعلقوا في أعناقهم قرمياً في زينة الصليب إشارة إلى رأس العجل الذي عبّدوه، وأن تكون عمائمهم سوداً، وأن يدخلوا الحمام بالصليب والقرمياً. ثم أقرّدهم حمامات. وأمر في العام بهدم كنيسة قمامة،^(٣) ويهدم كنائس مصر، فأسلمت عدّة، ثم إنه نهى عن تقبيل الأرض، وعن الدعاء له في الخطب وفي الكتب. وجعل يبدله السلام عليه.

[٣] وقيل: إن ابن باديس أمير المغرب بعث يتقم عليه أموراً، فأراد أن يستميله، فأظهر التفقه، وحمل في كفه الدفاتر، وطلب إلى عنده فقيهين، وأمرهما بتدريس فقه مالك في الجامع، ثم تغير فقتلتهما صبراً.

[٤] وأذن للنصارى الذين أكرههم في العودة إلى الكفر.

[٥] ومنع النساء من الخروج من البيوت، فأحسن، وأبطل عمل الخفاف لهنّ جملة، ومازلن ممنوعات من الخروج سبع سنين وسبعة أشهر.

[٦] ثم بعد مدة أمر بإنشاء ما هدم من الكنائس، ويتصر من أسلم.

[٧] وقد حبّب في الآخر إلى الحاكم العزلة، وبقي يركب وحده في الأسواق على

(١) شراب يتخذ من الشعير.

(٢) الفليس: القشرة على ظهر السمكة.

(٣) في بيت المقدس.

حمار، ويقيم الحِسْبَةَ بنفسه، وبين يديه عبدٌ ضخمٌ فاجرٌ فمن وَجِبَ عليه نَادِيْبٌ، أمر العَبْدَ أن يولجَ فيه، والمفعول به يصيح .
وقيل: إنّه أراد ادّعاءَ الإلهية، وشَرَعَ في ذلك، فكَلَّمه الكبراءَ وخوَّفوه من وثوبِ النَّاسِ، فتوقَّف .

وفي الأربع مئة وبعدها كانت الأندلسُ تَغلي بالحروبِ والقتالِ على المُلْك .
[١] وأنشأ داراً كبيرةً مملأها قيوداً وأغلالاً، وجعلَ لها سبعةَ أبوابٍ وسَمَّاهُ جهنمَ، فكان من سَخِطَ عليه، أسكنه فيها .

ولما أمرَ بحريقِ مصر، واستباحها، بعثَ خادمهَ ليشاهدَ الحالَ فلما رَجَعَ، قال: كيف رأيت؟ قال: لو استباحها طاغيةُ الرُّومِ ما زاد على ما رأيتُ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

وفي سنة ثلاث وأربع مئة، أُخِذَ الوفدُ العراقيُّ، وغُورَتِ المياهُ وهَلَكَ بِضَعَةٌ عَشْرَ ألفِ مسلمٍ . ثم أُخِذَ من العربِ ببعضِ الثَّارِ . وقَبِلَ عِدَّةٌ .
وبعثَ المَلِكُ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِينِ كتاباً إلى الخليفةِ بأنّه وَرَدَ إليه من الحاكمِ كتابٌ يدعوه فيه إلى بيعته . وقد خَرَّقَ الكتابَ، وبصَقَ عليه .

[٢] وفي سنة خمس ظَفِرَ الحاكمُ بِنساءِ علي فسادٍ، ففَرَّقَهُنَّ، وكانت الفَاسِلَةُ لا تخرُجُ إلى امرأةٍ إلا معَ عَدْلينِ . ومَرَّ القاضي مالِكُ بنُ سعيدِ الفَاريُّ، فنادته صبيةٌ من رَوَّزَنَةِ: أقسمتُ عليك بالحاكمِ أن تَقِفَ فَوْقَ فَبِكَّتْ، وقالت: لي أخٌ يموتُ، فباللهِ إلا ما حَمَلْتَنِي إليه لأراه، فَرَقَّ وبعثَ معها عَدْلينِ، فأتت بيتاً، فدخَلتُ، والبيتُ لعائشِها، فجاء الزَّوجُ، فسأل الجيرانَ، فحدثوه، فجاء إلى القاضي، وصاحَ، وقال: لا أخَ لها، وما أفارقُك حتى تردَّها إليَّ، فحارَ القاضي وطلعَ بالرجلِ إلى الحاكمِ، ونادى العَفْوُ فأمره أن يَرَكِبَ معَ الشَّاهِدَينِ فوجدوا المرأةَ والشَّابَّ في إزارِ واحدٍ على حُمار، فحَمِلَا على هَيْتِهِمَا فسألها الحاكمُ فأحالتُ على الشَّابِّ، وقال: بل هجمتُ عليَّ، وزعمتُ أنّها بلا زوجٍ، فلُقَّتْ في باريَّةٍ، وأحْرِقَتْ، وضُرِبَ الشَّابُّ ألفَ سَوطٍ .

وولي دمشق للحاكم عدّة أمراء ما كان يدع النائب يستقر حتى يعزله .

[١] وذكرنا في ترجمته، (١) أنه خرج من القصر فطاف ليلته، ثم أصبح فتوجه إلى شرقي حلوان معه ركابيان . فردّ أحدهما مع تسعة من القرب ثم أمر الآخر بالانصراف . فرغم أنه فارقه عند المقصية . فكان آخر العهد به . وخرج الناس على رسمهم يلتمسون رجوعه، معهم الجنائب ففعلوا ذلك جمعة . ثم خرج في ثاني ذي القعدة مظفر صاحب المظلة ونسيم وعدة . فبلغوا دير القصور، وأمعنوا في الدخول في الجبل فبصروا بحماره الأشهب المسمى بقمر، وقد ضربت يدها، فأثر فيهما الضرب وعليه سرجه ولجامه، فتبعوا أثر الحمار فإذا أثر راجل خلفه وراجل قدامه، فقصوا الأثر إلى بركة شرقي حلوان، فنزل رجل إليها فيجد فيها ثيابه وهي سبع جباب، فوجدت مزررة، وفيها آثار السكاكين فما شكوا في قتله . (٢)

وتم اليوم طائفة من طعام الإسماعيلية الذين يحلفون بغية الحاكم، ما يعتقدون إلا أنه باق، وأنه سيظهر . نعوذ بالله من الجهل .
وقد قتل الحاكم جماعة من الأمراء بلا ذنب، وذبح قاضيين له .
وسيرة الحاكم، وعسفه تحتل كراريس .

(١) يشير الذهبي هنا إلى كتابه «تاريخ الإسلام» .

(٢) هوفيات الأعيان : ٢٩٨-٢٨٧ / ٥ .

وقد نقل المقرئ عن المسيحي رواية أخرى لمقتله . قال «وفي المحرم سنة خمس عشرة وأربع مئة قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من القوطة التي كانت عليه، فقيل له : «لم قتلته؟» قال : «غيرة لله وللإسلام» فقيل له : «كيف قتلته؟» فأخرج مكيناً ضرب بها فؤاده، فقتل نفسه، وقال «هكذا قتلته» فقطع رأسه، وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وجد معه . هذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم، لا ما تحكيه المشاركة في كتبهم من أن أخته قتله، انظر «اتعاظ الحنفية» : ٣١٤ .

٦٤٥ - الظاهر^(١)

صاحب مِصْرَ الظَّاهِرُ لإعزاز دين الله، أبو الحسن، عليُّ بنُ الحاكمِ منصور ابن العزيز نزار بن المُعَزَّ، العُبَيْدِيُّ المِصْرِيُّ. ولا اسْتَحِلُّ أَنْ أقول العَلَوِيُّ الفاطِمِيُّ، لِمَا وَقَرَّ في نفسي من أَنه دَعِيٌّ.

بُويع وهو صبيٌّ لَمَّا قُتِلَ أبوه سنةَ إحدى عشرة وأربع مئة. وكانتْ دولته على مِصْرَ والشَّامِ والمَغْرِبِ. ولكنَّ طَمِعَ في أطراف بلادهِ طوائِفٌ، فَتَغَلَّبَ حَسَّانُ بنُ مفرجِ الطَّائِي صاحبُ الرَّمْلةِ على كثيرٍ من الشَّامِ، وضعفت الإمارة العُبَيْدِيَّةُ قليلاً.

ومات الظَّاهر في سنةٍ سبعٍ وعشرين وأربع مئة. ولم يبلغني كبيرُ شيءٍ من أخبارِهِ. وقام بعده ابنه المُسْتَنْصِرُ. وقيل: كان غارقاً في اللهو والمُسْكر والسَّراري.

٦٤٦ - المُسْتَنْصِرُ بالله^(٢)

[١] صاحبُ مِصْرَ المُسْتَنْصِرُ بالله، أبو تميم مَعَدُّ بنُ الظَّاهر، وَلِيَّ الأمرِ بعد أبيه، وله سبعُ سنين، فامتدَّتْ أيامه ستين سنةً وأربعة أشهر.

وفي وسط دولته حُطِبَ له بإمرة المؤمنين على منابر العراقِ في سنةٍ إحدى وخمسين وأربع مئة. والتجأ القاتمُ بأمر الله الخليفةَ إلى أميرِ العَرَبِ فأجاره، ثُمَّ بعد عامٍ عادَ إلى خِلافَتِهِ.

[٢] وفي سنة أربعين غزت العُرُ مع إبراهيمَ يَنال السَّلْجُوقِيَّ وقيل: ما كان معهم، فغزوا إلى قَريب القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وغنموا وسبوا أزيدَ من مئة ألف، وقيل: جُرتْ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٨٤-١٨٦.

(٢) انظر السير: ١٥ / ١٨٦-١٩٦.

المكاسب على عشرة آلاف عَجَلَة وكان فتحاً عظيماً.

وكان الرُّفْض أيضاً قوياً بالعراق.

[١] وفي سنة ٤٨ كان بالأندلس الفَحْطُ ما سَمِعَ بمثله، ويُسمونه الجوع الكبير. وكان بمصر الفَحْطُ والفَنَاءُ.

[٢] وكان غلاءً مُفْرِطاً ببغداد وفنَاءً، وأما بما وراء النهر فتجاوز الوصف. وفي سنة إحدى وستين كانت حريقُ جامع دمشق، ودُنِرَتْ محاسنُه واحترقت الحُضْرَاءُ معه - وكانت دارُ الملك - من حربٍ وقعَ بين عسكرِ العراق، وعسكر مصر.

وفي سنة الثنتين وستين، قُطِعَتْ من مَكَّة الدعوةُ المستنصريةُ وخُطِبَ للقائم بأمر الله، وَتُرِكَ الأَذَانُ بحِي على خير العَمَلِ. وذلك لذلَّةِ المِصْرِيِّين بالفَحْطِ الأكبر وفنائهم. وأكَلُ بعضهم بعضاً. وتمزَّقوا في البلاد من الجوع، وتمَحَقَّتْ خزائنُ المُسْتَنصِرِ، وافتقر، وتعثر.

[٣] وفي هذه النبوة نقل صاحبُ «المرآة»، أن امرأة خَرَجَتْ وبِيدِها مُدٌّ لؤلؤٌ لِنَشْرِي بِهِ مُدٌّ قَمَحٍ، فلم يلتفت إليها أحدٌ، فرمته فما كان له مَنْ يَلْقُظُهُ. فكاد الخرابُ أن يستولي على سائر الأقاليم، حتى أُبيع الكَلْبُ بستةِ دنانيرٍ والقط بثلاثةِ دنانير، حتى أُبيع الإردب بمئةِ دينار.

[٤] قال ابن الأثير: اشتدَّ الغلاءُ حتى حُكِيَ أن امرأةً أَكَلَتْ رَغِيماً بألفِ دينارٍ، باعت عروصاً تساوي ألفَ دينارٍ بثلاثِ مئةِ دينارٍ، فاشترت بها جُوالِقَ^(١) قَمَحٍ، فأنتهبَه الناسُ، فنهبت هي منه فَحَصَلَ لها ما حُبِرَ رَغِيماً.

[٥] وفي دولة المستنصر وقع الفَحْطُ المذكور لاحتراق النَّبْلِ الذي ما عهد مثله بمصر من زمن يوسف عليه السلام. ودام سنواتٍ بحيث أن والدةَ المُسْتَنصِرِ وبناته سافرن من مصر خوفاً من الجوع. وآل أمرُه إلى عدمِ كُلِّ الدوابِّ ببلاد

(١) وعاء من صوف أو غيره، جمعه: جوالق - بفتح الجيم. وهو عند العامة (شوال).

مصر. بحيث بقي له فرس يركبها. واحتاج إلى دابة يركبها حاملاً الجتر^(١) يوم العيد وراه، فما وجدوا سوى بغلة ابن هبة كاتب السر فوقفوا على باب القصر، فازدحم عليها الحراشفة^(٢) وذبحوها وأكلوها في الحال، فأخذهم الأعوان وشنفوا، فأصبحت عظامهم على الجذوع قد أكلوا تحت الليل.

مات المستنصر سنة سبع وثمانين وأربع مئة، وقد قارب السبعين وكان سب الصحابة فاشياً في أيامه، والسنة غريبة مكتومة، حتى إنهم منعوا الحافظ أبا إسحاق الحبال من رواية الحديث، وهددوه فامتنع، ثم قام بعد المستنصر ابنه أحمد.

٦٤٧ - المُستعلي بالله^(٣)

[١] صاحب مضر أبو القاسم أحمد بن المُستنصر العبيدي المصري. وفي أيامه وهت الدولة العبيدية، واختلت قواعدها، وانقطت الدعوة لهم من أكثر مدائن الشام، واستولى عليها الفرنج وغيرهم من الغز. [٢] فأخذت الفرنج أنطاكية من المسلمين في سنة إحدى وتسعين، وكان لها في يد المسلمين نحو عشرين سنة، وأخذوا بيت المقدس، واستباحوه وأخذوا أيضاً المعرة في سنة اثنتين وتسعين، ثم استولوا على مدائن وقلاع. [٢] وفي دولته كثرت الباطنية الملاحدة الذين هم الإسماعيلية. وأخذوا القفول،^(٤) وتملكوا قلعة أصفهان، وفتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء وشرعوا في شغل السكين، وجرت لهم خطوب وعجائب. وفي سنة خمس وتسعين وأربع مئة مات المُستعلي وأقاموا ولده الأمر بأحكام

(١) الجتر، بكسر الجيم. المظلة.

(٢) كالشطار والعيارين في بغداد.

(٣) انظر السير: ١٥ / ١٩٧-١٩٧.

(٤) جمع فافلة.

الله منصوراً. وله خمسُ سنين، وأزِمَّةُ الملكِ إلى الأفضل أميرَ الجيوش. ويُقال: إنه سُمِّ وقُتِلَ سِراً.

٦٤٨ - الأَمْرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ (١)

[١] صاحِبُ مِصْرَ أبو علي منصورُ بنُ المُستعلي، العبيدِيُّ الرَّافِضِيُّ الظُّلُمُ. كانَ متظاهراً بالمُكرِ واللُّهو والجبروت. ولِيٌّ وهو صغير، فلما كَبُرَ قَتَلَ الأفضَلَ أميرَ الجيوش، واصطفَى أمواله، وكانت نفوسُ الإخضاء، ويضْرَبُ بها المثلُ، فاستوزر بعده المأمونَ محمدَ بنَ مختارِ البَطائِحِي، فَعَسَفَ الرَّعِيَّةَ، وتمردَ، فاستأصلَه الأَمْرُ بعدَ أربعِ سنين، ثم صلبَه، وقتلَ معه خمسةً من إخوته.

[٢] وفي دولته أخذت الفِرْنَجُ طرَائِلَسَ الشَّامِ وصِيدَا، ثم قصد الملك بردويل الفِرْنَجِي ديارَ مصر، وأخذ الفَرَمَا وهي قرية من العريش، فأحرقَ جامعَها، ومساجِدَها، وقتل وأسر، ثم رجع فهلك في سَبْحَةِ بردويل فشَقُّوه ورموا حُشوته وصَبَّروه، فحشوته تُرْجَمُ هناك إلى اليوم، ودفنوه بِقُمَامَةِ. وكان قد أخذ القدسَ وعكَّا والحصون.

وفي أيامه ظهر ابنُ تُوْمَرْتٍ بالمغرب وكثرت أتباعه، وعسكروا وقتلوا، وملكوا البلاد.

[٣] وبقي الأَمْرُ في المُلْكِ تسعاً وعشرينَ سنةً وتسعةَ أشهرٍ إلى أن خَرَجَ يوماً إلى ظَاهِرِ القَاهِرَةِ، وعدَّى على الجسرِ إلى الحِيزَةِ، فمَكَّنَ له رجالٌ في السِّلَاحِ، ثم نزلوا عليه بأسْيَافهم، وكان في طائفةٍ ليست بكثيرة، فَرُدُّوا إلى القصرِ مشحناً بالجراح. وهَلَكَ من غيرِ عَقِبِ.

وكان العاشِرُ من الخُلَفَاءِ الباطِنِيَّةِ فبايعوا ابنَ عمِّ له، وهو الحافظُ لدينِ الله.

(١) انظر السير: ١٥ / ١٩٧-١٩٩.

وكان حسنَ الحظ، جيّدَ العقل والمعرفة، لكنّه خبيثُ المعتقد سفاكاً للذماء،
متمرداً جبّاراً فاحشاً فاسقاً، صادر الخلق. عاش خمساً وثلاثين سنة.
وانقَلَع سنة أربع وعشرين وخمسة مئة.

٦٤٩ - الحافظُ لدينِ الله^(١)

[١] صاحبُ مِصْرَ أبو الميمونِ عبدالمجيد بنُ الأميرِ محمد بنِ المُستنصر بالله
معدّ، العبيديّ الإسماعيليّ المِصريّ.
بايعوه يومَ مِصْرَعِ ابنِ عمّه الأميرِ ليدبّرَ المملكةَ إلى أن يُولّدَ حَمَلٌ للامير إن
وُلد.

[٢] وغلَبَ على الأمورِ أميرُ الجيوش أبو عليّ بنُ الأفضَلِ بنِ بدر الجمالي
فاخرجتِ الأمراءُ أبا عليّ، وقدموه عليهم، فأتى إلى القصر، وأمرَ ونهَى، وبقي
الحافظُ معه مُنقهرًا، فقام أبو عليّ بالملكِ أنتم قيامَ وعدلَ في الرعيّة، وردّ أموالاً
كثيرةً على المصادرين، ووقف عند مذهب الشيعة، وتمسك بالاثني عشر، وترك
ما تقوله الإسماعيلية، وأعرضَ عن الحافظِ وآل بيته، ودعا على منابرِ مصر
للمُنْتَظَرِ صاحبِ السردابِ على رُغمهم، وكتب اسمه على السُكّة، واستمرَّ على
ذلك، وقلّقتِ الدّولةُ إلى أن شدَّ عليه فارسٌ من الخاصّة، فقتله بظاهرِ القاهرّة
في المحرمِ سنة ستٍ وعشرين وخمسة مئة، وذلك بتدبيرِ الحافظِ، فبادرتِ
الأمراءُ إلى خدمةِ الحافظِ، وأخرجوه من الضيقِ والاعتقالِ، وجدّدوا بيعته واستقلّ
بالملكِ.

وعندما ماتَ الأميرُ قبله، قال الجهال: هذا بيتٌ لا يموتُ إمامٌ منهم حتى
يخلفَ ابنًا ينصُّ على إمامته، فخلفَ الأمرُ حَمَلًا فكان بنتاً.
وكان الحافظُ كلما أقامَ وزيراً تمكّن، وحكّم عليه، فيتألّم ويتحيّل عليه،

(١) انظر السير: ١٥ / ١٩٩-٢٠٢.

وَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ. وَيَقِي الْحَافِظُ بِلَا وَزِيرٍ عَشْرَ سِنِينَ.
ومات سنة أربع وأربعين وخمسة مئة، فكانت دولته عشرين سنة سوى خمسة أشهر. وعاش سبعاً وسبعين سنة. فما بَلَغَ أَحَدُ هَذَا السَّنِّ مِنَ الْعُبَيْدِيَّةِ، وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ الظَّافِرُ.

٦٥٠ - الظَّافِرُ بِاللَّهِ (١)

[١] صَاحِبُ مِصْرَ الظَّافِرُ بِاللَّهِ أَبُو مَنْصُورِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْحَافِظِ لِلدِّينِ اللَّهِ.
وَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَ أَبِيهِ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ. وَكَانَ شَابًا جَمِيلًا وَسِيمًا لَعَابًا عَاكِفًا عَلَى
الْأَغَانِي وَالسَّرَارِي.

استوزر الأفضل سليم بن مصال فساس الإقليم.
وانقطعت دَعْوَتُهُ، ودَعْوَةُ أَبِيهِ مِنْ سَائِرِ الشَّامِ وَالْمَغْرِبِ وَالْحَرَمَيْنِ وَبَقِيَ لَهُمْ
إِقْلِيمُ مِصْرَ.
ثم خرج على ابن مصال العادل ابن السلار، وحرابه، وظفر به واستأصله
واستبدَّ بالأمر.

[٢] وَقَدِيمٌ مِنْ إِفْرِيْقِيَّةِ عَبَّاسُ بْنُ أَبِي الْفَتْوحِ بْنِ الْمَلِكِ يَحْيَى بْنِ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ
ابن باديس مع أمه صبيًا. فتزوج العادل بها قبل الوزارَةَ فَتَزَوَّجَ عَبَّاسٌ، وَوُلِدَ لَهُ
نَصْرٌ، فَأَحَبَّهُ الْعَادِلُ، ثُمَّ جَهَّزَ أَبَاهُ لِلْغَزْوِ فَلَمَّا نَزَلَ بِبَلْبَيسَ، ذَاكَرَهُ ابْنُ مُنْقِذٍ، (٢)
فَاتَّفَقَا عَلَى قَتْلِ الْعَادِلِ، وَأَنْ يَأْخُذَ عَبَّاسٌ مَنْصِبَهُ. فَذَبَحَ نَصْرٌ الْعَادِلَ عَلَى فَرَّاشِهِ
فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ ٥٤٨، وَتَمَلَّكَ عَبَّاسٌ وَتَمَكَّنَ.

[٣] وَكَانَ ابْنُهُ نَصْرٌ مِنَ الْمِلَاحِ. فَمَالَ إِلَيْهِ الظَّافِرُ وَأَحَبَّهُ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَأَبُوهُ عَبَّاسٌ

(١) انظر السير. ١٥ / ٢٠٢-٢٠٥.

(٢) أسامة بن منقذ الكنايني - أمير، من أكارم بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (قرب حماة) ومن العلماء الشجعان،
له تصانيف في الأدب والتاريخ. ومن أمتع كتبه «الاعتبار» نحا فيه منحى السيرة الذاتية. توفي سنة ٥٨٤هـ
بدمشق.

على الفتك بالطَّافِر. (١) فدَعَاهُ نَصْرٌ إِلَى دَارِهِمْ لِيَأْتِي مُتَخَفِيًا، فَجَاءَ إِلَى الدَّارِ
التي هي اليوم المدرسة السُّيُوفِيَّة. فَشَدَّ نَصْرٌ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَطَمَرَهُ فِي الدَّارِ. وَذَلِكَ
فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ. وَعَاشَ الطَّافِرُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً.
ثُمَّ رَكِبَ عَبَّاسٌ مِنَ العَدُوِّ وَأَتَى القَصْرَ. وَقَالَ: أَيْنَ مَوْلَانَا؟ فَطَلَبُوهُ فَفَقَدُوهُ.
وَخَرَجَ جَبْرِيلُ وَيُوسُفُ أَخُو الطَّافِرِ، فَقَالَ: أَيْنَ مَوْلَانَا؟ قَالَا: سَلْ ابْنَكَ،
فَغَضِبَ. وَقَالَ: أَنْتُمَا قَتَلْتُمَاهُ، وَضَرَبَ رِقَابَهُمَا فِي الحَالِ.

٦٥١ - الفَائِزُ بِاللَّهِ (٢)

[١] صَاحِبُ مِصْرَ أَبُو القَاسِمِ عِيسَى بْنُ الطَّافِرِ إِسْمَاعِيلَ العَبِيدِيُّ.
[٢] لَمَّا اغْتَالَ عَبَّاسُ الوَازِرُ الطَّافِرَ، أَظْهَرَ القَلْبَ، وَلَمْ يَكُنْ عَليمَ أَهْلِ القَصْرِ
بِمَقْتَلِهِ. فَطَلَبُوهُ فِي دُورِ الحَرَمِ فَمَا وَجَدُوهُ. وَفَتَّشُوا عَلَيْهِ وَأَيَسُوا مِنْهُ. وَقَالَ عَبَّاسٌ
لِأَخُوهِ: أَنْتُمَا الذِّينَ قَتَلْتُمَا خَلِيفَتَنَا فَاصْبِرَا عَلَى الإِنكَارِ، فَقَتَلَهُمَا نَفِيًّا لِلتُّهْمَةِ عَنْهُ.
وَاسْتَدْعَى فِي الحَالِ عِيسَى هَذَا، وَهُوَ طِفْلٌ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ، وَقِيلَ: بَلِ سِتَانِ
فَحَمَلَهُ عَلَى كَيْفِيهِ، وَوَقَفَ بِأَكْبَا كَثِيْبًا وَأَمَرَ بِأَنْ تَدْخُلَ الأَمْرَاءُ، فَدَخَلُوا فَقَالَ:
هَذَا وَذُو مَوْلَاكُمْ، وَقَدْ قَتَلَ عَمَاهُ مَوْلَاكُمْ، فَقَتَلْتُمَا بِهِ كَمَا تَرَوْنَ وَالوَاجِبُ إِخْلَاصُ
النِّيَّةِ وَالطَّاعَةِ لِهَذَا الوَلَدِ. فَقَالُوا كُلُّهُمْ: سَمِعْنَا وَطَاعَةٌ، وَضَجُّوا ضَجَّةً قَوِيَّةً بِذَلِكَ.
فَفَزَعُ الطِّفْلُ، وَبَالَ عَلَى كَيْفِ المَلِكِ عَبَّاسٍ. وَلَقَّبُوهُ الفَائِزَ، وَبَعَثُوهُ إِلَى أُمِّهِ،
وَاحْتَلَّ عَقْلَهُ مِنْ حَيْثُ ذُو وَصَارَ يَتَحَرَّكُ وَيُصْرَعُ، وَدَانَتْ المَمَالِكُ لِعَبَّاسٍ.

وَأَمَّا أَهْلُ القَصْرِ، فَاطَّلَعُوا عَلَى بَاطِنِ القَضِيَّةِ، وَأَقَامُوا المَاتَمَ عَلَى الثَّلَاثَةِ،
وَتَحِيَّلُوا، وَكَاتَبُوا طَلَّاحَ بْنَ رُزَيْكٍ الأَرْمَنِيَّ الرَّافِضِيَّ (٣) وَاليَّ الحُنَيْئِيَّ (٤) وَكَانَ ذَا

(١) يذکر أسامة بن منقذ أن الطافر حمل نصرا على قتل أبيه، فاطلع والده على الأمر فلاطفه واستماله وفرر
معه قتل الطافر، انظر الاختيار: ١٩-٢٠.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) لقب بالملك الصالح. كان شجاعا حازما مدبرا، اجتمع من الشيعة الإمامية في العراق، مات غيلة سنة ٥٥٦ هـ.

(٤) منية بن الحسين، من أعمال صعيد مصر.

شَهَامَةَ وَإِقْدَامٍ . فَسَأَلُوهُ الْغَوْثَ ، وَقَطَعُوا شَعُورَ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ ، وَسَبَّوْهَا فِي طَيِّ
الْكِتَابِ وَسَخَّمُوهُ ، فَلَمَّا نَأَمَلَهُ أَطْلَعَ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْجُنْدِ عَلَيْهِ ، وَنَكَوْا . وَبَسَّ
الْجِدَادَ ، وَاسْتَمَالَ عَرَبَ الصَّعِيدِ ، وَجَمَعَ وَحَشَّدَ ، وَكَاتَبَ أُمَّرَاءَ الْقَاهِرَةِ ، وَهَيَّجَهُمْ
عَلَى طَلَبِ الثَّأْرِ فَأَجَابُوهُ . فَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَبَادَرَ إِلَى رِكَابِهِ جَمْعَهُوَ الْجَيْشِ ،
وَبَقِيَ عَبَّاسٌ فِي عَسْكَرٍ قَلِيلٍ . فَخَارَتْ قُوَاهُ وَهَرَبَ هُوَ وَابْنُهُ نَصْرٌ وَمَمَالِكِيهِ وَالْأَمِيرُ
ابْنُ مَنقَدٍ .

ثُمَّ قَضَى عَبَّاسُ الشَّامَ عَلَى نَاحِيَةِ أَيْلَةَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، فَمَا كَانَتْ أَيَّامُهُ تَبْعُدُ
قَتْلَ الظَّافِرِ إِلَّا بَسِيرَةً ، وَاسْتَوْلَى الصَّالِحُ طَلَانُحُ بْنُ رَزَيْكَ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ بِلَا
ضَرَبَةٍ وَلَا طَعْنَةٍ ، فَتَزَلَّ إِلَى دَارِ عَبَّاسٍ ، وَطَلَبَ الْخَادِمَ الصَّغِيرَ الَّذِي كَانَ مَعَ
الظَّافِرِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ أَسْتَاذَهُ ، فَأَعْلَمَهُ فَقَلَعَ بِلَاطَهُ ، وَأَخْرَجَ
الظَّافِرَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقَتْلَى . وَحَمَلُوا وَنَاحُوا عَلَيْهِمْ . وَتَكْفَلُ طَلَانُحُ بِالْفَائِزِ ، وَدَبَّرَ
الدَّوْلَةَ .

وَجَهَّزَتْ أَحْتُ الظَّافِرِ رَسُولًا إِلَى الْفِرَنْجِ بِعَسْقَلَانَ ، وَتَذَلَّتْ لَهُمْ مَالًا عَظِيمًا إِنْ
أَسْرَوْا لَهَا عَبَّاسًا وَابْنَهُ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ ، فَالْتَقَاهُمْ ، فَقَتَلَ فِي الْوَقْعَةِ ، وَأَخَذَتْ
خَزَائِنَهُ ، وَأَسْرَوْا ابْنَهُ نَصْرًا ، وَبَعَثُوهُ إِلَيْهَا فِي قَفْصِ حَدِيدٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ ، قَبِضَ
رَسُولُهُمُ الْمَالَ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِينَ ، فَقَطَّعَتْ يَدُ نَصْرٍ ، وَضُرِبَ
بِالْمِقَارِعِ كَثِيرًا ، وَقُصَّ لِحْمُهُ ثُمَّ صُلِبَ فَمَاتَ ، فَبَقِيَ مَعْلَقًا شَهْرًا ، ثُمَّ أَحْرِقَ .
مَاتَ الْفَائِزُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، وَلَهُ نَحْوُ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ،
وَبَايَعُوا الْعَاضِدَ .

٦٥٢ - العاضد (١)

صَاحِبَ مِصْرَ الْعَاضِدُ لَدَيْنِ اللَّهِ حَاتِمُ الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْأَمِيرِ يَوْسُفَ بْنِ الْحَافِظِ لَدَيْنِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ، الْعَبِيدِيُّ الْحَاكِمِيُّ الْمِصْرِيُّ

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٠٧-٢١٥ .

الإسماعيلي المدعي هو وأجداده، أنهم فاطميون.

مولده سنة ست وأربعين وخمسة مئة.

أقامه طلائع بن رزّيك بعد الفاتح، فكان من تحت حجره، لا حلّ لديه ولا رنط. وكان العاضد سبأاً خبيثاً متخلفاً.

قال القاضي شمس الدين بن خلّكان: كان إذا رأى شيئاً استحلّ دمه. وسار وزيره الملك الصالح طلائع سيرة مذمومة، واحتكر الغلات، وقتل عدّة أمراء، وأضعف أحوال الدولة بقتل ذوي الرأي والياس، وصادر وغسّف.

[١] وأخذ طلائع في قطع أخبار العسكر والأمراء، فتعاقدوا بموافقة العاضد لهم على قتله، فكمن له عدّة في القصر، فجرحوه، فدخل ممالئكه، فقتلوا أولئك، وحملوه، فما أفسى. وذلك سنة ست وخمسين.

وولي مكانه ولده الملك العادل رزّيك. وكان مليح النظم، قوي الرّفص، جواداً شجاعاً، يُناظر على الإمامة والقدر، وعمل قبل موته بثلاث ليالٍ:

[٢] نحن في غفلة ونوم وللمر ت عيون يُفْظانة لا تنام
قد رحلنا إلى الحمام سينا لئيت شعري متى يكون الحمام؟

نعم، ووزر للعاضد الملك أبو شجاع شاور السعدي، وكان على نيابة الصعيد من جهة طلائع، فقوي، وندم طلائع على توليته لفروسيته وشهامته، فأوصى طلائع وهو يموت إلى ابنه أن لا يهيج شاور.

ثم إن شاور حشد وجمع، واخترق البرية إلى أن خرج من عند قروجة،^(١) وقصد القاهرة، فدخلها من غير مُمانعة، ثم فتك برزّيك وتمكن.

[٣] ثم قدم دمشق جريدة إلى نور الدين مستنجداً به، فجّهز معه شيركوه، بل بعده بسنة، فاسترد له الوزارة، وتمكن، ولم يجاز شيركوه بما يليق به، فأضمر له الشر، واستعان شاور بالفرنج، وتحصن منهم شيركوه ببليس، فحصره مدّة، حتى ملّوا.

(١) قرية بالقرب من الإسكندرية.

واعتنتم نورُ الدين خُلُو السَّاحِلِ مِنْهُمْ فَعَمِلَ الْمُصَافِّ عَلَى حَارِمٍ وَأَسَرَ مَلُوكًا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ .

وَرَجَعَ شِيرْكُوهُ بَعْدَ أَمْرِ طَوِيلَةِ الشَّرْحِ .

[١] ثم سِيرَ العَاضِدُ يَسْتَنْجِدُ بِشِيرْكُوهِ عَلَى الفِرْنَجِ ، فَسَارَ وَهَزَمَ الفِرْنَجَ بَعْدَ أَنْ كَادُوا يَأْخُذُونَ البِلَادَ ، وَهُمْ شَاوِرٌ بِاِغْتِيَالِ شِيرْكُوهِ وَكِبَارِ عَسْكَرِهِ فَنَاجَزُوهُ وَقَتَلُوهُ فِي ربيعِ الأخرِ سَنَةَ أربَعٍ وَسِتِّينَ قَتَلَهُ جُرْدِيكُ النُّورِيِّ وَصَلَاحُ الدِّينِ .

[٢] فَاسْتَوَزَرَ العَاضِدُ شِيرْكُوهُ ، فَلَمْ يُطَوَّلْ ، وَمَاتَ بِالْحَانُوقِ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامٍ ، وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُ أُخِيهِ صَلَاحُ الدِّينِ . وَكَانَ يُضْرَبُ بِشِجَاعَةِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ المِثْلَ ، وَيَخَافُهُ الفِرْنَجُ .

[٣] قُلْتُ : تَلَاشِي أَمْرَ العَاضِدِ مَعَ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى أَنْ خَلَعَهُ ، وَخَطَبَ لِبَنِي العَبَّاسِ ، وَاسْتَأْصَلَ شَافَّةَ بَنِي عُبَيْدٍ وَمَحَقَّ دَوْلَةَ الرُّفُضِ . وَكَانُوا أربَعَةَ عَشْرَ مِتْخَلَفًا لِأَخْلِيفَةٍ ، وَالعَاضِدُ فِي اللُّغَةِ أَيْضًا القَاطِعُ ، فَكَانَ هَذَا عَاضِدًا لِدَوْلَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ .

[٤] قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ : أَخْبَرَنِي عَالِمٌ أَنَّ العَاضِدَ رَأَى فِي نَوْمِهِ كَأَنَّ عَقْرَبًا خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَسْجِدٍ عُرِفَ بِهَا فَلَدَغَتْهُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ طَلَبَ مُعَبَّرًا ، فَقَالَ : يَنَالُكَ مَكْرُوهٌ مِنْ رَجُلٍ مَقِيمٍ بِالمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ عَنِ المَسْجِدِ ، وَقَالَ لِلوَالِي عَنْهُ ، فَأَتَانِي بِفَقِيرٍ ، فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ؟ وَفِيمَ قَدِيمٍ ، فَرَأَى مِنْهُ صِدْقًا وَدِينًا . فَقَالَ : أَدْعُ لَنَا يَا شَيْخَ ، وَخَلِّ سَبِيلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى المَسْجِدِ ، فَلَمَّا غَلَبَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى مِصْرَ ، عَزَمَ عَلَى خَلْعِ العَاضِدِ ، فَقَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ : اسْتَفْتَى الفُقَهَاءَ ، فَأَفْتَوْا بِجَوَازِ خَلْعِهِ لِمَا هُوَ مِنْ انْحِلَالِ العَقِيدَةِ وَالاِسْتِهْتَارِ ، فَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مَبَالِغَةً فِي الفُتْيَا ذَاكَ ، وَهُوَ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ الحُبُوشَانِيُّ ، فَإِنَّهُ عَدَّدَ مَسَاوِيءَ هَؤُلَاءِ ، وَسَلَبَ عَنْهُمْ الإِيمَانَ .

[٥] قَالَ أَبُو شَامَةَ : كَانَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ بِإِفْرِيقِيَّةِ : المَهْدِيُّ ، وَالقَائِمُ وَالمَنْصُورُ ، وَأَخَذَ عَشْرَ مِصْرَ آخِرَهُمُ العَاضِدُ ، ثُمَّ قَالَ : يَدْعُونَ الشُّرُفَ وَنَسَبْتَهُمْ إِلَى مَجُوسِيٍّ أَوْ يَهُودِيٍّ ، حَتَّى اشْتَهَرَ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ : الدَّوْلَةُ العُلُويَّةُ ، وَالدَّوْلَةُ الفَاطِمِيَّةُ ، وَإِنَّمَا

هي الدولة اليهودية أو المجوسية الملحضة الباطنية .

قلت : وكانت دولتهم مئتي سنة وثمانياً وستين سنة، وقد صنف القاضي أبو بكر بن الباقلائي كتاب «كشف أسرار الباطنية» فافتحه ببطلان انتسابهم إلى الإمام علي، وكذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي .

هلك العاصد يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمس مئة بذرب مفرب وقيل مات غمًا لما سمع بقطع خطبته وإقامة الدعوة للمستضيء .

وتسلم صلاح الدين القصر بما حوى من النفائس ، والأموال ، وقبض أيضاً على أولاد العاصد وآله، فسجنهم في بيت من القصر، وقمع علمانهم وأنصارهم، وعفى آثارهم .

قال العماد الكاتب : وهم الآن محصورون محسورون لم يظهروا وقد نقصوا وتقلصوا، وانقضى صلاح الدين ما أحب من الذخائر، وأطلق البيع بعد في ما بقي، فاستمر البيع فيها مدة عشر سنين .

[١] ومن كتاب من إنشاء القاضي الفاضل إلى بغداد : (وقد توالفت الفتوح غرباً وتمناً وشاماً . وصارت البلاد بل الدنيا والشهر، بل والدهر حرماً حراماً . وأضحى الدين واحداً بعد أن كان أدبانياً، والخلافة إذا ذكر بها أهل الخلاف لم يخروا عليها ضمناً وعمياناً، والبدعة خاشعة، والجمعة جامعة، والمذلة في شيع الضلال، شائعة . ذلك بأنهم اتخذوا عباد الله من دونه أولياء، وسموا أعداء الله أصفياء، وتقطعوا أمرهم بينهم شيعاً، وفرقوا أمر الأمة وكان مجتمعاً، وقطع دابرهم، وزعمت أنوفهم ومنابرهم، وحققت عليهم الكلمة تشريداً وقتلاً، وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً، وليس السيف عن سواهم من الفرج بصائم، ولا الليل عن السير إليهم بنائم) .

قلت : أعجبتني سرده هؤلاء الملوك العبيدية على التوالي، ليشتمله الناظر مجتمعاً . فلنرجع الآن إلى ترتيب الطبايع في حدود العشرين وثلاث مئة وما بعدها .

(١) الوزير الكبير، أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلّة .
وُلِدَ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِثْنِينَ .

قال الصّوليُّ : ما رأيتُ وزيراً منذ توفّي القاسمُ بنُ عبيدالله (٢) أحسنَ حركةً ،
ولا أظرفَ إشارةً ، ولا أملحَ خطأً ، ولا أكثرَ حِفْظاً ، ولا أسلَطَ قلماً ، ولا أقصدَ
بلاغَةً ، ولا أخذَ بقلوبِ الخُلفاءِ ، من ابنِ مقلّة . وله عِلْمٌ بالإعرابِ ، وحِفْظُ
لُغَةٍ ، وتوقيعاتٌ حَسَنَةٌ .

(٢) قال ابنُ النّجارِ : أوّلُ تصرّفه كان مع محمدِ بنِ داوُدَ بنِ الجراحِ وعُمره ست
عشرة سنة وأُجرى له في كلِّ شهرٍ ستةَ دنانيرٍ ، ثمّ انتقل إلى ابنِ الفُراتِ ، فلما
وزر ابنُ الفُراتِ أحسنَ إليه وجعله يُقدِّمُ القصصَ فكثُرَ ماله إلى أن قال : فلما
استغنى ابنُ عيسى من الوزارة ، أُشيرَ على المقتدر بالله بابنِ مقلّة ، فولّاه في
ربيعِ الأوّلِ سنة ٣١٦ ، ثم عزل سنة ٣١٨ بعد سنتين وأربعة أشهرٍ ، ثم لما قُتِلَ
المُقتدرُ ، وبويع القاهرُ ، كان ابنُ مقلّةَ بشيرازَ منفيّاً ، فأحضر القاهرُ وزيرَ المقتدر
أبا القاسمِ عبيدالله بنِ محمد ، وعرفه أنّه قد استوزرَ أبا عليّ فاستخلفه له إلى
أن يُقدِّمَ ، فقدمَ أبو عليّ يومَ النحرِ سنةَ عشرين فدام إلى أن استوحش من
القاهر ، فاستتر بعد تسعة أشهرٍ ، ثم إنّه أفسدَ الجُنْدَ على القاهر ، وجمع كلمتهم
على خَلعه وقتله ، فتمّ ذلك لهم . وتبوّع الراضي ، فأمنَ أبا عليّ ، فظهر ، ووزر ،
ثم عُزل بعد عامين ، واستتر ، ثم كتب إلى الراضي بالله أن يستحجِبَ بوجْهِكم
عوض ابنِ رائق ، وأن يعيده إلى الوزارة ، وضمّن له مالا ، وكتب إلى بوجْهِكم ،
فأطمعه الراضي حتّى حصل عنده ، واستغنى الفقهاء فأفتوا بقطع يده . فقطع في
شوالِ سنة ستٍ وعشرين وثلاث مئة . ثمّ كان يَشُدُّ القلمَ على ساعده ، ويكتبُ

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٢٤-٢٣٠ .

(٢) توفّي القاسم سنة ٢٩١ وكان وزيراً للمعتضد .

خطاً جيداً. وكتب أيضاً باليسرى.

[١] قال أبو الفضل بن المأمون: أنشدنا أبو علي بن مقلّة لِنَفْسِهِ:

إذا أتى الموت لميقاته فخلّ عن قول الأَطْبَاءِ
وإنّ مضى من أنت صبّ به فالصُّبْرُ مِنْ فِعْلِ الأَلْبَاءِ
ما مرّ شيءٌ بيني آدمٍ أمرٌ من فقد الأَجْبَاءِ

[٢] وقيل: أنشأ داراً عظيمةً، فقيل:

قُلْ لَابِنِ مُقَلَّةٍ مَهْلًا لَا تَكُنْ عَجَلًا وَاصْبِرْ فَإِنَّكَ فِي أَصْغَاتِ أَحْلَامِ
تَنبِي بِأَنْقَاضِ دُورِ النَّاسِ مَجْتَهِدًا دَارًا سَتُهْذَمُ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامِ
مَا زِلْتَ تَخْتَارُ سَعْدَ الْمُشْتَرِي لَهَا فَلَمْ تَوَقُّ بِهِ مِنْ نَحْسِ بَهْرَامِ
إِنَّ الْقِرَانَ وَبَطْلِيمُوسَ مَا اجْتَمَعَا فِي حَالِ نَقْضٍ وَلَا فِي حَالِ إِتْرَامِ
أُحْرِقَتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَبَقِيَتْ عِبْرَةٌ.

ومات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة.

واختلف فيه هل هو صاحب الخط المنسوب أو أخوه الحسن؟ وكانا بديعي الكتابة، والظاهر أنّ الحسن هو صاحب الخط. وكان أول من نقل هذه الطريقة المؤلدة من القلم الكوفي.

٦٥٤ - المُرْتَعِشُ (١)

[٣] الزاهد الولي، أبو محمد، عبد الله بن محمد النيسابوري الجيري، وصحب أبا عثمان الجيري، والجنيّد، وسكن بغداد.

وكان يُقال عجائب بغداد في التصوف ثلاث: نُكْتُ أَبِي مُحَمَّدِ المُرْتَعِشِ، وحكايات الخُلديّ، وإشارات السُّبليّ.

[٤] وسئل بماذا ينال العبد المحبّة؟ قال: بموالات أولياء الله ومُعَاداةِ أعداءِ الله.

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٣٠-٢٣١.

[١] وقيل له: فلان يمشي على الماء، قال: عندي أن من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء.

وسئل: أي العمل أفضل؟ قال: رؤية فضل الله.

توفي - رحمه الله - سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة.

٦٥٥ - النهرجوري^(١)

[٢] الأستاذ العارف أبو يعقوب إسحاق بن محمد، الصوفي النهرجوري. صحب الجنيد، وجاور مدة، ومات بمكة.

[٣] وعنه قال: الصدق موافقة الحق في السر والعلانية، وحقيقة الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة.

[٤] قال إبراهيم بن فاتك: سمعت أبا يعقوب، يقول: الدنيا بحر، والآخرة ساجل. والمركب التقوى، والناس سقر.

[٥] وعنه: أفضل الأحوال ما قارن العلم.

توفي النهرجوري سنة ثلاثين وثلاث مئة.

٦٥٦ - الإصطخري^(٢)

[٦] الإمام القدوة العلامة، شيخ الإسلام، أبو سعيد، الحسن بن أحمد بن يزيد، الإصطخري^(٣) الشافعي، فقيه العراق، ورفيق ابن سريج.

وقال الخطيب: ولي قضاء قمر،^(٤) وولي حجة بغداد، فأحرق مكان

الملاهي.

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٢٥٠-٢٥٢.

(٣) هذه النسبة إلى إصطخر، وهي من كور فارس. (٤) مدينة قرب أصفهان.

قال: وكان ورعاً زاهداً متقللاً من الدنيا، له تصانيف مفيدة.
 واستفتاه القاهر في الصابئين، فأفتاه بقتلهم لأنهم يعبدون الكواكب، فعزم
 الخليفة على ذلك، فجمعوا مالا جزيلاً وقدموه، ففتر عنهم.
 مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وله نيف وثمانون سنة.

٦٥٧ - ابنُ شَبَّوْذ^(١)

[١] شيخُ المُقرئين، أبو الحسن، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبَ بنِ شَبَّوْذ، المُقرئ،
 أكثرُ التَّرحالِ في الطَّلَبِ.

وكان إماماً صدوقاً أميناً متصوناً، كبيرَ القَدْرِ.

[٢] اعتمده أبو عمرو الداني، والكبار، وثوقاً بنقله وإتقانه لكنه كان له رأي في
 القراءة بالشواذ التي تخالف رسم الإمام، فنقموا عليه لذلك. وبالغوا وعزروه.
 والمسألة مختلف فيها في الجملة. وما عارضوه أصلاً فيما أقرأ به ليعقوب،^(٢)
 ولا لأبي جعفر،^(٣) بل فيما خرج عن المصحف العثماني. وقد ذكرت ذلك
 مطولاً في طبقات القراء.

[٣] قال أبو شامة: كان الرفق بابن شَبَّوْذَ أُولَى، وكان اعتقاله وإغلاظ القول له
 كافياً. وليس كان بمصيب فيما ذهب إليه، لكن أخطأه في واقعة لا تسقط حقه
 من حرمة أهل القرآن والعلم.

مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وهو في عشر الثمانين أو جاوزة.

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٦٤-٢٦٦.

(٢) يعقوب بن إسحاق، أحد القراء العشرة، توفي سنة ٢٠٥ هـ.

(٣) أبو جعفر المحزومي، يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر توفي سنة ١٣٠ هـ.

[١] الإمام الحافظ اللُّغَوِيُّ ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشير بن الأنباري، المقرئ النحوي.

ولد سنة اثنين وسبعين ومئتين.

[٢] قال أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قبل ثلاث مئة ألف بيت شاهد في القرآن.

قلت: هذا يجيء في أربعين مجلداً.

[٣] قال أبو علي التنوخي: كان ابن الأنباري يملئ من حفظه، ما أملى من دفتر قط.

[٤] وقال محمد بن جعفر التميمي: ما رأينا أحداً أحفظ من ابن الأنباري، ولا أغزر من علمه. وحدثوني عنه أنه قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً.

[٥] وقيل: إن من جملة محفوظه عشرين ومئة تفسير بأسانيدها.

قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صندوقاً ذنباً من أهل السنة. صنف

في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء.

[٦] قال أبو الحسن العروصي: كنت أنا وابن الأنباري عند الراضي بالله، ففي

يوم من الأيام سألته جارية عن تفسير شيء من الروايات، فقال: أنا حاقن،

ومضى. فلما كان من الغد، عاد، وقد صار معبراً للروايات، مضى من يومه فدرس

كتاب الكرماني في التعبير وجاء.

وقال حمزة بن محمد بن طاهر: كان ابن الأنباري زاهداً متواضعاً حكياً

الدارقطني أنه حضره، فصحف في اسم، قال: فأعظمت أن يحمل عنه وهم

وهيته، فعرفت مستمليه. فلما حضرت الجمعة الأخرى، قال ابن الأنباري

لمستمليه: عرف الجماعة أنا صحفنا الاسم الفلاني، ونبها عليه ذلك الشاب

على الصواب. مات سنة أربع وثلاث مئة.

(١) انظر السير: ٢٧٤ / ١٥ - ٢٧٩.

[١] الإمامُ المحدثُ الفقيهُ العلامةُ الرَّاهِدُ العابدُ، شيخُ خُرَاسَانَ، أبو عليِّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الثَّقَفِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ الشَّافِعِيُّ الوَاعِظُ، من وُلْدِ الحِجَّاجِ.

مولده بِقَهْستَانِ في سنةِ أربعٍ وأربعينَ ومِئتينَ.

قال الحاكمُ: شَهِدْتُ جَنَازَتَهُ، فلا أَذْكَرُ أَنِي رَأَيْتُ بَنِيَسَابُورَ مِثْلَ ذَلِكَ الجَمْعِ، وَحَضَرْتُ مَجْلِسَ وَعِظِهِ، وَأَنَا صَغِيرٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ في دَعَاةِ: إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ الوَهَّابُ الوَهَّابُ.

[٢] قال شيخنا الصَّبْغِيُّ: شمائلُ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، أَخَذَهَا مالِكُ الإِمَامُ عَنْهُمْ، وَأَخَذَهَا عَنْ مالِكِ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، وَأَخَذَهَا عَنْ يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ المَرْوَزِيُّ، وَأَخَذَهَا عَنْ ابْنِ نَصْرِ أَبُو عَلِيِّ الثَّقَفِيُّ.

قال الحاكمُ: وَسَمِعْتُ أَبَا العَبَّاسِ الرَّاهِدَ، يَقُولُ: كانَ أَبُو عَلِيٍّ في غَضْرِهِ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيَّ خَلْقِهِ.

[٣] قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: لَقِيَ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيَّ أَبَا حَقِصِ النَّيْسَابُورِيَّ، وَحَمْدُونَ القُصَّارَ، وَكانَ إِمَاماً في أَكْثَرِ عُلُومِ الشَّرْعِ مَقْدِماً في كُلِّ فَنٍّ مِنْهُ. عَظَّلَ أَكْثَرَ عُلُومِهِ، وَاشْتَغَلَ بِعِلْمِ الصُّوفِيَّةِ وَقَعَدَ، وَتَكَلَّمَ عَلَيْهِمُ أَحْسَنَ كَلَامٍ في عِيُوبِ النُّفُسِ، وَأَفَاتِ الأَفْعَالِ. وَمَعَ عِلْمِهِ وَكَمالِهِ خالَفَ الإِمَامَ ابْنَ خُزَيْمَةَ في مَسائِلِ التَّوْفِيقِ وَالخِذْلانِ، وَمَسالَةَ الإِيمانِ، وَمَسالَةَ اللَّفْظِ، فَالْزَمَ البَيْتَ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلى أَنْ ماتَ وَأصابَهُ في ذَلِكَ مِحَنٌ.

[٤] وَمِنْ قَوْلِهِ: يا مَنْ بَاعَ كُلَّ شَيْءٍ بِلا شَيْءٍ، وَاشْتَرى لا شَيْءَ بِكُلِّ شَيْءٍ.

[٥] وَقَالَ: أَفٌ مِنْ أَشْغالِ الدُّنْيا إِذا أَقْبَلْتَ، وَأَفٌ مِنْ حَسراتِها إِذا أَدْبَرْتَ. العاقلُ لا يَرْكَنُ إِلى شَيْءٍ، إِِنْ أَقْبَلَ كانَ شُغْلاً، وَإِنْ أَدْبَرَ كانَ حُسرَةً.

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٨٠-٢٨٣.

[١] وقال أبو بكر الرّازيُّ: سمعته يقول: ترك الرّياء للرّياء أقمح من الرّياء.
وكان كثيراً ما يتكلّم في رؤية غيب الأفعال.
مات أبو عليّ سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثٍ مئة.

الطبقة التاسعة عشرة

٦٦٠ - الوزير^(١)

[١] الإمام المحدث الصادق الوزير العادل، أبو الحسن، علي بن عيسى بن داود، البغدادي الكاتب.

وَزَرَ غير مرة للمقتدر، وللقاهر، وكان عديم النظر في فنه. وُلِدَ سنة نيف وأربعين ومثتين.

[٢] كان علي الحقيقة غنياً شاكراً، ينطوي على دين متين وعلم وفضل، وكان صبوراً على المحن. ولله به عناية، وهو القاتل يُعزِّي ولَدَيْهِ القاضي عمر بن أبي عمر القاضي في أبيهما: مُصِيبَةٌ قَدْ وَجِبَ أَجْرُهَا خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا. وكان - رحمه الله - كثير الصدقات والصلوات، مجلسه موفور بالعلماء. ضُفِّفَ كِتَاباً فِي الدُّعَاءِ، وَكُتِبَ «معاني القرآن» أعانه عليه ابن مجاهد المقرئ، وآخر. وكان من بلغائه زمانه. وَزَرَ فِي سنة إحدى وثلاث مئة أربعة أعوام وعُزِلَ ثُمَّ وَزَرَ سنة خمس عشرة.

قال الصُّوْلِيُّ: لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ وَزَرَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِثْلَهُ فِي عِفَّتِهِ وَرُحْمَتِهِ وَحِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ، وَعِلْمِهِ بِمَعَانِيهِ، وَكَانَ يَصُومُ نَهَارَهُ، وَيَقُومُ لَيْلَهُ وَمَا رَأَيْتُ أَعْرَفَ بِالشُّعْرِ مِنْهُ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلْمِظَالِمِ، وَيُنْصِفُ النَّاسَ، وَلَمْ يَرَوْا أَعْفَ بَطْنًا وَلِسَانًا وَقَرَجًا مِنْهُ، وَلَمَّا عُزِلَ ثَانِيًا، لَمْ يَقْنَعِ ابْنُ الْفُرَاتِ حَتَّى أَخْرَجَهُ عَنِ بَغْدَادَ، فَجَاوَرَ بِمَكَّةَ. [٣] وَهُوَ فِي تَكْبِيْتِهِ:

وَمَنْ يَكُ عَنِّي سَائِلًا لِشِمَاتِي لِمَا نَابَنِي أَوْ شَامِتًا غَيْرَ سَائِلٍ
فَقَدْ أَبْرَزَتْ مِنِّي الْخُطُوبُ ابْنَ حُرَّةٍ صَبُورًا عَلَى أَحْوَالِ تِلْكَ الزَّلَازِلِ
إِذَا سُرُّ لَمْ يَتَطَّرْ وَلَيْسَ لِتَكْبِيَةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْحَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

(١) النظر السير. ١٥ / ٢٩٨ - ٣٠٦.

وقد أشار على المقتدر، فأفلح، فوقف ما مقله في العام تسعون ألف دينار على الحرمين والثغور، وأقرده لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوان البر.
 [١] قال المحدث أبو سهل القطان: كُنْتُ مَعَهُ لَمَّا نُفِيَ بِمَكَّةَ فدخلنا في حر شديد وقد كدنا نتلف، فطاف يوماً، وجاء فرمى بنفسه، وقال: أشتهي على الله شربة ماءٍ مثلوح. قال: فَنَشَأْتُ بعد ساعةٍ سحابةً ورعدت وجاء بردٌ كثيرٌ جمع منه الغلمانُ جراراً. وكان الوزيرُ صائماً، فلَمَّا كان الإفطارُ جِئْتُه بأقداحٍ من أصنافِ الأسوقِ فأقبل يسقي المجاورين، ثم شرب وحمد الله، وقال: لِيَتَنِي تَمَنِّيْتُ المغفرة.

وكان الوزير متواضعاً، قال: ما لَبِسْتُ ثوباً بأزيد من سبعةِ دنانير.
 قال أحمد بن كامل القاضي: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى الْوَزِيرِ، يَقُولُ: كَسَبْتُ سَبْعَ مِثَّةِ أَلْفِ دِينَارٍ. أَخْرَجْتُ مِنْهَا فِي وَجْهِ الْبِرِّ سِتَّ مِثَّةِ أَلْفِ وَثَمَانِينَ أَلْفاً. تَوَفِّي فِي آخِرِ أَرْبَعِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِثَّةٍ. وَهُوَ تِسْعُونَ سَنَةً.

٦٦١ - الْقِرْمِطِيُّ (١)

عدو الله ملك البحرين، أبو طاهر، سليمان بن حسن، القرمطي (٢)
 الجنابي، (٣) الأعرابي الزنديق. الذي سار إلى مكة في سبع مئة فارس فاستباح الحجيج كلهم في الحرم، وأقتلع الحجر الأسود، وردد زمزم بالقتلى، وصعد على عتبة الكعبة يصيح:
 أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأنتهم أنا
 فقتل في سبك مكة وما حولها زهاء ثلاثين ألفاً، وسبى الدريرة وأقام بالحرم ستة أيام.

(١) انظر السير: ١٥ / ٣٢٥-٣٢٥.

(٢) نسبة إلى حمدان قرمط، وهو أول من نشر مذهب القرامطة.

بَذَلَ السَّيْفَ فِي سَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ، وَلَمْ يَعْرِفْ (١) أَحَدٌ تِلْكَ الشَّنَةَ، فَلِلَّهِ
الْأَمْرِ. وَقَتَلَ أَمِيرَ مَكَّةَ ابْنَ مُحَارِبٍ، وَعَرَى الْبَيْتِ، وَأَخَذَ بَابَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بِلَادِ
هَجَرَ.

وقيل: دَخَلَ قِرْمِطِيُّ سَكْرَانَ عَلَى فَرَسٍ، فَصَفَّرَ لَهُ، فَبَالَ عِنْدَ الْبَيْتِ وَضَرَبَ
الْحَجَرَ بِدُبُوسِ هَشْمَةَ ثُمَّ اقْتَلَعَهُ وَبَقِيَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ عِنْدَهُمْ نَيْفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً.
ويقال: هَلَكَ تَحْتَهُ إِلَى هَجَرَ أَرْبَعُونَ جَمَلًا، فَلَمَّا أُعِيدَ كَانَ عَلَى قَعُودٍ
ضَعِيفٍ، فَسَمِنَ.

وكان يُجْعَلُ الثُّرَيُّ (٢) دَفْعَ لَهُمْ فِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَبَوْا وَقَالُوا: أَخَذَنَاهُ
بِأَمْرٍ، وَمَا نَرُدُّهُ إِلَّا بِأَمْرٍ.

وقيل: إِنْ الَّذِي اقْتَلَعَهُ صَاحٍ: يَا حَمِيرَ، أَنْتُمْ قُلْتُمْ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فَأَيْنَ
الْأَمْنِ؟ قَالَ رَجُلٌ: فَاسْتَسَلَّمْتُ، وَقُلْتُ: إِنْ اللَّهُ أَرَادَ: وَمَنْ دَخَلَهُ فَأَمَّنُوهُ، فَلَوْلَى
فَرَسِهِ وَمَا كَلَّمَنِي.

[١] وَأَتَقَنَ أَنَّ أَبِي السُّأَجِ الْأَمِيرَ نَزَلَ بِأَبِي سَعِيدِ الْجَنَابِيِّ (٣) فَأَكْرَمَهُ، فَلَمَّا سَارَ
لِحَرْبِهِ، بَعَثَ يَقُولُ: لَكَ عَلَيَّ حَقٌّ، وَأَنْتَ فِي خَمْسِ مِثَّةٍ وَأَنَا فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا.
فَانصَرَفَ، فَقَالَ لِلرُّسُولِ: كَمْ مَعَ صَاحِبِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَاكِبٍ، قَالَ: وَلَا
ثَلَاثَةَ، ثُمَّ دَعَا بِعَبْدِ أَسْوَدٍ، فَقَالَ لَهُ: خَرِّقْ بَطْنَكَ بِهَذِهِ السُّكَيْنِ، فَبَدَّدَ مِصَارِيئَهُ.
وَقَالَ لِآخَرَ: اغْرُقْ فِي النَّهْرِ، فَفَعَلَ وَقَالَ لِآخَرَ: اصْعَدْ عَلَيَّ هَذَا الْحَائِطِ، وَانزِلْ
عَلَيَّ مُخَلِّكًا، فَهَلَكَ. فَقَالَ لِلرُّسُولِ: إِنْ كَانَ مَعَهُ مِثْلُ هَؤُلَاءِ، وَإِلَّا فَمَا مَعَهُ أَحَدٌ.
وقيل ضَعَدَ قِرْمِطِيُّ لِقَلْعِ الْمِيزَابِ، فَسَقَطَ، فَمَاتَ. وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ سَبْعِ
عَشْرَةَ، وَكَانَ أَمِيرَ الْعِرَاقِيِّينَ مَنْصُورَ الدُّيْلَمِيِّ، وَجَاءَتْ (٤) مَكَّةَ بِالْقَتْلِ.

(١) لم يقف أحد على جبل عرفة.

(٢) أمير الأمراء في بغداد زمن الرضا بالله والمنتفي. كان داهية شجاعاً، قتله الأكراد سنة ٣٢٩ هـ.

(٣) هذه النسبة إلى جنابة، وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيواف، والقرامطة منها، فنسبوا إليها.

(٤) أُنْتُتت.

قال المصراغي: حدثنا أبو عبد الله بن محرم، وكان رسول المقتدر إلى القرمطي، قال: سألته بعد مناظراتٍ عن استحلاله بما فعل بمكة فأخضَرَ الحجر في الديباج، فلما أبرز كبرته، وأزيتهم من تعظيمه والتبرك به على حالة كبيرة، وافتنبت القرامطة بأبي طاهر، وكان أبوه قد أطلعه وحده على كنوزِ دفنها. فلما تملك، كان يقول: هنا كنزٌ فيحفرون، فإذا هم بالمال. فَيَفْتِنُون به وقال مرة: أريد أن أحضر هنا عيناً، قالوا: لا تتبع، فخالقهم، فبيع الماء، فازداد ضلالهم به، وقالوا: هو إله، وقال قوم: هو المسيح، وقيل: نبي. وقد هزم جيوش بغداد غير مرة، وعنا وتمرد.

[١] قال محمد بن رزام الكوفي: حكى لي ابن حمدان الطيب، قال: أقمتُ بالقَطِيف أعالج مريضاً، فقال لي رجل: إن الله ظهر، فخرجتُ فإذا الناس يهرعون إلى دار أبي طاهر، فإذا هو ابنُ عشرين سنةً، شابٌ مليحٌ عليه عمامةٌ صفراءٌ، وثوبٌ أصفرٌ على فرسٍ أشهبٍ، وإخوته حوله فصاح: من عرفني عرفني، ومن لم يعرفني، فانا أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن، الجنابي. اعلموا أننا كنا وإياكم حميراً، وقد من الله علينا بهذا وأشار إلى غلامٍ أمرد، فقال: هذا ربنا وإلهنا وكُنَّا عباده. فأخذ الناسُ الترابَ، فوضعوه على رؤوسهم. ثم قال أبو طاهر: إن الدين قد ظهر وهو دين أبينا آدم، وجميع ما أوصلت إليكم الدعوة باطل من ذكر موسى وعيسى ومحمد، هؤلاء دجالون. وهذا الغلام هو أبو الفضل المجوسي، شرع لهم اللواط، ووطء الأخت، وأمر بقتل من امتنع. فأدخلت عليه وبين يديه عدة رؤوس، فسجدت له، وأبو طاهر والكبراء حوله قيام. فقال لأبي طاهر: الملوك لم تزل تعدُّ الرؤوس في خزائنها. فسלוه كيف بقاؤها؟ فسئلت، فقلت: إلهنا أعلم، ولكني أقول: فجملة الإنسان إذا مات يحتاج كذا وكذا صبراً وكافوراً. والرأس جزءٌ فيعطى حسابه. فقال: ما أحسن ما قال. ثم قال الطيب: ما زلت أسمعهم تلك الأيام يلعنون إبراهيم وموسى ومحمداً وعلياً. ورايت مصحفاً مسح بغائط.

وقال أبو الفضل يوماً لكتابه: اكتب إلى الخليفة، فصل لهم علي محمد،
وكل من جراب النورة،^(١) قال: والله، ماتت يدي لذلك. فافتض أبو الفضل
أختاً لأبي طاهر الجنابي، وذبح ولدها في حجرها ثم قتل زوجها، وهم يقتل أبي
طاهر، فاتفق أبو طاهر مع كاتبه ابن سنبر، وآخر عليه فقالا: يا إلهنا، إن والدة
أبي طاهر قد ماتت فاحضر لتخشوا جوفها ناراً، قال: وكان سنه له، فأتى، فقال:
ألا تجيها؟ قال: لا. فإنها ماتت كافرة، فعاوده، فارتاب وقال: لا تعجلا علي،
دعاني أخدم دوابكما إلى أن يأتي أبي، قال ابن سنبر: ويملك هتكتنا، ونحن
نرتب هذه الدعوة من ستين سنة. فلو رأك أبوك لقتلك. أقتله يا أبا طاهر، قال:
أخاف أن يمسحني، فضرب أخو أبي طاهر عنقه، ثم جمع ابن سنبر الناس،
وقال: إن هذا الغلام ورد بكذب سرقه من معدن حق، وأنا وجدنا فوقه من
ينكحه، وقد كنا نسمع أنه لا بد للمؤمنين من فتنة يظهر بعدها حق، فاطفئوا
بيوت النيران وارجعوا عن نكاح الأم، ودعوا اللواط، وعظموا الأنبياء، فضجوا
وقالوا: كل وقت تقولون لنا قولاً. فاتفق أبو طاهر الذهب حتى سكنوا.
قال الطبيب: فأخرج إلي أبو طاهر الحجر، وقال: هذا كان يُعبد.
قلت: كلا، قال: بلى. قلت: أنت أعلم، وأخرجه في ثوب ديبقي^(١)
ممسك.

ثم جرت لأبي طاهر مع المسلمين حروب أوهنته. وقُتل جُنده، وطلب الأمان
على أن يرُدَّ الحجر، وأن يأخذ عن كل حاج ديناراً ويخبرهم.
قلت: ثم هلك بالمجذري - لا رحمه الله - سنة اثنتين وثلاث مئة بهجر كهلاً.
وقام بعده أبو القاسم سعيد.

(١) أي عمل معهم بالنقبة.

(٢) نسبة إلى «ديق» وهي بقية كانت بين الفرما ونيس، من أعمال مصر.

[١] أحمد بن محمد بن سعيد، أبو العباس الكوفي الحافظ العلامة أحد أعلام الحديث، ونادرة الزمان، وصاحب التصانيف على ضعف فيه وهو المعروف بالحافظ ابن عقدة.

وُلد أبو العباس في سنة تسعٍ ومئتين بالكوفة. وطلب الحديث سنة بضع وستين ومئتين. وكتب منه مالا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ عن خلق كثير بالكوفة وبغداد، ومكة.

وجَمَعَ التَّراجم والأبواب والمشیخة، وانتشر حديثه، وبعُدَ صيته وكتب عمن دُبٍ ودرَجٍ من الكِبَارِ والصُّغَارِ والمجاهيل، وجمع الغث إلى السمين، والخرز إلى الدرِّ الثمين.

[٢] أبو الحسين أحمد بن محمد الواعظ، حدثنا أبو العباس بن عقدة إملاء سنة ثلاثين وثلاث مئة، حدثنا عبدالله بن الحسين بن الحسن بن الأشقر قال: سمعتُ عثمان بن عليِّ العامريُّ قال: سمعتُ سُفيان، وهو يقول: لا يجتمع حبُّ عليٍّ وعثمانَ إلا في قلوبِ نِبلاءِ الرجال.

[٣] قلتُ: قد رُمي ابنُ عقدة بالتشيع، ولكن روايته لهذا ونحوه يدلُّ على عدم غلوِّه في تشيعه، ومن بلغ في الحفظِ والآثارِ مبلغَ ابنِ عقدة ثم يكونُ في قلبه غلٌّ للسَّابقين الأولين، فهو مُعانِدٌ أو زنديق. والله أعلم.

[٤] محمد بن جعفر بن النُّجَّار، قال: حَكَى لنا أبو عليِّ النَّقَّارُ قال: سقطت مِن عُقْدَةَ دنانيرٌ، فجاء بنُخَالٍ لِيَطْلُبَهَا، قال عُقْدَةُ: فوجدتها ثم فكرتُ فقلتُ: ليس في الدنيا غيرُ دنانيرِك؟ فقلتُ للنُّخَالِ: هي في دُمُوك، وذهبتُ وتركتُ.

[٥] قال: وكان يودُّ ابنَ هشامِ الخَزَّازِ، فلما حَدَّثَ الصَّبِيَّ وتعلَّم وجهه إليه أبوه بدنانيرٍ صالحة، فردَّها فظنَّ ابنُ هشام أنها استُقِلَّت فأضعفها له، فقال: ما ردَّتها استِقلالاً، ولكن سألني الصَّبِيُّ أن أعلمه القرآن، فاختلط تعليمُ النُّحْرِ

(١) انظر السير: ١٥ / ٣٤٠، ٣٥٥.

بتعليم القرآن، ولا أستحجل أن آخذ منه شيئاً، ولو دَفَع إلي الدنيا.
ثم قال ابن النُّجَّار: وكان عُقْدَةُ زَيْدِيًّا، وكان وَرِعًا نَاسِكًا، سَمِيَ عُقْدَةَ لِأَجْلِ
تَعْقِيدِهِ فِي التَّصْرِيفِ، وَكَانَ وَرَاقًا جَيِّدَ الحِطِّ، وَكَانَ ابْنُهُ أَحْفَظَ مَنْ كَانَ فِي
عَصْرِنَا لِلحَدِيثِ.

[١١] قال أبو أحمد الحاكم: قال لي ابن عُقْدَةَ: دخل اليزيديُّ الكوفة، فزعم أنه
أحفظ مني. فقلت: لا تطولُ تقدُّمُ إلى دُكَّانِ وِراقٍ، ونَضْعُ القَبَانِ، ونَزْنُ من
الکُتُبِ ما شئتَ، ثم يُلقي علينا فنذكره قال: فَبَقِيَ. (١)

[١٢] علي بن عمر - وهو الدَّارِقُطَنِي - يقول: أَجْمَعَ أَهْلُ الكُوفَةِ أَنَّهُ لَمْ يَرِ مِنْ زَمَنِ
عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ إِلَى زَمَنِ أَبِي العَبَّاسِ بْنِ عُقْدَةَ أَحْفَظَ مَتَهُ.

قلت: يمكن أن يُقال: لم يوجد أَحْفَظَ مِنْهُ وَالِي يَوْمَنَا وَإِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ
بِالکُوفَةِ، فَمَا أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ نَظِيرًا لَهُ فِي الحِجْظِ، فَتَمَّ فَقَدْ كَانَ بِهَا بَعْدَ ابْنِ
مَسْعُودٍ وَعَلِيِّ، عَلِقَمَةُ، وَمَسْرُوقٌ، وَعَبِيدَةُ، ثُمَّ أئِمَّةُ حُفَاطِ كِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ،
وَمَنْصُورٍ، وَالْأَعْمَشِ، وَمِسْعَرٍ، وَالثُّورِيِّ، وَشَرِيكٍ، وَوَكِيْعٍ، وَأَبِي نُعَيْمٍ، وَأَبِي
بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَبِي كُرَيْبٍ، ثُمَّ هُوَ لَا يَمْتَازُونَ
عَلَيْهِ بِالْإِتِّفَاقِ وَالْعَدَالَةِ النَّاطِقَةِ، وَلَكِنَّهُ أَوْسَعُ دَائِرَةً فِي الحَدِيثِ مِنْهُمْ.

[١٣] عبد الغني، سمعت أبا الحسن، يعني الدَّارِقُطَنِي، سمعتُ ابْنَ عُقْدَةَ يَقُولُ:
أَنَا أَحْبَبُ فِي ثَلَاثِ مِثَّةِ أَلْفِ حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ البَيْتِ خَاصَّةً.
قال أبو الحسن: وَكَانَ أَبُوهُ عُقْدَةَ أَنْحَى النَّاسِ.

الصُّورِي، قال لي عبد الغني: سمعتُ الدَّارِقُطَنِي يَقُولُ: ابْنُ عُقْدَةَ يَعْلَمُ مَا
عِنْدَ النَّاسِ، وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ مَا عِنْدَهُ.

[١٤] قال الصُّورِي، وقال لي أبو سعد المَالِينِي: أَرَادَ ابْنُ عُقْدَةَ أَنْ يَنْتَقِلَ، فَاسْتَأْجَرَ
مَنْ يَحْمِلُ كُتُبَهُ، وَشَارَطَ الحَمَّالِينَ أَنْ يَدْفَعُوا إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ دَانِقًا، قَالَ: فَوَزَّنَ لَهُمْ
أَجُورَهُمْ مِثَّةَ دِرْهَمٍ، وَكَانَتْ كِتَابُهُ سِتُّ مِثَّةٍ حَمْلَةً.

(١) اي: بقى متدهشاً او مبهوتاً.

[١] قال الحاكم: قلت لأبي عليّ الحافظ: إن بعض الناس يقول في أبي العباس، قال: في ماذا؟ قلت: في تفرده بهذه المقدمات عن هؤلاء المجاهدين. فقال: لا تشتغل بمثل هذا، أبو العباس إمام حافظ محلّه محل من يسأل عن التابعين وأتباعهم.

قال أبو أحمد بن عديّ: هو صاحب معرفة وحفظ وتقدم في الصنعة، رأيت مشايخ بغداد يسيئون الثناء عليه، ثم إن ابن عديّ قوى أمره، ومشاه. مات ابن عقدة، سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة.

٦٦٣ - الإخشيد^(١)

صاحب مصر الملك، أبو بكر محمد بن طنج بن جفّ بن خاقان القرغاني التركي. ولي مصر سنة إحدى وعشرين^(٢)، ثم دمشق مضافاً إلى مصر من قبل الراضي.

والإخشيد بالتركي ملك الملوك.

صار طنج من كبار قواد حماروته، ثم سار إلى بغداد فعظموه فبدأ منه كبيراً وتبه في حق الوزير، فسجن هو وابنه هذا، فمات في السجن ثم أطلق محمد، وجرّت له أمور طويلة إلى أن تملك.

وكان بطلاً شجاعاً حازماً يقظاً مهيأً سعيداً في حروبه مكرماً لأجناده شديد الأيد^(٣) لا يكاد أن يجرّ أحد قومه.

بلغ عدّة مماليكه ثمانية آلاف. وله جماعة أولاد تملّكوا بعده.

توفي بدمشق، سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة عن ست وستين سنة ثم نُقل، فدفن ببيت المقدس غفر الله له.

(١) انظر السير: ١٥ / ٣٦٦٣٦٥.

(٢) هذه ولايته الأولى، ودامت اثنين وثلاثين يوماً. ولم يدخل مصر فيها، أما ولايته الثانية والتي دامت إلى أن مات... فكانت سنة ٣٢٢ هـ. (٣) القسوة.

وقد حاربه ابن رائق فهزّمه الإخشيد، ثم سارَ أخو الإخشيد، فالتقى ابن رائق فقتل. فنديم ابن رائق، وبعث ابنه مزاحماً إلى الإخشيد ليقُتله بأخيه، فعفا، وخلع على مزاحم، وردّه إلى أبيه.

٦٦٤ - الشُّبَلِيُّ^(١)

[١] شيخُ الطائفة، أبو بكر الشُّبَلِيُّ^(٢) البَغْدَادِيُّ. قيل: اسمه دُلْف بن جَحْدَر. وكان أبوه من كبار حُجَّاب الخلافة. وولِي هو حجابة أبي أحمد الموفق،^(٣) ثم لما عُزل أبو أحمد من ولاية، حَضَرَ الشُّبَلِيُّ مجلسَ بعضِ الصّالحين، فتاب ثم صَحِبَ الجُنَيْدَ وغيره، وصار من شأنه ما صار.

[٢] وكان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، وكتبَ الحديثَ عن طائفة. وقال الشعر، وله ألفاظٌ وحكمٌ وتمكُن، لكنّه كان يحصل له جفافٌ دماغٍ وسُكْر. فيقول أشياء يُعْتَذِرُ عنه فيها.

وقيل: إنَّ ابنَ مُجاهد، قال له: أين في العلم إفسادٌ ما ينفع؟ قال: قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعناق»^(٤) ولكن يا مقرأ أين معك أن المحب لا يُعَذِّبُ حِيَه؟ فسكت ابنُ مُجاهد قال قوله: «نحن أبناءُ الله وأحبّاءُه قل فلمْ يُعَذِّبُكُمْ»^(٥).

وكان رحمه الله لهجاً بالشعر الغزل والمحبة. وله فوق في ذلك وله مجاهداتٌ عجيبةٌ انحرف منها مزاجه.

قال السُّلَمِيُّ: سمعتُ محمدَ بنَ الحسن، سمعتُ الشُّبَلِيَّ، يقول: اعرف من لَمْ يدخل في هذا الشان حتى انفق جميع ملكه، وغرق سبعين قَمْطراً

(١) انظر السير: ١٥ / ٣٦٧-٣٦٩.

(٢) هذه النسبة إلى قرية من قرى أشرطة - بلدة عظيمة وراء سمرقند يقال لها: الشبلية.

(٣) ابن الخليفة المتوكل، وأبو الخليفة المعتمد.

(٤) ذلك لأنه كان من شان الشبلي إذا لبس شيئاً خرّق فيه موضعاً. وفي الاستشهاد بالآية نظر.

(٥) المائة: ١٨.

بخطه، في دجلة التي ترون، وحفظ «الموطأ»، وتلا بكذا وكذا قراءة يعني :
نفسه .

وسئل : ما علامة العارف؟ قال : صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه
مَطْرُوح .

توفي ببغداد سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة . عن نيف وثمانين سنة .

٦٦٥ - الحُبلي^(١)

[١] الإمام الشهيد قاضي مدينة بَرْقَة، محمد بن الحُبلي .
أناه أمير بَرْقَة، فقال : غداً العيد، قال : حتى نرى الهلال ولا أفطر الناس،
وأتقلد إثمهم، فقال : بهذا جاء كتاب المنصور - وكان هذا من رأي العبيديّة
يفطرون بالحجاب، ولا يعتبرون رؤية - فلم يُر هلال، فأصبح الأمير بالطبول
والبُتود وأهبة العيد . فقال القاضي : لا أخرج ولا أصلي، فأمر الأمير رجلاً
خطب . وكتب بما جرى إلى المنصور فطلب القاضي إليه، فأحضر، فقال له :
تنصّل، وأغفو عنك، فامتنع فأمر، فعلق في الشمس إلى أن مات، وكان
يستغيث العطش، فلم يسق ثم صلبوه على خشبة . فلعنّه الله على الظالمين .

٦٦٦ - ابن دينار^(٢)

[٢] الإمام الفقيه المأمون الزاهد العابد، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن دينار،
النيسابوري الحنفي .

عظمه الحاكم ونجّله، وقال : كان يصوم النهار، ويقوم الليل، ويصبر على
الفقر . ما رأيت في مشايخ أصحاب الرأي أعبد منه .

(١) انظر السير : ١٥ / ٣٧٤ .

(٢) انظر السير : ١٥ / ٣٨٢-٣٨٣ .

وكان يحجُّ ويغزو، وكان عارفاً بالمذهب، سار ليحجَّ فتوفي غربياً ببغداد،
رحمه الله ورضي عنه.

وقال الخطيب: ثقةٌ توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة.

وكان قد رَغِبَ عن الفِتْوَى لاشتغاله بالعبادة مع صَبْرٍ على الفقر وكان يأكل
مِنَ عملِ يَدِهِ، ويتصدَّق، ويؤثِر ويحجُّ في كلِّ عشرِ سنين ويغزو كلَّ ثلاث
سنين، وكان كثير الرواية.

قال مرّةً: ابني يحبُّ الدُّنْيَا، والله يبغضُها، ولا أحبُّ من يحبُّ ما يبغضُه
الله.

٦٦٧ - القَرْمِيسِينِيُّ^(١)

[١] شيخ الصُّوفِيَّة، أبو إسحاق، إبراهيم بن شَيْبَانَ، القَرْمِيسِينِيُّ^(٢) زاهدٌ الجَلِيل.

[٢] سُبُلُ عبد الله بن منازل الزَّاهِدُ عنه، فقال: هو حُجَّةُ الله على الفُقَرَاءِ وأهل
المعاملات والآداب.

[٣] وعن إبراهيم، قال: مَنْ أراد أن يتعطل ويتبطل، فليزِمِ الرُّخَص.

[٤] وقال: علِّمُ الفَنَاءِ والبقاء يدور على إخلاص الوُحْدَانِيَّةِ، وصحَّةِ العبوديَّةِ، وما
كان غير هذا فهو من المُغالطة والزُّندقة.

[٥] قلتُ: صدقتُ والله، فإنَّ الفناء والبقاء من تُرَاهاتِ الصُّوفِيَّةِ أطلقه بعضهم،
فَدَخَلَ من بابهِ كُلُّ إلحادِيٍّ وكُلِّ زنديقٍ، وقالوا: ما سوى الله باطلٌ فان، والله
تعالى هو الباقي، وهو هذه الكائنات، وما ثمَّ شيءٌ غيره.

ويقول شاعرهم:

وما أنت غيرَ الكونِ بل أنتَ عَيْنُهُ

ويقول الآخر:

(١) انظر السير: ٣٩٤-٣٩٢ / ١٥.

(٢) هذه النسبة إلى قرميسين، وهي بلدة بجبال العراق، على ثلاثين فرسخاً من همدان عند دینور، على طريق
الحاج.

وما تُشَمُّ إلا الله ليس سواه.

فانظُرْ إلى هذا المروقِ والضلالِ، بل كلُّ ما سوى الله مُخَذَّتْ موجود.
قال الله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

وإنما أراد قدماء الصُوفِيَّةِ بالفناء نسيانَ المخلوقات وتركها وفناء النَّفْسِ عن
التشاعُلِ بما سوى الله، ولا يُسَلِّمُ إليهم هذا أيضاً بل أمرنا الله ورسوله بالتشاعُلِ
بالمخلوقات ورؤيتها والإقبالِ عليها وتعظيمِ خالقِها، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وقال:

﴿قُلْ انظُرُوا ماذا في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقال عليه السلام: «حُبُّ إِلِي النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ».

وكان يَحِبُّ عائشة، ويحبُّ أباهما، ويحبُّ أسامة، ويحبُّ سِبْطِيه، ويحبُّ
الخلوة والعسل، ويحبُّ جَبَلِ أَحَدٍ، ويحبُّ وطنه، ويحبُّ الأنصار، إلى أشياء
لا تُحصَى مما لا يعني المؤمن عنها قط.
توفي سنة سبعٍ وثلاثين وثلاث مائة.

٦٦٨ - أبو مَيْسَرَةَ^(١)

[١] فقيه المغرب، أبو مَيْسَرَةَ، أحمدُ بنُ نزار، القَيْرَوَانِيُّ المالِكِيُّ من العُلَمَاءِ
العاملين.

[٢] وكان يَحْتِمُ كُلَّ لَيْلَةٍ في مسجده، فرأى ليلةً نوراً قد خرج من الحائط وقال:
تَمَلَّأ من وجهي، فأنا رَبُّكَ، فبصق في وجهه، وقال: اذهب يا معلون. فطفيء
النُّور.

[٣] وقع في ذهن المنصور أن أبا مَيْسَرَةَ لا يرى الخروجَ عليه، فأرادَه لِيُؤَلِّيه
القضاء، فقال: كيف يلي القضاء رجلٌ أعمى، يُبَوِّئُ تحته، فما غلِمَ أحدٌ بضرره

(١) انظر السير: ١٥ / ٣٩٥-٣٩٦.

إلا يومئذ، فقال: اللهم إنك تعلم أنني انقطعت إليك وأنا شاب، فلا تمكّنهم مني، فما جاءت العَصْرُ إلا وهو من أهل الآخرة. فوجه إليه المنصور بكفن وطيب.

توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة وكان مجاب الدعوة رحمه الله.
[١] وقال لرجل: يا أخي فائدة الاجتماع الدعاء. فادع لي إذا ذكرتني، وأدعوك إذا ذكرتك فنكون كأننا التقينا وإن لم نلتق.

٦٦٩ - علي بن حمّشاذ^(١)

[٢] ابن سختويه بن نصر، العدل الثقة الحافظ الإمام شيخ نيسابور أبو الحسن النيسابوري، صاحب التصانيف، وُلِدَ سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين.

قال الحاكم: قرأ علينا بكرة الجمعة نصف جزء، ثم قمنا نتأهب للصلاة فلما صلينا، قعدت ساعة، فسمعت المنادي يصيح بجزائه، فصححت وقلت: هذا كذب، وإذا هو قد دخل الحمام فمات فيه، وذلك سنة ثمانٍ وثلاثين.

[٣] وسمعت أبا بكر بن إسحاق يقول: صحبت علي بن حمّشاذ في الحضر والسفر، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

[٤] قال: وسمعت عبدالله ولده يقول: ما أعلم أن أبي ترك قيام الليل.

٦٧٠ - عماد الدولة^(٢)

السُلطان الكبير، عماد الدولة، أبو الحسن، علي بن بويه بن فناخسروا الدبلي.

صاحب ممالك فارس، وأخو الملكين: معز الدولة أحمد، وركن الدولة

(١) انظر السير: ١٥ / ٣٩٨-٤٠٠.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٤٠٢-٤٠٣.

الحسن، فكان عمادُ الدولة أَوْلَ مَنْ تَمَلَّكَ البلادَ بعد أن كان قائداً كبيراً من قوادِ الدَّيْلَمِ.

وكان أبوهـم بُوتَه يصطاد السمك، ثم آل بأولاده الأمرُ إلى مُلك البلادِ ثم تَمَلَّكَ من بعد العماد وُلْدُ أخيه عَضُدُ الدولة بن ركنِ الدَّولةِ.
وكانت دولةُ العماد ست عشرة سنة، وعاش بضعا وخمسين سنة.
توفي سنة ثمانٍ وثلاثين.

[١] ولما تملك شيراز، طالبه قواده بالأموال، وثاروا عليه، فاعتمَ لذلك، واستلقى، فرأى حيلةً في السقف، ففرغ ودعا القراشين فنصبوا سلماً، فوجدوا عُرْفَةً يُدخل إليها، فأمرهم بفتحها ففتحت، فوجدوا فيها صناديق فيها قدرُ خمسِ مئة ألفِ دينار، فأنزلت، ففرح، وأنفق في الجيش.
[٢] ثم إنه طلب خياطاً ليفصل له، وكان أطروشاً، ففرغ وجاونه عما لم يسأل عنه، وحلف أنه ليس عنده سوى اثني عشر صندوقاً وديعة فتعجب عمادُ الدولة، وأحضرت إليه، فإذا فيها أموال وثياب وديناج فكان ذلك من سعادته المقبلة، ولا عقب له.

٦٧١ - ابنُ الأعرابيِّ (١)

[٣] أحمدُ بنُ محمد بن زياد، الإمامُ المحدثُ القُدوةُ الحافظُ شيخُ الإسلام، أبو سعيد بن الأعرابي البصريُّ الصوفي، نزيل مكة، وشيخ الحرم.
وما هو بابن محمد بن زياد الأعرابي اللغوي، ذلك مات قبل أن يولد هذا بأعوامٍ عدَّة.

ولد سنة نيف وأربعين ومئتين، وكان كبير الشأن، بعيد الصيت، عالي الإسناد.

[٤] قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت محمد بن الحسن الخشاب، سمعت

(١) انظر السير: ١٥ / ٤٠٧-٤١٢.

ابن الأعرابي يقول: المعرفة كلها الاعتراف بالجهل، والتصوف كله ترك الفضول، والزهد كله أخذ ما لا بد منه، والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى، والرضى كله ترك الاعتراض، والعافية كلها سقوط التكلف بلا تكلف. وكان رحمه الله قد صحب الجنيد، وأبا أحمد القلانسي.

وعمل تاريخاً للبصرة لم أراه. أما كتابه في (طبقات النساك) فنقلت منه. [١٦] قال: فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك، إذ أهلها لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.

[٢٢] قلت: إي والله، دققوا وعمقوا، وحاضوا في أسرار عظمة ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين، فإن طالبتهم بدعاويهم مقتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الخيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[٣] وإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمجبة ما جاء عن أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بأداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبير، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[٤] والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سبيل.

[٥] وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات

القوم إلا بحجة.

توفي بمكة، سنة أربعين وثلاث مئة. وله أربع وتسعون سنة وأشهر.

٦٧٢ - خَيْثَمَةُ (١)

[١] الإمام الثقة المَعْمَر، محدث الشام، أبو الحسن، خَيْثَمَةُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ خَيْدَرَةَ، الْقُرَشِيُّ الشَّامِيُّ الْأَطْرَابُلْسِيُّ، مصنف «فضائل الصحابة».

كان رجلاً جوالاً صاحب حديث. ولد سنة خمسين وميتين.

وعمره ورجل إليه من الأفاق، وقدم إلى دمشق في آخر عمره، فحدث بها.

[٢] قال ابن أبي كامل: سمعت خَيْثَمَةَ بْنَ سَلِيمَانَ يَقُولُ: رَكِبْتُ الْبَحْرَ وَقَصَدْتُ

جَبَلَةَ لِأَسْمَعَ مِنْ يَوْسُفَ بْنِ بَحْرٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ، فَلَقِينَا مَرْكَبٌ - يَعْنِي

لِلْعَدُوِّ - قَالَ: فَصَاتَلْنَاهُ، ثُمَّ سَلَّمْتُ مَرْكَبَنَا قَوْمٌ مِنْ مَقْدَمِهِ، قَالَ: فَأُخَذُونِي، ثُمَّ

ضَرَبُونِي، وَكَتَبُوا أَسْمَاءَنَا، فَقَالُوا: مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: خَيْثَمَةُ، فَقَالُوا: اكْتُبْ

حَمَارَ بْنِ حَمَارٍ. وَلَمَّا ضُرِبْتُ نِمْتُ، فَرَأَيْتُ كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَعَلَى بَابِهَا

جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُجُورِ الْعَيْنِ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: يَا شَقِي، أَيُّشِرُ فَاتَكَ؟ فَقَالَتْ

أُخْرَى: أَيُّشِرُ فَاتَهُ؟ قَالَتْ: لَوْ قَتِلَ لَكَانَ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْحُجُورِ، قَالَتْ لَهَا: لِأَنَّ

يَرِزُّقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ فِي عِزٍّ مِنَ الْإِسْلَامِ وَذُلٍّ مِنَ الشُّرْكِ خَيْرٌ لَهُ. ثُمَّ انْتَبَهْتُ. قَالَ:

وَرَأَيْتُ كَأَنَّ مَنْ يَقُولُ لِي: اقْرَأْ لِي: اقْرَأْ بِرَاءَةَ فَقَرَأْتُ إِلَى «فَسَبِحُوا فِي الْأَرْضِ

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» (التوبة: ٢) قَالَ: فَعَدَدْتُ مِنْ لَيْلَةِ الرَّؤْيَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَقَالَ اللَّهُ

أَسْرِي.

تُوفِيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

(١) انظر السير: ١٥ / ٤١٢-٤١٦

٦٧٣ - الفَارَابِيُّ (١)

شيخُ الفَلَسَفَةِ الحَكِيمِ، أبو نُصَيْرٍ، مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ طَرْخَانَ بنِ أَوْزَلَعِ، التُّرْكِيُّ الفَارَابِيُّ المَنْطِقِيُّ، أَحَدُ الأَذْكِيَاءِ.

له تصانيفٌ مشهورةٌ، من ابنتي الهُدَى منها، ضلُّ وحارٌّ، منها تَخْرُجُ ابْنُ سِينَا، نسأل الله التوفيقَ.

وقد أَحْكَمَ أبو نُصَيْرٍ العَرَبِيَّةَ بالعِراقِ، ولَقِيَ مَتَى بنَ يُونُسَ (٢) صاحبَ المنطقِ، فأخَذَ عنه، وسارَ إلى حِرَّانَ، فلَزِمَ بها يوحنا بنَ جيلانَ النِصرانيَّ، وسارَ إلى بَصْرَةَ، وسكَنَ دِمَشقَ.

وكان يحبُّ الوَحْدَةَ، ويصنِّفُ في المَواضِعِ التَّزْهِيَّةِ، وَقَلَّ ما يَبْيُضُّ منها. وكان يَتَزَهَّدُ رَهْدَ الفِلاسِفةِ، ولا يَحْتَفِلُ بِمِلبَسٍ ولا مَنزَلٍ. أجرى عليه ابنُ حَمْدانُ في كُلِّ يَومٍ أربعمائةَ دِراهمَ.

ويقالُ: إنَّهم سألوه أنْتَ أَعْلَمُ أو أرسطو؟ فقال: لو أدركته لَكُنْتُ أَكْبَرَ تلامذته.

ولأبي نُصَيْرٍ نَظْمٌ جَيِّدٌ، وأدعيةٌ مَليحةٌ على اصطِلاحِ الحُكَماءِ. ذَكَرَهُ أبو العَبَّاسِ بنُ أَبِي أَصْبِيعَةَ، وسَرَدَ أَسامِي مَصنُفاتِهِ وهي كَثيرَةٌ. منها مِقالَةٌ في إثباتِ الكِيمياءِ. وسائِرُ تَوالِيفِهِ في الرِّياضِيِّ والإِلَهِيِّ. وبدمشقَ كان موتهُ، سَنَةَ تِسعِ وثلثِ مِئةٍ عن نَحْوِ مِئتينِ سَنَةٍ.

٦٧٤ - الكَرخيُّ (٣)

الشيخُ الإمامُ الزَّاهِدُ، مَقْئِي العِراقِ، شيخُ الحَنَفِيَّةِ، أبو الحَسَنِ، عُبيدُ الله

(١) انظر السير: ٤١٨-٤١٦ / ١٥.

(٢) إليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره، وكان نصرانياً، توفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ. انظر طبقات الأطباء: ٣١٧، واسمه فيه ومتى بن يوزان.

(٣) انظر السير: ٤٢٦-٤٢٧ / ١٥.

ابن الحسين بن ذلال، البغدادي الكرخي الفقيه. انتهت إليه رئاسة المذهب، وانتشرت تلاميذته في البلاد، واشتهر اسمه وتعد صيته، وكان من العلماء العباد ذا تهجد وأوراد وتأل، وصبر على الفقر والحاجة، وزهد تام، ووقع في النفوس، ومن كبار تلاميذه أبو بكر الرازي، وعاش ثمانين سنة.

[١] أبو القاسم بن علان الواسطي، لما أصاب أبا الحسن الكرخي الفاليج في آخر عمره، حضرته، وحضر أصحابه: أبو بكر الدامغاني وأبو علي الشاشي، وأبو عبد الله البصري، فقالوا: هذا مريض يحتاج إلى نفقة وعلاج، والشيخ مقل ولا ينبغي أن نبذله للناس فكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان، فأحسن الشيخ بما هم فيه، فبكى وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتني، فمات قبل أن يحمل إليه شيء. ثم جاء من سيف الدولة عشرة آلاف درهم، فتصدق بها عنه.

توفي رحمه الله في سنة أربعين وثلاث مئة. وكان رأساً في الاعتزال، الله يسامحه.

٦٧٥ - ابن الحداد^(١)

[٢] الإمام العلامة الثبت، شيخ الإسلام، عالم العصر، أبو بكر محمد بن أحمد ابن محمد، الكِنَانِي المِصْرِي الشافعي ابن الحداد. ولد سنة أربع وستين ومئتين.

لازم النسائي كثيراً، وتخرج به، وعول عليه، واكتفى به وقال: جعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى، وكان في العلم بحراً لا تكدره الدلاء، وله لسن وبلاغة ونصر بالحديث ورجاله، وعربية متقنة، وباع مديد في الفقه لا يجارى فيه، مع التأله والعبادة والتواقل وتعد الصيت، والعظمة في النفوس.

(١) انظر السير: ١٥ / ٤١٥-٤٥١.

ذكره ابن زُؤلاق - وكان من أصحابه - فقال: كان تَقِيًّا متعبداً يحسن علوماً كثيرة: عِلْمَ الْقُرْآنِ وَعِلْمَ الْحَدِيثِ، وَالرُّجَالَ، وَالْكُنَى وَاجْتِزَاءَ الْعُلَمَاءِ وَالنُّحُ وَاللُّغَةَ وَالشُّعْرَ، وَأَيَّامَ النَّاسِ، وَيَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطِرُ يَوْمًا. كَانَ مِنْ مُحَاسِنِ مِصْرَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَانَ طَوِيلَ اللِّسَانِ، حَسَنَ الثِّيَابِ وَالْمَرْكُوبِ، غَيْرَ مَطْعُونٍ عَلَيْهِ فِي لَفْظٍ وَلَا فِعْلٍ، وَكَانَ حَادِقًا بِالْقَضَاءِ.

[١] قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: سَمِعْتُ الدَّارِقُطَنِيَّ، سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ مُحَمَّدِ النَّسَوِيِّ الْمَعْدَلِ بِمِصْرَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي بَكْرَ بْنَ الْحَدَّادِ، يَقُولُ: أَخَذْتُ نَفْسِي بِمَا رَوَاهُ الرَّبِيعُ عَنِ الشَّافِعِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ فِي رَمَضَانَ سِتِينَ خُتْمَةً، سِوَى مَا يَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ، فَأَكْثَرَ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ تِسْعًا وَخَمْسِينَ خُتْمَةً. وَأَتَيْتُ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ بِثَلَاثِينَ خُتْمَةً.

قَالَ: وَمَاتَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْارْبَعَاءِ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمَقَطِّمْ عِنْدَ قَبْرِ وَالِدَتِهِ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ الْمَلِكُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْإِخْشِيدِ، وَأَبُو الْمَسْكِ كَافُورٌ، وَالْأَعْيَانُ، وَكَانَ نَسِيحٌ وَجِدَّهِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَاللُّغَةِ، وَالنُّوُحِ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ. وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ مِنْ سِنِينَ كَثِيرَةً يَعْشَاهَا الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ جِدًّا كَلَّهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ. فَمَا خَلَّفَ بِمِصْرَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ.

وَفِي ابْنِ الْحَدَّادِ، يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُحَّالُ:

الشَّافِعِيُّ تَفْقَهُهُ وَالْأَصْمَعِيُّ تَفَنَّنَا وَالتَّابِعِينَ تَزَهَّدَا

[٢] قَالَ ابْنُ زُؤَلَاقٍ: وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْحَدَّادِ يَقُولُ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ ابْنِ الْإِخْشِيدِ، يَعْنِي: مَلِكِ مِصْرَ، فَلَمَّا قَمْنَا أَمْسَكَنِي وَحَدِي، فَقَالَ: أَيُّمَا أَفْضَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، أَوْ عَلِيٌّ؟ فَقُلْتُ: اثْنَيْنِ جِذَاءً وَاحِدًا، قَالَ: فَأَيُّمَا أَفْضَلَ أَبُو بَكْرٍ، أَوْ عَلِيٌّ؟ قُلْتُ: إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فِعْلِيٌّ، وَإِنْ كَانَ بَرًّا^(١) فَأَبُو بَكْرٍ، فَضَحِكَ.

وَمَوْلِدُهُ يَوْمَ مَاتَ الْمُزَنِّيُّ، تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

(١) بَرًّا - كَلِمَةٌ مُؤَنَّدَةٌ بِعَنْ عِلَاقِيَّةٍ، وَمَعْنَى: مَنْ أَصْلَحَ حَوَانِيهِ أَصْلَحَ اللَّهُ بَرَّانِيَّةً أَي: مَنْ أَصْلَحَ سِرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقِيَّةً.

[١] محمد بن يعقوب بن يوسف، الإمام المحدث مُسْنِدُ العَصْرِ، رحلة الوقت، أبو العباس الأموي مولاهم، النسناني المَعْقِلِي النيسابوري الأصم، ولُدَّ المحدث الحافظ أبي الفضل الوراق، وقد ارتحل بابنه أبي العباس إلى الأفاق، وسَمِعَهُ الكُتُبَ الكِبَارَ.

وحدَّث وكتاب الأم، للشافعي عن الربيع، وطلال عمره وبعُد صيته، وتزاحم عليه الطلبة. وجميع ما حدث به إنما رواه من لفظه فإن الصم لحقه وهو شاب له بضع وعشرون سنة، بعد رجوعه من الرحلة ثم تزايد به، واستحكمت بحيث إنه لا يسمع نهيق الحمام. وقد حدث في الإسلام ستاً وسبعين سنة.

قال الحاكم: كان يكره أن يقال له: الأصم، فكان إمامنا أبو بكر بن إسحاق الصبغي، يقول: المَعْقِلِي، قال: وكان محدث عصره، ولم يختلف أحد في صدقه وصحة سماعته، وضبط أبيه يعقوب الوراق لها، وكان يرجع إلى حسن مذهب وتدين. وتلغني أنه أذن سبعين سنة في مسجده. قال: وكان حسن الخلق، سخي النفس، وربما كان يحتاج إلى الشيء لمعاشه فيورق، ويأكل من كسب يده، وهذا الذي يُعاب به من أنه كان يأخذ على الحديث، إنما كان يعيئه به من لا يعرفه، فإنه كان يكره ذلك أشد الكراهة ولا يناقش أحداً فيه، إنما كان ورأفه وابنه يطلبان الناس بذلك، فيكره هو ذلك، ولا يقدر على مخالفتهما. سمع منه: الآباء والأبناء والأحفاد، وكفاه شرفاً أن يحدث طول تلك السنين، ولا يجد أحد في مغمزاً بحجة، وما رأينا الرحلة في بلاد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه، فقد رأيت جماعة من أهل الأندلس وجماعة من أهل طراز^(٢) وإسبجياب على بابيه، وكذا جماعة من أهل فارس. سمعته غير مرة يقول: ولدت سنة سبع وأربعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٥ / ٤٥٢-٤٦٠.

(٢) بلد قريب من إسبجياب، من ثغور الترك. في أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان.

[١] أبو عبد الله الحاكم: حضرت أبا العباس يوماً في مسجده، فخرج ليؤذن لصلاة العصر، فوقف موضع المئذنة، ثم قال بصوت عالٍ: أخيرنا الربيع بن سليمان، أخيرنا الشافعي، ثم ضحك، وضحك الناس، ثم أذن.

[٢] قال الحاكم: سمعت الأصم، وقد خرج ونحن في مسجده، وقد امتلأت السكّة من الناس سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. وكان يعمل عشيّة كل اثنين من أصوله. فلما نظر إلى كثرة الناس والغرباء وقد قاموا يحملونه على عواتقهم من باب داره إلى مسجده، وبكى طويلاً، ثم قال: كأي بهذه السكّة لا يدخلها أحد منكم، فإني لا أسمع وقد ضُفّ البصر، وحان الرحيل، فما كان إلا بعد شهر أو أقلّ منه حتى كُفّ بصره، وانقطعت الرحلة، وانصرف الغُرباء، فرجع أمره إلى أنه كان يُناول قلماً فيعلم أنهم يطلبون الرواية، فيقول حدثنا الربيع، وكان يحفظ أربعة عشر حديثاً، وسبغ حكايات، فيرويها. وصار بأسوأ حال حتى توفي.

توفي أبو العباس، سنة ست وأربعين وثلاث مئة.

٦٧٧ - القَطَّانُ^(١)

[٣] الإمام الحافظ القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة، القزويني القَطَّان عالم قزوين. مولده في سنة أربع وخمسين ومئتين. وجمع وصنّف، وتفنّن في العلوم، وثابر على القُرب.

قال أبو يعلى الخليلي: أبو الحسن القَطَّان، شيخ عالم بجميع العلوم والتفسير والفقه والنحو واللغة.

[٤] سمعت جماعة من شيوخ قزوين، يقولون: لم ير أبو الحسن رحمه الله مثل نفسه في الفضل والزهد. أدام الصيام ثلاثين سنة، وكان يُفطر على الخبز والملح، وفضائله أكثر من أن تُعدّ.

(١) انظر السير: ١٥ / ٤٦٣-٤٦٦.

[١] وقال ابن فارس في بعض أماليه: سمعت أبا الحسن القطان بعدما غلت سُنُّه، يقول: كنت حين رَحَلْتُ أَحْفَظُ مِثَّةَ أَلْفِ حَدِيثٍ، وَأَنَا الْيَوْمَ لَا أَقُومُ عَلَى حِفْظِ مِثَّةِ حَدِيثٍ.

[٢] وسمعتُه يقول: أَصِبتُ بَصرِي، وَأَطْرُنُ أَنِي عَوِيتُ بِكَثْرَةِ كَلَامِي أَيَّامَ الرِّحْلَةِ.
[٣] قلت: صَدَقَ وَاللهُ، فَقَدْ كَانُوا مَعَ حُسْنِ الْقُضْدِ، وَصِحَّةِ النَّيِّ - غَالِبًا - يَخَافُونَ مِنَ الْكَلَامِ، وَإِظْهَارِ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالْيَوْمَ يَكْثُرُونَ الْكَلَامَ مَعَ نَقْصِ الْعِلْمِ، وَسُوءِ الْقُضْدِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يَفْضَحُهُمْ وَيَلْوِخُ جَهْلَهُمْ وَهَوَاهُمْ وَاضْطِرَابَهُمْ فِيمَا عَلِمُوهُ. فَسَأَلَ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَالْإِحْلَاصَ.
تُوْفِي هَذَا الْإِمَامُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِثَّةٍ.

٦٧٨ - الصُّبْغِي (١)

[٤] الْإِمَامُ الْعَلَمَةُ الْمُقْتِي الْمَحْدَثُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، النَّيْسَابُورِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالصُّبْغِيِّ.
مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِثَّتَيْنِ.

[٥] قَالَ الْحَاكِمُ: بَقِيَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ يَفْتِي بَنِيْسَابُورَ نَيْفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِ فِي فِتَاوَاهِ مَسْأَلَةٌ وَهَمَّ فِيهَا.

سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ يَخْلُفُ إِمَامَ الْأَئِمَّةِ ابْنَ خَزِيمَةَ فِي الْفُتُوَى بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي الْجَامِعِ وَغَيْرِهِ.

[٦] ثُمَّ قَالَ الْحَاكِمُ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ، يَقُولُ: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي فِي دَارٍ فِيهَا عُمْرٌ، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ الْمَسَائِلَ فَأَشَارَ إِلَيَّ: أَنْ أُجِيبَهُمْ، فَمَا زِلْتُ أَسْأَلُ وَأُجِيبُ وَهُوَ يَقُولُ لِي: أَصِبتُ امْضِ، أَصِبتُ امْضِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا النَّجَاةُ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ فَقَالَ لِي بِإِصْبَعِهِ: الدُّعَاءُ،

(١) انظر السير: ١٥ / ٤٨٨، ٤٨٣.

فأعدت عليه السؤال فجمع نفسه كأنه ساجدٌ لخضوعه. ثم قال: الدعاء.

[١] قال الحاكم: سمعتُ محمد بن حَمْدُون، يقول: صَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ بِنِ إِسْحَاقَ سَنِينَ، فَمَا رَأَيْتُهُ قَطُّ تَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ لَا فِي سَفَرٍ وَلَا حَضْرٍ.

[٢] رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ غَيْرَ مَرَّةٍ عَقِيبَ الْأَذَانِ يَدْعُو وَيَبْكِي، وَرُبَّمَا كَانَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْحَائِطَ، حَتَّى خَشِيتُ يَوْمًا أَنْ يَدْمِيَ رَأْسُهُ، وَمَا رَأَيْتُ فِي جَمَاعَةٍ مَشَائِخِنَا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ، وَكَانَ لَا يَدْعُ أَحَدًا يَغْتَابُ فِي مَجْلِسِهِ.

[٣] قال الحاكم: وسمعتُ أَبَا بَكْرٍ بِنِ إِسْحَاقَ: يَقُولُ: خَرَجْنَا مِنْ مَجْلِسِ إِبْرَاهِيمَ الْحَرَبِيِّ، وَمَعَنَا رَجُلٌ كَثِيرُ الْمُجَوْنِ، فَرَأَى أَمْرًا، فَتَقَدَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَصَافِحَهُ، وَقَبَّلَ عَيْنَيْهِ وَخَدَّهُ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّبْرِيُّ بِصُنْعَاءَ بِإِسْنَادِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمِهِ» فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي تَلَوُّهُ وَتَكْذِيبَ فِي الْحَدِيثِ؟ - يَعْنِي: أَنَّهُ رُكِبَ إِسْنَادًا لِلْمَتْنِ. تَوْفِي الصَّبْغِيِّ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

الطبقة العشرون

٦٧٩ - أبو النضر الطوسي^(١)

[١] الإمام الحافظ الفقيه العلامة القدوة شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يوسف، الطوسي الشافعي، شيخ المذهب بخراسان. وُلِدَ في حدود الخمسين ومئتين.

[٢] قال الحاكم: رحلتُ إليه إلى طوس مرّتين، وسألته متى تنفرغ للتصنيف مع هذه الفتاوى الكثيرة؟ فقال: جزأتُ الليلَ ثلاثاً: فثلثُ أصنف، وثلثُ أنام، وثلثُ أقرأ القرآن.

[٣] قال: وكان إماماً عابداً، بارعاً الأدب، ما رأيت في مشايخي أحسن صلاة منه، وكان يصومُ الدهرَ ويقومُ ويتصدقُ بما فضل من قوته وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

[٤] سمعتُ أحمدَ بن منصور الحافظ، يقول: أبو النضر يُفتي الناس من سبعين سنة أو نحوها، ما أخذ عليه في فتوى قط.

ثم قال الحاكم: دخلتُ طوس، وأبو أحمدَ الحافظ على قضائها فقال لي: ما رأيت قط في بلدٍ من بلاد الإسلام مثل أبي النضر، رحمه الله. مات سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. قلت: جاوزَ التسعين.

٦٨٠ - أبو الوليد الفقيه^(٢)

[٥] الإمام الأوحد المفتي، شيخ خراسان أبو الوليد حسّان بن محمد بن أحمد، النيسابوري الشافعي العابد. ولد بعدَ السبعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٥ / ٤٩٠-٤٩٢.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٤٩٢-٤٩٦.

[١] ومن أغرب ما أتى به أنه قال: من كرّر الفاتحة مرتين بطلت صلاته، وهذا خلاف نص الإمام.

[٢] وقال: الجبانة تُفطر الحاجم والمخجم، والنزم أنه هو المذهب لصحة الأحاديث فيه. وهذا فيه نظر، لأن الإمام^(١) ما ضعف الأحاديث، بل ادعى نسخها.

[٣] قال الحاكم: سمعت الأستاذ أبا الوليد، يقول: قال لي أبي: أي شيء تجمع؟ قلت: أخرج على كتاب البخاري، فقال: عليك بكتاب مسلم، فإنه أكثر بركة، فإن البخاري كان يُنسب إلى اللفظ.

[٤] قال محمد بن الذهبي: ومسلم أيضاً يُنسب إلى اللفظ، ألا تراه كيف قام من مجلس الذهلي على رأس الملا لما قال: ألا من كان يقول بقول محمد بن إسماعيل، فلا يُقرئنا؟ فهذه مسألة مُشكّلة، وقد كان أحمد بن حنبل وغيره لا يروون الخوض في هذه المسألة، مع أن البخاري - رحمه الله - ما صرح بذلك، ولا قال: ألقاؤنا بالقرآن مخلوقة، بل قال: أفعالنا مخلوقة، والمقرؤه المملفوظ هو كلام الله تعالى، وليس بمخلوق، فالسكوت عن توسع العبارات أسلم للإنسان. ولقد كان أبو الوليد هذا من أركان الدين.

قال الحاكم: أرانا أبو الوليد نقش خاتمه «الله ثقة حسان بن محمد»، وقال: أرانا عبد الملك بن محمد بن عديّ نقش خاتمه «الله ثقة عبد الملك بن محمد» وقال: أرانا الربيع نقش خاتمه «الله ثقة الربيع بن سليمان»، وقال: كان نقش خاتم الشافعي: «الله ثقة محمد بن إدريس».

مات أبو الوليد، سنة تسع وأربعين وثلاث مئة عن اثنين وسبعين سنة.^(٢)

٦٨١ - أبو وهب

[٥] زاهد الأندلس، جمع ابن يشكوال أخباره في جزء مفرد.

(١) أي الشافعي رحمه الله.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٥٠٨٠٠٦.

[١] قال أبو جعفر بن عُون الله: سمعته يقول: لا عائق الأبرار في جنات النعيم والناس غداً في الحساب إلا من عائق الذلِّ، وضاجع الصبر، وخرج منها كما دخل فيها. ما رزق امرؤ مثل عافية، ولا تصدق بمثل موعظة، ولا سأل مثل مغفرة.

[٢] وعن خالد بن سعيد، قال: قيل: إن أبا وهب عبَّاسي، وكان لا يتسبب، وكان صاحب عزلة، باع ما عونه قبل موته. فقيل: ما هذا؟ قال: أريد سفراً، فمات بعد أيام يسيرة.

[٣] وعن ابن حفصون، قال: قلت لأبي وهب: تعلم أبي كبير الدار فاسكن معي، وأخدمك وأشاركك في الحلو والمر، قال: لا أفعل، إني طئنت الدنيا بالأسس، أفأراجعها اليوم؟ فالمطلق إنما يطلق المرأة بعد سوء خلقها، وقلة خيرها، وليس في العقل الرجوع إلى مكروهه، وفي الحديث لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين.

[٤] وقال فقير: فقد قلت ليلة لأبي وهب: فم بنا لزيارة فلان، قال: وأين العلم؟ ولي الأمر له طاعة، وقد منع من المشي ليلاً.

[٥] قال يونس بن مغيث: طراً أبو وهب إلى قوطبة، وكان جليلاً في الخير والزهد، يقال: إنه من ولد العباس، وكان يقصده الزهاد ويأثونه، وإذا جاءه من ينكر من الناس نبأه وتولاه، وإذا قيل له: من أين أنت؟ قال: ابن آدم ولا يزيد. وأخبرني من صحبه، أنه يقضي منه جلسه إلى علم وحلم ويقين في الفقه والحديث. وقيل: كان ربما جلب من الثبات ما يقوته.

توفي سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. وقبره يُزار.

٦٨٢ - أبو عمر الزاهد^(١)

الإمام الأئمة اللغوي المحدث، أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي

(١) نظر السير: ٥١٣-٥٠٨ / ١٥.

هاشم، البغدادي الزاهد، المعروف بـ غلام ثعلب.

ولذ سنة إحدى وستين ومئتين.

لازم ثعلباً في العربية، فأكثر عنه إلى الغاية، وهو في عداد الشيوخ في الحديث لا الحفاظ، وإنما ذكرته لِسَمْعِ حِفْظِهِ لَللِّسَانِ الْعَرَبِ وَصِدْقِهِ وَعِلْمِهِ إِسْنَادِهِ.

[١] قال أبو الحسن ابن العزّزبان: كان أبو محمد بن ماسي من دار كعب يُنْفَذُ إِلَى أَبِي عَمْرِو غَلَامٍ ثَعْلَبٍ وَقَتاً بَعْدَ وَقْتٍ كَفَايَتَهُ مَا يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطَعَ ذَلِكَ عَنْهُ مَدَّةً لَعُدْرٍ، ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَيْهِ جُمْلَةً مَا كَانَ فِي رَسْمِهِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ، فَرَدَّهُ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى ظَهْرِ رُفْعَتِهِ: أَكْرَمْتُنَا فَمَلِكْتُنَا ثُمَّ أَعْرَضَتْ عَنَّا، فَأَرَحْتُنَا.

[٢] قلتُ: هو كما قال أبو عمر، لكنّه لم يُجْمَلْ فِي الرَّدِّ، فَإِنَّ كَانَ قَدْ مَلَكَه بِإِحْسَانِهِ الْقَدِيمِ، فَالْتَمَلُكَ بِحَالِهِ، وَجِبَرَ التَّأخِيرُ بِمَجِيئِهِ جُمْلَةً وَبَاعْتِدَارِهِ، وَلَوْ أَنَّهُ قَالَ: وَتَرَكْتُنَا فَأَعْتَقْتُنَا، لَكَانَ الْيَقِينُ.

[٣] قال: وأخبرني عباس بن عمر، سمعت أبا عمر الزاهد، يقول: تَرَكْتُ قَضَاءَ حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مَذَلَّةً، وَفِي قَضَاءِ حُقُوقِهِمْ رِفْعَةً.

[٤] قال الخطيب: سمعتُ غيرَ واحدٍ يحكي عن أبي عمر أنّ الأشرافَ والكُتّابَ كانوا يحضرون عنده ليسمعوا منه كُتِبَ ثَعْلَبٍ، وَغَيْرَهَا. وَهِيَ جُزْءٌ قَدْ جُمِعَ فِيهِ فِضَائِلُ مُعَاوِيَةَ، فَكَانَ لَا يَتْرُكُ وَاحِداً مِنْهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ شَيْئاً حَتَّى يَبْتَدِئَ بِقِرَاءَةِ ذَلِكَ الْجُزْءِ.

وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لَا يُوَثِّقُونَ أَبَا عَمْرٍو فِي عِلْمِ اللُّغَةِ حَتَّى قَالَ لِي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ، يَقَالُ: إِنْ أَبَا عَمْرٍو كَانَ لَوْ طَارَ طَائِرٌ لَقَالَ: حَدَّثَنَا ثَعْلَبٌ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، ثُمَّ يَذْكَرُ شَيْئاً فِي مَعْنَى ذَلِكَ.

[٥] فأما الحديث فرأيت جميع شيوخنا يوثقونه فيه، وحدّثنا علي بن أبي علي، عن أبيه، قال: ومن الرواة الذين لم يُرَقِّطْ أَحْفَظُ مِنْهُمْ أَبُو عَمْرِو غَلَامُ ثَعْلَبٍ، أَمَلَى مِنْ حِفْظِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ لُغَةً فِيمَا بَلَّغْنِي، وَجَمِيعُ كُتُبِهِ إِنَّمَا أَمَلَاهَا بِغَيْرِ

تصنيف، ولسعة حفظه أتهم. وكان يُسأل عن الشيء الذي يُقدَّر أن المسائل
وضعه، فيجيب عنه، ثم يسأله غيره بعد سنة، فيجيب بجوابه.

[١] قال الخطيب: حكى لي رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن عمّن
حدّثه، أنّ أبا عمر الزاهد، كان يؤدّب ولد أبي عمر محمد بن يوسف القاضي،
فأملى يوماً على الغلام ثلاثين مسألة في اللغة، وختّمها بيّتين. قال: فحضر ابن
دريد، وابن الأنباري، وأبو بكر بن مقسم عند القاضي، فقرّض عليهم المسائل
فما عرفوا منها شيئاً، وأنكروا الشعر. فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟ فقال
ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف «مشكل القرآن». وقال ابن مقسم: وذكر
اشتغاله بالقراءات، وقال ابن دريد: هي من وضع أبي عمر، ولا أصل لشيء
منها في اللغة، فبلغ أبا عمر، فسأل من القاضي إحضار دواوين جماعة عيّنهم
له ففتح خزائنه، وأخرج تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر يعيد إلى كل مسألة،
ويخرج لها شاهداً، ويعرضه على القاضي حتى تمّهما، ثم قال: والبيتان
أنشدناهما تغلب بحضرة القاضي، وكتبتهما القاضي على ظهر الكتاب الفلاني،
فأحضر القاضي الكتاب، فوجدهما، وانتهى الخبر إلى ابن دريد، فما ذكر أبا
عمر الزاهد بلفظة حتى مات.

[٢] ثم قال رئيس الرؤساء: وقد رأيت أشياء كثيرة مما استنكر على أبي عمر،
وأنهم فيها مدونة في كتب أئمة العلم، وخاصة في «غريب المصنف» لأبي
عبيد.

[٣] وللبشكري في أبي عمر فصيحة منها:
فلو أنني أقسمت ما كنت كاذباً بأن لم ير الراؤون جبراً يُعادله
إذا قلت شارفنا أو آخر علمه تفجر حتى قلت هذا أوائله
مات أبو عمر، سنة خمس وأربعين وثلاث مئة.

٦٨٣ - أبو سهل القَطَّان^(١)

[١] الإمام المحدث الثقة، مُسْنِدُ الْعِرَاقِ، أَبُو سَهْلٍ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، الْقَطَّانُ الْبَغْدَادِيُّ.

قال الخطيب: كان صدوقاً أديباً شاعراً، راويةً للأدب عن ثعلب والميرد، وكان يميل إلى التشيع.

[٢] قال أبو عبد الله بن بشر القَطَّان: ما رأيت أحسن انتزاعاً لما أراد من أي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جازناً، وكان يُدِيمُ صَلَاةَ اللَّيْلِ، وَالتَّلَاوَةَ، فَلِكثْرَةِ ذَرْبِهِ، صَارَ الْقُرْآنُ كَأَنَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ.

[٣] قال الخطيب: وكان في أبي سهل مُزَاحٌ وَدُعَابَةٌ، سَمِعْتُ الْبَرْقَانِيَّ يَقُولُ: كَرِهَهُ لِمَزَاحِ فِيهِ، وَهُوَ صَدُوقٌ.

وقال محمد بن الصُّورِيُّ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ نَضْرٍ بِمَصْرَ يَقُولُ: كُنَّا يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي سَهْلٍ بْنِ زِيَادٍ، فَأَخَذَ شَخْصٌ سَكِينًا كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ فِيهَا، فَقَالَ: مَالِكٌ وَلَهَا؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَسْرِقَهَا كَمَا سَرَقْتُهَا أَنَا؟ هَذِهِ سَكِينُ الْبَغْوِيِّ سَرَقْتُهَا مِنْهُ.

توفي أبو سهل، سنة خمسين وثلاث مئة. وكان مولده في سنة تسع وخمسين ومئتين.

٦٨٤ - ابنُ كامل^(٢)

[١] الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الْحَافِظُ الْقَاضِي، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلِ بْنِ خَلْفٍ، الْبَغْدَادِيُّ، تَلْمِيزُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ.

(١) انظر السير: ٥٢٢-٥٢١/١٥.

(٢) انظر السير: ٥٤٤-٥٤٦/١٥.

قال أبو الحسن بن رزقويه: لم ترَ عينا من مثله.
 قال الخطيب: كان من العلماء بالأحكام، وعلوم القرآن والشعر والشعر والشعر والتواريخ. وله في ذلك مصنّفات، وليّ قضاء الكوفة.
 [١] وقال الدارقطني: كان مُتساهلاً، رُتُما حدّث من حِفْظِهِ بما ليس في كتابه، وأهلكه العُجب، كان يختارُ لنفسه، ولا يُقلدُ أحداً.
 توفي سنة خمسين وثلاث مئة. وله تسعون سنة..
 [٢] وقال الدارقطني أيضاً: كان لا يُعدُّ لأحدٍ من الفقهاء وزناً، أملى كتاباً في السنن، وتكلّم على الأخبار.
 [٣] قال ابنُ الذهبي: كان من بحورِ العِلْمِ فأخمله العُجب.

٦٨٥ - صاحبُ الأندلس^(١)

[٤] المَلِكُ الملقَّبُ بأمير المؤمنين، الناصر لدين الله، أبو المطرف عبد الرحمن ابنُ الأمير محمد بن صاحب الأندلس عبدالله بن صاحب الأندلس محمد بن صاحب الأندلس عبد الرحمن بن صاحبها الحكم بن صاحبها هشام ابن الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية بن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان، المرواني الأندلسي.

[٥] باني مدينة الزهراء، والذي دامت دولته خمسين سنة، وصاحب الفتوحات الكثيرة، والغزوات المشهورة، وهو أوّل من تلقّب باللقاب الخِلافة، وذلك لما بلغه قتل المُقتدر، ووهنُ الخِلافة العباسية، فقال: أنا أولى بالاسم والنعت.

[٦] قُتل أبو هذا شاباً ولهذا عشرون يوماً، فكفله جدّه، فلما مات جدّه، بويع هذا سنة ثلاث مئة مع وجود الأكابر من أعمامه وأعمام أبيه فولّي وعمره اثنتان وعشرون سنة، فضبط الممالك، وخافته الأعداء، وعمل الزهراء على بريد^(٢)

(١) انظر السير: ١٥ / ٥٦٢-٥٦٤.

(٢) البريد: اثنا عشر ميلاً.

من قُرْطَبَة، فشيدها وزخرفها، وأنفق عليها قناطر من الذهب، وكان لا يملُ من الغزو، فيه سؤددٌ وحزم وإقدام، وسجاييا حميدة.
وقد توفي الناصر قبل تامة زخرفة مدينة الزهراء، فأتتها ابنة المستنصر، وبها جامعٌ عديم المثل وكذا منارته.

[١] افتتح سبعين حصناً من أعظم الحصون، وقد مدّخته الشعراء.
قلت: توفي سنة خمسین وثلاث مئة وله اثنتان وسبعون عاماً رحمه الله.
[٢] وقد كنتُ ذكرتُ ترجمته مع جدّهم، فأعدتها بزوائد وفوائد، وإذا كان الرأسُ عالي الهمة في الجهاد، احتملت له هناتٌ، وحسابه على الله أما إذا أمات الجهاد، وظلم العباد، وللخزائن أباد، فإن ربك لبالمرصاد.

٦٨٦ - ابن الأخرم (١)

[٣] مقرئ دمشق، العلامة أبو الحسن، محمد بن النضر بن مر، الربيعي الدمشقي ابن الأخرم، تلميذ هارون الأحمش الدمشقي.
كانت له حلقة عظيمة بجامع دمشق يقرؤون عليه من بعد الفجر إلى الظهر.
وقال علي بن داود الداراني: قدِم ابن الأخرم بغداداً، فأمر ابن مجاهد تلامذته أن يختلفوا إلى ابن الأخرم.
وقال الشنوبذي: قرأت عليه، فما رأيت أحسن معرفةً منه بالقرآن ولا أحفظاً، وكان يحفظ تفسيراً كثيراً ومعاني، حدّثني أن الأحمش حفظه.
[٤] قال محمد بن علي السلمي: قمت ليلة سحراً لأخذ النوبة على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً، وقال: لم تدركني النوبة إلى العصر.
توفي ابن الأخرم في سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة. وعاش إحدى وثمانين سنة.

(١) انظر السير: ١٥ / ٥٦٦-٥٦٤.

العلامة المفسر، شيخ القراء، أبو بكر محمد بن الحسين بن محمد الموصلي ثم البغدادي النقاش. ولد سنة ست وستين ومئتين. وهو مؤلف «شفاء الصدور» في التفسير.

وكان واسع الرحلة، قديم اللقاء، وهو وفي القراءات أقوى منه في الروايات، ولو ثبتت في النقل لصار شيخ الإسلام.

قال أبو عمرو الداني: هو مقبول الشهادة، حدثنا فارس، سمعت عبد الله بن الحسين، سمعت ابن شنيوذ، يقول: خرجت من دمشق، فإذا بقافلة فيها النقاش، وبيده رغيف، فقال لي: ما فعل الأخفش؟ قلت: توفي، قال: ثم انصرف النقاش، وقال: قرأت على الأخفش.

وقال طلحة بن محمد الشاهد: كان النقاش يكذب في الحديث والغالب عليه القصاص.

وقال أبو بكر البرقاني: كل حديث النقاش منكر.

وقال الحافظ هبة الله اللالكائي: تفسير النقاش إشفى الصدور لا شفاء الصدور. (٢)

روى أبو بكر عن أبي غالب، عن جده معاوية بن عمرو، عن زائدة عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبل دعاء حبيب على حبيه».

قال الدارقطني: فرجع عنه حين قلت له: هو موضوع.

وقال الدارقطني: قال النقاش: كسرى أبو شروان. جعلها كنية، وكان يدعو: لا رجعت يد فصدتكم صفراء من عطائك. وإنما هي صفرأ.

(١) انظر السير: ١٥ / ٥٧٦-٥٧٣.

(٢) الإشفى: المنقب يخز به، يستعمله الإسكان.

قال الخطيب: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُضَلِّ الْقَطَّانَ يَقُولُ: حَضَرْتُ النَّقَّاشَ وَهُوَ يَجُودُ
بِنَفْسِهِ فِي ثَالِثِ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ
﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا. ثُمَّ خَرَجَتْ
نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦٨٨ العَسَالُ (١)

[١] محمد بن أحمد بن إبراهيم، القاضي أبو أحمد الأصبهاني الحافظ المعروف بالعَسَال، صاحب المصنفات.

قال الحاكم: كان أحد أئمة الحديث.

وقال أبو سعيد النقاش: أخبرنا أبو أحمد العَسَال، ولم نَر مثله في الإِتقان والحفظ.

قلت: وقد رأى النقاش الحاكمين، والذَّارِقُطْنِي، وأبا بكر الجعابي، وأبا إسحاق ابن حمزة، وأخذ عنهم، وهو مع ذلك يقول هذا القول.

[٢] وقيل: إنه كان لا يُغلق بابه عن أحد، وكان إذا توجه على الخصم يميناً لا يُحلفه ما أمكنه، بل يغرَم عنه ما لم يبلغ مئة دينار، فإذا بلغ المئة أو جاوزها، كان يثبَّت ويُدافع وتَمهَّل إلى المجلس الثاني، ويُحذَر المدعى عليه ونال اليمين، ويخوِّفه يوم الدين، ويذكره الوقوف بين يدي رب العالمين، ثم يُحلفه على كره.

[٣] يُحكى أنه ما كان يجلس لإملاء الحديث، ولا يَمَسُّ جزءاً إلا على طهارة، وأنه كان مرَّةً مع صهره، فدخل مسجداً، وشرع في الصلاة فختم القرآن في ركعة.

[٤] قال أبو غالب: وسمعت جدِّي يقول: سمعتُ والدي أبا إسحاق إبراهيم بن القاضي أبي أحمد العَسَال يقول: لما مات القاضي وجلس بنوه للتعزية، فدخل رجلان في لباس سواد، وأخذوا يولولان ويقولان: وإسلاماه، فسُئلا عن حالهما، فقالا: إنا وردنا من أغمات من المغرب، لنا سنة ونصف في الطريق في الرحلة إلى هذا الإمام لنسمع منه فوافق ورودنا وفاته.

توفي القاضي أبو أحمد سنة تسع وأربعين وثلاث مئة.

وكان مولده سنة تسع وستين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٦/٦-١٥

[١] دَعْلِجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلِجِ الْمُحَدَّثِ، الْحَبَّجَةُ الْفَقِيهَ الْإِمَامَ، أَبُو مُحَمَّدٍ السَّجِسْتَانِيَّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيَّ النَّاجِرُ، ذُو الْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ أَوْ قَبْلَهَا بِقَلِيلٍ وَسَمِعَ بَعْدَ الثَّمَانِينَ مَالًا يُوصَفُ كَثْرَةً بِالْحَرَمَيْنِ، وَالْعِرَاقِ، وَخِرَاسَانَ، وَالنَّوَاحِي حَالَ جَوْلَانِهِ فِي التَّجَارَةِ.

[٢] قَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ دَعْلِجٌ مِنْ ذَوِي الْبَسَارِ، لَهُ وَقُوفٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ.

قَالَ الْخَطِيبُ: حَكَى لِي أَبُو الْعَلَاءِ الْوَاسِطِيُّ، أَنَّ دَعْلِجًا سُئِلَ عَنْ مَفَارِقَتِهِ مَكَّةَ، فَقَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ الْمَسْجِدِ، فَتَقَدَّمَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: أَخُ لَكَ مِنْ خِرَاسَانَ قَتْلَ أَخَانَا، فَنَحْنُ نَقْتَلُكَ بِهِ، فَقُلْتُ: اتَّقُوا اللَّهَ، فَإِنَّ خِرَاسَانَ لَيْسَتْ بِمَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ أَزَلْ بِهِمْ إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ وَخَلَّوْا عَنِي. فَهَذَا كَانَ سَبَبَ انْتِقَالِي إِلَى بَغْدَادٍ. وَكَانَ يَقُولُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ دَارِي، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ بَغْدَادٍ، وَلَا بِبَغْدَادٍ مِثْلُ مَحَلَّةِ الْقَطِيعَةِ، وَلَا فِي الْقَطِيعَةِ مِثْلُ دَرِّ أَبِي خَلْفٍ، وَلَيْسَ فِي الدَّرِّ مِثْلُ دَارِي.

[٣] وَنَقَلَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ حِكَايَةَ مَقْتَضَاهَا أَنَّ رَجُلًا صَلَّى الْجُمُعَةَ فَرَأَى رَجُلًا مَتَسُكِّنًا لَمْ يَصِلْ، فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَيَّ، لَدَعْلِجٍ عَلَيَّ خَمْسَةَ آلَافٍ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَحْدَثْتُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ دَعْلِجًا، فَطَلَبَهُ إِلَى مَنْزَلِهِ، وَحَلَّلَهُ مِنَ الْمَالِ، وَوَصَّلَهُ بِمِثْلِهَا لِكُونِهِ رُوْعَهُ.

[٤] أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَاعِظُ، قَالَ: أَوْدَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيُّ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ لِيَتِيمٍ، فَضَاقَتْ يَدُهُ فَانْفَقَهَا وَكَبَّرَ الصَّبِيَّ، وَأَذَّنَ لَهُ فِي قَبْضِ مَالِهِ، قَالَ ابْنُ أَبِي مُوسَى: فَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ، وَتَحْيِرْتُ، وَفَبَكَرْتُ عَلَيَّ بِغَلْتِي، وَقَصَدْتُ الْكَرْخَ فَانْتَهَتْ بِي الْبَغْلَةُ إِلَى دَرِّ السَّلُولِيِّ وَوَقَفَتْ بِي عَلَى بَابِ مَسْجِدِ دَعْلِجٍ،

فدخلتُ فصليتُ خلفه الفجر، فلما انفتل رَحَبَ بي، وقمنا فدخلنا داره، فقُدِّمَتْ لنا هريسة، فأكلتُ وقصرتُ، فقال: أراك منقبضاً، فأخبرته، فقال: كُلْ فَإِنَّ حاجتك تُفضي، فلماً فرغنا، استدعى بالذهب والميزان، فوزن لي عشرة آلاف دينار وقمتُ أطييراً فرحاً، ثم سلمتُ المال إلى الصَّيبيِّ بحضرة قاضي القضاة، وعظم الثناء عليّ، فلما عدتُ إلى منزلي استدعاني أمير من أولاد الخليفة فقال: قد رغبتُ في معاملتك وتضمينك أملاكِي، فضممتُها فربحتُ في ستي ربحاً عظيماً، وكسبتُ في ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار، وحملتُ لدعلاج المال، فقال: سبحان الله، والله ما نويت أخذها، حلُّ بها الصَّيبان، فقلتُ: أيُّها الشيخ، أيش أصلُ هذا المال حتى تهبَّ لي عشرة آلاف دينار؟ فقال: نشأتُ، وحفظتُ القرآن، وطلبتُ الحديث، وكنتُ أتبرزز، فوفاني تاجر من البحر فقال: أنتَ دَعَلِجٌ؟ قلتُ: نعم. قال: قد رغبتُ في تسليم مالي إليك مضاربةً، فسَلِّم إليّ برنامجات بألف درهم، وقال لي: ابسطُ يدك فيه ولا تعلم مكاناً ينفقُ فيه المتاع إلا حملته إليه، ولم يزل يتردد إليّ سنةً بعد سنة يحمل إليّ مثل هذا والبضاعة تسمى. ثم قال: أنا كثير الأسفار في البحر، فإن هلكتُ فهذا المالُ لك على أن تصدِّقَ منه، وتبني المساجد، فأنا أفعل مثل هذا، وقد ثَمَّرَ اللهُ تعالى المالَ في يدي، فاكْتُمَ عليّ ما عِشْتُ.

قال الحاكم: كان السلطانُ لا يتعرض لِتَرْكَةِ، ثم لم يصبر عن أموال دَعَلِجٍ، وقيل: لم يكن في الدُّنيا أيسرُ منه من التجار، وتركوا أوقافه، رحمه الله.

مات سنة إحدى وخمسين وثلاث ومئة.

٦٩٠ التَّجِيبي (١)

[١] العلامة، شيخ المالكية بقرطبة، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة

(١) انظر السير: ٧٩/١٦ - ٨٠

التجسبي، مولاهم الكتاني الطليطلي، نزيل قرطبة، فقيه قدوة، ورع، صالح، له حانوت في الكتان، أقرأ الفقه.

[١] قال ابن عفيف: كان من أهل العلم، والفهم، والعقل والدين المتين، والزهد، والبعد من السلطان، لا تأخذه في الله لومة لائم.

[٢] وقال ابن الفرصي: كان أبو إبراهيم حافظاً للفقه، صدرأ في الفتيا وقوراً، مهيباً، لم يكن له بالحديث كبير علم، وله كتاب «معالم الطهارة» وكان الحكم أمير المؤمنين معظماً له. وكان صلياً قليل الهيئة للملوك، اغتاب الحكم رجلاً، فسكت أبو إبراهيم ونكس برأسه فأقصر الحكم وفهم، وقد راوده على أن يأتيه بولده أحمد وهو صبي، فقال: لا يصلح الآن لذلك.

توفي أبو إبراهيم سنة اثنين وخمسين وثلاث مئة.

٦٩١ الجعابي^(١)

[٣] الحافظ البارغ العلامة، قاضي الموصل، أبو بكر محمد بن عمر بن محمد التميمي البغدادي الجعابي.

مولده سنة أربع وثمانين ومشتين.

[٤] قال ابن الفضل القطان: سمعت ابن الجعابي يقول: دخلت الرقة، وكان لي ثم قمطران^(٢) كتب فجاء غلامي مغموماً وقد ضاعت الكتب، فقلت: يا بني لا تعتّم، فإن فيها متني ألف حديث لا يشكّل عليّ حديث منها لا إسنادُهُ ولا متنه.

ونقل الخطيب عن أشياخه أن ابن الجعابي كان يشرب في مجلس ابن العميد.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن ابن الجعابي فقال: خلط،

وذكر مذهبه في التشيع، وكذا نقل أبو عبد الله الحاكم، عن الدارقطني قال:

(١) انظر السير: ١٩/٨٨-٩٢

(٢) تشبة قمطر: ما يصان فيه الكتب.

وحدثني ثقة أنه خلى ابن الجعابي نائماً وكتب على رجله، قال: فكنت أراه ثلاثة أيام لم يمسه الماء.

قال الخطيب: سمعت ابن رزقويه يقول: كان ابن الجعابي يمتلي مجلسه، وتمتلي السكّة التي يمتلي فيها والطريق، ويحضر الدارقطني، وابن المظفر ويملي من حفظه.

قال الأزهري: كانت سكينه نائحة الرافضة تنوح في جنازته، مات سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.

٦٩٢ ابن حبان^(١)

[١] الإمام العلامة، الحافظ المجود، شيخ خراسان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي الدارمي البستي، صاحب الكتب المشهورة. ولد سنة بضع وسبعين ومئتين.

[٢] قال ابن حبان في أثناء كتاب «الأنواع»: لعننا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ. قلت: كذا فلتكن الهمم، هذا مع ما كان عليه من الفقه والعريضة، والفضائل الباهرة، وكثرة التصانيف.

[٣] عبد الصمد بن محمد بن محمد، سمعت أبي يقول: أنكروا على أبي حاتم بن حبان قوله: النبوة: «العلم والعمل» فحكموا عليه بالزندقة، هجر، وكتب فيه إلى الخليفة، فكتب بقتله.

قلت: هذه حكاية غريبة، وابن حبان فمّن كبار الأئمة، ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق الفيلسوف، فأطلاق المسلم لها لا ينبغي، لكن يُعذر عنه، فنقول: لم يرد حصر المبتدأ في الخير ونظير ذلك قوله عليه السلاة والسلام «الحج عرفة» ومعلوم أن

(١) انظر السير: ١٦/٩٢-١١٤

الحاج لا يصيرُ بمجرد الوقوف بعرفة حاجاً، بل بقي عليه فروض وواجبات وإنما ذكر مهمُّ الحج . وكذا هذا ذكر مهمُّ النبوة، إذ من أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل . فلا يكون أحد نبياً إلا بوجودهما، وليس كلُّ من برز فيهما نبياً، لأن النبوة موهبة من الحق تعالى، لا حيلة للعبد في اكتسابها، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح .

وأما الفيلسوف فيقول: النبوة مكتسبة يُنتجها العلم والعمل فهذا كفر، ولا يريدُه أبو حاتم أصلاً، وحاشاه، وإن كان في تقاسيمه من الأقوال، والتأويلات البعيدة، والأحاديث المنكرة عجائب وقد اعترف أن «صحيحه» لا يقدر على الكشف منه إلا من حفظه، كمن عنده مصحف لا يقدر على موضع آية يريدُها منه إلا من يحفظه . [١٠] وقال أبو إسماعيل الأنصاري: سمعت يحيى بن عمار الواعظ وقد سأله عن ابن حبان، فقال: نحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحدُّ لله، فأخرجناه .

قلت: إنكاركم عليه بدعة أيضاً، والخوض في ذلك ممَّا لم يأذن به الله، ولا أتى نصُّ بإثبات ذلك ولا بنفيه، ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وتعالى الله أن يُحدَّ أو يُوصف إلا بما وصف به نفسه، أو علَّمه رسله بالمعنى الذي أراد بلا مثل ولا كيف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿[الشورى ١١]﴾ .

توفي ابن حبان بسجستان بمدينة بُست في سنة أربع وخمسين وثلاث مئة وهو في عشر الثمانين .

٦٩٣ ابنُ الدَّاعي^(١)

[٢] الكبير، الرئيس المعظم الشريف، أبو عبدالله، محمد بن الحسن بن القاسم

(١) انظر السير: ١١٦/١١٦-١١٦

العلويّ الديلمي المولد .

وُلد سنة أربع وثلاث مئة وحرِّج في سنة بضع وثلاثين .

[١] برع في الرأي على الإمام أبي الحسن الكرخي ، وأخذ علم الكلام عن حسين ابن علي البصري ، وأفتى ودرّس ، وولّي نقابة الطالبين في دولة بني بويه ، فعدل وحُمد ، وكان معزُّ الدولة يُبالغ في تعظيمه ، وتقبيل يده ، لعبادته وهيبته ، وكان فيه تشيُّع بلا غلو .

[٢] قال أبو علي التَّنُوخي : حدثنا أبو الحسن بن الأزرق ، قال : كنت بحضرة الإمام أبي عبدالله بن الدّاعي ، فسأله أبو الحسن المعتزليُّ عما يقوله في طلحة والزبير ، فقال : أعتقد أنهما من أهل الجنة ، قال : ما الحجّة؟ قال : قد رويت توبتهما ، والذي هو عمدي أن الله بشرهما بالجنة ، قال : فما تنكر علي من زعم أنه عليه السلام قال : إنهما من أهل الجنة ومقالته : فلو ماتا لكانا في الجنة ، فلما أحدثا زال ذلك ، قال : هذا لا يلزم ، وذلك أن نقل المسلمين أن بشارَةَ النبي ﷺ سبقت لهما فوجب أن تكون موافقتهما القيامة على عمل يوجب لهما الجنة وإلا لم يكن ذلك بشارَةَ ، فدعا له المعتزليُّ واستحسن ذلك ، ثم قال : ومحال أن يُعتقد هذا فيهما ، ولا يُعتقد مثله في أبي بكر وعمر ، إذ البشارة للعشرة .

[٣] قال أبو علي التَّنُوخي : رأيتُ في مجلس أبي عبدالله ، وقد جاءه رجلٌ بفتوى فيمن حلف فطلق امرأته ثلاثاً معاً ، فقال له : تريد أن أفتيك بما عندي وعند أهل البيت أو بما يحكيه غيرنا عن أهل البيت؟ فقال : أريد الجميع ، قال : أمّا عندي وعندهم فقد بانّت ، ولا تحلُّ لك حتّى تنكح زوجاً غيرك .

قلت : كان يمتنع من الترحُّم على معاوية رضي الله عنه ، ولا يَشْتِمُ الصحابة .

(١) هو الإمامُ الحافظُ، الثَّقَّةُ، الرَّحَالُ الجَوَالُ، محدِّثُ الإسلامِ علْمُ المعمِّرينَ، أبو القاسمِ، سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبِ اللخمي الشامي الطبراني، صاحبُ المعاجمِ الثلاثة.

مولَّده بمدينة عكا في سنة ستين ومِئتين، وكانت أمه عكاوية.

وأولُ سَمَاعِهِ في سنة ثلاث وسبعين، وارتحل به أبوه وحرص عليه فإنه كان صاحب حديث، من أصحاب دُحَيْمٍ، فأول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين، فبقي في الارتحال ولقي الرجال سِتَّةَ عشرَ عاماً. وكتب عمَّن أقبِل وأدبِر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنَّف وعمر دهرًا طويلاً، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار.

استوطن أصبهان، وأقام بها نحواً من ستين سنة ينشر العلم ويؤلفه، وإنما وصل إلى العراق بعد فراغه من مصر والشام والحجاز واليمن، وإلا فلو قصد العراق أولاً لأدرك إسناده عظيمًا.

[٢] ومن تواليفه «المعجم الصغير» في مجلد عن كل شيخ حديث، و«المعجم الكبير» وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رَوَوْه، لكن ليس فيه مُسند أبي هريرة، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين، في ثمان مجلدات، و«المعجم الأوسط» على مشايخه المُكثرين، وغرائب ما عنده عن كل واحد، يكون خمس مجلدات. وكان الطبراني - فيما بلغنا - يقول عن «الأوسط»: هذا الكتاب رُوحِي.

[٣] قال ابنُ منده: وبلغني أن الطبراني كان حَسَنَ المشاهدة طيبَ المحاضرة، قرأ عليه يوماً أبو طاهر بنُ لُوقا حديثاً: كان يغسل حصى جِماره (٢) فصَحَّفه، وقال: حُصِي جِماره، فقال: ما أراد بذلك يا أبا طاهر قال: التواضع، وكان هذا كالمغفل،

(١) انظر السيرة: ١١٩/١٦ - ١٣٠

(٢) في «مصنف ابن أبي شيبة» ٢٧/٤: حدثنا وكيع عن زعمة عن ابن طاووس، عن أبيه أنه كان يغسل حصى الجمار.

قال له الطبراني يوماً: أنت ولدي، قال: وإياك يا أبا القاسم، يعني: وأنت.

[١] قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللُّغوي: سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظنُّ أن في الدنيا حلاوةً الذَّمن الرئاسة والموزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة أبي القاسم الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، فكان الطبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكاائه حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجُمحي، حدثنا سليمان بن أيوب وخذت بحديث، فقال الطبراني: أخبرنا سليمان بن أيوب ومني سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو فيه إسنادك، فحجل الجعابي، فوددت لو أن الوزارة لم تكن وكنت أنا الطبراني، وفرحت كفرحه، أو كما قال.

قيل: ذهبت عيناه في آخر أيامه، فكان يقول: الزنادقة سحرني. فقال له يوماً حسن العطار - تلميذه - يمتحن بصره: كم عدد الجدوع التي في السقف؟ فقال: لا أرى، لكن نقش خاتمي سليمان بن أحمد.

قلت: هذا قاله علي سبيل الدعابة.

وقد عاش الطبراني مئة عام وعشرة أشهر.

قال أبو نعيم الحافظ: توفي الطبراني سنة ستين وثلاث مئة بأصبهان.

٦٩٥ ابن هاني^(١)

[٢] شاعرُ العصر أبو الحسن، محمد بن هاني الأزدي المهلب الأندلسي يُقال: إنه من ذرية المهلب وكان أبوه شاعراً أيضاً، ويكنى محمد أبا القاسم أيضاً. مولده بإشبيلية وكان ذا حظوة عند صاحب إشبيلية، ونظمه بديع في الذروة،

(١) انظر السير: ١٦/١٣١-١٣٢

وكان حافظاً لأشعار العرب وآيامها، لكنّه فاسقٌ خَمِيرٌ يُتَّهَمُ بدين الفلاسفة، فهرب
 لما همّوا به إلى العُدوة فاتَّصل بالمعزِّ العبيدي، فأنعمَ عليه، وشرب عند قوم،
 فخلق في سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وهو في عشر الخمسين.
 وديوانه كبير وفيه مدائح تُقضى به إلى الكفر^(١) وهو من نظراء المتنبّي.

٦٩٦ ابنُ العميد^(٢)

[١] الوزيرُ الكبير، أبو الفضل، محمدُ بن الحسين بن محمد الكاتب وزير الملك
 ركن الدولة الحسن بن بويه الذيلمي.

كان عجباً في الترسُّل والإنشاء والبلاغة، يُضربُ به المثل، ويقال له: الجاحظ
 الثاني. وقيل: بدت الكتابة بعد الحميد، وختمت بابن العميد.

وقد مدحه المتنبّي، فأجازه بثلاثة آلاف دينار.

وكان مع سعة فنونه لا يدري ما الشُّرع، وكان متفلسفاً، متهماً بمذهب الأوائل.

وكان إذا تكلم فقيه بحضرته شقَّ عليه ويسكت، ثم يأخذ في شيء آخر.

وكان ابنُ عبّاد يصحبه ويلزمه، ومن ثمَّ لُقِّبَ الصَّاحب.

مات سنة ستين وثلاث مئة فوزر بعده ابنه أبو الفتح عليّ وعمره اثنتان وعشرون

سنة، وكان ذكياً، عزيز الأدب، تياهاً، ولُقِّبَ ذا الكفايتين، وله نظم رائق، ثم عُذِّبَ

وقُتِلَ في سنة ست وستين وثلاث مئة، بعد أن سَمَلَ عضدُ الدولة عينه الواحدة وقطع

أنفه، وله نظم جيد.

(١) من ذلك قوله -صحه الله في- مدح المعز:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار

ومثل هذا كثير في ديوانه، وانظر -حسن المحاضرة، ٥٩٩/١.

(٢) انظر السير: ١٣٧/١٦-١٣٨.

٦٩٧ ابن نُجَيْد^(١)

[١] الشيخ الإمام القدوة المحدث الرباني، شيخ نيسابور، أبو عمرو وإسماعيل بن نُجَيْد بن الحافظ أحمد بن يوسف بن خالد السلمي النيسابوري الصوفي كبير الطائفة، ومُشَيَّدُ خراسان.

مولدُهُ في سنة اثنتين وسبعين ومئتين.

[٢] ومن محاسبه أن شيخه الزاهد أبا عثمان الحيري طلب في مجلسه مالا لبعض الثغور، فتأخر، فتألم وبكى على رؤوس الناس فجاءه ابن نُجَيْدَ بألفي درهم، فدعا له، ثم إنّه نوه به، وقال: قد رجوت لأبي عمرو بما فعل، فإنه قد ناب عن الجماعة، وحمل كذا وكذا، فقام ابن نُجَيْد، وقال: لكن إنما حملت من مالِ أُمِّي وهي كارهة، فينبغي أن تردّه لترضى، فأمر أبو عثمان بالكيس فردّ إليه، فلما جنّ الليل جاء بالكيس، والتمس من الشيخ ستر ذلك، فبكى، وكان بعد ذلك يقول: أنا أخشى من همّة أبي عمرو.

[٣] قال أبو عبد الرحمن السلمي: جدّي له طريقةٌ ينفرد بها من صون الحال وتلبسه، سمعته يقول: كلُّ حالٍ لا يكون عن نتيجة علمٍ وإن جُلّ، فإن ضرره على صاحبه أكبر من نفعه.

[٤] وسمعته يقول: لا يصفو لأحدٍ قدمٌ في العبوديّة حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء، وأحواله كلّها عنده دعاوى.

توفي ابن نُجَيْد سنة خمسٍ وستين وثلاث مئة عن ثلاثٍ وتسعين سنة.

(١) النظر السير: ١٤٦/١٦-١٤٨

[١] الإمام القدوة الشهيد، أبو بكر، محمد بن أحمد بن سهل الرُملي، ويُعرف بابن النَّابلسي.

[٢] قال أبو ذرُّ الحافظ: سَجَنَهُ بنو عُبيد، وصلُّوهُ على السَّنة، سمعتُ الدارقطني يذكره، ويكي، ويقول: كان يقول، وهو يُسلِّخ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء ٥٨].

قال أبو الفرج بنُ الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحبِ مصرَ أبا بكر النَّابلسي، وكان ينزل الأكوخ فقال له: بَلَّغْنَا أَنَّكَ قُلْتَ: إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ عَشْرَةُ أَسْهُمٍ، وَجِبَ أَنْ يَرْمِيَ فِي الرُّومِ سَهْمًا، وَفِينَا تِسْعَةٌ، قَالَ: مَا قُلْتُ هَذَا، بَلْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ مَعَهُ عَشْرَةُ أَسْهُمٍ، وَجِبَ أَنْ يَرْمِيَكُم بِتِسْعَةٍ وَأَنْ يَرْمِيَ الْعَاشِرَ فَيَكُم أَيْضًا، فَإِنَّكُمْ غَيْرْتُمْ الْمَلَّةَ، وَقَتَلْتُمْ الصَّالِحِينَ وَأَدَّعَيْتُمْ نَوْرَ الْإِلَهِيَّةِ، فَشَهْرُهُ ثُمَّ ضَرَبْتَهُ، ثُمَّ أَمَرَ يَهُودِيًّا فَسَلَّخَهُ وَخَشِي تَبْنًا، وَصَلَبَ.

قال معمر بنُ أحمد بن زياد الصُّوفي: أَخْبَرَنِي الثَّقَفُ، أَنَّ أبا بَكْرٍ سُلِّخَ مِنْ مَفْرَقِ رَأْسِهِ حَتَّى بَلَغَ الْوَجْهَ، فَكَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَصْبِرُ حَتَّى يَبْلُغَ الصَّدْرَ فَرَحِمَهُ السَّلَاحُ، فَوَكِّزَهُ بِالسُّكَيْنِ مَوْضِعَ قَلْبِهِ فَقَضَى عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَنِي الثَّقَفُ أَنَّهُ كَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، صَائِمَ الدَّهْرِ، كَبِيرَ الصُّوْلَةِ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَلَمَّا سُلِّخَ كَانَ يُسْمَعُ مِنْ جَسَدِهِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ.

[٣] قلت: لَا يُوصَفُ مَا قَلَبَ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِيَّةُ الدِّينَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَاسْتَوَلُوا عَلَى الْمَغْرِبِ، ثُمَّ عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ، وَسَبَّوْا الصَّحَابَةَ.

[٤] حكى ابنُ السَّعْيِ المِصْرِي، أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أبا بَكْرَ بْنَ النَّابِلْسِيِّ بَعْدَمَا صَلَّبَ وَهُوَ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ:

(١) انظر السير: ١٦/١٤٨-١٥٠.

جَبَانِي مَالِكِي بِدَوَامِ عِزِّ وَوَاعَدَنِي بِقُرْبِ الْإِنْتِصَارِ
وَقَرَّتَنِي وَأَدْنَانِي إِلَيْهِ وَقَالَ: انْعَمْ بَعِيثُ فِي جَوَارِي

٦٩٩ النعمان (١)

العلامة المارق، قاضي الدولة العبيديّة، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي.

كان مالكيًا، فارتد إلى مذهب الباطنية، وصنّف لهم أسس الدعوة، ونبذ الدين وراء ظهره، وألّف في المناقب والمثالب، وردّ على أئمة الدّين، وانسلخ من الإسلام، فسحقاً له وتعداً.

ووافق الدولة لابن وافقهم وكان ملازمًا للمعزّ أبي تميم منشيء القاهرة. وله يدٌ طويلة في فتون العلوم والفقه والاختلاف، ونقّس طويل في البحث، فكان علمه ونالاً عليه.

وصنّف في الردّ على أبي حنيفة في الفقه، وعلى مالك والشافعي، وانتصر لفقه أهل البيت، وله كتاب في اختلاف العلماء، وكتبه كبار مطوّلة. وكان وافر الحشمة، عظيم الحرمة، في أولاده قضاة وكبراء وانتقل إلى غير رضوان الله، بالقاهرة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة.

٧٠٠ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُوطِيِّ (٢)

[١] أبو الحكم الأندلسي، قاضي الجماعة بقرطبة، يُنسب إلى قبيلة يقال لها: كُرْزَنَة، وهو من موضع قريب من قرطبة، يقال له: فحص البلوط.

[٢] كان فقيهاً محققاً، وخطيباً بليغاً مفوهاً، له اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأذان،

(١) انظر السير: ١٦/١٥٠-١٥١

(٢) انظر السير: ١٦/١٧٣-١٧٨

وبهر العقول، وذلك أن المستنصر بالله كان مشغولاً بأبي عليّ القالي، يؤهله لكلّ مهم، فلما ورد رسولُ الرومِ أمره أن يقومَ خطيباً على العادة الجارية، فلما شاهد أبو عليّ الجمعَ العظيمَ جبنَ فلم تحمله رجلاه، ولا ساعدهُ لسانه، وفطن له منذر بنُ سعيد، فوثب في الحال، وقام مقامه وارتجل خطبةً بديعة، فأبهت الخلقَ وأنشد في آخرها لنفسه:

هذا المقال الذي ما عابه فندُّ لكنَّ صاحبه أزرى به البلدُ
لو كنتُ فيهم غريباً كنتُ مطرفاً لكنني منهم فاغتالي النكدُ
لولا الخِلافةُ أبقى الله بهجتها ما كنتُ أبقى بأرضٍ ما بها أخذُ
فاستحسنوا ذلك .

[١] قال ابنُ بشكوال في بعض كتبه: منذر بنُ سعيد خطيب بليغ مصمّع^(١) لم يكن بالاندلس أخطبُ منه، مع العلمِ البارِع، والمعرفةِ الكاملة واليقين في العلوم، والدينِ والورع، وكثرة الصيام والتَّهجد، والصّدقِ بالحق، كان لا تأخذه في الله لومةٌ لأئم وقد استسقى غير مرة، فسقى.

[٢] قال أبو محمد بنُ حزم: أخبرني حَكَم بنُ منذر بنُ سعيد أخبرني أبي أنه حجَّ راجلاً مع قومٍ رجالة، فانقطعوا وأعوّزهم الماء في الحجاز وتأهوا، قال: فأوينا إلى غارٍ ننظر الصوت، فوضعت رأسي مُلصقاً بالجبل، فإذا حجرٌ كان في قباليته، فعالجتُه، فترعته فانبعث الماء، فشرينا وتزوّدنا.

[٣] قال الحسن بنُ محمد: فحط الناسُ في بعض السنين آخرَ مدّةِ الناصر، فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فصام أياماً وتأهب، واجتمع الخلق في مصلى الرّيفِ وصعد الناصر في أعلى قصره ليشاهد الجمع، فأبطأ منذر ثم خرج راجلاً متخشعاً، وقام ليخطبَ فلما رأى الحالَ بكى ونشج وافتتح خطبته

(١) الخطيب المصمّع: البليغ الماهر في خطبته، وهو «بفعل» من الصمّع ومعناه رفع الصوت ومتابعته، وبفعل من أبتة المبالغة. لسان العرب: مادة: صمّع.

بأن قال: سلامٌ عليكم، ثم سكت شبة الحسير، ولم يكن من عاداته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ثم اندفع فقال: سلام عليكم، ﴿كَتَبَ رِجْمًا عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ٥٤] استغفروا رِجْمًا وتوبوا إليه، وتقرَّبوا بالأعمال الصالحة لديه، فَضَخَّ النَّاسُ بِالْبِكَاءِ، وَجَارُوا بِالدُّعَاءِ وَالتُّضَرُّعِ وَخَطَبَ فَأَبْلَغَ، فَلَمْ يَنْفُضْ الْقَوْمُ حَتَّى نَزَلَ غَيْثٌ عَظِيمٌ.

[١] واستسقى مرَّةً، فقال يهتف بالخلق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر ١٥، ١٦] فهبَّ الخلق على البكاء.

[٢] قال: وسمعتُ مَنْ يَذْكَرُ أَنَّ رَسُولَ النَّاصِرِ جَاءَهُ لِلإِسْتِسْقَاءِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: هَا أَنَا سَاتِرٌ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَصْنَعُهُ الْخَلِيفَةُ فِي يَوْمِنَا هَذَا؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتَهُ قَطُّ أَحْشَعُ مِنْهُ فِي يَوْمِهِ هَذَا، إِنَّهُ مُتَفَرِّدٌ بِنَفْسِهِ، لَا يَسُُّ أَحْسَنَ الثِّيَابِ، مُفْتَرِشَ التُّرَابِ، قَدْ عَلَا نَحِيْبُهُ وَاعْتَرَفَهُ بِذُنُوبِهِ، يَقُولُ: رَبِّ هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، أَتَرَكَ تَعَذِّبُ الرَّعِيَّةَ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلُهُمْ، أَنْ يَفُوتَكَ مِنْي شَيْءٌ، فَتَهْلُلُ مَنْذُرُ بْنُ سَعِيدٍ، وَقَالَ: يَا غَلَامُ احْمِلِ الْمِطْطَرَةَ مَعَكَ، إِذَا أَحْشَعُ جِبَارُ الْأَرْضِ رَحِمَ جِبَارِ السَّمَاءِ.

[٣] قال ابنُ عَظِيمٍ: مِنْ أَخْبَارِهِ الْمَحْفُوظَةِ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَلَ فِي بَعْضِ سَطُوحِ الزَّهْرَاءِ قَبَّةً بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجَلَسَ فِيهَا، وَدَخَلَ الْأَعْيَانُ، فَجَاءَ مَنْذُرُ بْنُ سَعِيدٍ، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ كَمَا قَالَ لِمَنْ قَبْلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْخُلَفَاءِ قَبْلِي فَعَلَ مِثْلَ هَذَا؟ فَأَقْبَلَتْ دَمُوعُ الْقَاضِي تَتَحَدَّرُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ أَنْ أَنْزَلَكَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ، قَالَ: لِمَ؟ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالْأَخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف ٣٣-٣٥] فَكَسَّ النَّاصِرُ رَأْسَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِي قُلْتُ هُوَ الْحَقُّ، وَأَمْرٌ بِنَقْضِ سَقْفِ الْقَبَةِ.

[٤] وَخَطَبَ يَوْمًا فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَقَالَ: حَتَّى مَتَى أَعْظُ وَلَا أُنْعَظُ وَأُزْجِرُ وَلَا أُرْذَجِرُ،

أدُلَّ على الطريق المُستدَلِّين وأبقى مُقيماً مع الحائرين، كلاً إنَّ هذا هو البلاء المبين، اللهم فرغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفَّلت لي به.

[١] وقد استغرق مؤرَّة في خطبته بجامع الزهراء فأدخل فيها ﴿أَتَبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبُونَ، وَتَسْجُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء ١٢٨-١٣٠] فتخير الناصر لخطابة الزهراء أحمد بن مطرف إذا حضر الناصر.

توفي منذر في سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.

٧٠١ حمزة بن محمد^(١)

[٢] ابن علي، الإمام الحافظ القدوة، محدث الديار المصرية، أبو القاسم الكِنَانِي المصري.

وُلِدَ سنة خمس وسبعين ومئتين.

وجمع وصنَّف، وكان متقناً مجوداً، ذا نأله وتعبد.

كُلُّ شيء له في سنة خمس: وُلِدَ سنة خمس وسبعين، وأول سماعه في سنة خمس وتسعين ورحل إلى العراق سنة خمس وثلاث مئة.

[٣] عبد الله بن محمد بن أسد، سمعت حمزة الكِنَانِي يقول: خرَّجت حديثاً واحداً عن النبي ﷺ من نحو مئتي طريق، فداخَلَنِي لذلك من الفرح غير قليل، وأُعجبت بذلك، فرأيت يحيى بن معين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرَّجت حديثاً من مئتي طريق، فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخل هذه تحت ﴿الهاكُمُ التُّكَاثُرُ﴾ [التكاثر ١].

[٤] قال أبو عبد الله بن مندة: سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتب الحديث، فلا أكتب (وسلم) بعد صلَّى الله عليه فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال

(١) انظر السير: ١٧٩/١٦-١٨١

لي : أما تخيم الصلاة علي في كتابك ؟!

[١] علي بن عمر الحراني ، سمعت حمزة بن محمد الحافظ ، وجاءه غريب ، فقال : إن عسكر أبي تميم - يعني المغاربة - قد وصلوا إلى الإسكندرية فقال : اللهم لا تحيني حتى تُرتي الراياتِ الصفر ، فمات حمزة ودخل عسكرهم بعد موته بثلاثة أيام .

[٢] قلت : هؤلاء عسكر المعز العبدي الاسماعيلية ، تملكوا مصر في هذا الوقت ، وبشوا في الحال مدينة القاهرة المعزية ، فاماتوا السنة ، وأظهروا الرفض ، ودامت دولتهم أزيد من مئتي عام ، حتى أبادهم السلطان صلاح الدين ، ونسبهم إلى علي رضي الله عنه غير صحيح .

مات حمزة في سنة سبع وخمسين وثلاث مئة .

٧٠٢ المغفلي (١)

[٣] الإمام العالم ، القدوة الحافظ ، ذو الفنون ، أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بشر بن مغل بن حسان بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله ابن مغل المزني المغفلي الهروي ، الملقب الباز الأبيض .
وُلد بعد السبعين ومئتين .

وجمع وصنف ، وتقدم في معرفة الحديث والعلوم .

[٤] قال الحاكم : كان إمام أهل خراسان بلا مدافعة ، وقد حج بالناس وخطب بمكة ، وقدم إليه المقام وهو قاعد في جوف الكعبة ولقد سمعتهم بمكة يذكرون أن هذه الولاية لم تكن قط لغيره ، ومن عظمته أن كان فوق الوزراء ، وأنهم كانوا يصدرون عن رأيه . وجاوز مرة بمكة ، وكنت ببخارى أستلمي له ، فذكر أنه حصل وجدٌ وشيء من غشي بسبب إملاء حكاية وأبيات ، وتوفي بعد جمعة فسمعت ابنه

(١) انظر السير : ١٦ / ١٨١ - ١٨٤

[١] بشراً يقول: آخر كلمة تكلم بها أن قبض على لحيته ورفع يده اليمنى إلى السماء، وقال: ارحم شعبة شيخ جاءك بتوفيقك على الفطرة.
توفي سنة ست وخمسين وثلاث مئة.

[٢] قال الحاكم: وسمعت أبا الفضل السليماني - وكان صالحاً - يقول: رأيت أبا محمد المزني في المنام بعد وفاته بليلتين، وهو يتبخر في مشيته ويقول بصوت عال: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ [القصص ٦٠].

[٣] قال الحاكم: ورد كتاب من مصر بأن يحج أبو محمد المغفلي بالناس، ويخطب بعرفة ومنى، فصلّى بعرفة وأنتم الصلاة، فجع الناس، فصعد المنبر، فقال: أيها الناس، أنا مقيم وأنتم على سفر، فلذلك أتممت.

٧٠٣ سَيْفُ الدَّوْلَةِ (١)

[٤] أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، صاحب حلب، مقصد الوفود، وكعبة الجود، وفارس الإسلام، وحامل لواء الجهاد.
كان أديباً مليحاً النظم، فيه تشيع.

[٥] ويقال: ما اجتمع باب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه. وكان يقول: عطاء الشعراء من فرائض الأمراء.

وقد جمع له من المدائح مجلّدان.

[٦] يقال: تم له من الروم أربعون وقعة، أكثرها ينصره الله عليهم.

[٧] وقيل: إنه في عيد نفذ إلى الناس ضحايا لا تعدّ كثرة، فبعث إلى اثني عشر ألف إنسان، فكان أكثر ما يبعث إلى الكثير منهم مئة رأس.

[٨] وتوفيت أخته، فخلفت له خمس مئة ألف دينار، فافتك بجميعها أسرى.

[٩] مولده في سنة احدى وثلاث مئة. وله غزوا ما اتفق لملك غيره وكان يضرب

(١) انظر السير: ١٦/١٨٧-١٨٩

بشجاعته المثل، وله وقع في النفوس، فالله يرحمه.

[١] مات بالفالغ، وقيل: بعسر البول، سنة ست وخمسين. وكان قد جمع من الغبار الذي يقع عليه وقت المصافات قدر الكف، وأوصى أن يوضع على خده. وكانت دولته نيفاً وعشرين سنة.

٧٠٤ مُعزُّ الدَّولة^(١)

[٢] السُّلطان، أبو الحسين، أحمدُ بنُ بُوَيه بنِ فُناخسرو الدَّيلمِي الفارسي، قد ساقَ نَسبَهُ ابنُ خَلِّكان إلى كِسرى بهرام جُور. فالله أعلم.

[٣] كان أبوه سَمَّاكاً، وهذا ربَّما احتطَب، تملَّك العراق نيفاً وعشرين سنة، وكان الخليفةَ مقهوراً معه، وماتَ مَبْطوناً فعهد إلى ابنه عَزُّ الدَّولة بَحْتِيار، وكان يتشيع، فقيل: تاب في مرضه، وترضى عن الصحابة، وتصدَّق، وأعتق، وأراق الخُمور ونَدِم على ما ظلم، وردَّ المَوارِث إلى ذوي الأرحام وكان يقال له: الأقطع. طارت يساره في حرب، وطارت بعضُ اليمنى، وسقط بين القتلى ثم نجا، وتملَّك بَعْداد بلا كلفة ودانت له الأمم، وكان في الابتداء تبعاً لأخيه الملك عماد الدَّولة.

مات سنة ست وخمسين وثلاث مئة، وله ثلاث وخمسون سنة.

وقد أنشأ داراً غرم عليها أربعين ألفَ ألفِ درهم فبقيت إلى بعد الأربع مئة ونقضت، فاشترَوا جرداً ما في سُوقها من الذهبِ بِثمانية آلاف دينار.

٧٠٥ كَافور^(٢)

[٤] صاحبُ مصر، الخَدام الأستاد، أبو المسك، كافورُ الإخشيديّ الأسود. تقدّم عند مولاه الإخشيذ، وسادَ لرأيه وحزَمه وشجاعته فصيرهُ من كبار قُواده، ثم

(١) انظر السير: ١٦/١٨٩-١٩٠

(٢) انظر السير: ١٦/١٩٠-١٩٣

حارب سيف الدولة، ثم صار أتابك أنوجور ابن أستاذه وتمكن.

مات الملك أنوجور شاباً في سنة تسع وأربعين وثلاث مئة فأقام كافور أخاه علياً في السلطنة، فبقي ست سنين، وأزمته الأمور إلى كافور، وبعده تسلمن وركب الأسود بالخلعة السوداء الخليفة فآشار عليه الكبار بنصب ابن لعللي صورة في اسم الملك، فاعتل بصخره، وما التفت على أحد، وأظهر أن التقليد والأهبة جاءت من المطيع، وذلك سنة خمس وخمسين، ولم يستطع فيها عثران.

وكان مهيأ، سائساً، حليماً، جواداً، وقوراً، لا يشبه عقله عقول الخدّام وفيه [١] يقول المثنوي :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقَا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانٌ عَيْنَ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضاً خَلَقَهَا وَمَاقِبَا
فَأَقَامَ عِنْدَهُ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَفَالَهُ مَالٌ جَزِيلٌ، ثُمَّ هَجَاهُ لَأَمَةٌ وَكُفْرًا لِنَعْمَتِهِ وَهَرَبَ عَلَى
الْبُرَّةِ يَقُولُ :

[٢] مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً أَقْوَامُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصُّيُدُ
وَذَلِكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةَ السُّودُ
وَدُعِيَ لِكَافُورٍ عَلَى مَنَابِرِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْحَرَمِينَ وَالشُّغُورِ.
وكان ملازماً لمصالح الرعية.

وكان يتعبّد ويتهجّد، ويمرّع وجهه، ويقول: اللهم لا تسلط علي مخلوقاً.
وكان يُقرأ عنده السّير والدول.

وله نداء وجوار مغنيات، ومن المماليك ألوف مؤلفة، وكان فطناً، يقظاً، ذكياً،
يُهادي المعزّ إلى الغرب، ويُداري ويخضع للمطيع، ويخدع هؤلاء وهؤلاء.
وله نظر في الفقه والنحو.

توفي سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، ومات في عشر السبعين.
وقيل: مشتراه على الإخشيد ثمانية عشر ديناراً.

وللمتنبّي يهجو ويهجو ابن جنابة الوزير:

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطي من أهل السواد يُدرس أنساب أهل القلا
وأسود مشفرة نصفه يُقال له أنت بذر الدجا
وشعر مدحت به الكركدن بين القريض وبين الرقا
فما كان ذلك مدحا له ولكنه كان هجو الوري

[١١] وقد كان في كافور حلم زائد، وكف عن الدماء، وجودة تدبير.

٧٠٦ الْمُتَنَبِّي (١)

[١] شاعرُ الزمان، أبو الطَّيِّب، أحمدُ بنُ حسين بنِ حسن الجعفي الكوفي الأديب، الشهير بالمتنبي.

وُلد سنة ثلاثٍ وثلاث مئة، وأقام بالبادية، يكتسب اللُغَةَ والأخبار، وكان من أذكىاء عصره.

بلغ الندوة في النظم، وأرْبَى على المُتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق، ومدح سيف الدولة ملك الشام، والخدام كافرأ صاحب مصر، وعَضد الدولة ملك فارس والعراق.

وكان يركب الخيل بزِيّ العرب، وله شارة وغلمان وهَيْثَة.

وكان أبوه سقاء بالكوفة، يعرف بعبدان.

[٢] قيل: إنّه جلس عند كُتَيْبٍ، فطول المطالعة في كتاب الأصمعي فقال صاحبه: يا هذا أتريد أن تحفظه؟ فقال: فإن كنت قد حفظته؟ قال: أهبة لك، قال: فأخذ يقرؤه حتى فرغه وكان ثلاثين ورقة.

قال التُّوخي: خرج المتنبي إلى بني كلب، وأقام فيهم وزعم أنه علوي، ثم تنبأ، فافْتُضِحَ وحُبِسَ دهرأ، وأشرف على القتل ثم تاب. وقد نال بالشعر مالاً جليلاً، يُقال: وصل إليه من ابن العميد ثلاثون ألف دينار. وناله من عَضد الدولة مثلها.

أخذ عند النُعمانية (٢)، فقاتل، فقتل هو وولده محسّد وفتاه في رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

وكان يُنحَل وقد طوّلت أمره في «تاريخ الإسلام».

(١) انظر السير: ١٦/١٩٩-٢٠١

(٢) النُعمانية: بلدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق إلى ضفة دجلة، معدودة من أعمال الزاب الأعلى، وأهلها

شبيعة غالبية كلهم. معجم البلدان، ٥/٢٩٤.

وهو القاتل:

لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُم الجُودُ يُفْقِرُ والإِقْدَامُ قَتَالٌ
وله هكذا عدة أبياتٍ فائقة، يُضْرَبُ بها المثل.
وكان محجياً بنفسه، كثير البأو والتيه، فَمُقِتٌ لذلك.

٧٠٧ صاحبُ الأغاني^(١)

[١] العلامة الأخباري، أبو الفرج، عليُّ بن الحسين بن محمد القُرشي الأمويُّ
الأصبهانيُّ الكاتب، مصنّف كتاب «الأغاني» من ولِدِ مروان الحِمَار.

كان بحراً في نقل الأدب، وكان بصيراً بالأنساب وأيام العرب، جيّد الشعر
والعجب أنه أمويٌّ شيعيٌّ.

قال ابن أبي الفوارس: خلط قبل موته.

قلت: لا بأس به.

وكان وبخاً زريّاً، وكانوا يتقون هجاءه.

[٢] وله حكاية مع الجهنيّ المُحتسب: كان يُجازف، فقال مرة:

بالبلد الفلاني نعنّع يطول حتى يُعمل منه سلالم. فيدر أبو الفرج وقال: عجائبُ
الدنيا ألوان، والقدرة صالحة، فعندنا ما هو أعجب من هذا، زوج حمام، يبيضُ
بيضتين، فناخذهُما، ونضع بدلَهُما سنجين^(٢) نحاساً، فتفقس عن طست
ومسینه، فتضاحكوا وخجل الجهنيّ.

مات سنة ست وخمسين وثلاث مئة، وله اثنتان وسبعون سنة.

(١) نظر السيرة: ٢٠٦/١٦-٢٠٣

(٢) ما يوزن به.

٧٠٨ الذُّهْلِيُّ (١)

[١] الإمام العالم المسند المحدث، قاضي القضاة، أبو الطاهر محمد بن أحمد ابن عبد الله الذُّهْلِيُّ البغدادي المالكي، قاضي الديار المصرية.

وُلد سنة تسع وسبعين ومئتين، وسمع وهو ابن تسع سنين. وكان ثقة في الحديث.

قال عبد الغني: وقد قرأ القرآن وهو ابن ثمان سنين، وكان مفوهاً، حسن البديهة، شاعراً، علامة، حاضر الحجة، عارفاً بأيام الناس، عزيز المحفوظ، لا يملئه جليسه من حسن حديثه، وكان سمحاً كريماً، ولي قضاء مصر سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة وأقام على قضائها ثمانين عشرة سنة.

[٢] قال عبد الغني: وسمعت الوزير أبا الفرج يعقوب بن يوسف يقول: قال لي الأستاذ كافور: اجتمع بالقاضي أبي الطاهر، فسلم عليه وقل له: إنه بلغني أنك تنبسط مع جلسائك، وهذا الانبساط يُقل هيبة الحكم، فأعلمته بذلك، فقال: قل للأستاذ: لستُ ذا مالٍ أفيضُ به على جلسائي، فلا أقل من خلقي، فأخبرتُ الأستاذ، فقال: لا تعاوذه.

[٣] قال الحافظ عبد الغني: لما تلقى أبو الطاهر المعزُ أبا تميم بالإسكندرية سألَه المعز، فقال: يا قاضي، كم رأيت من خليفة؟ قال: واحد: قال: من هو؟ قال: أنت، والباقون ملوك، فأعجبه ذلك، ثم قال له: أحججت؟ قال: نعم، قال: وسلمت على الشيخين؟ قال: شغلني عنهما النبي ﷺ كما شغلني أمير المؤمنين عن وليِّ عهده، فازداد به المعزُ إعجاباً، وتخلص من وليِّ العهد إذ لم يسلم عليه بحضرة المعز فأجازهُ المعزُ يومئذٍ بعشرة آلاف درهم.

(١) انظر السير: ١٦/٢٠٤-٢١٠

ولم يزل أمره مستقيماً إلى أن لحقته علة عطلت شقه في سنة ٣٦٦هـ فقلد العزيز
صاحب مصر القضاء حينئذ علي بن التعمان .
مات سنة سبع وستين وثلاث مئة .

[١] الملقب بأبیر المؤمنین، المستصیر بالله، أبو العاص، الحکم بن الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد الأموي المرواني صاحب الأندلس وابن ملوكها.

وكانت دولته ست عشرة سنة، وعاش ثلاثاً وستين سنة.

[٢] وكان جيد السيرة، وافر الفضيلة، مكرماً للوافدين عليه، ذا غرام بالمطالعة وتحصيل الكتب النفيسة الكثيرة حقها وباطلها بحيث إنها قاربت نحواً من مئتي ألف سفر، وكان ينطوي على دين وخير.

[٣] وكان باذلاً للذهب في استجلاب الكتب، ويعطي من يتجر فيها ما شاء حتى ضاقت بها خزائنه، لا لذة له في غير ذلك.

[٤] وكان عالماً أخبارياً، وقوراً، نسيج وحده.

[٥] وكان الحکم موثقاً في نقله، قل أن تجد له كتاباً إلا وله فيه نظر وفائدة، ويكتب اسم مؤلفه ونسبه ومولده، ويغرب ويُفيد.

[٦] ومن محاسنه أنه شدد في الخمر في ممالكه، وأبطله بالكلية وأعدمه.

[٧] وكان يتأدب مع العلماء والعباد، التمس من زاهد الأندلس أبي بكر يحيى بن مجاهد الفزاري أن يأتي إليه، فامتنع، فمر في موكبه يحيى وسلم عليه، فرد عليه ودعا له، وأقبل على تلاوته ومر بحلقة شيخ القراء أبي الحسن الأنطاكي، فجلس ومنعهم من القيام له، فما تحرك أحد.

مات بقصر قرطبة سنة ست وستين وثلاث مئة.

ويُويح ابنه هشام وله تسع سنين أو أكثر ولقب بالمؤيد بالله، فكان ذلك سبباً لتلاشي دولة المروانية، ولكن سدد أمر المملكة الحاجب الملقب بالمنصور أبي عامر محمد بن عبدالله بن أبي عامر القحطاني، وإليه كان العقد والحل، فساس أتم سياسة.

(١) انظر السير: ٢٣٠-٢٣٦

٧١٠ الصُّغْلُوكِيُّ (١)

(١) الإمام العلامة ذو الفنون أبو سهل، محمد بن سليمان بن محمد العجلي الصُّغْلُوكِيُّ النَّيسَابُورِيُّ، الفقيه، الشافعي، المتكلم، النحوي المفسر، اللغوي، الصوفي، شيخ خراسان.

أفتى ودرّس بنيسابور نيفاً وثلاثين سنة.

(٢) قال أبو القاسم القشيري: سمعت أبا بكر بن فورك يقول: سئل الأستاذ أبو سهل عن جواز رؤية الله بالعقل، فقال: الدليل عليه شوق المؤمن إلى لقائه، والشوق إرادة مفرطة، والإرادة لا تتعلق بمُحال.

(٣) وقال السلمي: سمعت أبا سهل يقول: ما عقدت على شيء قط، وما كان لي قفل ولا مفتاح ولا صررت على فضة ولا ذهب قط.

(٤) عمرو بن مسرور، أنشدنا أبو سهل الحنفي لنفسه:

أنا م على سهو وتبكي الحمايم وليس لها جرم ومني الخرائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاقلاً لما سبقتي بالبكاء الحمايم
توفي أبو سهل سنة تسع وستين وثلاث مئة.

٧١١ يحيى بن مُجاهد (٢)

(٥) ابن عوانة، أبو بكر الفزاري الأندلسي الإيبيري الزاهد.

(٦) ذكر ابن بشكوال في غير «الصلة» فقال: زاهد عصره، وناسك بصره، الذي به يتبركون، وإلى دعائه يَفزعون.

كان منقطع القرنين، مجاب الدعوة، جربت دعوته في أشياء ظهرت، حج وعُني بالقراءات والتفسير، وله حظ من الفقه، لكن غلبت عليه العبادة.

(١) انظر السير: ٢٣٥/١٦ - ٢٣٩.

(٢) انظر السير: ٢٤٤/١٦ - ٢٤٦.

[١] وذكره عمر بن عفيف، فقال: كان من أهل العلم والزهد والتقشف والعبادة، وجميل المذهب، لم تر عيني مثله في الزهد والعبادة، يلبس الصوف، ويمشي حافياً مرة، ويتعل مرة فحدثني محمد بن أبي عثمان، عن أبيه أن الحكم المستنصر بالله أحب أن يجتمع بيحيى بن مجاهد الزاهد، فلم يقدر عليه، ووجه إليه من يتلطف به ويستحفظه، فقال: مالي إليه حاجة وإنما يدخل على السلطان الوزراء، وأهل الهيئة، وأيش يعمل بأصحاب الأظمار الرثة، فوجه إليه الحكم جبة صوف وغفارة وقميصاً من وسط الثياب ودنانير، فلما نظر إليها قال: مالي ولهذه؟ ردوها على صاحبها، ولئن لم يتركوني سافرت، فيس من لقائه وتركه، وكان يجلس إلى مؤدب بالجامع يأنس به.

توفي ابن مجاهد سنة ست وستين وثلاث مئة وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

٧١٢ عَضُدُ الدَّوْلَةِ (١)

[٢] السلطان، عضد الدولة، أبو شجاع، فَنَاحُشُرُو، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي.

تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة ثم كثرت بلاده واتسعت مملكته وسار إليه المتنبئ ومدحه، وأخذ صلاته.

قصد عضد الدولة العراق، والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله وتملك، ودانت له الأمم.

وكان بطلاً شجاعاً مهيئاً، نحويًا، أديبًا، عالماً، جباراً عسوقاً، شديد الوطأة.

[٣] وكان يقول الشعر، فقال أبياتاً كُفْرِيَّةً:

ليس شربُ الرَّاحِ إلَّا في المَطَرِ وغناءٌ مِنْ جوارٍ في الشَّحْرِ
ميرزات الكأسِ مِنْ مَطْلِعِهَا ساقيات الرَّاحِ مِنْ فَاقِ البَشْرِ

(١) انظر السير: ٢٤٩/١٦ - ٢٥٢

عضد الدولة وابن رُكنها ملك الأملاك غلاب القدر
[١] نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٖ ، هٰذٰكَ
عَنِّي سُلْطٰنِيهٖ ﴾ [الحاقة ٢٨- ٢٩] ومات بعلة الصرع ، وكان شيعياً جليداً أظهر
بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي ، وبني عليه المشهد ، وأقام شعار الرفض ،
وماتم عاشوراء ، والاعتزال .

تملك العراق خمسة أعوام ونصفاً ، وما تلقى خليفة ملكاً من قدمه قبله .
مات سنة اثنين وسبعين وثلاث مئة ببغداد وعمل في تابوت ، ونُقل فدفن بمشهد
النجف ، وعاش ثمانياً وأربعين سنة وقام بعده ابنه صمصام الدولة وحلفوا له ، وقتلده
الطائع .

[٢] قال عبد الله بن الوليد : سمعت أبا محمد بن أبي زيد يسأل ابن سعدي لما جاء
من الشرق : أحضرت مجالس الكلام ؟ قال : مرتين ولم أعد ، فأول مجلس جمعوا
الفرق من السنة والمبتدعة واليهود والنصارى والمجوس والدهرية وكل فرقة رئيس
يتكلم وينصر مذهبه ، فإذا جاء رئيس قام الكل له فيقول واحد : تناظروا ولا يحتج
أحد بكتابه ، ولا بنبيه ، فإننا لا نصدق بذلك ولا نقرُّ به ، بل هاتوا العقل والقياس ،
فلما سمعتُ هذا لم أعد ، ثم قيل لي : ها هنا مجلس آخر للكلام ، فذهبت
فوجدتهم على مثل سيرة أصحابهم سواء ، فجعل ابن أبي زيد يتعجب وقال :
ذهبت العلماء وذهبت حرمة الدين .

[٣] قلت : فتحمد الله على العافية ، فلقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاء
شديد بالدولة العبيدية بالمغرب ، وبالدولة البويهية بالمشرق ، وبالأعراب القرامطة ،
فالأمر لله تعالى .

٧١٣ النَّصْرَابَادِي^(١)

[١] الإمام المحدث، القدوة الواعظ، شيخ الصوفية، أبو القاسم إبراهيم بن محمد ابن أحمد الخراساني النصرايادي النيسابوري الزاهد، ونصراياد: محلة من نيسابور.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان شيخ الصوفية بنيسابور له لسان الإشارة مقروناً بالكتاب والسنة، وكان يرجع إلى فنون منها حفظ الحديث وفهمه وعلم التاريخ وعلوم المعاملات والإشارة.

[٢] ومع عظم محلّه كم من مرة قد ضرب وأهين، وكم حُبس، فقيل له: إنك تقول: الروح غير مخلوقة، فقال: لا أقول ذا، ولا أقول إنها مخلوقة بل أقول: الروح من أمر ربي، فجهّدوا به، فقال: ما أقول إلا ما قال الله.

قلت: هذه هفوة، بل لا ريب في خلقها، ولم يكن سؤال اليهود لنا نبينا ﷺ عن خلقها ولا قدمها، إنما سألوا عن ماهيتها وكيفيتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر ٦٢] فهو مُبدع الأشياء وموجد كل فصيح وأعجم، ذاته وحياته وروحه وجسده، وهو الذي خلق الموت والحياة والنفوس، سبحانه.

[٣] ثم قال السلمي: وقيل له: إنك ذهبت إلى الناووس وطُفّت به وقُلّت: هذا طوافي فتَنفُصت بهذا الكعبة!! قال: لا ولكنهما مخلوقان، لكن بها فضل ليس هنا، وهذا كمن يُكرم كلباً، لأنه خلُق الله، فعوتب في ذلك سنين.

قلت: هذه ورطة أخرى. أفتكون قبلة الإسلام، كقبر يظاف به، فقد لعن رسول الله ﷺ من اتخذ قبراً مسجداً.

قال السلمي: سمعت جدي يقول: منذ عرفت النصرايادي ما عرفت له جاهلية. وقال الحاكم: هو لسان أهل الحقائق في عصره، وصاحب الأحوال

(١) انظر السير: ١٦/٢٦٣-٢٦٧

الصحيحة . وكان يَعْظُ وَيُذَكِّرُ، وجاور في سنة خمس وستين، وتعبَّد حتى دُفِنَ بمكة، سنة سبع وستين وثلاث مئة، ودُفِنَ عند الفضيل، وبِيعت كُتُبُه، فكشفت تلك الكُتُبَ عن أحوالِه، والله أعلم .

[١] وسمعتَه يقول : إن كان بعد الصَّديقين موحدٌ فهو الحلاج . قلتُ : وهذه ورطة أخرى، بل قُتِلَ الحلاج بسيفِ الشرعِ على الزُّندقةِ وقد جمعتُ بلاياه في جزئين، وقد كان النَّصرآبادي صحبَ الشُّبلي ومشى على حذوه، فواغوثاه بالله .

ومن كلامه : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء . [٢] وقال : أصلُ التَّصوُّفِ ملازمةُ الكتابِ والسُّنةِ، وتركُ الأهواءِ والبدعِ ، ورؤيةُ أعذارِ الخلقِ ، والمداومةُ على الأورادِ، وتركُ الرُّخصِ .

٧١٤ القفال الشاشي (١)

[٣] الإمامُ العلامةُ، الفقيهُ الأصوليُّ اللغويُّ، عالمُ خراسانِ أبو بكر محمد بن عليِّ ابنِ إسماعيلِ الشاشيِّ الشافعيِّ القفالِ الكبيرِ، إمامٌ وقتهِ بما وراءَ النهرِ، وصاحبُ التصانيفِ .

أرخ وفاته الحاكم في سنة خمس وستين وثلاث مئة بالشاش . [٤] قال أبو الحسن الصُّفَّارُ : سمعتُ أبا سهلِ الصُّعْلوكي، وسئل عن تفسيرِ أبي بكرِ القفالِ، فقال : قدَّسه من وجهه، ودنَّسه من وجهٍ أي : دنَّسه من جهةِ نُصره للاعتزال . قلتُ : الكمالُ عزيزٌ، وإنما يمدحُ العالمُ بكثرةِ ماله من الفضائلِ، فلا تُدْفِنُ المحاسنُ لورطةٍ، ولعلَّه رجعَ عنها . وقد يُغفرُ له باستفراغه الموسعِ في طلبِ الحقِّ، ولا قوةَ إلا بالله .

(١) انظر السير : ١٦ / ٢٨٣ - ٢٨٥

[١] قال أبو بكر النيهقي في «شعب الإيمان» أنشدنا أبو نصر بن قتادة، أنشدنا أبو بكر القفال:

أَوْسَعُ رَحْلِي عَلَى مَنْ نَزَلَ وَوَادِي مُبَاحٌ عَلَى مَنْ أَكَلَ
تُقَدَّمُ حَاضِرٌ مَا عُنَدْنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ حُبْرٍ وَخَلَّ
فَأَمَّا الْكَرِيمُ فَيَرْضَى بِهِ وَأَمَّا اللَّئِيمُ فَمَنْ لَمْ أُبَلِّ

انتهى الجزء الثاني
والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات



وبلغ الجزء الثالث وأوله :
الطبقة الحادية والعشرون
أبو عثمان المغربي